مقدمات
الإمام أبي الحسن الندوي

إعداد
سيد أحمد زكريا الغوري الندوي

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

مُقَدِّمَاتُ

الإِمَامِ أَبِي الحَسَنِ النَّدْوِيِّ

إعداد

سَيِّد أحمد زكريَّا الغَوْرِيّ النَّدْوِيّ

(الجزء الأول)

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَاتُ
الإِمَامِ أَبِي الحَسَنِ النَّدْوِيِّ

الموضوع: دراسات إسلامية

العنوان: مقدمات الإمام إبي الحسن الندو[ي]

الإعداد: سيد أحمد زكريا الغوري الندو[ي]

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

الورق: أبيض
ألوان الطباعة: لون واحد
عدد الصفحات: 1314
القياس: 17×24
التجليد: كرتونيه
الوزن: 2500 غ

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي
و المسموع و الحاسوبي و غيرها من الحقوق
إلا بإذن خطي من

دار ابن كثير
للطباعة و النشر و التوزيع

التنفيذ الطباعي:
مطبعة الديك - بيروت
التجليد:
دار الفن للتجليد - بيروت

دمشـق - سوريا - ص.ب : 311
حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450
الإدارة تلفاكس: 2243502 - 2458541
بيروت - لبنان - ص.ب : 113/6318
برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
تلفاكس : 817857 01 - جوال : 204459 03
www.ibn-katheer.com
info@ibn-katheer.com

ISBN: 978-9953-520-82-7
9 789953 520827

مقدّمة الكتاب

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله .

وبعد : فكان فقيد الدعوة الإسلامية العلاَّمة أبو الحسن علي الحسني الندوي واحداً من قلَّة هؤلاء العلماء الأفذاذ ، الذين ألمّوا في عصرنا الحاضر بجميع العلوم النقلية والعلمية ، ثم أدلوا بدلوهم في تأليف وتصنيف كل واحدٍ من تلك العلوم ، وقد ندر هذا الجمعُ وذاك الإلمامُ منذ قرون أخيرة . وخيرُ دليلٍ على ذلك مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي هذه التي نسعد بتقديمها اليوم إلى القرّاء ، والتي تتنوَّع في موضوعاتٍ شتَّى من التفسير ، والحديث ، والفقه ، والسيرة ، والتاريخ ، والأدب وغير ذلك ، ويتجلَّى من خلال هذه المقدمات طولُ باع صاحبها وعلوّ كعبه في العلوم والفنون التي قدَّم لكتبها . فكانت الحاجةُ ماسَّةً إلى جمع هذه المقدمات في كتابٍ مستقلٍّ ، ولكن للأسف لم يتهيّأ للقيام بهذا العمل أحدٌ من تلامذة الإمام ـ رحمه الله ـ رغم أهميته القصوى وإفادته العظيمة على تمادي السنوات ، وقد سعىٰ أحد طلاب « دار العلوم ـ ندوة العلماء » إلى جمع بعض المقدمات ، ولكنه تسرَّع في طباعتها ، بحيث فاته عددٌ كبيرٌ من المقدمات ، فكان عمله أشبه بحاطب ليلٍ .

وكنتُ قد بدأتُ بجمع مقدمات الإمام الندوي أثناء دراستي في « ندوة العلماء » ولكني لم أستطع أن أتفرَّغ لهذا العمل كلَّ التفرغ . فحين وقع لي عملُ ذاك الطالب رأيتُ من المفيد أن أقوم بجمع تلك المقدمات من جديد ، وذلك مع التعليق على مغلقات عبارات صاحب المقدمات ، ومرتِّباً إياها حسب الموضوعات ، مع ذكر نبذة من ترجمة صاحب الكتاب الذي قدَّم له الإمام . ولكني لم أستطع أن أسلك هذا

المنهج في جميع أجزاء هذا الكتاب بسبب انشغالي بالدراسة وبإعداد البحوث العلمية أثناءها ، كما يتضح ذلك جلياً لمن يطالع أجزاء هذا الكتاب .

أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وينفع به .

كتبه

سيد أحمد زكريا الغوري الندوي

حيدرآباد ٢٤ محرم الحرام ١٤٢٨هـ

١١/ شباط ٢٠٠٧م

ترجمة

العلاَّمة أبي الحسن النَّدْوِي

ـ رحمه الله تعالى ـ

هو المربِّي العظيم ، والداعية الحكيم ، والمفكِّر المجدِّد ، والأديب البارع ، والكاتب القدير ، وعلاَّمة الهند ، وربَّانِيُّ الأمَّة ، ونموذج السَّلف ، والعالِم العامل ، والحبر الكامل ، والزَّاهدُ المجاهد : الشيخ السيِّد أبو الحسن علي الحسني الندوي ، صاحبُ الكُتب الفائقة ، والرَّسائل الرائقة ، والمحاضرات النافعة ، « والذي أجمع عليه السلفيُّون والمتصوِّفون ، والمذهبيون واللاَّمذهبيون ، والتقليديون والمعاصرون »[(١)] .

اسمه ونسبه وأسرته :

هو عليُّ أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، ينتهي نسبه إلى عبد الله الأَشْتَر بن محمّد ذي النَّفس الزكية بن عبد الله المحض ، بن الحسن (المثنَّى) بن الإمام الحسن السبط الأكبر بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

أوَّل من استَوْطَنَ الهندَ من هذه الأسرة في أوائل القرن السابع الهجري هو الأمير السيّد قطب الدين المدني (المتوفى سنة ٧٧٦ هـ) .

والده مؤرِّخ الهند الكبير العلاَّمة الطبيب السيّد عبد الحيّ الحسني ، الذي استحقَّ بجدارة لقب « ابن خلِّكان الهند » لمؤلَّفه القيم « نزهة الخواطر وبهجة

---

(١) قاله الدكتور يوسف القرضاوي .

المسامع والنواظر » في ثماني مجلَّدات عن أعلام المسلمين في الهند وعمـالقتهم ، طُبِعَ أخيراً باسم « الإعلام بمَن في تاريخ الهند من الأعلام »[١] .

أمَّا والِدتُه ـ رحمها الله ـ فكانت من السيِّدات الفاضلات ، المربيات النادرات ، المؤلِّفات المعدودات ، والحافظات للقرآن الكريم ، تقرض الشعرَ ، وقد نظمتْ مجموعةً من الأبيات في مدح رسول الله ﷺ .

مولده ونشأته :

أبصَرَ العلاَّمةُ أبو الحسن الندوي النورَ في ٦ محرم ١٣٣٣هـ (الموافق عام ١٩١٤م) بقرية « تَكِيَة كَلاَن » الواقعة قُرْب مديرية « رَائي بَرِيْلِي » في الولاية الشمالية « أُتْرَابَرْدِيْش » .

بَدَأَ دراستَه الابتدائية من القرآن الكريم في البيت ، ثم دَخَلَ في الكُتَّاب حيث تعلَّم مبادىءَ اللغتين (الأردوية والفارسية) شأنَ أبناء البيوتات الشريفة في الهند في ذلك العصر ، وكان عمره يتراوح بين التاسعة والعاشرة إذ تُوفِّي والده الجليل عام ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) . فتوَلَّى تربيتَه أمُّه الفاضلة ، وأخوه الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني[٢] وإليه يرجع الفضلُ في توجيه وتربية العلامة الندوي .

بدَأَ دراستَه العربية على الشيخ خليل بن محمّد الأنصاري اليماني[٣] في أواخر عام ١٩٢٤م، وتخرَّج عليه مستفيداً في الأدب العربي، ثمّ توسَّعَ فيه وتخصَّصَ على الأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي المرَّاكشي[٤] عند مقدمه إلى ندوة العلماء عام ١٩٣٠م .

---

(١) في ثلاث مجلَّدات ضخمة ، في دار ابن حزم ، بيروت .

(٢) انظر ما كتب عنه العلاَّمة الندوي في كتابه « شخصيات وكُتب » ص (٦٣) ، طبع دار القلم بدمشق .

(٣) انظر ترجمته في « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » ص (٢٨١) طبع دار ابن كثير ، بدمشق .

(٤) هو العلاَّمة البحَّاثة ، وأحد كبار علماء اللغة العربية في هذا العصر ، وُلِدَ بسجلماسة في المغرب ، ونشأ نشأة صوفية ، ثم تركها واتخذ السلفيةَ معتقداً ، سافر إلى الهند وقرأ =

دراسته الجامعيَّـة :

التحَقَ بجامعة لكهنؤ فرع الأدب العربي عام ١٩٢٧م ، ولم يتجاوز عمره آنذاك الأربعة عشر عاماً ، وكان أصغر طلبة الجامعة سناً ، ونال منها شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها ، قرأ خلال أيام دراسته في الجامعة كُتباً تُعتبر في القمَّة العربية والأردوية ، ممَّا أعانه على القيام بواجب الدعوة وشرح الفكرة الإسلامية الصحيحة ، وإقناع الطبقة المثقَّفة بالثقافة العصرية ، وتعلَّمَ الإنجليزية ؛ التي مكَّنته من قراءة الكتب المؤلَّفة بها في التاريخ والأدب والفكر .

ثمَّ التحَقَ بدار العلوم ـ ندوة العلماء عام ١٩٢٩م وقرأ الحديثَ الشريف (صحيح البخاري ، ومسلم ، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي) حرفاً حرفاً مع شيء من تفسير البيضاوي على العلاَّمة المحدِّث الشيخ حيدر حسن خان الطُّوْنَكِي[(١)] ، ودرس التفسيرَ لكامل القرآن الكريم على العلاَّمة المفسِّر المشهور أحمد علي اللاَّهُوري في لاهور عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م ، وحضر دروسَ العلاَّمة المجاهد حسين أحمد المَدَني[(٢)] في صحيح البخاري وسنن الترمذي خلال إقامته في دار العلوم ديوبند ، واستفاد منه في التفسير وعلوم القرآن أيضاً .

في سِلْك التدريس :

انخرَطَ في سلك التدريس عام ١٩٣٤م ، وعُيِّنَ أستاذاً في دار العلوم ـ ندوة العلماء لمادَّتي التفسير والأدب .

واستفاد خلال تدريسه في دار العلوم من الصُّحف والمجلاَّت العربية الصادرة في البلاد العربية ، ممّا عرفه على البلاد العربية وأحوالها ، وعُلمائها وأدبائها

= الحديث على كبار محدِّثيها يومئذ ، وعيِّن أستاذاً خلال إقامته فيها في كلية اللغة العربية في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، توفي ـ رحمه الله ـ بالدار البيضاء عام ١٤٠٧هـ .

(١) انظر ترجمته في « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » للعلاَّمة عبد الحي الحسني ، ج : ٣ ، ص: ١٢١٨ ، طبع دار ابن حزم ، بيروت .

(٢) انظر ترجمته في كتاب « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » ص (٢٣٩) .

ومفكِّريها عن كثب ، واستفاد أيضاً مِن كُتب المعاصرين من الدعاة والمفكِّرين العرب وفضلاء الغرب والزعماء السياسيِّين .

نشاطاته الدعويّة والإصلاحية :

قام برحلة استطلاعية للمراكز الدينية في الهند عام ١٩٣٩م ، تعرَّفَ فيها على الشيخ المربِّي العارف بالله عبد القادر الرَّأي فُوْرِي[١] ، والداعية إلى الله الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلَوِي[٢] ، وكان هذا التعرُّف نقطةَ تحوُّل في حياته ، وبَقِيَ على الصلة بهما حتى وافاهما الأجل المحتوم ، وتَلَقَّى التربية الروحية من الشيخ الرأي فوري واستفاد من صحبته ومجالسته ، وتأَسَّى بالشيخ الكاندهلوي في القيام بواجب الدّعوة وإصلاح المجتمع ، وقَضَى زمناً طويلاً في رحلات وجولات دعوية متتابعة للتربية والإصلاح والتوجيه الديني في الهند وخارجها .

أسَّسَ مركزاً للتعليمات الإسلامية لتنظيم حلقات درس القرآن الكريم والسنَّة النبوية عام ١٩٤٣م ، وأسَّس حركة رسالة الإنسانية بين المسلمين والهندوس عام ١٩٥١م ، والمجمع الإسلامي العلمي بدار العلوم ـ ندوة العلماء في لكهنؤ عام ١٩٥٩م .

شارَكَ في تأسيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (أترابرديش) عام ١٩٦٠م ، وفي تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند عام ١٩٦٤م ، وفي تأسيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند عام ١٩٧٢م .

رحلتُه مع الكتابة والتأليف :

كَتَبَ أوّلَ مقالٍ بالعربية في مجلّة « المنار » للعلاّمة السيّد رشيد رضا المصري عام ١٩٣١م حول شخصية الإمام السيّد أحمد بن عرفان الشهيد ، وكان عمره

---

(١) انظر ترجمته في « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » ص (٢٥٩) .
(٢) انظر ترجمته في « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » ص (٢٣٣) .

ـ آنذاك ـ أربعة عشر عاماً ، ثم نشره العلاّمة رشيد رضا ككتاب مستقل لمَّا رأى إعجاب كبار كتَّاب العرب به .

ظهَرَ له أوّلُ كتاب بالأردوية عام ١٩٣٧م يحمل اسمَه « سيرة أحمد شهيد » ونَالَ قبولاً عاماً في الأوساط الدينية والعلمية في الهند وباكستان ، وصدر له طبعاتٌ عديدةٌ فيما بعد .

بدأ سلسلة تأليف الكتب المدرسية بالعربية ، وظَهَرَ أوّلُ كتاب فيها بعنوان « مختارات من أدب العرب » عام ١٩٤٠م ، و« قصص النبيِّين » للأطفال و« القراءة الراشدة » عام ١٩٤٤م ، وقرِّر جميع هذه الكتب في مقرَّرات المعاهد والجامعات الإسلامية في بلاد العرب وشبه القارة الهندية .

أَلَّفَ كتابَه المشهور « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » عام ١٩٤٤م ، الذي عُدَّ من أفضل الكُتب التي صدرت في هذا القرن[1] .

دُعِيَ أستاذاً زائراً في كلية الشريعة بجامعة دمشق عام ١٩٥٦م ، وألْقى محاضرات بعنوان « التجديد والمجدِّدون في تاريخ الفكر الإسلامي » نُشِرتْ بعد ذلك في شكل كتاب مستقلّ في أربع مجلَّدات باسم « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » .

أَلَّفَ كتابه حول القَادِيَانية بعنوان « القادياني والقاديانية » عام ١٩٥٨م ، وكتابه « الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية في الأقطار الإسلامية » عام ١٩٦٥م وكتابه « الأركان الأربعة » عام ١٩٦٧م ، و« السيرة النبوية » عام ١٩٧٦م ، و« العقيدة والعبادة والسلوك » عام ١٩٨٠م و« المُرْتضىٰ » في سِيرة أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ عام ١٩٨٨م .

رئاسته لتحرير المجلاَّت والجرائد الإسلامية والإشراف عليها :

شارَكَ في تحرير مجلّة « الضياء » العربية الصادرة من دار العلوم ـ ندوة العلماء

(١) كما قاله المربِّي المفكِّر ، الداعية الناقد البصير : الأستاذ محمد المبارك ـ رحمه الله ـ .

عام ١٩٣٢م ومجلّة «الندوة» الأردوية الصادرة منها أيضاً عام ١٩٤٠م، وأَصْدَرَ مجلّة باسم « تَعْمِيْرِحَيَات » بالأردوية عام ١٩٤٨م ، وكتب مقالاتٍ في الأدب والدعوة والفكر في أمّهات المجلّات العربية الصادرة من مصر ودمشق كـ : « الرّسالة » للأستاذ أحمد حسن الزيّات و« الفتح » للأستاذ محب الدين الخطيب و« حضارة الإسلام» للدكتور مصطفى السِّباعي و« المسلمون » للدكتور سعيد رمضان المصري.

أشْرَفَ على إصدار جريدة « نَدَاي مِلَّتْ » بالأردوية عام ١٩٦٢م ، وأشرف كذلك على إصدار مجلّة « البعث الإسلامي » العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٥م ، وجريدة « الرائد » العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٩م ، ومجلة « تعميرحيات » الأردوية الصادرة منذ عام ١٩٦٣م ، وكلُّها تصدر من دار العلوم ـ ندوة العلماء في لكهنؤ ، (الهند) .

رحـــلاته :

سافَرَ إلى الشرق والغرب داعيةً إلى الله بالحِكْمة والموعظة الحسنة ، عامِلاً على إعلاء كلمة الإسلام بالكلمة المَسْمُوعة والمقروءة ، وبالعمل الإيجابيّ البنَّاء في كُلِّ مجال ، جوَّاباً للآفاق في سبيل الله ، محاضِراً ، ومحدِّثاً ، ومُحَاوِراً ، واعِظاً وهادياً ، ومشاركاً بالرأي والفكر في المجالس العلمية ، والمجامع الجامعية والمؤسَّسات الإسلامية ، والمؤتمرات والندوات فيها[١] .

تقدير وتكريم :

انتخَبَه مجمعُ اللغة العربية بدمشق والقاهرة والأردن عضواً مراسلاً لما اتَّصف به من العِلْم الجمّ ، والبحث الدقيق في ميادين الثقافة العربية والإسلامية ، ولمساعيه المكثَّفة المشكورة في الأدب العَربي الإسلامي .

---

(١) اقرأ للاطلاع على رحلاته الدعويّة في الخافقين كتاب « رحلات العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي مشاهداته ـ محاضراته ـ انطباعاته ـ لقاءاته » إعداد سيد عبد الماجد الغوري ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

اخْتِير عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة منذ تأسيسها عام ١٩٦٢م .

اختير عضواً في رابطة الجامعات الإسلامية منذ تأسيسها عام ١٩٧١م .

اختير لاستلام جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٨٠م ، لمؤلَّفه القيِّم « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » .

مُنح شهادة الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة كَشْمِيْر عام ١٩٨١م .

اختير رئيساً لمركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن عام ١٩٨٣م .

اختير عضواً في المجمع المَلَكِيّ لبحوث الحضارة الإسلامية وللبحث والتأليف والتحقيق في عمّان (الأردن) .

اختير رئيساً عاماً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض) عام ١٩٨٤م .

أقِيمَتْ ندوةٌ أدبيةٌ كبيرةٌ حول حياته ، وجُهوده الحثيثة ومساعيه المشكورة ، ومفاخره العظيمة في مجال الدعوة والأدب في إستانبول « تُركية » عام ١٩٩٩م ، حضرت فيها كبرى الشخصيات الدينية ، والأدبية من أنحاء العالم العربي والإسلامي.

اختير لاستلام جائزة الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٩هـ لخدماته الجليلة ومآثره العظيمة في مجال الدعوة الإسلامية ، وقدَّمَ إليه الجائزةَ وليُّ العهد لحكومة الإمارات العربية المتحدة سُمُوّ الشيخ محمد بن راشد المكتوم .

منح له سلطان بروناني جائزةً لخدماته الإسلامية ، عام ١٩٩٨م ، وذلك اعترافاً بمكانته العلمية والفكرية الإسلامية العظيمة ، وتقديراً لخدماته المتميزة التي أنجزها في مجال الدعوة الإسلامية العظيمة ، والفكر الإسلامي .

رئاسته وعضويته للجامعات والمجامع :

تَوَلّى العلامةُ الندوي الرئاسةَ والعضوية لِعدَّة جامعات إسلامية ، ومجامع عربية ، ومنظَّمات دعوية ، ومراكز دينية في العالم الإسلامي وخارجه ، ومنها على سبيل المثال :

الأمين العام لدار العلوم ـ ندوة العلماء (الّتي أخذت صفةَ العالمية منذ ترأَّسَ أمانَتها ، وتفَوَّقَتْ على معظم جامعات العالم الّتي تَهْتَمُّ بشؤون الدراسات الإسلامية والعربية) .

رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض) .

رئيس المجمع الإسلامي العِلْمِي في لكهنؤ (الهند) .

رئيس مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية (إنجلترا) .

رئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعُموم الهند .

رئيس هيئة التعليم الدِّيني للولاية الشمالية (أُتْرَابَرْدِيْش) .

عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

عضو المجلس التأسيسي الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية بالقاهرة .

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق .

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

عضو مجمع اللغة العربية الأردني .

عضو المجمع المَلَكِيّ لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسَّسة آل البيت) بالأردن .

عضو رابطة الجامعات الإسلامية بالرِّباط (المغرب) .

عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة .

عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية العالمية بإسْلاَم آبَادْ (باكستان) .

عضو المجلس الاستشاري بدار العلوم دِيُوْبَنْد الإسلامية (الهند) .

وعدا ذلك تولَّى العلامةُ الرئاسةَ والعضويةَ لكثير من الجامعات الإسلامية ، والمراكز الدينية والمنظَّمات الدعوية ، ولِجَان التعليم والتربية في العالم الإسلامي وخارجه .

وفاتــه :

توفِّيَ ـ رحمه الله ـ عَقِبَ نوبةٍ قلبيةٍ مفاجِئةٍ عن السادسة والثمانين من عمره الحافل بالأعمال القيمة والمآثر العظيمة ، والخدمات الجليلة في مجال الفكر والدَّعوة والأدب يومَ الجمعة في ٢٣ من شهر رمضان المبارك عام ١٤٢٠هـ (وكان آخر يوم من شهر ديسمبر عام ١٩٩٩م) في مسقط رأسه « رَائي بَرِيْلي » .

صُلِّي عليه في أنحاء العالم الإسلامي صلاة الغائب ، وصلَّى كذلك حوالي خمسة ملايين من المسلمين الوافدين من مختلف أصقاع العالم في الحرمين الشريفين في ٢٧ رمضان بعد صلاة العِشاء ، رحمه اللهُ رحمةً واسعةً ، وتغمَّده بها وأسكنه فسيح جنانه .

خَلْقُه وخُلُقُه :

كان ـ رحمه الله ـ نحيفَ البدن ، ونحيل العود ، نقيَّ اللون ، وقوراً مهيباً في غير عبوس أو فظاظة ، طَلْقَ الوجه دائم البِشْر ، نظراته عميقةٌ نفاذة ، ونبراته دقيقة أخَّاذة ، فيها بحة .

كان جمَّ التواضع ، هادئاً ، محباً للخير ، ودوداً محبوباً من كافة الطبقات .

كان خيرَ مثلٍ للعالم الورع الخلوق ، الذي يضمر الخير للجميع ، كان مثالاً في النزاهة ، والتواضع والجرأة النادرة في الدعوة إلى الإصلاح ، وفي الاستقامة ، والحرص على الحقِّ .

كان عدوّاً للمظاهر الكاذبة ، يتخفَّف في ثيابه وطعامه وفراشه ، ويكره التكلُّفَ والمجاملة الزائدة ، ولا يُقِيم للمال وزناً في حياته ، كانت ثقته بربِّه فوق كلِّ شيء ، وكانت مثابرته على النضال في سبيل ما يُؤمن به مضرب الأمثال ، وإخلاصه العميق كان سرَّ نجاحه ، بينما يفشل الآخرون .

كان دائمَ المطالعة ، حريصاً على صحبة الكتاب في خلواته وأوقات فراغه ، وكان شديد الاهتمام والعناية بكتب السيرة ـ على صاحبها ألف ألف سلام ـ وبكتب السلف والتاريخ والأدب .

كان فصيحَ اللسان ، بليغ الكلام ، وكان يمتاز بتمكُّنٍ عجيبٍ من اللغة العربية ، وتذوُّقٍ رفيعٍ للأدب ، وكانت تراكيبه اللفظية تلفت السامع ، وتستهوي القلب ، وكان يغلب على أسلوبه العنصر العاطفي الملتهب ، ومع ذلك إذا طرق بابَ البحث أجاد وأفاد وأمتع .

كان شديدَ العبادة والاجتهاد في رمضان ، وكان يؤمُّه مئاتٌ من الناس من أنحاء الهند ويصومون معه ويقومون ، ويتحوَّل المكان الذي يقضي فيه رمضان إلى زاويةٍ عامرةٍ بالذكر والتلاوة ، والسهر والعبادة .

كان مِن أعظم آماله ـ رحمه الله ـ أن يرى الإسلامَ سائداً على الأرض ، وأن يرى الدول الباغية مقهورة حتى يسلِّي نفسه ويستبشر ، ويرى انتقام الله من الذين حاربوا الإسلامَ وأذلُّوا المسلمين .

مؤلَّفاته :

للعلاَّمة الندوي ـ رحمه الله ـ مؤلَّفاتٌ قيمة ، ورسائلُ ممتعةٌ في السيرة ، والفكر ، والدَّعوة ، والأدب ، والتراجم ، نذكر هُنا ما هو الأشهر منها بالعربيَّة :

١ ـ السيرة النبوية .

٢ ـ الطريق إلى المدينة .

٣ ـ سيرة خاتم النبيين صلَّى الله عليه وسلَّم (للمبتدئين) .

٤ ـ المُرتضىٰ (في سيرة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه) .

٥ ـ رجال الفكر والدَّعوة في الإسلام (أربع مجلَّدات) .

٦ ـ الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته إلى الله .

٧ ـ شخصياتٌ وكُتبٌ .

٨ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟!

٩ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية .

١٠ ـ الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية .

١١ ـ إلى الإسلام من جديد .

١٢ ـ المسلمون وقضية فلسطين .

١٣ ـ روائعٌ من أدب الدعوة في القرآن والسيرة .

١٤ ـ الأركان الأربعة في ضوء القرآن والسنة .

١٥ ـ العقيدة والعبادة والسُّلوك .

١٦ ـ التربية الإسلامية الحُرَّة .

١٧ ـ المدخل إلى الدراسات القرآنية .

١٨ ـ المدخل إلى دراسات الحديث .

١٩ ـ ربَّانيةٌ لا رهبانيَّة .

٢٠ ـ القاديانية والقادياني دراسةٌ وتحليلٌ .

٢١ ـ في مسيرة الحياة (ثلاثة أجزاء في سيرته الذاتية) .

٢٢ ـ مختاراتٌ من أدب العرب (مجلَّدان) .

٢٣ ـ روائع إقبال .

٢٤ ـ إذا هبَّت ريحُ الإيمان .

٢٥ ـ المسلمون في الهند .

٢٦ ـ مذكِّرات سائح في الشرق العربي .

٢٧ ـ قصص النبيِّين (للأطفال) .

٢٨ ـ قصصٌ من التاريخ الإسلامي (للأطفال) .

وللعلاَّمة غير هذه المؤلَّفات والكُتب ـ مئاتُ المقالات والمحاضرات والبُحوث في السيرة النبوية ، والفكر ، والدَّعوة ، والأدب ، والتراجم وفي موضوعات مختلفة ، وقد جمعناها ونشرناها مصحَّحةً ومنقَّحةً في سلسلة « تُراث العلاَّمة الندوي » فقد صدر منها حتى الآن :

١ ـ محاضراتٌ إسلاميةٌ في الفكر والدَّعوة (ثلاث مجلَّدات) .

٢ ـ مقالاتٌ إسلاميةٌ في الفكر والدَّعوة (مجلَّدان) .

٣ ـ دراساتٌ قُرآنيةٌ .

٤ ـ مقالاتٌ في السيرة النبوية .

٥ ـ من أعلام المسلمين ومشاهيرهم .

٦ ـ أبحاثٌ في التعليم والتربية الإسلامية .

٧ ـ أبحاثٌ في الحضارة الإسلامية والتربية .

٨ ـ بحوثٌ في الاستشراق والمستشرقين .

٩ ـ رحلات العلاَّمة أبي الحسن علي الحسني الندوي .

١٠ ـ مكانة المرأة في الإسلام .

١١ ـ خطابات صريحة إلى الأمراء والرُّؤساء .

١٢ ـ اسْمَعِيَّات(١) .

١٣ ـ مقدِّمات الإمام أبي الحسن الندوي (ثلاثة أجزاء)(٢) .

* * *

(١) من يريد الاستزادةَ من الاطلاع على حياته وشخصيته داعيةً ، ومفكِّراً ، ومربِّياً وأديباً ؛ يرجع إلى كتاب « أبو الحسن علي الحسني الندوي الإمام المفكِّر الداعية المربِّي الأديب » لسيد عبد الماجد الغوري (الطبعة الثالثة) طبع دار ابن كثير بدمشق .

(٢) هذه الترجمة برُمَّتها منقولةٌ هنا من « السيرة النبوية » للعلامة أبي الحسن الندوي ، تحقيق سيد عبد الماجد الغوري ، طبعة دار ابن كثير بدمشق .

كلمةٌ قيّمةٌ
للعلامة أبي الحسن النَّدْوِي
في أدب التقديمات

« إنَّ تقديم كتابٍ لمؤلِّفٍ معاصِرٍ أو عالمٍ كبيرٍ ، أو صديقٍ عزيزٍ ، ليس عملاً تقليديّاً يقوم به الكاتبُ مجاملةً أو تحقيقاً لرغبة المؤلِّف أو الناشر أو إرضائه ، إنَّه شهادةٌ وتزكيةٌ ، ولهما أحكامُهما وآدابهما ومسؤوليَّتُهما ، وقد يتحوَّل من شهادةٍ بالحَقِّ وتقييم الكتابِ تقييماً علمياً ، وبيانِ مكانتِه في ما كُتِبَ وأُلِّفَ في موضوعه ، ومَدَى مجهودِ المؤلِّف في إخراج هذا الكتاب ونجاحه في عمله التأليفيِّ أو التحقيقيِّ إلى سَمْسَرةٍ تجاريَّةٍ ، أو قصيدةِ مدحٍ وإطراءٍ من شاعرٍ من شعراء المديح ، فيفقد قيمتَه العلميَّة والأدبية ويتجرَّد من الحياة والروح .

[التقديم] هو زيادةُ معلوماتٍ ، وإلقاء أضواءَ على موضوع الكتاب ومقاصده ، وعلى حياة المؤلِّفِ ومكانتِه بين العلماء المعاصرين ، وفي عصرِه ومصرِه ، وعلى تكوينه العقليِّ ونشوئه العلميِّ ، والدوافع التي دفعته إلى التأليف في هذا الموضوع رغمَ وجودِ مكتبةٍ واسعةٍ في موضوعه ، أو مجموعةٍ من الكتب التي أُلِّفت في هذا الموضوع ، ولا يكون التقديمُ مجموعَ كلماتِ تقريظٍ ومدحٍ يُمكن أن يُحَلَّى به جِيدُ أي كتابٍ إذا غُيِّر اسمُه واسمُ مؤلِّفه .

فلا بُدَّ من أن تكون بين المقدِّم للكتاب وبين موضوعه صلةٌ علميَّةٌ أو ذوقيةٌ ، أو دراسةٌ وافيةٌ للموضوع وما أُلِّف فيه ، وارتباطٌ وثيقٌ كذلك بينه وبين المؤلِّف ، يمكِّنه من الاطلاع على تركيبه العقليِّ والعلميِّ والعاطفيِّ ـ إذا كان الكتابُ في موضوعٍ علميٍّ أو أدبيٍّ أو فكريٍّ أو دعويٍّ ـ .

وعلى مدى إخلاصه لموضوعه واختصاصه وتفانيه فيه ، ورُسُوخه في العلم والدين ، وأخذِهما من أصحاب الاختصاص فيه المُعْتَرَف بفضلهم ـ إذا كان الكتاب في موضوع دينيٍّ كالتفسير والحديث والفقه وما إلى ذلك .

ـ ويجب أن يكون هذا التقديمُ عن اندفاعٍ وتجاوبٍ ، وتحقيقاً لرغبةٍ نشأَتْ في نفس المقدِّم بعد قراءة هذا الكتاب ، تَحُثُّه على كتابة هذا التقديم ، وتُحَبِّبها إليه وتُيَسِّرها له ، بحيث إذا امتنَع عنها اعتبَر نفسَه مقصِّراً في أداء حَقٍّ ، وإبداء مشاعرٍ وانطباعاتٍ ، وحاجةً في نفس يعقوب ما قَضَاها ، وذلك هو التقديمُ الطبيعيُّ المُنْصِف الذي له أثَرُه وفائدَتُه »[1] .

---

(١) نظرات في الأدب : للعلامة الندوي ، ص(٦٠ ـ ٦١) .

مقدِّماتُه

لدراسات حول القرآن الكريم

١ ـ كتاب التبصرة في القراءات السبع : لمكيّ بن أبي طالب .

٢ ـ الفوز الكبير في أصول التفسير : للإمام شاه وليّ الله الدِّهْلَوِيّ .

٣ ـ فضائل القرآن : للمحدِّث الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوِيّ .

٤ ـ الإمعان في أقسام القرآن : للعلاَّمة عبد الحميد الفَراهي .

٥ ـ صفوة التفاسير : للشيخ محمد علي الصَّابوني .

٦ ـ رياض البيان في تجويد القرآن : للمقرئ محمد مسعود العَزيزي النَّدْوِي .

كتاب التبصرة في القراءات السّبع

للإمام المقرىء أبي محمَّد مَكِّي بن أبي طالب
حَمّوش بن محمد بن مختار القَيْسي القَيْرَواني القُرْطُبي
(المتوفى سنة ٤٣٧هـ)

تحقيق الدكتور المقرىء محمد غوث النَّدْوي

تقديم
سماحة الأستاذ الشيخ
أبي الحسن علي الحسني الندوي

نبذة من ترجمة المؤلِّف والمحقق

نبذة من ترجمة المؤلِّف :

هو مكِّيُ بن إبراهيم طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي ، أبو محمد : مقرىءٌ ، عالم بالتفسير والعربية ، من أهل القيروان . وُلد فيها عام ٣٥٥هـ ، وطاف في بعض بلاد المشرق ، وعاد إلى بلده وأقرأ بها . ثم سكن قرطبةَ وخطب وأقرأ بجامعها ، توفي فيها عام ٤٣٧هـ .

له كتبٌ كثيرة ، منها :

١ ـ مشكل إعراب القرآن .

٢ ـ الكشف عن وجوه القراءات وعللها .

٣ ـ الهداية إلى بلوغ النهاية .

٤ ـ التبصرة في القراءات السبع .

٥ ـ المنتقى في الأخبار .

٦ ـ الإيضاح للناسخ والمنسوخ .

٧ ـ الموجز في القراءات .

٨ ـ الإيجاز في الناسخ والمنسوخ .

٩ ـ الرعاية لتجويد التلاوة .

١٠ ـ الإبانة في القراءات .

١١ ـ شرح كلاَّ وبلى .

١٢ ـ فهرس جامع لرحلته[١] .

---

(١) الأعلام : للزركلي (٧/ ٢٨٦) .

نبذة عن ترجمة المحقق :

هو العالم ، الداعية ، القارىء ، المحقِّق : الأستاذ الدكتور محمد غوث الندوي ، من مواليد مضافات مديرية « نَلْجُنْدَهْ » الواقعة في ولاية « آنْدَهرابَرْديْش » (الهند) .

دَرسَ في ندوة العلماء ، واستفاد أثناء دراسته فيها من العلاَّمة الندوي خاصةً ، ومن أساتذتها الكبار يومئذ عامةً ، شارك بعد التخرُّج في الندوة في مسابقة القرآن الكريم العالمية ، والتي انعقدت في ماليزيا عام ١٩٦٤م . تابع دراستَه في جامعات الهند ، حتى حصل على الدكتوراه بتقديم تحقيق كتاب « التبصرة في القراءات السبع » لمكيٍّ بن أبي طالب ، والذي نال قبولاً في الجامعات الإسلامية في البلاد العربية ، وقرِّر في منهاجها ، ثم سافر إلى أمريكا بدعوةٍ من المسلمين المقيمين هناك لإنشاء معهدٍ إسلاميٍّ ، ووفَّقه الله بذلك ، وهو الآن قد قطع أشواطاً كثيرة من الرقي والتقدُّم ، وانتفع به الكثيرُ .

وله تحقيقات وتأليفات في القراءات وفي الحديث ، منها تحقيقه المذكور آنفاً « التبصرة في القراءات السبع » وإعداده « مسانيد النساء » و« مسانيد أمهات المؤمنين » و« مسانيد الصحابيات » وغير ذلك له مقالات ومحاضرات في موضوعات مختلفة ، وهو الآن متفرِّغ للأعمال الدعوية والإصلاحية بين الجاليات الإسلامية في أمريكا .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

بقلم الداعية الكبير أبي الحسن الندوي

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، أمَّا بعد :

فإنَّ الدِّين الذي يقوم على الوحي ، وإنَّ الوحي الذي يقوم على « القراءة » ويتصل ما انقطع منه ـ مدَّة خمسة قرون على الأقلّ ـ بالأمر بالقراءة ، فينزل أوّلُ وحيٍ في غار حِرَاء على خاتَم الرُّسل محمد بن عبد الله بن عبد المُطَّلب الهاشميِّ القُرَشي ﷺ ، مفتتحاً بقوله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ [العلق : ١ ـ ٤] .

إنَّ هذا الدين خليقٌ بأن تكون عنايته وعناية حامليه مركَّزةً على قراءة الصحيفة التي نزلت من السماء ، فكانت خاتمةَ الصُّحف ، وعلى حفظها وقراءتها ، وعلى إتقان هذه القراءة وتصحيحها ، وضبطها وتحقيقها ، والبحث عن الأحرف التي نزلت بها ، وتدوين العلوم التي تنبثق عن هذا العلم ، وتحرِّي الصحة والدقة والأمانة في نقلها من جيلٍ إلى جيلٍ ، ومن عصرٍ إلى عصرٍ ، ومن رجالٍ إلى رجالٍ ، ومن طبقةٍ إلى طبقةٍ ، ومن كتابٍ إلى كتابٍ ، ومن صدرٍ إلى صدرٍ ، ومن فمٍ إلى فمٍ ، ومن لسانٍ إلى لسانٍ ، وأن يرافق تاريخُ هذه الأمة تاريخَ هذا العلم ، فلا يفترقان ، ولا تحول بينهما غفلةٌ أو نسيانٌ ، أو فتنةٌ أو حدثانٌ ، أو إنسانٌ وشيطانٌ ، بل يتداخل بعضُها في بعضٍ ، حتى يصلا إلى هذا العصر محفوظين صحيحين ، نقيين صافيين ، فيقرأ القرآن في هذا العصر كما قُرِىء في عصر نزوله ، ويحفظ تاريخ هذه القراءة وتفاصيلها من همزاتٍ ولیناتٍ ، وتفخيماتٍ وترقيقاتٍ ، وتغليظاتٍ

وإمالاتٍ ، ووصلٍ ووقفٍ ، كأنَّه شريطٌ مسجَّلٌ ، وذلك لم يسمع عن أي صحيفةٍ سماويةٍ، أو كتابٍ إنسانيٍّ ، أو أي دينٍ ومِلَّةٍ ، وذلك كلُّه تفسيرٌ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٧] ولذلك تكوَّنت مكتبة مِن أوسع المكتبات في علم القراءات السبع لا يوجد لها نظيرٌ في تاريخ أي أمة .

ولمَا كان « كتاب التبصرة في القراءات السبع » للشيخ العلامة المقرىء الإمام أبي محمد مكّي بن أبي طالب حَمُّوش بن محمد بن مختار القَيْسي القَيْرَواني القُرْطُبي (المتوفى ٤٣٧هـ) ، مِن أقدم الكتب ومِن أهمها في هذا الموضوع ، ويمتاز بمزايا فنيةٍ كثيرةٍ ، منها السهولة ووضوح المحجة ، ويعتبر من مراجع هذا الفن الأصيلة الأولى ، والإمام الداني صاحب كتاب « التيسير » الذي كان الاعتمادُ عليه في هذا الفن طيلة قرونٍ ، من تلاميذ صاحب « كتاب التبصرة » ، وجب الاعتناءُ به ، ونشره ، وجعله بمتناول أيدي الطالبين ، وحلقات الدارسين ، ولكن مما جعل هذه المهمَّةَ عسيرةً معقَّدةً ، هي نُدورة هذا الكتاب وتواريه عن أنظار الباحثين ، فقد كانت له مخطوطتان لا ثالثةَ لهما ، إحداهما في مكتبة نور عثمانية باستنبول (تركيا) ، والأخرى في مكتبة الجامعة النظامية بحَيْدَرْآباد ، وكانت المخطوطتان في حاجةٍ إلى تحقيقٍ وتنقيحٍ ، وضبطٍ وتصحيحٍ ، ومراجعةٍ ومقارنةٍ .

هنالك قَيَّض الله أخانا الأستاذ محمد غوث النَّدْوي ، وله باعٌ طويلٌ في حفظ القرآن وتجويده ، وقد نال جائزةَ التفوُّقِ في المسابقة العالمية لتلاوة القرآن الكريم في كَوَالاَلَمْبور (ماليزيا) ، وقد اختيرَ ليكون من الحكَّام في مسابقات القراءات في عاصمة الهند مراراً ، شهد له أهلُ هذا الفن بالبراعة والتفوُّق ، وله صبرٌ طويلٌ على قراءة المخطوطات ومراجعتها مع الأصول ، أعانه على ذلك اشتغاله في دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد ، التي هي كبرى المؤسَّسات العلمية في تحقيق المخطوطات ونشر الكتب النادرة الخطية للمؤلفين القدامى .

وقد وَضَع مقدِّمةً إضافيةً بحث فيها عن فنِّ القراءات السبع ، جمع فيها معلوماتٍ قيمةً ، ومواد دسمةً في الموضوع ، وقد زار في سبيل إكمال مهمته

المكتبات العلمية الرئيسية في الهند واستفاد من المكتبات الأجنبية أيضاً ، فجاء هذا الكتابُ بعد هذه المقدِّمة العلمية وما ناله من تصحيحٍ وتنقيحٍ ومراجعةٍ تحفةً في هذا الفن ، وعُمْدَةً في هذا الموضوع ، وجاء كاسمه « كتابَ التبصرة في القراءات السبع » وللمؤلِّف دعواتُ الحفَّاظ والقرَّاء ، والمؤلِّفين والعلماء ، وللمصحِّح والمعلِّق إعجابُ المعنيين بهذا الفن وتقديرهم ، والحمد لله أولاً وآخراً .

غرة رمضان المبارك سنة ١٣٩٩هـ **أبو الحسن علي الحسني الندوي**

الفوز الكبير
في
أصول التفسير

للإمام شاه وَلِي الله الدِّهْلَوِي

دراسة وتحقيق

سعيد أحمد البَالَنْ بُوْرِي
أستاذ الحديث الشريف بدار العلوم دِيُوْبَنْد (الهند)

دار ابن كثير
دمشق ـ بيروت

نبذة من ترجمة المؤلف

هو : أبو عبد العزيز ، ولي الله قطب الدين أحمد بن الشيخ أبي الفيض عبد الرحيم بن وجيه الدين ، الفاروقي ، الدِّهلوي ، الهندي ، ينتهي نسبه من الأب إلى الفاروق الأعظم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ ومن الأم إلى الإمام الهمام موسى كاظم رِضَا رحمة الله عليه .

وُلد في سنة ١١١٤هـ في قرية « بُهلَت » (فُلَت) بمديرية مظفر نكر من أعمال الولاية الشمالية (U.P.) في الهند .

بدأ الدراسة في السنة الخامسة من عمره ، وأتم القرآن الكريم في السنة السابعة ، ثم بدأ في الفارسية والعربية ، فختم الفوائد الضيائية للعارف الجامي في السنة العاشرة .

وكان ـ رحمه الله ـ قد تعلم من والده وفرغ من الكتب المدرسية في الخامسة عشرة من عمره ، وحصلت له من والده إجازة التدريس والتعليم .

وكان يختلف في أثناء تعليمه إلى إمام الحديث في زمانه الشيخ محمد أفضل السيالكوتي فانتفع به في الحديث ، وقرأ عليه صحيح الإمام البخاري والشمائل النبوية للإمام الترمذي وجزءاً من مشكاة المصابيح .

ثم تاقت نفسه إلى زيارة الحرمين الشريفين ، فرحل إليها سنة ١١٤٣هـ وكان هو إذ ذاك ابن ثلاثين سنة ، فحج في تلك السنة ، وأقام هناك عامين ، وتتلمذ على الشيخ أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكُردي المدني ، فسمع منه صحيح البخاري وقرأ عليه أطراف الكتب الستة ، والموطأ ، والمسند للإمام الدارمي ، وكتاب الآثار للإمام محمد ، وتناول منه إجازة بقية الكتب .

ثم ورد بمكة المباركة ، وأخذ موطأ مالك عن الشيخ وفد الله المالكي المكي ، وحضر دروس الشيخ تاج الدين الحنفي القلعي المكي أياماً ، حين كان يدرس صحيحَ البخاري ، وسمع منه أطراف الكتب الستة وغيرها ، وحلَّ مشكلات الكتب المذكورة ومعضلاتها عنده ، وأخذ الإجازة منه لجميع الكتب .

وعاد إلى الهند سنة ١١٤٥هـ فمكث يدرس ويصنف ثلاثين عاماً ، وانتفع به خلق كثير لا يحصى عددهم ، وقرأ عليه جماعة وتخرَّجوا عليه فصاروا من أعيان الهند .

وتُوفّي إلى رحمه الله سبحانه ظهيرة يوم السبت سَلخَ شهر الله المحرم سنة ١١٧٦هـ = ١٧٦٢م بمدينة دهلي ، فدفن عند والده خارجَ المدينة بموضع يُعرف الآن بـ « مهديان » وقبره معروف[١] .

تصانيفه :

قد صنَّف في العلوم كلها ، لا سيما في الحديث والتفسير ، وأصولهما ، وعلم الحقائق والتصوف كُتُباً عديدةً معتبرةً . وتصانيفُه حُجَجٌ قواطعُ على تبحره ، وبراهين سواطعُ على تبصره ، وسعة نظره ، وغزارة علمه ، بلغ عددُها ما يزيد عن خمسين كتاباً ، نذكرُ ـ فيما يلي ـ قائمةَ مؤلَّفات الإمام الدهلوي الصغيرة والكبيرة ، والفارسية والعربية حسب تَرتيب حُروف المعجم :

(أ)

١ ـ الأربعين (بالعربية) .
٢ ـ الإرشادُ إلى مهمات علم الإسناد (بالعربية) .
٣ ـ إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء (بالفارسية) .
٤ ـ أطيب النغَم في مدح سيد العرب والعجم (بالعربية)[٢] .
٥ ـ ألطاف القدس (بالفارسية) .
٦ ـ الإمداد في مآثر الأجداد (بالفارسية) .
٧ ـ الانتباه في سلاسل أولياء الله (بالفارسية) .
٨ ـ إنسان العين في مشايخ الحرمين (بالفارسية) .
٩ ـ الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف (بالعربية)[٣] .
١٠ ـ أنفاس العارفين (بالفارسية) .

(ب)

١١ ـ البدور البازغة (بالعربية) .
١٢ ـ بوارق الولاية (بالفارسية) .

---

(١) من دراسة الشيخ سعيد البالنفوري لـ « الفوز الكبير » (ص : ١٧ ـ ١٨) طبع دار ابن كثير بتصرُّف واختصارٍ .
(٢) طُبع بعناية الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة في دار النفائس ببيروت .
(٣) طُبع أخيراً في دمشق بدراسة وشرح الدكتور مراد مولوي والدكتور خلدون صبح ، لكنه حافلٌ بالأخطاء الطباعية .

(ت)

١٣ ـ تأويل الأحاديث (بالعربية) .

١٤ ـ تحفة الموحدين (بالفارسية) .

١٥ ـ تراجم أبواب البخاري (بالعربية) .

١٦ ـ التفهيمات الإلٰهية (بالعربية والفارسية)[١] .

(ج)

١٧ ـ الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف (بالفارسية) .

(ح)

١٨ ـ حجَّة الله البالغة (بالعربية) .

١٩ ـ حسن العقيدة (بالعربية) .

(خ)

٢٠ ـ الخير الكثير (بالعربية) .

(د)

٢١ ـ الدُّرُّ الثمين في مبشِّرات النبي الأمين (بالعربية) .

٢٢ ـ ديوان الشعر (العربي) .

(ر)

٢٣ ـ [الرسائل الثلاث (بالعربية)[٢]] .

٢٤ ـ رسالة في الرد على رسالة الشيخ خواجه خورد عبد الله بن عبد الباقي .

٢٥ ـ رسالة الحكمة (بالفارسية) .

(ز)

٢٦ ـ الزهراوين .

(س)

٢٧ ـ سطعات (بالفارسية) .

٢٨ ـ سرور المحزون (بالفارسية) .

---

(١) طُبع في إدارة القرآن والعلوم الإسلامية بكراتشي .

(٢) طُبع في إدارة القرآن والعلوم الإسلامية بكراتشي .

(ش)

٢٩ ـ شَرح تراجمِ أبواب صحيح البخاري[١] (بالعربية) .
٣٠ ـ شفاء القلوب (بالفارسية) .
٣١ ـ شوارق المعرفة (بالفارسية) .

(ع)

٣٢ ـ العطية الصمدية في الأنفاس المحمدية (بالفارسية) .
٣٣ ـ عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد (بالعربية) .
٣٤ ـ العقيدة الحسنة انظر : (حسن العقيدة) .

(ف)

٣٥ ـ فتح الرحمن (بالفارسية) .
٣٦ ـ فتح الخبير (بالعربية)[٢] .
٣٧ ـ فتح الودود لمعرفة الجنود (بالعربية) .
٣٨ ـ الفضل المبين في المسلسل مِن حديث النبيّ الأمين ﷺ (بالعربية) .
٣٩ ـ الفوز الكبير (بالفارسية)[٣] .
٤٠ ـ فيوض الحرمين (بالعربية) .

(ق)

٤١ ـ قُرة العينين في تفضيل الشيخين (بالفارسية) .
٤٢ ـ القول الجميل في بيان سواء السبيل (بالعربية) .

(ك)

٤٣ ـ كشف الغَين عن شرح الرباعيتين (بالفارسية) .

(ل)

٤٤ ـ لمعات (بالفارسية) .

(م)

٤٥ ـ المقالة الوضيئة في الوصية والنصيحة (بالفارسية) .

---

(١) طُبع في دار الفكر ببيروت .
(٢) نشرته مكتبةُ التوبة بالرياض بعنوان « فتح الخبير بما لا بدّ من حفظه في علم التفسير » .
(٣) نقله إلى العربية الشيخ سليمان الحسيني الندوي ، ونشرته دارُ البشائر الإسلامية ببيروت .

٤٦ ـ المقدمة السنية في الانتصار للفرقة السنّية (بالعربية) .
٤٧ ـ المقدمة في قوانين الترجمة (بالفارسية) .
٤٨ ـ المُسوّى من أحاديث الموطأ (بالعربية)[1] .
٤٩ ـ المصفى (بالفارسية) .
٥٠ ـ المكتوب المدني (بالعربية) .
٥١ ـ مجموعة رسائل في مناقب الإمام البخاري وفضل ابن تيمية (بالفارسية والعربية) .

(ن)

٥٢ ـ النُبذة الإبريزية في اللطيفة العزيزية (بالفارسية) .
٥٣ ـ النوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر (بالعربية) .
٥٤ ـ همعات (بالفارسية) .
٥٥ ـ هوامع شرح حزب البحر (بالفارسية) .

* * *

(١) طُبع في دار الكُتب العلمية ببيروت .

تقريظ

بقلم الداعية الكبير العلاَّمة أبي الحسن الندوي[(١)]

رحمه الله تعالى

إنَّ كتاب الإمام الدهلوي « الفوز الكبير في أصول التفسير » مَأثرةٌ تجديدية ثورية في صدد الدعوة إلى القرآن ، وإنشاء مَلكة الفهم والتدبُّر للقرآن الكريم في أوساط الخاصة وأصحاب العلم والمثقفينَ ، وإيقاظِ عاطفة الإصلاح للأمة الإسلامية ، وإنه لكتاب فريد (في المكتبة الإسلامية العامرة حسب علمنا) في بابه .

لا يُوجد في أصول التفسير شيء مستقل ـ بصورة عامة ـ وما هي إلا بعض القواعد والضوابط وشيء من الأصول يذكُرها بعض المفسرين في مقدمة تفاسيرهم أو لِبيان منهجهم في التفسير والتأويل في بضعة سطور . وإن كان كتاب الإمام الدهلوي « الفوز الكبير في أصول التفسير » أيضاً وجيزاً مختصراً ، ولكنه كله نُقاط أساسية وكُلِّيات جامعة ، وهو ـ في الحقيقة ـ مذكّرة نادرة قيِّمةٌ لعالمٍ جليل عانى مشكلات القرآن ، ومارسها مُمارسةَ المجرِّب الخبير .

ولا يقدره حقَّ قَدْره إلّا من وَاجه هذه المشكلات والمسائل العويصة ، وإنّ بعض الأصول والكُليات التي سجلها الإمام الدهلوي بناء على ذوقه ووجدانه وإدراكه لمغزى القرآن ، لا يمكن الحصول عليها بمطالعة مئات الصفحات في الكتب الأخرى ، وإن تصريح الإمام الدهلوي في مقدمة هذا الكتاب بما يلي ، صحيح مئة في المئة :

« يقول الفقير إلى الله ، وليُّ الله بن عبد الرحيم ـ عامله الله تعالى بلطفه

---

(١) مأخوذٌ من « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » للعلاَّمة أبي الحسن الندوي ، (٤/ ٥٢١ ـ ٥٢٤) ، طبع دار ابن كثير بدمشق ، عام ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .

العظيم ـ : إنه لما فتح الله عليَّ باباً من كتابه الحكيم ، خطر لي أن أُقيد الفوائد النافعة التي تنفع إخواني في تدبر كلام الله عز وجل ، وأرجو أنَّ مجرد فهم هذه القواعد يفتح للطلاب طريقاً واسعاً إلى فهم معاني كتاب الله تعالى ، وأنهم لو قضوا أعمارهم في مطالعة كتب التفسير أو قراءتها على المفسِّرين ـ على أنهم أقلُّ في هذا الزمان ـ لا يَظفرون بهذه القواعد الضابطة والمَضامين المترابطة » .

إنَّ ما كتَبه الإمام الدهلوي في مقاصد القرآن الكريم وموضوعاته وخصائصِ أسلوبه ومنهجه ، واختلافِه وتميُّزه عن المؤلفات البشرية لا سيما كُتب المتأخرين الدراسية ، وأسبابِ النزول في كلمات قليلة معدودة ، يمكن ألَّا يُشعر فيه ـ اليوم ـ بالجِدة والابتكار ، ولكنها كانت في القرن الثاني عشر آراءً ونظراتٍ جديدة ، ولا تزال هذه الآراء غريبة مجهولة في كثير من الأوساط .

لقد وقع هناك نَقصٌ كبير وفرق هائل ـ نتيجَة كثرة الروايات المتعلقة بأسباب النزول والتأكيد على أهميتها والتركيز عليها ؛ الذي كان أصبح شعار القرون المتأخرة ـ في الاستفادة من مَضامين القرآن العظيم وقَصصه والانتفاع بعظاته وعِبره في كل عَصر ودَور من أَدوار التاريخ ، وتطبيقها على ظروف العصر وأوضاعه وقضاياه .

فلقد أزاح الإمام الدهلوي بهذا التحقيق والتنقيح ذلكَ الستار الكثيف ، وكَشف عن جَمال القرآن الكريم وبهائِه ورونقِه .

يقول الإمام الدهلوي في الباب الأول من كتابه : « الفوز الكبير » :

« وقد رَبط عامةُ المفسِّرين كلَّ آية من آيات الأحكام وآياتِ المخاصمةِ بِقصَّة تُروى في سبب نزوله ، وظنُّوا أنها هي سبب النزول .

والحقُّ أن نزول القرآن الكريم ، إنما كان لتهذيبِ النفوس البشرية ، وإزالةِ العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة .

فالسببُ الحقيقي ـ إذاً ـ في نزول آيات المخاصمة هو وجُود العقائد الباطلة في نفوس المخاطبين .

وسَبَبُ نزولِ آيات الأحكام ، إنما هو شيوع المظالم ووجُود الأعمال الفاسدة فيهم .

وسببُ نزول آيات التذكير (بآلاء الله وأيامه وبالموت) إنَّما هو عَدمُ تيقظهم وتَنَبُّهِهم بما يرون ويمرُّون عليه من آلاء الله وأيامهِ وحوادث الموت ، وما سَيكون بعده من وقائع هائلة .

أمَّا الأسبابُ الخاصة والقَصص الجزئية التي تجشَّم بيانها المفسرون ، فليس لها دَخلٌ في ذلك إلا في بعض الآيات الكريمة التي تشتمل على تعريض بحادث من الحوادث في عهد النبي ﷺ أو قبله ، بحيث يقع القارىء بعد هذا التعريض في ترقب وانتظار لما كانَ وراءه من قصة أو حادث أو سبب ، ولا يزول ترقُّبه إلا ببسط القصة وبيان سبب النزول »[١] .

وإنَّ بيان مواضع الضَّعف في الفِرَق التي تكفل القرآن الكريم بالرد عليها والتصريحِ بعقائدها وأفكارها وآرائها الصحيحة الأصيلة ، وأسبابِ ضلالها وانحرافها وسوء فهمها للحقيقة ، وتاريخ هذه الأسباب ، وبيان اتفاق وتطبيق هذه الأمور على بعض طَبقات المسلمين ، هو الأساسُ الأول لفَهم القرآن الكريم الذي لا يوجد ـ رغم الاختصار والإيجاز ـ بهذا الوضوح في أي من التفاسير الكبيرة كما يوجد في هذا الكتاب .

وكذلك شَرْح الفَرْق بين اصطلاحات المتقدمين والمتأخرين في النَّسخ والتطبيق والتوفيق بين الآيات الناسخة والمنسوخة ، وحَلُّ الخلافات التفسيرية بين الصحابة والتابعين ، من بحوث الإمام الدهلوي الجيدة النادرة .

وإنَّ ما ذكره الإمام الدهلوي من توجيهٍ لعدم مطابقة بعض الآيات القرآنية مع قواعد النحو الظاهرة المعروفة وعدم موافقتِها لها ، يَعرِفُ قَدْره وأهميته من درسَ تاريخ تدوين النحو ، وكان له اطِّلاع واسع على الخلافات النحوية بين مدرستي الكوفة والبصرة .

وإنَّ من أكبر ميزان هذا الكتاب أن القارىء يطلع من خلاله على مواطِن الضعف الحقيقية في الديانات السابقة والفِرق الضالة والشعوب والمِلَل وأمراضِها القديمة

---

(١) الفوز الكبير : الباب الأول ، ص : ٣ ـ ٤ .

وعِللها الموروثةِ ، ويُوفق أجيال المسلمين ، والمجتمع المسلم في كل عصر ، وطبقات الأمة المختلفة أَن ترى وَجهها في مرآة القرآن الكريم ، وتحاسب نفسها ، وتُفكر في ألَّا تتسربَ أمراضُ الديانات والفرق القديمة ومواطنُ ضَعفها المتوارثةُ إليهم ، ولا تدخل بخطىً صامتة عليهم .

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠] .

* * *

الإمعان
في أقسام القرآن

تأليف

الإمام عبد الحميد الفَرَاهي

دار القلم ـ الدار الشامية
دمشق ـ بيروت

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو العلامة المفسِّر ، الأديب اللُّغوي : الشيخ عبد الحميد الفَرَاهي (١٢٨٠ ـ ١٣٤٩هـ) : وُلد في قرية (فَرِيْها) من قرى مدينة (أعظم كَرَه) ولاية (أُتْرَا بَرَادِيْش) بالهند ، وكان ابنَ خال العلامة المؤرِّخ الشيخ شبلي النعماني . واشتغل بعدما تَرَعْرَعَ في طلب العلم ، فحفظ القرآن ، وقرأ ـ كدأب أبناء العائلات الشريفة في الهند ـ اللغة الفارسية ، وبرع فيها .

واشتغلَ بعد ذلك بطلب العربية ، فاستظلَّ بعطف أخيه الشيخ شِبْلي النُّعْماني ، وهو كان أكبر منه بستّ سنين . فأخذ منه العلومَ العربية كلَّها مِن صرفها ونحوها ، ولغتها وأدبها ، ومنطقها وفلسفتها . ثم سافر إلى (لَكْنؤ) مدينة علم الولايات المتحدة[١] . وجلس في حلقة الفقيه المحدِّث الإمام الشيخ أبي الحسنات عبد الحي اللَّكْنَوي (ت١٣٠٤هـ) صاحب التعاليق المشهورة . ثم ارتَحل إلى (لاهُور) ، وأخذ الأدبَ العربي من إمام اللغة العربية وشاعرها المفلق في ذلك العصر الشيخ الأديب فيض الحسَن السَّهارَنْفُوري (ت١٣٠٤هـ) شارح الحماسة (والمعلَّقات شرحاً ثلاثي اللغات) ، فبرع في الآداب العربية ، وفاق أقرانه في الشعر والإنشاء . قرأ دواوينَ الجاهلية كلّها ، وحلَّ عُقَد مُعضِلاتها ، وقنَصَ شواردَها . فكان يقرض القصائد على مِنوال الجاهليِّين ، ويكتب الرسائل على سَبك بُلَغاء العرب وفصحائهم .

ثم عرّج على اللغة الإنكليزية ، وهو ابن عشرين سنة . ودخل في كلية عَلِيْكَرَهْ الإسلامية . ونال بعد سنين شهادة ب ـ أ من جامعة (إله آباد) ، وامتاز في الفلسفة الحديثة . فصار مجمع البحرين و﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ .

وبعدما قضى وَطَرَه مِن طلب العلم ، واستقَى مِن حِياضه ، ورتَع من رياضه ، نُصِبَ معلّماً للعلوم العربية بمدرسة الإسلام بكراتشي[٢] عاصمة السند . فدرَّس فيها سنين ، وكتَبَ وألَّفَ ، وقَرَض وأنشَد .

---

(١) تُسَمَّى اليومَ « أُتْرَا بَرَدِيْش » .

(٢) مدينة كراتشي Karachi .

ثم انقطع إلى تدبُّر القرآن ودرسه ، والنظر فيه من كلِّ جهةٍ ، وجمع علومه من كل مكانٍ ، فقضَى فيه أكثر عمره . ومات وهو مُكِبٌّ على أخذ ما فات من العلماء ، ولفِّ مَا نشروه ، ولَمِّ ما شتّتوه ، وتحقيقِ ما لم يحقِّقوه . فكان لسانُه ينبُع علماً بالقرآن ، وصدرُه يتدفّق بَحثاً عن مشكلاته ، وقلمُه يجري كشفاً عن معضلاته . وهو كان يعتقد أنّ القرآنَ مرتّبٌ بيانُه ، ومنسّقةُ النظام آياتُه . وكلُّ ما تقدم وتأخّر مِن سُوَره وآيِه بُني على الحكمة والبلاغة ورعاية مقتضى الكلام . فلو قدِّم ما أخِّر وأخِّر ما قدّم لبطل النظام ، وفسدت بلاغة الكلام .

وكان يرى أنّ القرآن يفسِّر بعضُه بعضاً ، فأعرَض عن القِصَص وما أتى به المفسِّرون من الزخارف والعجائب . هذا كان دأبه في تفسيره الذي سماه « نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان » . وكان حسن النظر في كتب اليهود والنصارى . فاستمتع بها في مباحثه .

وانتخِبَ سنة ١٩٠٧م معلماً للغة العربية بكلية عَلِيْكَرَهْ الإسلامية . وكان يومئذ أستاذ اللغة العربية بها المستشرق الألماني الشهير يوسف هارويز[١] . فالمستشرق استكمل منه العربية ، وهو قرأ عليه العبرانية . وبعد سنين نُصِبَ أستاذاً للغة العربية بجامعة (إله آباد) . وبقي هناك أعواماً ، حتى انتقل منها إلى حَيْدَر آباد (الدَّكَنْ) رئيساً لمدرسة دار العلوم العربية الأميرية النظامية التي كانت تخرِّج قضاةَ البلاد ووُلاتها .

ثم استقال من خدمته ، ولزم بيته ، وانقطع إلى العلم ، وكان قد أسَّس في قرب من قريته مدرسةً عربيةً دينيةً سمِّيت « مدرسة الإصلاح » .

وكان رئيساً للجنة المديرين لـ « دار المصنِّفين » التي أُسِّست تذكاراً لأخيه الشيخ شبلي النعماني ، فكان هو أحد مؤسِّسيها . وكان يبذل أوقات فراغه في التأليف ، والتدوين ، والنظر في القرآن ومعانيه ، وإلقاء دروسه على تلامذته الملتفّين حوله . فسمح خاطره المتدفق بما بخل به القدماء من علومه، وفرّق على العُفاة ما لم يجمعه الأوائل في صحفهم .

كان رحمه الله منقطعاً إلى هذا البر من العمل حتى أتاه الأجل .

وله مصنفات كثيرة بالعربية والفارسية والأردية ، ومنها المطبوع بالعربية :

١ ـ الرأي الصحيح في من هو الذبيح .

---

(١) J.Horovits جوزيف هوروفتس (ت١٩٣١م) .

٢ ـ الإمعان في أقسام القرآن .

٣ ـ مفردات القرآن .

٤ ـ تفسير سُوَرٍ من القرآن .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقْدِيم

بقلم : الأستاذ الجليل السيّد أبي الحَسن عَليّ الحسْني النّدويّ

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .

أمَّا بعد . فقد كان موضوعُ أقسام القرآن موضوعاً يسترعي اهتمامَ المتدبِّرين في القرآن والمعنيِّين بتفسيره ، والكشف عن معانيه وحقائقه ولطائفه ودقائقه ؛ ويدعوهم إلى البحث في هذا الموضوع في بسطٍ وتفصيلٍ ؛ لأن ما يتبادر إلى الذهنِ من الإقسام بشيءٍ هو استشهادُ المقسَم به على ما يدَّعيه المتكلِّمُ ويريد أن يثبته ويؤكِّده . وما شاع واستقرَّ في الأذهان أنَّ القسم لتعظيم المقسم به . والله هو أجلُّ وأعلى ، وأسمى وأغنى عن أن يقسم بشيءٍ هو مِنْ خَلْقِه وصُنْعه ، فيؤكِّد قوله تعالى ؛ وينطق بقوله صدقاً وعدلاً ، وصواباً وحقّاً . فلم يكن من الغريب والمستبعد أن تتكوَّن في هذا الموضوع مكتبةٌ ذاتُ قيمةٍ وقامةٍ ، واتساعٍ وضخامةٍ ، كما كان الشأنُ في موضوعاتٍ قرآنيَّةٍ أخرى .

ولكنَّ الكاتب لم يجد ـ في حدود عِلمه واطلاعه ـ كتاباً مُفْرداً واسعاً مفصَّلاً في هذا الموضوع الخطير ـ والمكتبة الإسلامية الدينية والعلمية أضْخَمُ وأوْسَعُ من أن يدَّعي مدَّعٍ : أنه أحاط بها واستقصاها ـ إلا كتابَ «التبيان في أقسام القرآن»[1] تأليف العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيِّم الجَوْزِيَّة[2] (م ٧٥١هـ)

---

(١) أمام الكاتب طبعة « مكتبة الرياض » الحديثة ـ الرياض . [العلاَّمة النَّدْوي] .

(٢) هو الإمام العلامة شمس الدِّين محمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزَّرْعي الدِّمَشْقي المعروف بابن قيِّم الجَوْزية (٦٩١ ـ ٧٥١هـ) ، أحدُ كبار العلماء والدعاة في التاريخ الإسلامي ، مولده ووفاته في دمشق ، سمع من الشهاب النَّابُلْسِي وغيره، وتفقَّه في المذهب=

وهو ـ في حدود علم كاتبِ كلمة التقديم ـ أول كتابٍ مفصَّلٍ علميٍّ مؤسَّسٍ على الدراسة العميقة والتدبر في القرآن ، واستعراضٍ لأنواع الأقسام والمقسم بها ومواردها في القرآن ؛ يَدُلُّ على عُمْق دراسة المؤلِّف وتذوُّقه للقرآن ، وتحرِّيه للاقتصار والاتزان . ومن سمات الكتاب الشمول والاستيعاب والإحاطة بجميع أقسام القرآن ، والاستشهاد بأقوال السَّلَف ، بما فيهم شيخه شيخُ الإسلام الحافظ ابن تيمية[1] يتوسَّع فيه المؤلف أحياناً فيفسِّر السّورَة التي وَرَدَتْ فيها هذه الأقسام ، ويشير إلى الرباط الذي يربط آياتها بعضها ببعض . وتجيء أثناء ذلك لطائف وغوامض تفسيرية وتاريخية ، ويستشهد أحياناً بأبيات ذات مناسبة بما جاء في بيان

= وبرع وأفتى ، وأخذ عن شيخ الإسلام ابن تيمية الحرَّاني ، وتفنَّن في علوم الإسلام وهو الذي هذب كُتُبَ ابن تيمية ، ونشر علمَه ، وسُجن معه في قلعة دمشق ، وأهين وعذِّب ، يقول ابن رجب : « كان عارفاً بالتفسير وبأصول الدين ، والحديث ومعانيه ، والفقه وأصوله ، والعربية والكلام ، لا يجارى في هذه العلوم ، وكان ذا عبادةٍ وتألهٍ ولهج بالذكر والإنابة والافتقار إلى الله لم أشاهد مثلَه في ذلك ، ولا رأيتُ أوسع منه علماً ، لَه تصانيف كثيرة وغزيرة ، منها : زاد المعاد في هدي خير العباد ، (شذرات الذهب : ٦/ ١٦٨) ، (الأعلام : ٦/ ٢٨٠) .

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحَرَّاني الدِّمشْقي الحنبلي ، أبو العبَّاس ، تقي الدين ابن تَيْمية : الإمام ، شيخ الإسلام .
وُلد في (حَرَّان) سنة ٦٦١هـ ، ونشأ بها إلى أن استولى التَّتَار على البلاد ، فَقَدِمَ مع والده وأهله إلى (دمشق) فنبغ واشتهر . وقد طُلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها فقصدها ، فَتَحامل عليه جماعةٌ من أهلها فسُجنَ مدَّةً ، ونُقِلَ إلى (الإسكندرية) . ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ ، واعتقل بها سنة ٧٢٠هـ ، وأطلق ثم أعيد ، ومات معتقلاً بقلعة دمشق ليلة الإثنين العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ فخرجت دمشق كلُّها في جنازته .
كان كثيرَ البحث في فنون الحكمة ، داعيةَ إصلاح في الدين ، آيةً في التفسير والأصول ، فصيحَ اللسان ، قلمه ولسانه متقاربان .
وله تصانيف كثيرة منها : « مجموع الفتاوى » و« الإيمان » و« منهاج السنة » و« الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » و« الصارم المسلول على شاتم الرسول » و« مجموعة الرسائل والمسائل » و« السياسة الشرعية في الإسلام » ، و« التوسَّل والوسيلة » ، و« رفع الملام عن الأئمة الأعلام » وغيرها .

المؤلِّف . ويتجلّى في الكتاب اختصاصُ المؤلِّف في فنِّ الحديث والاطلاع على مصادره وما تضمَّنته من روايات وأسانيد ، وفنّ الرجال ـ وذلك ممّا يُرتَجى من مؤلِّفٍ كالحافظ ابن قيِّم الجَوْزِيَّة ـ واطّلاعُ المؤلِّف على علوم تُفيد في فهم الآيات وإثبات الإعجاز القرآني كالطِّبّ وعلم الأجسام وعلم النفس .

ولكنه كانت الحاجة ماسَّةً ملحَّةً إلى تناول هذا الموضوع من جديدٍ ، في ضوء الدراسات القرآنية التي لا نهايةَ لها ولا تحديدَ ـ فالقرآن كما قال بعضُ المتبصِّرين والمتدبِّرين في القرآن « لا تَبْلى جدَّتُه ولا تنقضي عجائبه » ، وكما قيل : « كم تَرَكَ الأوَّلُ للآخِر » ـ وكذلك في ضوء الدراسات العميقة الشاملة لآداب اللغة العربية ، ومناهج كلام العرب الأوّلين ، وفي ضوء الدراسات المقارنة للصُّحُف السَّمَاويّة والديانات القديمة . وقد كان المؤلِّفُ ـ كما يقول أستاذنا العلامة السيد سليمان النَّدْوِي[١] ـ : « مجمع البحرين و(بينهما برزخٌ لا يبغيان)، كان عالماً بالعلوم العربية والدينية ، وفاضلاً في العلوم العصرية والإنكليزية . . ومات وهو مُكِبٌّ على أخذ ما فات من العلماء ، ولفّ ما نشروه ، ولمّ ما شتّتوه ، وتحقيق ما لم يحقِّقوه »[٢] .

(١) هو العلامةُ الكبير ، والمفسِّرُ الفقيه ، والمحدِّثُ المتكلِّم : الشيخ السيد سليمان الندوي ، من كبار المؤلِّفين في « السيرة النبوية » ، وأحد كبار علماء العالم الإسلامي في عهده على الإطلاق ، ومن المكثرين من الكتابة ، والتأليف مع سَعَة علم ، ودِقَّة بحثٍ ، وتنوُّع .
دَرَسَ في دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ على كبار أساتذتها يومئذٍ ، ثم قام بالتدريس فيها مدَّةً ، تخرَّجَ على يديه خلالها نخبةٌ طيبةٌ من العلماء ، والمفكِّرين ، والكتّاب ، والمُصلحين ، أمثال العلامة أبي الحسن الندوي ، والأستاذ مسعود الندوي ، والأستاذ أبي الليث الإصلاحي الندوي ، وغيرهم . انتقل إلى باكستان في أواخره عمره ، وشارَكَ في وضع الدستور الإسلامي للحكومة الوليدة ، وأشرف على جامعاتها ، ومعاهدها التعليمية ، دام على نشاطاته العلمية إلى أن استأثرت به رحمةُ الله تعالى عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) . وله كتبٌ قيمةٌ بالعربية ، والأردية في السيرة ، والتاريخ . (اقرأ للتوسُّع في الاطلاع عليه كتابَ « السيد سليمان الندوي : أمير علماء الهند في عصره ، وشيخ الندويِّين » للدكتور محمد أكرم الندوي ، طبع دار القلم بدمشق) .

(٢) من ترجمة المؤلِّف للعلامة السيد سليمان النَّدْوِي .

فجاءت هذه الرسالةُ ـ على قِصَر قامتها وكِبَر قيمتها ـ تنوب عن المكتبة القرآنية في موضوع أقسام القرآن بصفةٍ خاصَّةٍ ، مع احتوائها على لطائف مفتِّقة للقريحة ، ومُنيرةٍ ومثيرةٍ لإمعان الدراسة في القرآن والتدبُّر فيه من جديد .

ذكر المؤلِّفُ أوّلاً الشُّبُهات الثلاث على أقسام القرآن . وهي شبهات رئيسية تدور في خواطر أوساط الناس والسطحيِّين من القرّاء . وقد ذكر أوّلاً ما أجاب به العلامة الرَّازي[1] ، وقد انتقده ، وذكر عدم ارتياحه إلى وجاهته ، وعدم إصابته الهدف . يتجلَّى في ذلك ذكاؤه الحادّ ، وقوَّةُ تحليله ، وشجاعتُه العلمية والنقدية ، واطلاعه الواسع على أساليب كلام العرب . وأثنى على طريق العلامة ابن القيِّم ثناءً إجماليّاً . وقد ناقشه مناقشةً هادئةً أدبيةً مما يَدُلُّ على إنصافه واتّزانه ، وشجاعته العلمية النقدية . وقد تناول هذا الموضوع « الاعتراف والنقد » بشيءٍ من التوسُّع .

وقد عقد باباً مستقلاً بعنوان « طريق هذا الكتاب في الجواب على سبيل الإجمال » . وقد أيّد فيه قولَ بعض العلماء إنّ هذه الأقسام دَلالاتٌ . وأعقبه بقوله : « ولكن الغُمَّة التي لم تنجَلِ عنهم والمضيق الذي لم يخرجوا منه ، هو ظَنُّهم بكون القسم مشتملاً على تعظيم المقسم به لا محالة ، وذلك هو الظَّنُّ الباطلُ الذي صار حجاباً على فهم أقسام القرآن ، ومنشأً للشبهات » . وقد ذكر بعد ذلك بالإجمال « أنَّ أقسام القرآن بالمخلوقات ليست إلا آيات دالّة ؛ وأنها نوعٌ من القسم مباين للأقسام التعظيمية » .

وقد بَحَث عن تاريخ القسم ، وحاجة الناس إليه قديماً وحديثاً ، وطُرُقِه المتنوِّعة وبيَّن معاني كلمات القسم ومفهومه الأصلي ومفاهيمه المتشعبة الثلاثة من

---

(١) هو محمد بن عُمَر بن الحسن بن الحسين التَّيمي ، أبو عبد الله فخر الدين الرَّازي : (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ) الإمام المفسِّر ، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل . وهو قُرَشيُّ النَّسب ، أصلُه من « طَبَرِسْتان » ، ومولده « الريّ » وإليها نسبتُه . توفي في « هُرَاة » . وقد أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها ، وله مصنَّفاتٌ كثيرةٌ شهيرة . منها تفسير المعروف « مفاتيح الغيب » في ثماني مجلّدات . (انظر ترجمته في « الوفيات » ١/ ٤٧٤ ، و« مفتاح السعادة » : ١/ ٤٤٥ ، و« الإعلام » : ٦/ ٣٦٣) .

الإكرام والتقديس والاستدلال المجرَّد . وعقد لذلك باباً مستقلاً بعنوان « تأريخ القسم وحاجة الناس إليه ، وطُرُقه المختلفة ، والدلالة على حقيقة معناه في أوَّل الأمر » . وهو بابٌ يدلّ على اطلاعه الواسع على أساليب كلام العرب ، وأساليب غيرهم من الشعوب والأمم ، والآداب واللغات ، والثقافات والديانات . ونوَّه ببعض الأخطاء في بعض الترجمات للصُّحف القديمة ، مما يَدُلُّ على دراسته المقارنة العميقة للصحف السماوية والدِّيانات المختلفة ، واطلاعه الواسع على كلام العرب الأولين ، والاستشهاد بأبياتهم . واستنتج من ذلك أنَّ القسم ليس إلَّا للتأكيد ، ولا يحتاج إلى تقديرِ المقسَم به في كلِّ موضعٍ . أمّا إذا ضُمَّ إليه المقسم به فإنّما هو للإشهاد . ولا يُراد منه التعظيمُ إلا إذا كان بالله تعالى وبشعائره .

وذكر أنواعَ القسم :

منها : القسمُ على وجه الإكرام للمقسَم به والمتكلِّم والمخاطب . والقسم على وجه التقديس للمقسِم به . استشهد في هذا الباب بأبياتٍ كثيرةٍ للشعراء الجاهليِّين مما يَدُلُّ على اطلاعه الواسع على الشعر الجاهلي .

ومنها القسمُ على وجه الاستدلال بالمقسم به ، وهو الأقرب إلى نوع الأقسام القرآنية ، وأبعد عن الشُّبُهات والتساؤلات . وقد استشهد في ذلك بأبياتِ العرب الأوَّلين ، وعرض في ذلك نماذجَ من كلام الأوَّلين من بلغاء اليُونان . ثم شرح دلالات القسم الاستدلالي ، وذكر الأدلَّةَ المأخوذة من نفس القرآن على ما فيه من الأقسام الاستدلالية ، وهي الغاية من تأليف هذا الكتاب ، والمحور الذي يدور حوله . وتوسَّع المؤلِّفُ في ذكر الأمثلة من القرآن ، وتطبيقها على الغايات . ثم ذكر بعض أسباب خفاء الوجه الصحيح في تأويل أقسام القرآن . وذكر بعض ما في القسم من أبواب البلاغة ولطائفها .

وقد جمع هذا الكتابُ بين التدبُّر الطويل العميق في دراسة القرآن ، والتشبُّع بروحه ، والاطلاع الواسع على أساليب البيان والبلاغة ، والتعبير عن مكنونات الضمير في لغاتٍ مختلفةٍ ، والاطلاع على تعبيراتِ الصُّحُف السماوية والأساليب الدينية البيانية ، مع دراسة مقارنة للديانات ، واطلاعٍ واسعٍ وتذوُّقٍ للكلام العربي

والشعر الجاهلي . فجاء هذا الكتابُ ـ على صِغَر حجمه ـ يجمع بين إزاحة بعض الحُجب التي طرأتْ على هذا الصنف من الإعجاز القرآني ، وبين مادةٍ ثريّةٍ من الأصول الأدبية ، ونُكَتٍ مستمَدّةٍ من فَنِّ البلاغة وأساليب البيان العربي . ولا يتأتّى ذلك إلا لِمَن جمع بين التدبُّر في القرآن والاشتغال به ، وبين التذوُّق الصحيح لفَنِّ البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية ، والتشبُّع من دراسة بعض اللغات الأجنبية والصُّحف السماوية القديمة ، وبين سلامة الفكر ورجاحة العقل والتعمُّق . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وبعد ، فإنَّ كتابة كلمة تقديم ـ مهما كانت قصيرةً وضئيلة القيمة ـ لكتاب يَصْدُر من قلمِ عالمٍ ضليعٍ نابغةٍ مثل العلامة عبد الحميد الفَرَاهي رحمه الله ، ويتحلَّى بمقالٍ في ترجمة صاحب هذا الكتاب يصدر عن قلم أستاذنا محقِّق هذا العصر الكبير العلامة السيد سليمان النَّدْوِي رحمه الله شرَفٌ وتطاولٌ لكاتب هذه السطور ، ولكنَّه مع ذلك محاولةٌ لمعرفةِ قيمة هذا الكتاب العلمية ، وقيامٌ بشهادة بالفضل ، تصدر من قلم تلميذٍ من تلاميذ مدرسته للتفسير القرآني ، وقيامٌ ببعض حقوق المشتغلين بعلوم القرآن . ونيَّة المرء خيرٌ من عمله .

٢٠ من رجب المرجَّب ١٤١٢هـ **أبو الحَسن علي الحسني النّدويّ**

٢٦/ ١/ ١٩٩٢م

فضائل القرآن

تأليف

العلامة المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوِي

إدارة إشاعة الدينيات

دلهي (الهند)

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو الشيخُ المحدِّث الكبير العلامة محمد زكريا بن الشيخ محمد يحيى الكَانْدَهْلَوِي ، (١٣١٥ ـ ١٤٠٢هـ) وُلد في أسرةٍ عريقةٍ في العلم والدِّين ، امْتَازَ رِجالُها وأسلافُها بالتمسُّكِ بالدِّين والصَّلابة فيه ، والحرص على حِفْظِ كتاب الله ، وطلب العلوم الدينية بعلوِّ الهمّة وشدّة المجاهدة وقوة النفس والانصراف إلى معالي الأمور والزُّهد في سَفَاسفها . وكان والدُه الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي مِنْ كبار العلماء المخلصين ، قَضَى عمرَه لخدمة العلم والدين ونشر كتبه وتوزيعها ، ولا تزال مِيْزةُ العلم والدِّين مستمرَّةً في هذه الأسرة .

ونشأ في تصوُّنٍ تامٍّ وتربيةٍ دقيقةٍ حكيمةٍ وأدْرَكَ الشيخَ الإمام الربَّاني العلامة رشيد أحمد الكَنْكُوْهي ، وسَعِدَ بحنانِه وعطفه الأبوي ، لما بينه وبين والده من اختصاصٍ ، وكان والده أشدّ اعتناءً بالتربية منه بالتعليم .

حَفِظَ القرآنَ الكريمَ في السنة السابعة ، وأخَذَ مبادىء اللُّغة العربية والفارسية من عمِّه الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلَوِي ، ثم انْـتَقَل مع والده إلى « سَهارَنْفُوْر » سنة ١٣٢٨هـ ، للالتحاق بمدرسة « مَظَاهر العلوم » وأقْبَلَ على العلم إقبالاً عظيماً بالقلب والقالب ، واشْتَغَل به بهمَّةٍ عاليةٍ وقلبٍ متفرغ .

بَدَأ درسَ الحديث الشريف على والده الشيخ محمّد يحيى الكاندهلوي وقد تهيَّأ تهيُّؤاً كبيراً ، ودَعَا في آخر الدرس دعاء طويلاً ، وفي ذلك اليوم أصْبَحَ الحديث أكبرَ همّه وأعْظَمَ غايةٍ لرغبته ، وشعاراً يعرف به غلب على اسمه ، فاشْتَهَر في آخر الأمر بشيخ الحديث ، وقَرَأ الصحاح على والده (غير سُنن ابن ماجه) الّذي كان يُلقي دروس الحديث في هذه المدرسة ، وخلال دراسته للحديث في مدرسة مظاهر العلوم اتّصل بالعالم الجليل والمربّي الكبير الشيخ خليل أحمد السَّهَارَنْفُوري ، الذّي قَدَّرَ الله أن يكون أكبر خلفائه ونَاشِرَ علومِه ومفيض بركته ، ثم قَرأ عليه « صحيح البخاري » و« جامع الترمذي » سنة ١٣٣٤هـ ، وحفل وطاب بما تلقَّاه منه في الحديث .

كان يَلْتزم بالوضوء في دروس الحديث ، وأوْجَبَ على نفسه أن يقرأ الحديثَ لدى الأستاذ وهو على وضوءٍ ، واتفق على هذا مع أحد زملائه في الدرس فسَارَا على هذا الأصل ، وكان إذا انتقض وضوءُ أحدهما ذهب للوضوء قدَّم زميله إلى الأستاذ بعض الأسئلة كي يتصدَّى الأستاذ لأجوبتها

حتى يتوضَّأ زميله ويرجع إلى قاعة الدرس ، وكان تقديم السؤال إلى الأستاذ لئلا يفوت شيء من الحديث عن الذي ذَهَبَ ليتوضأ .

عُيِّنَ الشيخُ مدرِّساً في « جامعة مظاهر العلوم » سنة ١٣٣٥هـ ، وهو من أصْغر الأساتذة سناً ، وأسند إليه تدريسُ أمَّات كتبٍ للحديث لا تُسند عادةً إلى أمثاله في العمر وفي أول التدريس .

كان الشيخُ متمنياً داعياً من الله أن يلقى الحُمام في جوار الرسول ﷺ ، ويجد مكاناً في البَقيع بجوار الصحابة وأهْل البيت الكرام ، قد حقَّق الله أمْنيَّتَه وأتاه الأجل المحتوم في آخر شهر رجب عام ١٤٠٢هـ . شيِّعت جنازتُه في جمع عظيمٍ وجمٍّ غفيرٍ قلَّما رآه الناس لعالمٍ كبيرٍ في هذا البلد الكريم . ودُفِنَ بجوار شيخه المحدِّث الكبير خليل أحمد السَّهَارَنْفُوري بجوار أهل البيت الكرام .

من أشهر مؤلَّفاته :

١ـ أوجز المسالك شرح موطأ الإمام مالك .

٢ـ لامع الدُّرَاري على جامع البخاري .

٣ـ الأبواب والتراجم .

٤ـ الكوكب الدُّرِّي على جامع الترمذي .

٥ـ حِجَّة الوداع وعمرات النبي ﷺ[١] .

---

(١) الترجمةُ مأخوذةٌ من « أعلام المحدِّثين في الهند » لسيد عبد الماجد الغوري ، باختصارٍ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم الكتاب

بقلم فضيلة الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدْوي

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرسَلين محمَّد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمّا بعد ! فقد قال كاتبُ هذه السطور في كتابه « الأركان الأربعة » تحت عنوان فضل الصَّلاة والقرآن بعد وفاة الرسول ﷺ وختم النبوة » ما ننقله هنا :

« كانت النبوَّة شمساً وَهَّاجةً تُشرق على هذا العالم ، وتملأ النفوسَ والقلوب نوراً وحرارةً ، وقُوَّةً وحياةً ، وتربطها بخالقها رَبْطاً قويّاً وثيقاً في أقَلِّ وقتٍ وأكثر عددٍ ، وتنقل ـ مَن أراد الله به الخير ـ مِن حضيض الجهل[1] والغواية . والغفلة والبَطَالة ، وسُوء المعرفة والضَّلالة إلى ذُرَى العلم والحكمة والطموح وعُلُوِّ الهمة ، وإلى أقصى مدارج الوصول والكمال ، وإلى أعلى منازل القرب والولاية .

واتَّصلت بعثاتهم ودعواتهم صلوات الله عليهم حتى كانت بعثة محمَّد ﷺ على فترة من الرُّسل ، فكانت شخصيتُه هي أقوى شخصيات الرُسُل ، وكانَتْ دعوتُه هي أتمَّ الدعوات ، وكانت صحبته هي الإكسيرُ الأعظم الذي يحوِّل العداءَ الشديدَ حُبّاً وتفانياً ، والبُعْدَ عن الله والوحشة منه قُرْباً منه ، وأنساً به ووصولاً إليه ، وكان الناسُ يشعرون في صحبته كأنَّما يمُرُّ بهم التيَّارُ الكَهْرَبائي ، وكانوا ينتقلون في لحظاتٍ ، من الشَّكِّ في الدين ، والظَّنِّ والتخمين إلى أعلى درجات الإيمان واليقين ، وكان وجودُه ﷺ في أمَّته أقوى سبب الاتصال بالله تعالى ، وقطع منازل القرب والولاية .

---

(١) حضيض الجهل : أي أدنى الجهل .

ولكنَّ الله تعالى قدَّر لهذه الحياة الكريمة نهايةً كما قدر لحياة غيره ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] وأكْمل به دينَه . وأتمَّ به نعمتَه فقال : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] وختَمَ به الأنبياء والرسل ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] وانقطع اتصالُ السماء بالأرض لوحيٍ جديدٍ ، أو رسالةٍ جديدةٍ ، فكان لا بدَّ أن يملأ هذا الفراغَ الذي يتركه انقطاعُ النبوَّات ، وانتقال آخر الأنبياء وخاتم الرُّسل من هذه الدنيا ، ويربط الخلق بالحقِّ ربطاً وثيقاً مباشراً ، ويملأ صدورَهم إيماناً ، وحكمةً وقوَّةً روحيةً ، ويشعل عاطفتَهم ، ويلهب جَذْوَةَ قلوبهم ، ويصلون به أعلى درجات الإيمان واليقين ، ومنازل القرب والولاية .

وكان ذلك العِوَضُ والخليفة هو الكتاب المعجز الخالد الذي يتدفَّق بالحياةِ والقوَّةِ ، والذي لا تبلى جِدَّتُه ، ولا تنقضي عجائبُه ، « والصلاة » التي تزخر بالقوَّة والحيوية كذلك ، ولها من الفضل والتأثير في ربط الصلة بالله والوصول إليه ، وقطع منازل القُرْب والولاية ما ليس لشيء آخر في الدين ، وبهما وصل المخلصون والمجاهدون مِن هذه الأمَّة في كلِّ عصرٍ وجيلٍ إلى مكانة في الإيمان واليقين ، والعلم والمعرفة ، والربَّانية والرُّوحانيَّة ، والقُرْب والولاية ، لا يصل إليها ذكاءُ الأذكياء ، وقياس العقلاءُ والحكماء ، وما زالوا في عددٍ يفوت العَدَّ والإحصاءَ ، ولا يزالان يفيضان النُمُوَّ والحياةَ ، والجِدَّةَ والنشاطَ ، والرُّوحانيةَ الصافيةَ الدافقةَ في نفوس هذه الأمة وأجيالها ، تستغني بهما هذه الأمةُ عن نبوَّةٍ جديدةٍ وبعثةٍ جديدةٍ ، وتعيش متصلةً بالله مرتبطة به في كلِّ دورٍ من أدوار حياتها ، وفي كلِّ عهدٍ من عهود التاريخ ، تستمدُّ لنفسها من القرآن والصلاة رابطةً قلبيةً ، وقوَّةً روحيةً ، وتمدُّ إلى العالم المعاصر يدَ الدلالة والهداية ، ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج : ٧٨][1] .

وظلَّت الأمّةُ متمسِّكةً بهذين الركنَين الوثيقين ، عاضَّةً عليهما بالنواجذ ، يتوارثهما الأجيالُ بعد الأجيال ، وسيظلُّ ذلك هكذا حتى يرث اللهُ الأرضَ ومَن عليها .

وكان القرآنُ هو الأصل والمصدر والأساس لهذا الدين ، فمنه انبثقت الشريعةُ ، وانبثقت العقائدُ ، والعباداتُ ، والأخلاقُ ، والفضائلُ ، وانبثقت الحياةُ الإسلاميةُ كلُّها ، وهو الحبلُ الممدودُ بين الربِّ وعبادِه والرباط الوثيق ، مَن استمسكَ به فقد استمسك بالعُرْوة الوثقى لا انفصامَ لها .

وقد عُرفت هذه الأمّةُ بغيرةٍ على هذا الكتاب لم تعرف لأيِّ أمةٍ على كتابها قديماً وحديثاً ، وشدَّةَ شغفٍ به بَلَغَتْ حدَّ الغَرَام والهِيَام ، وحرصٍ على تلاوته وحفظه ، وتفانٍ في سبيلهما وتذوُّقٍ بلفظه ومعانيه ، وتفنُّنٍ في خدمته ، من ضبطٍ وإتقانٍ للهْجَاته ، وشرحٍ وإيضاحٍ لكلماته ، وتفسيرٍ لآياته ، وكشف القناع عن وُجوهِ إعجازه ، واستنباطِ الأحكام الفقهية ، واستخراج اللطائف العلمية ، والنُّكت البلاغيَّة ، والفوائد الاجتماعية والحقائق الرُّوحية ، لا يصل إلى مَدَاه الأذكياءُ وفطنة العقلاء بسهولةٍ ويسرٍ ولا يقدِّر قدرَه إلا من استعرضَ المكتبةَ الإسلاميةَ الكبرى التي يرجع الفضلُ في تكوينها ، وتوسيعها ، وتزيينها إلى القرآن .

فلولا القرآنُ لما كان نحوٌ وصرفٌ ، ولا علمُ غريبٍ واشتقاقٍ ، ولا علوم البلاغة ، ولا دوِّنت هذه المعاجمُ وكُتب الفروق وأسرار العربية التي لا يُوجَد لها نظيرٌ في أيِّ أمةٍ وفي أيِّ لغةٍ ، فضلاً عن علم التفسير وأصوله وعلم القراءة والتجويد ، الذي يتأسَّس على القرآن ، فقد نشأت هذه العلومُ كلُّها ثم توسَّعت وتضخَّمت في سبيل القرآن ، وفي سبيل معرفة معانيه ، وفهم أغراضه ، وصيانته عن التحريف واللَّحْن ، وعبث العابثين ، ودجل الدجَّالين وتحريف المحرِّفين ، كما وقع ذلك للصُّحف الأولى وشهد بذلك تاريخُ العلم والدين ، وكان كلُّ ذلك تفسيراً

---

(١) الأركان الأربعة : للعلامة الندوي ، ص(٩٦ ـ ٩٧) طبع دار ابن كثير بدمشق .

لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[١] [القيامة : ١٧ ـ ١٩] .

ومِصْدَاقاً لقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

وقد كان لهذه الأمّة شأنٌ عجيبٌ في الاشتغال بهذا الكتاب حفظاً وتلاوةً ، وتأليفاً وتصنيفاً ، وتعبُّداً وتقرُّباً ، لا يفهمه إلا مَن فهم قوّةَ الحُبِّ وتصاريفه وعجائبه وتفنُّنه في إبداع طُرُق التسلية وإرضاء عاطفة الحُبِّ والغَرَام ، فقد كان فيها في كلِّ عصرٍ وجيلٍ عددٌ من الحفَّاظ المتقنين ، والقرّاء المُكثِرين ، والعُشّاق المتيَّمين ، لا يُحصيهم إلا مَن أحصى حصى البَطْحَاء ، ورمال الدَّهْنَاء ، ونجومَ السَّماء ، هذا في الكَمِّ ، أمّا في الكيف فضبطهم لألفاظه وحروفه وطُرُق قراءاته ولهجاته واستحضارهم له وجمعهم إيّاه في صدورهم لا يُخِلُّون بحرفٍ ولا يغفلون عن نقطةٍ ، وختمهم له في ليلةٍ واحدةٍ وفي يومٍ واحدٍ ، وأكثر من ذلك ، فكلُّ ذلك يتخطَّى القياسَ ويحيِّر العقولَ ، وقد يبعث مَن لم يُخالِط هؤلاء القومَ ولم يرهم عن كثبٍ على تشكُّكٍ في صحة ذلك ونفيه أحياناً ، ولكنه خبرٌ متواترٌ وأمرٌ مستفيضٌ ، ولا تزال له نماذجُ وأمثالٌ في كل بلدٍ إسلاميٍّ تقريباً ، في هذا العصر الذي طَغَتْ فيه الماديةُ ، وتقاصَرَتْ فيه الهِمَمُ ، وكَلَّتْ فيه العَزَائمُ ، وضَعُفَتْ فيه الدَّوَاعِي إلى حفظ القرآن وإتقانه ، وليس الخبرُ كالمعاينة .

وقد كان مِن أقوى الدواعي إلى سُمُوِّ الهِمَّة في حفظه وقراءته والتعبُّد به والتنافس في ذلك والمثابرة على هذا العمل وعدم الشعور بالتعب والكلال والسآمة والملال ، ما وَرَد في ذلك من الفضائل وأحاديث الترغيب ، وما أعدَّ الله لقارئه ولجامعه في صدره ولمتعلِّمه ومعلِّمه ، ولناشره وخادمه مِن جزيل الثواب ، وعظيم الأجر ، والمنزلة الرفيعة عند الله ، وزُلْفى في الآخرة ، والحرمة والوَجَاهة في الدنيا ، وما ضمن الله له من الرضا ومن المثوبة ، ووعد عليه من الرحمة والمغفرة .

---

(١) اقرأ ذلك في رسالة « الفوز الكبير في أصول التفسير » لشيخ الإسلام ولي الله الدِّهْلوي ، وقد طُبعت بدراسة وشرح الشيخ سعيد البَالَنْفُوري ، في دار ابن كثير بدمشق .

ولم يُعْرف في علم الأخلاق والنفس وفي تاريخ الأمم والمجتمعات باعثٌ أقوى من باعث « الإيمان والاحتساب » ، والطمع في الأجر والثواب عند النفوس المؤمنة والأمم المتديِّنة ، وقد عَرف العلماء والمعلِّمون والمربُّون والمصْلِحون قيمةَ هذا الدافع وقوَّة هذا الباعث ، فألَّفوا في فضائل الأعمال ، والعبادات ، والأخلاق . والمعاملات كتباً كثيرة ، كان لها فضلٌ كبيرٌ في إثارة هذا الدافع النبيل وتقويته وتغذيته ، أشهرها كتابُ « الترغيب والترهيب » للعلامة المُنْذري[1] وقد تناوله العلماءُ بالتنقيح والتلخيص ، واعتنوا به في كل عصرٍ ومصرٍ .

وحُظر على هذه الأمة أن يَضْعُفَ هذا الدافعُ ، وأن تجِفَّ منابعُه ، وأن تزهد الأمةُ ـ لا قدَّر الله ـ في حفظ القرآن وقراءته والتعبُّد به ، والتذوُّق به ، والتشبُّع منه ، والاشتغال به آناءَ الليل والنهار ، والتنافس في حفظه وضَبْطه والإكثار من قراءته ، ولا يكون ذلك إلا إذا جُهِلَتْ هذه الفضائل ، وقَلَّ علمُها وضعفت الدعوةُ إليها ، وانقطع نشرُها وإذاعتُها ، وظهرت دعوةُ المثبطين المعوِّقين عن القرآن ، الصَّادين عن سبيله ، المستخفِّين بفضله ، المهوِّلين لخطب التعليم العصريِّ ، والحاجات الاقتصادية وما يستلزم ذلك من صرفِ جميع القُوَى والأوقات لتحصيل التعليم العصري وعلوم المعاش ، والقائلين بأنَّ حفظ القرآن في الصِّغَر يُكِلُّ الذهْنَ ، ويخمد القريحةَ ، ويُرْهِق القُوَى ، مع أنَّ الواقع عكسُ ذلك ، وقد أثَّرت هذه الدعوةُ

---

(١) هو الإمامُ العلامة الحافظ عبد العظيم بن عبد القَوِي أبو محمد زكيّ الدين المُنْذِري (٥٨١ ـ ٦٥٦هـ) ، أصلُه من الشام ، سمع الحديثَ بمكَّة ، ودمشق ، وَحَرَّان ، والإسكندرية ، وتولَّى مَشْيَخَةَ دارِ الحديث الكامليَّة بالقاهرة ، وانقطع بها نحو عشرين سنة عاكفاً على التصنيف والدرس والإفادة ، وبه تخرج الدِّمْيَاطي ، وابنُ دقيق العِيْد وغيرهما ، كان عديمَ النظير في عصره في معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه ، قال الذهبي : « لم يكن في زمانه أحفَظُ منه » ، له تصانيفُ منها : « مختصر صحيح مسلم » ، و« مختصر سنن أبي داود » برواية اللؤلؤي سمَّاه « المجتبى » ، و« الترغيب والترهيب » وألف السيوطي عليه كتاباً سَمَّاه : « زهر الربى على المجتبى » ، وللمنذري أيضاً عليه بعضُ التعليقات (انظر ترجمته في : « البداية والنهاية » : ١٣/ ٢١٢) ، و« طبقات الشافعية » : ٥/ ١٠٨ ، و« شذرات الذهب » : ٥/ ٢٧٧) .

في جميع البلاد الإسلامية مما فيها البلاد العربية التي كانت مهبطَ الوحي ، ومنزلَ القرآن ، ومعلمة العالم كله .

وقد أفْزَعَ ذلك شيخنا العلامة محمد زكريا بن يحيى الكَانْدَهْلَوِيّ وَأقْلَقَ مضجعَه ، فحسب لذلك كلَّ حسابٍ ، فقد عرف بشدَّة غيرته على القرآن وشغفه به وكثرة تلاوته له ، عرف ذلك من عرف سيرتَه وعاشره ، خصوصاً من علم كيف يقضي رمضانَ ، أو قرأ ما كتبناه عنه في تقديمنا لمقدمة « أوجز المسالك »(١) وقد كان متألماً لهذا الواقعِ ؛ إذ اقترح عليه أحدُ الشيوخ الكبار الذين « أمرهم حكمٌ وطاعتهم غنمٌ » أن يؤلِّف كتاباً في فضائل القرآن يُعيد هذا الخيطَ بين قلوب القرَّاء وهذا الكتاب ، ويرفع هِمَمهم ، ويَشْحَذ عزائمَهم على حفظ هذا الكتاب ، وقراءته ، والتقرُّب به إلى الله ، والتنافس في ذلك واستهانة كلِّ خطبٍ لأجله ، فنشط لهذا التأليف الذي كان ميسوراً له بحكم اشتغاله بتدريس الحديث والتأليف في مقاصده ولِسَعة اطلاعه على مصادر هذا الموضوع ومراجعه ، وبحكم ذوقه القرآني الذي امتاز به بين أقرانه ، فكان نتيجةَ كلِّ ذلك هذا التأليف المبارك الذي نتشرَّف بتقديمه ، وقد كان السِّرُّ في تأثيره أنه صَدَر عن ذوقٍ وإخلاصٍ وعملٍ ، فهو لا يدعو إلى شيء لا يعمل به ، ولا يَحُثُّ على شيءٍ لا يتذوَّقه ويؤمن به .

وقد مضى على هذا التأليف نحوُ نصفِ قرنٍ وهو يعاد طبعه في الهند مرةً بعد مرةٍ ، ويكثُر انتشارُه في الأوساط الدينية وحلقات التعليم وجماعات التبليغ ، وقد شعر بعضُ تلاميذه والمشرفين على حركة الدعوة التي تسمَّى بـ « التبليغ » ، وهي منتشرةٌ الآن في كثير من الأقطار العربية ، بمسيس الحاجة إلى نقله إلى اللغة العربية حتى يَعُمَّ الانتفاعُ به في البلاد العربية التي ضعفت فيها الدعوةُ إلى تحفيظ القرآن والعناية به في العهد الأخير بتأثير العوامل التي ذكرناها سابقاً ، وإذا كانت هنالك مدارسُ وكتاتيبُ تعلُّمِ القرآن ولا تزال العناية قائمة بحفظ القرآن ، فلا شَكَّ أنها في حاجةٍ إلى تغذيةٍ إيمانيةٍ ومشجِّعاتٍ دينيةٍ ، فإنَّ علم الفضائل قد ضعف منذ أمدٍ بعيدٍ في العالم الإسلامي وأثَّر ذلك في العمل .

---

(١) انظر هذه المقدمة في صفحة (١٢٩) .

وقد قام بتحقيق هذا الغرض الشريف وإنجاز هذا المشروع ابنُ أختي العزيز السيد واضح رشيد الحسني النَّدْوِي[1] تقرُّباً به إلى الله ، وحُبّاً لمؤلِّف هذا الكتاب وتقديراً له ، وحِرْصاً على أن يكون مساهماً في هذا العمل الجليل ، وأن يكون له ثوابُ الدلالة إلى الحقِّ ، والإعانة على المعروف ، والتعاون على البرِّ والتقوى ، فقام بذلك خيرَ قيامٍ وهو كاتبٌ بالعربية ، متذوِّقٌ للغتين الأردية والعربية قد تجلَّت مقدرته الكتابية وإجادته في مقالاته التي يكتبها في مجلَّة « البعث الإسلامي » وصحيفة « الرائد » وبراعته في الترجمة في نقله لكتاب « الدين والعلوم العقلية »[2] للأستاذ الكبير مولانا عبد الباري النَّدْوِي[3] ، وأتمَّه في مدةٍ قليلةٍ ، وقد قرأتُ هذه الترجمة حرفاً حرفاً واستحسنتُها ، وهاهي الآن ماثلةٌ للطبع ، نفع الله بها المسلمين وشرح بها صدور المؤمنين ، ورفع بها هِمم القاصرين ، والله لا يضيع أجرَ المحسنين .

أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي

لخمس بقين من جمادى الأولى ١٣٩٢هـ

دار عرفات ، راي بَرِيلي ـ الهند

---

(١) انظر ترجمته في أول مقدمة « تاريخ الأدب العربي » في الجزء الثاني .

(٢) قد صدر الكتاب عدة مرات ، طبعته أخيراً دارُ وحي القلم بعنوان « الدين والقوى العقلية » .

(٣) انظر ترجمته في أول مقدمة « بين التصوُّف والحياة » في الجزء الثاني .

صفوة التفاسير

تَفسِير للقرآنِ الكرِيم

جَامع بَيْن المأثور والمعقُول ـ مُسْتمد مِنْ أوثق كتب التفسِير : الطّبَري ، الكشّافْ ، القرطبيّ ، الآلوسيّ ، ابن كثير ، البَحر المحيْط وَغيرهَا بأسلوبْ ميسّر ، وتنظيم حَديث ، مَع العناية بالوجُوه البَيانيّة واللغويّة .

تَأليْف

محمد علي الصّابوني

الأسْتَاذ بكليَّة الشريْعَة والدّراسَاتِ الإسْلاميَّة

مَكّة المكرَّمة ـ جامِعَة الملك عَبْد العزيز

الجزء الأول

بإشراف

مكتَب البحُوث والدّراسَاتِ

في دار الفكر

نبذة من ترجمة المؤلِّف

وُلِدَ الشيخ محمد علي الصابوني في سوريا بمدينة حلب الشهباء بلد العلم والعلماء عام ١٩٣٠م من أسرةٍ عريقة بالعلم ، فوالده من كبار علماء حلب .

تلقى الشيخُ علوم العربية والفرائض وعلوم الدين على يد والده ، وحفظ القرآن الكريم في الكُتّاب وأكمل حفظه في الثانوية وهو في سن مبكرة ، وكان للشيخ دراسةٌ على كبار علماء سوريا منذ نعومة أظفاره فهو قد نشأ محباً للعلم ، راغباً في تلقيه على الشيوخ الأجلاء .

وقد كان من أبرز شيوخه فضيلة الشيخ ، نجيب سِراج (عالم الشهباء) وفضيلة الشيخ أحمد الشمَّاع ، وفضيلة الشيخ محمد سعيد الإدلبي ، وفضيلة الشيخ راغب الطبَّاخ ، وفضيلة الشيخ محمد نجيب خياطة (شيخ القراء) وغيرهم من العلماء والشيوخ الأفاضل في ذلك العصر ، وكان يحضر دروساً خاصة على أيدي بعض الشيوخ في المساجد والبيوت .

تلقى الشيخ الصَّابوني الدراسة النظامية في المدارس الحكومية ، ولما حصل على الشهادة الابتدائية انتسب إلى إعدادية وثانوية التجارة فدرس فيها سنةً واحدة ، ولما لم توافق ميوله العلمي ـ لأنهم كانوا يعلمون فيها الطلاب أصول المعاملات الربوية التي تجري في البنوك ـ هجر الإعدادية التجارية (مع أن ترتيبه فيها كان الأول على زملائه) وانتقل إلى الثانوية الشرعية التي كانت تُسَمَّى (الخسروية) في مدينة حلب ، وفيها درس الإعدادية والثانوية .

ولمَّا أنهى دراسته الثانوية بتفوُّقٍ ابتعثته وزارةُ الأوقاف السورية إلى جامعة الأزهر بالقاهرة على نفقتها للدراسة الجامعية ، فحصل على شهادة كلية الشريعة منها بتفوق عام ١٩٥٢م ، ثم أتمَّ دراسة التخصص فتخرج عام ١٩٥٤م من الأزهر حاصلاً على شهادة (العلمية في تخصص القضاء الشرعي) وكانت هذه الشهادة أعلى الشهادات في ذلك العصر ، وهي تعادل شهادة الدكتوراه حالياً ، وقد نالها بتفوق وامتياز .

رجع بعد دراسته في مصر إلى بلده (سوريا) فعُيِّن أستاذاً لمادة الثقافة الإسلامية في ثانويات حلب ودور المعلِّمين ، وبقي في التدريس ثماني سنوات منذ عام ١٩٥٥م إلى عام ١٩٦٢م .

انتدب إلى المملكة العربية السعودية أستاذاً معاراً من وزارة التربية في سوريا للتدريس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، وكلية التربية بالجامعة (أمّ القُرى) بمكَّة المكرَّمة ، وكان على

رأس البعثة السورية إلى المملكة آنذاك ، فدرَّس فيها ما يقارب ثمان وعشرين عاماً ، وتخرج على يديه أساتذة الجامعة في هذه الفترة الطويلة .

ونظراً لنشاطه العلمي في البحث والتأليف فقد رأت جامعة أم القرى أن تسند إليه تحقيق بعض كتب التراث الإسلامي فعين باحثاً علمياً في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، فاشتغل في تحقيق كتابٍ عظيمٍ في التفسير يُسَمَّى (معاني القرآن) للإمام أبي جعفر النحَّاس (المتوفى سنة ٣٣٨هـ) فقام بتحقيقه على الوجه الأكمل ، وقد خرج الكتاب في ستة أجزاء ، وطبع باسم جامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي .

للشيخ مؤلَّفاتٌ عديدةٌ في شتى العلوم الشرعية والعربية ألَّفها في مشواره العلمي الطويل ، فكانت من أهمِّ الكتب في مجالاتها ولاقت قبولاً وانتشاراً واسعاً بين طلاب العلم في شتى أنحاء العالم الإسلامي ، وترجم العديدُ منها إلى لغات مختلفة كالتركية والإنجليزية والفرنسية والملاوية والهوساوية وغيرها من لغات العالم الإسلامي ، وقد ألَّف بعضها أثناء تدريسه في الجامعة ، والبعض الآخر بعد انتهائه من التدريس ، وتفرُّغِه للتأليف[1] .

---

(١) مقتبسةٌ من رسالة الدكتوراه للأخ الفاضل سيد فهيم الله القادري الحَيْدَرْآبادي ، والذي قدَّمها بعنوان « الشيخ محمد علي الصابوني ومنهجه في صفوة التفاسير » إلى الجامعة العثمانية بحيدرآباد (الهند) عام ٢٠٠٧م .

كلمةُ سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحَسني النَّدْوي

رئيسُ نَدْوَة العُلماء بلَكْنو ـ الهند

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرسَلِين ، محمَّد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد : فقد كان الاتجاهُ العلميُّ السائدُ في عصور التأليف الإسلامي الأولى هو الاستيعابُ الشاملُ لكلِّ ما قيل ورُوي في الموضوع ، فكانت كتبُ المؤلِّفين في التفسير ، والحديث ، والسيرة ، والتاريـخ أشبه بموسوعاتٍ علميةٍ . وإنْ كانت لهذا الاتجاهِ والأسلوبِ الشائعِ فوائدُ أعظمها صيانةُ هذه الثروة العلمية من الضياع ، وتمكين القارىء من اختيار ما هـو أوفق وأقرب إلى ذوقه فقد أحْدَثَ مشكلةً ـ خصوصاً في هذا العصر ـ وهي أنَّ الطالب المبتدىء والمتوسِّط يحار في اختيار أقرب الأقوال إلى الصواب ، ويتشتَّت ذهنُه فلا يرسخ فيه قولٌ واحدٌ ، ويجد نفسَه في غابةٍ ملتفَّةٍ من الأقوال والآراء والمذاهب ، ولذلك مالَ كثيرٌ من المؤلِّفين في كلِّ عصرٍ إلى الانتقاء من هذه الكتب الموسوعية ، واختيار أقرب الأقـوال وأقواهـا ، فكانت لهذه الكتبِ فائدةٌ عظيمةٌ ، وفضلٌ كبيرٌ على طَلَبَةِ العلم .

وكان هذا العصرُ مِن أحوج العصور إلى هذا الأسلوب من التأليف لقصر الوقتِ وضَعْف الهِمَمِ وتشتُّت الأذهانِ ، لذلك كان صديقُنا الفاضل فضيلة الشيخ محمد علي الصَّابوني موفَّقاً كلَّ التوفيق في وضع كتابه « صفوة التفاسير » فقد وَفَّر على طَلَبَة علم التفسير وقتاً طويلاً ، وأخذ بيدهم إلى ما هو عُصَارة دراسته وخُلاصة التفاسير ، لا يقدر على ذلك إلا من توسَّعت دراستُه ، وسلم ذوقُه ، وحَسُنَتْ ممارستُه لفَنِّ

التدريس ، فاستحقَّ بذلك شكر طلبةِ العلم والمشتغلين بفَنِّ التفسير ، جزاه الله خيراً وأثابه وتقبل عمله .

أبو الحسن علي الحسني النّدْوي

مكة المكرمة
٩/ ٤/ ١٣٩٦هـ

رياض البيان
في تجويد القرآن

تأليف

المقرئ محمَّد مسعود عبد الستَّار العَزيزي النَّدْوي

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو الأستاذ أبو أسامة محمد مسعود العزيزي النَّدوي ، من مواليد عام ١٣٩٤هـ . درس الابتدائية في مدارس بلده ، ثم توجَّه إلى دار العلوم ـ ندوة العلماء ، وتخرَّج فيها من الليسانس ، ثم تخصَّص في الفقه ونال فيه شهادة الدراسات العليا من نفس الجامعة . وقد لازم أثناء دراسته في دار العلوم العلامة الندوي واستفاد منه كثيراً ، وكان يصلّي به في آخر حياته .

وله رحلاتٌ دعويةٌ في مختلف أنحاء العالم ، ومن أعماله العلمية بالعربية :

١ ـ رياض البيان في تجويد القرآن .

٢ ـ مراجع الفقه الحنفي وميزاتها .

٣ ـ الإمامة في الصلاة ومسائلها وأحكامها .

٤ ـ التدخين بين الشرع والطِّبّ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرسَلين وخاتم النبيِّين ، محمَّد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ ودعا بدعوتهم إلى يوم الدِّين .

أمَّا بعد : فلا يخفى على من له مشاركةٌ في التعرُّف على لغاتٍ مختلفةٍ حيَّةٍ دارجةٍ يُنطق بها ويُؤلَّف فيها ويُتَفَهَّم بها : أنَّ اللغة العربية تتميَّز من بينها بأنَّ كثيراً من حروفها لها مخارجُ خاصَّةٌ ، وأصواتٌ خاصَّةٌ ، وقد تكون هذه المخارجُ حَلْقيَّةً ، وقد تكون لسانيةً وشفويةً ، كالثَّاء ، والحاء ، والذَّال ، والصَّاد ، والضَّاد ، والطَّاء ، والظَّاء ، والغَيْن ، والهاء ، يُنطق بها من بين أخواتها ومتشابهاتها من مخرجٍ خاصٍّ ونُطْقٍ خاصٍّ ، فيتميَّز بين الحاء والهاء ، والذَّال والزَّاي ، والسِّين والصَّاد ، والدَّال والضَّاد ، والتَّاء والطَّاء .

فإذا أخَلَّ إنسانٌ بهذا التمييز والاختلاف في النُّطْق ، أثْبَتَ جهلَه بطبيعة هذه اللغة الفريدة التي أنزل الله فيها كتابَه المُعْجِز الأخير الباقي إلى الأبد ، ونَطَق فيها الرسولُ الأعظمُ ﷺ ، وتكوَّنت فيها مكتبةٌ مِن أعظم مكتبات العالم ، وبَرْهَن على جهله وخَرَقِه ، وأساء إلى نفسه .

ثم تتميَّز هذه اللغةُ بالإعراب ، ووجود الحركات المميَّزة على آخر حروف الكلمات ، وهذا الإعرابُ الذي لا يُوجَد له نظيرٌ ـ في حدود عِلمنا ومعرفتنا بعددٍ من لغات العالم ـ في أيِّ لغةٍ ، تكوَّن منه علمُ النحو الواسع العظيم الذي لا يُوجَد له نظيرٌ في نِطاق علمنا ودراستنا في لغةٍ من لغات العالم المعروفة ، وإذا أَخَلَّ إنسانٌ ـ مهما كانتْ مكانتُه من العلم والفضل والشُّهرة والجاه والمنصب ـ سقطتْ مكانتُه

وازدرتْه العيونُ ، ومَجَّتْه الأسماعُ ، ونظر الناسُ إليه شَزْراً ، ولم يَقْبَلوا له عِلَّةً ولا عُذْراً .

وهذا إذا كان شأنُ التعبير عن المُضْمَرات وإبداء الخواطر وهَواجس النفس ، وإنشاد الشِّعر أو الاستشهاد بعبارةٍ من عبارات أحد الأدباء والمؤلِّفين ، أو العلماء والمعلِّمين ؛ فكيف بكتابٍ أنزله الله من فوق سبع سماواتٍ على أفضل الأنبياء والمُرسَلين وخاتم النبيِّين محمَّد ﷺ ليُحفَظ ويُقرَأ ويُتلَى ، ويُتقرَّب به إلى الله ، وليكون حُجَّةً وبُرهاناً ، على اختلاف الزَّمان والمكان ، واللُّغات وأساليب البيان ، وقد أودع اللهُ فيه التأثيرَ الخاصَّ على القلوب والأذواق ، والأسماع والآذان مقروناً بأداءٍ خاصٍّ ، واحتفاظٍ بالنُّطق بالكلمات ، على طبيعتها اللُّغَويَّة العربية الخاصة ، ولذلك قال الله تبارك وتعالى مخاطباً لنبيِّه ، ولمن يتلو القرآن : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٤] ، وكلمة الترتيل تحتوي على معانٍ كثيرةٍ من صحّة النطق والأداء والإجلال والاحترام ، والتدبُّر والفهم ، والهدوء والسكينة .

لذلك اتَّجهت عنايةُ القُرَّاء والحُفَّاظ إلى قراءة القرآن الكريم بكل عنايةٍ واهتمامٍ بالأداء والنُّطْق ، وقراءته على أصَالته ، ونَصِّه وطبيعته ، بعيداً عن كلِّ إخلالٍ وتقصيرٍ في الأداء ، وتوفية جميع الحروف التي احتوتْ عليها الآياتُ حقَّها من الأداء والنطق والتمييز ، بعيدين عن الرَّطانة العجميَّة أو الحركات الخليطة الشِّفَاهيَّة ، مميِّزين بين التفخيم والترقيق ، وما امتازت به الحروفُ العربية من التميّز في المَدِّ ، وعدمِ المَدِّ ، والإظهار ، والإدغام ، والوقفِ وعدم الوقف ، واستمرَّ ذلك بإرادة الله وضمانه ببقاء هذا الكتابِ على نصِّه وفصِّه إلى آخر هذه الدنيا إلى عصرنا هذا تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

واقترنت بذلك ـ بإرادة الله وتقديره ـ عنايةُ العلماء والمعلِّمين والمؤلِّفين والمحقِّقين بتدوين هذا العلمِ وقواعده وأحكامه ، وتعليماته وتوجيهاته ، كتابياً وتأليفياً ، وبحثاً وتحقيقاً في الكتب والمؤلَّفات في هذا الموضوع ، وشق الشِّفْرَة في ذلك ، ودقَّقوا وحقَّقوا ، ولم يغادروا صغيرةً ولا كبيرةً فيما يتصل بهذا الموضوع إلا أحصوها ، حتى تكوَّنت بذلك مكتبةٌ واسعةٌ عظيمةٌ ، لها فَضْلُها ومكانتُها علمياً

وبحثياً ، ودِقَّةً ورِقَّةً ، وقامةً وقيمةً ، لا يسهل إحصاءُ ما تتضمَّن عليه من كتبٍ وبحوثٍ[1] .

ومن هذه السّلسلة الذهبية الموقَّرة التي لا يُستهان بقيمتها ، والتي صَدَر جزءٌ منها من قلم من لم يشتهر ولم يبلغ السِّنَّ العاليةَ ، والمكانةَ الساميةَ من النُّضْج والشُّهْرة ، والاشتغال بالتعليم والتأليف ، كتاب « رياض البيان في تجويد القرآن » تأليف المُقْرىء محمَّد مسعود عبد السَّتَّار العزيزي النَّدْوي السَّهَارَنْفُوري ، وقد احتوى هذا الكتابُ ـ الذي أُلِّف في سِنٍّ مبكِّرةٍ ، وأثناء دراسةٍ واكتمالٍ وتوسُّعٍ ـ على المُهِمِّ من قواعد هذا الفنِّ وأصوله ، وأحكامه بطريقٍ سهلٍ مُبسَّطٍ مفهومٍ ، وجاءت فيه جداولُ وفهارسُ للمصطلحات والقواعد مع شرحٍ وتعريفٍ سهلٍ بَيِّنٍ .

وقد جاء هذا الكتابُ في مكانه وأوانه ، فقد اشتدَّت حاجةُ القُرَّاءِ والحُفَّاظِ ، وطَلَبَةِ العلوم الدينية في المدارس ، والأئمَّة في المساجد ، إلى معرفة القواعد الأساسية ، والتعليمات البدائية لهذا الفَنِّ ، مع إلقاء الأضواء على ما أُلِّف في هذا الموضوع ، حتى يتسنَّى لطالب هذا الفَنِّ ومُقدِّره التوسُّعُ في دراسة هذا الفَنِّ والتضلُّعِ منه إلى حدٍّ ممكنٍ ولازمٍ ، وللمؤلِّف أجرُ خدمة القرآن ، وثوابُ العاملين في مجال الدين ، وشكـرُ الطَّلَبَة والدَّارسين .

٢٩/ ذي الحجة الحرام ١٤١٦هـ	**أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي**
١٨/ مايو ١٩٩٦م	**دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ**

---

(١) وقد جاءت أسماء كثير من الكتب في هذا الموضوع في الكتاب الذي نقدم له بعنوان: أهم المراجع والمصادر.

مقدِّماتُه

لشروح كُتب الحديث

١ ـ **أوجز المسالك إلى موطأ مالك** : للمحدِّث محمد زكريا الكانْدَهْلَوِي .

٢ ـ **التعليق الممجَّد على موطَّأ محمَّد** : للإمام عبد الحي اللَّكْنَوِي .

٣ ـ **تكملة فتح المُلْهِم لشرح « صحيح مسلم »** : للفقيه القاضي محمد تقي العثماني .

٤ ـ **بذل المجهود في شرح سنن أبي داود** : للمحدِّث الفقيه الشيخ خليل أحمد السَّهَارَنْفُوري .

٥ ـ **روائع الأعلاق شرح تهذيب الأخلاق** : للشيخ سحبان رُوْح القدس النَّدْوِي .

أوجز المسالك إلى موطّأ مالك

تأليف

الإمام المحدِّث محمد زكريا الكَانْدَهْلَوي

دار القلم

دمشق ـ بيروت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَقديم الكتاب(١)

بقلم فَضِيلة العَلامَةِ ٱلشَّيخِ أبِي ٱلْحَسَن عَليّ ٱلحَسَنِيّ النّدوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرسَلين ، وخاتم النبيِّين محمَّد ، قائد الغُرّ المحجَّلين ، وعلى أصحابه حَفَظَة الكتاب والسنَّة ، وحَمَلة لواء الدِّين ، ومن تبعهم بإحسان من العلماء الراسخين ، الذين ينفون عن الإسلام تحريفَ الغالين ، وانتحالَ المُبطِلين ، وتأويلَ الجاهلين .

أمَّا بعد ، فإنَّ علم الحديث من العلوم التي ألْهَمَ الله هذه الأمَّةَ - في أوَّل عهدِها وعلى إثر وفاة نبيِّها - العنايةَ به ، والجهاد في سبيل حفظه وتدوينه ونقله ونشره ، والتهالُك على تلقِّيه وجمعه ، والتنافس في ضبطه وإتقانه ، والاهتمام بكلٍّ ما يتصل به من علومٍ وفنونٍ إلهاماً قويّاً واضحاً ، تجلَّت فيه حكمةُ الله وعنايتُه بصيانة هذا الدين وإكماله ، حتى كان ذلك دافعاً نفسياً لا تعرف الأمَّةُ مصدرَه ، ولا تستطيع له قهراً ولا دفعاً ؛ وكأنَّ سائقاً يسوقها نحو هذه الغاية سوقاً قويّاً عنيفاً في الظاهر ، فلا تستطيع مقاومَته ، رفيقاً لطيفاً في الباطن ، فلا تشعر بثقله ووطأته ، وتجد في الانسياق إليه والاستجابة له لَذَّةً لا تعدِلُها لَذَّةٌ ، وراحةً لا تعدِلها راحةٌ ، فتَهُوْنُ لأجل ذلك عليها المتاعبُ والمشقَّاتُ ، وتقصر في سبيلها الأبعادُ والمسافاتُ ، وتَتَدفَّقُ على طلبه من مظانِّه ، وحفظه وروايته من أهله ، ونقله من مكانٍ إلى مكانٍ سيولٌ وجيوشٌ من أذكياء الأمم والشعوب ، ومن نوابغ البلاد والعباد ، لا يُعْرَف نظيرُهم في تاريخ أمةٍ وحضارةٍ ، ولا في تاريخ علمٍ وثقافةٍ .

وكان كلُّ ذلك سِرّاً من الأسرار الإلٰهية ، وبُرْهاناً ساطعاً على مَدَى عنايةِ الله تعالى بهذه الرسالة التي خَتَم الله بها الرّسالاتِ ، وبهذه الشريعة التي قضى الله

---

(١) قد سَبَقت ترجمة المؤلف في أول مقدمة « فضائل القرآن » .

ببقائها وخُلُودها ، وانتشارها وعمومها لجميع العصور والأجيال . وهذا الإلهامُ الذي كان سبباً لاندفاع الأمَّة إلى حفظ الحديث النبويِّ مَرَّةً ، وإلى استنباط الأحكام وتفريع الفروع مَرَّةً أخرى ، وإلى تدوين العلوم المُنْبَثِقَة من القرآن من صرفٍ ونحوٍ وبلاغةٍ مَرَّةً ثالثةً ؛ وإلى تأليف الكتب ووضع المعاجم وتأسيس المدارس مَرَّةً رابعةً ، وإلى العناية بتزكية النفوس ، وتهذيب الأخلاق وتحصيل حقيقة الإيمان ، والوصول إلى درجة الإحسان ، وتجديد الطِّبِّ النبويِّ ، في معالجة القلوب والنفوس ، ووضع أُسُسِ هذا العلم وإرساء قواعده ، إلى غير ذلك ممَّا ألْهَمَه أزكى نفوس هذه الأمُة ، وأعظمها رسوخاً في العلم والدين ، وأكثرها حظاً في الإيمان واليقين مِن أجلى[1] دلائل ختم النبوَّة وإكمال هذا الدين ، وأنَّ عناية الله لا تُفارِقه لحظةً واحدةً ، وأنَّ مَدَدَه لا يتخلف عنه في حينٍ من الأحيان .

وكان لكلِّ بلدٍ من بلاد الإسلام نصيبٌ غير منقوصٍ من هذا الإرْثِ النبويِّ يدخل مع الغُزاة والفاتحين ، والدُّعَاة والمبلِّغين ، والأساتذة والمدرِّسين ، والفقهاء والمحدِّثين ، فدخل علمُ الحديث في أوائل الفتح الإسلامي في بلاد الهند ، وكان من جملة مَن وَفَد إليها من المجاهدين في سبيل الله الرَّبِيْع بن الصَّبِيْح السَّعْدِي[2] ، الذي قال عنه الجَلَبِيُّ[3] في « كشف الظنون » : « هو أول من صنَّف في الإسلام »

---

(١) قوله : (من أجلى) خبر لقوله قبل أسطر : (وهذا الإلهامُ) .

(٢) هو الشيخ المحدِّث : الرَّبيع بن صبيح السَّعْدي ، أبو بكر ـ وقال أبو حَفْص ـ البَصْري : مولى بني سَعْد بن زيد مَناة . روى عن الحسن البصري ، وحُمَيْد الطَّويل ، ويزيد الرَّقاشي ، وأبي الزُّبَيْر ، وثابت البُنَاني ، ومجاهد بن جَبْر وغيرهم . وروى عنه سفيان الثَّوْري ، ووَكيع ، وابن مَهْدي ، وأبو داود وأبو الوليد الطَّيَالسيَّان ، وآدم بن أبي إياس ، وعاصم بن علي ، وغيرهم .
قال الطَّبَري : « إنَّه خرج غازياً إلى (السِّنْد) فيمن خرج مع عبد الملك بن شهاب المِسْمَعيِّ من مُطَوِّعة أهل البصرة فمات بها » وكانت وفاتُه سنة ١٦٠هـ بالسند . كان صالحاً ، صدوقاً ، عابداً ، مجاهداً انظر ترجمته في « **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام** » ١/ ٤٥ ، و« **تهذيب التهذيب** » ١/ ٥٩٣ ـ ٥٩٤) .

(٣) هو مصطفى بن عبد الله الكاتب الجلبي المعروف بالحاجي خليفة (١٠١٧ ـ ١٠٧٦هـ) مؤرِّخ=

ولا شَكَّ أنَّه مِن أول المؤلِّفين في علم الحديث إذا لم يكن أولهم بالإطلاق ، وقد مات ودُفِن في الهند سنة ١٦٠هـ .

وقد رافقَ علمُ الحديث العربَ الذين غزوا هذه البلاد ، فقد امتزج بلَحْمِهم ودَمِهم ، فحملوا معهم هذا العلمَ الشريفَ ، وكان يُرافِقهم في كلِّ غزوةٍ علماء محدِّثون ، وكان فيهم مَن سكن الهندَ ومات فيها ، وانتشر علمُ الحديث[1] في دولة العرب وحكمهم[2] .

= بحَّاثةٌ ، تُركيُّ الأصل ، مستعربٌ ، مولده ووفاته في القسطنطينية ، تولَّى أعمالاً كتابيةً في الجيش العثماني ، وذهب مع أبيه وكان من رجال الجند إلى بغداد فمات أبوه « بالموصل » فرحل إلى ديار بكر ثم عاد إلى « الآستانة » ، رحل إلى الشام ، ثم حَجَّ وزار خزائن الكتب الكبرى ، وعاد إلى « الآستانة » ، وشهد حرب كريت (١٠٥٥هـ) وانقطع في السنوات الأخيرة إلى التدريس ، له مصنَّفاتٌ أشهرها : « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » وقد صرف عشرين سنةً من عمره لجمع هذا الكتاب ، انظر ترجمته في « **دائرة المعارف الإسلامية** » في (أردو) طبع بنجاب ، ٧/ ٧٧١ ، و« **الأعلام** » (٨/ ١٣٨) .

(١) العبارة بلفظها منقولةٌ عن كتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » للعلامة السيد عبد الحي الحسني طبع دمشق ، ص١٣٥ (العلامة الندوي) .

(٢) كان المجاهدون من الصَّحابة والتابعين واسطةَ العِقْد بين الإسلام والهند ، وكانت فيهم جماعةٌ من حَمَلة العلم ورُوَاةِ الأحاديث والآثار ، فهي نواةُ علوم الدين في بلاد الهند ، قال ابنُ كثير في ذكر فتوح محمد بن القاسم : « وكان في عسكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون ، والأولياء والعلماء ، من كبار التابعين ، في كل جيشٍ منهم شِرْذِمةٌ عظيمةٌ ينصر الله بهم دينه » .

وتراجمهم تدلُّ على هذا وهكذا من أيام عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إلى خاتمة الدولة الأموية كانت تكون جماعة من رواة الأحاديث والآثار في الغزوات والفتوح والولايات ، وأنهم ـ وإن لم يحدِّثوها في الهند في هذا الوقت على طريق الرواية ـ فمن الطبيعيِّ أن يحدِّثوها فيما بينهم على طريق المذاكرة كما هو كان من دأب الصَّحابة والتابعين ومن ولاة (السِّند) من كان قاضياً من أهل الصدق والدين والعلم ، فإنَّ خليفة بن خياط يذكر ولاة الخلفاء وقضاتهم فعَدَّ من قضاة السِّند في أيام عثمان بن عثمان حكيم بن جبلة العَبْدي ، وفي أيام عبد الملك سعيد بن أسلم الكلابي ، ومجاعة بن سعر التميمي ، ومحمد بن هارون النُّمَيْري ، وعمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، وابن أُسَيْد بن الأخْنَس بن شريق الثقفي ، =

. . . .

= وهؤلاء القضاة كانوا علماءَ الكتاب والسنَّة ، وأحكام الإسلام ، ويبثُّون علوم الإسلام في الهند .

وزِدْ على هذا : أنَّ المسلمين سكنوا في بلاد القفص في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم إن محمَّد بن القاسم اختطَّ للمسلمين بالدَّيْبَلْ وبالمُلْتان وغيرهما من بلاد الهند ، وبنى فيها مساجد ، وأنزلها المسلمين وعين لهم أمراء وخطباء . وقضاة ، ثم مصرت البيضاء ، والمحفوظة ، والمنصورة بلاد الإسلام والمسلمين ، فكان المسلمون يعيشون في هذه البلاد في علومهم وثقافتهم حتى جرى التحديثُ على طريق الرواية في بدء القرن الثاني ، فإنَّ محمد بن عزاز بن أوْس القُضَاعي المشهور بجبيل المقتول بيد منصور بن جمهور في السند ، سمع من قيس بن بسر بن السِّندي النضري .

فهذا ـ فيما نعلم ـ أول رواية للأحاديث في حدود العقد الثالث من القرن الثاني في الهند ، وبعد ذلك سرعان ما رأينا : أنَّ بلاد الهند صارت مراكز الروَّاة والمحدِّثين وجرت فيها الروايةُ كالدَّيْبل ، والمُلْتان ، والمَنْصُورة ، واللاَّهُور . قال الحَمَويُّ في ذكر (الديبل) : « وقد نسب إليها قومٌ من الرواة » ، وقال خلف بن محمد الموازيني الويبلي : « حدَّثنا علي بن موسى الديبلي بالديبل » ، وقال القَلْقَشَنْدي في ذكر لاهور : « خرج منها جماعةٌ من أهل العلم » وقال الحاكم أبو عبد الله الحافظ : « ما رأينا الرحَّالة في بلدٍ من بلاد الإسلام أكثر منها إليه ـ يعني أبا العباس الأصَمّ ـ فقد رأيتُ جماعةً من أهل الأندلس ، والقَيْروان ، وبلاد المغرب على بابه ، وكذلك رأيتُ جماعة من أهل (طراز) و(اسْفِيْجَاب) وأهل المشرق على بابه ، وكذلك رأيتُ في عرض الدنيا من أهل (المنصورة) و(مُلْتان) وبلاد (بُسْت) و(سِجسْتان) على بابه ، وكذلك رأيتُ جماعةً من أهل (فارس) و(شِيْراز) و(خوزستان) على بابه ، فناهيك بهذا شرفاً واشتهاراً وعلواً في الدين ، وقبولاً في بلاد المسلمين بطول الدنيا وعرضها ، كذا قال السَّمْعاني في الأنساب .

وكان أهلُ العلم من الهند في صدر الإسلام صِنْفَين .

(الأول) من أبناء الموالي الذين جَلَبهم المسلمون من الهند إلى بلادالعرب وألحقوهم بهم .

(والثاني) من أبناء المجاهدين والمسلمين الذين قدموا إلى الهند وسكنوا فيها . وكلا الصِّنفين من علماء الهند ، ونذكر بعض من وجدنا ذكره منهم إلى الدولة الأموية :

١ـ مَكْحُوْل بن عبد الله الإمام السِّنْدي الشَّامي : تابعيٌّ ، يروي عن أنس ، وأبي أُمَامَة ، ووَاثِلة وغيرهم .

٢ـ عبد الرحمن السِّنْدي : تابعيٌّ ، سمع عن أنس . =

=

٣ـ موسى السَّيْلاني : تابعيٌّ ، يروي عن أنس بن مالك .
٤ـ عبد الرحمن بن أبي زيد البَيْلَماني : تابعيٌّ ، مولى عمر ، روى عن ابن عباس ، وابن عمر .
٥ـ حارث البيلماني : تابعيٌّ ، روى عن ابن عمر .
٦ـ محمد بن الحارث البيلماني : من أتباع التابعين .
٧ـ محمد بن عبد الرحمن البيلماني الكوفي : مولى آل عمر ، قال البخاري ، والنسائي ، وأبو حاتم : مُنْكَرُ الحديث .
٨ـ محمد بن إبراهيم البيلماني : من أتباع التابعين .
٩ـ عبد الرحمن بن عمرو الإمام السِّنْدي الأوزاعي : من أتباع التابعين ، شيخ الإسلام .
١٠ـ أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السِّنْدي المَدني : من أتباع التابعين ، ورأى سَهْلَ بن حُنَيْف .
١١ـ عبد الرحيم بن حمَّاد الثَّقفي الدَّيْبلي السِّنْدي البَصْرِي : من أتباع التابعين ، روى عن الأعمش ، وكان من المشائخ .
١٢ـ عبد الرحمن بن السِّنْدي : من أتباع التابعين .
١٣ـ سندي بن شماس السَّمَّان البَصْري : من أتباع التابعين ، روى عن عطاء وعن ابن سِيْرِيْن .
١٤ـ قَيْس بن بسرين السِّنْدي النَّصْرِي : من أتباع التابعين .
١٥ـ مِقْسم القَيْقاني الكوفي .
١٦ـ إبراهيم بن مِقْسَم القَيْقاني الكوفي .
١٧ـ رِبْعِي بن إبراهيم بن مِقْسَم القَيْقاني البَصْري .
١٨ـ إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسَم القَيْقاني البَصْرِي .
١٩ـ إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسَم القَيْقاني البصري .
٢٠ـ يزيد بن عبد الله القُرَشي البَيْسَرِي السِّنْدِي : من أتباع التابعين ، روى عن الثَّوْري وابن جُرَيْج .
٢١ـ عُبيد بن باب السِّنْدي البَصْري : كان في زمن التابعين .
٢٢ـ عمرو بن عُبيد بن باب السِّنْدي البَصْري : من أتباع التابعين ، شيخ المعتزلة ، وصاحب الفرقة العُمَرية .
ولمَّا انقرضت دولةُ العرب من بلاد (السِّند) ، وتغلَّبت عليها الملوك الغَزْنَوِيَّةُ والغَوْرِية ،

« فلمَّا انقرضت دولةُ العرب من بلاد السِّنْد وتغلَّبت عليها الملوكُ الغَزْنَوِيَّةُ والغَوْرِيَّة ، وتتابع الناسُ من (خُراسان) و(ما وراء النَّهر) صار الحديثُ فيها غريباً كالكِبْرِيت الأحمر ، وعديماً كعَنْقاء مُغْرِب ، وغلب على الناس الشعرُ والنجومُ والفنونُ الرياضيةُ ، وفي العلوم الدينيةِ الفقهُ والأصولُ ، ومضت على ذلك قرونٌ متطاولةٌ ، حتى صارت صناعةُ أهلِ الهند حكمةُ اليونان ، والإضراب عن علوم السُّنَّةِ والقرآن إلا ما يذكر من الفقه على القِلَّة ، وكان قُصَارى نظرهم في الحديث في « مشارق الأنوار » للصَّاغَاني[1] ، فإن ترفَّعَ أحد إلى « مصابيح السنَّة »

= وتتابع الناسُ من (خُرَاسان) و(ما وراء النهر) صار الحديثُ فيها غريباً ، وغلب على الناسِ الشعرُ والنجوم والفنون الرياضية ، وفي العلوم الدينية الفقهُ والأصولُ ، ومضت على ذلك قرونٌ متطاولةٌ حتى مَنَّ الله تعالى على الهند بإفاضة هذا العلم ، فورَد به بعضُ العلماء في القرن العاشر .

كالشيخ عبد المُعْطي بن الحسن بن عبد الله باكثير المَكِّي ، المتوفَّى بأحمد آباد سنة ٩٨٩هـ.

والشهاب أحمد بن بدر الدين المصري ، المتوفى بأحمد آباد سنة ٩٩٢هـ .

والشيخ محمد بن أحمد بن علي الفاكهي الحنبلي ، المتوفى بأحمد آباد سنة ٩٩٢هـ .

والشيخ محمد بن محمد عبد الرحمن المالكي المصري ، المتوفى بأحمد آباد سنة ٩١٩هـ .

والشيخ رفيع الدين الجِشْتي الشِّيْرازي ، المتوفى بأكبر آباد سنة ٩٥٤هـ .

والشيخ إبراهيم بن أحمد بن الحسن البغدادي ، والشيخ ضياء الدين المدني المدفون بكاكُوري .

والشيخ بَهْلُول البَدَخْشي .

والخواجه مِيْركَلان الهَرَوي ، المتوفى بأكبر آباد سنة ٩٨١هـ وخَلْقٌ آخرون .

ثم وفَّق الله سبحانه بعضَ العلماء من أهل الهند أنْ رحلوا إلى الحرمين الشريفين ، وأخذوا الحديثَ وجاؤوا به إلى الهند ، وانتفع بهم خَلْقٌ كثيرٌ . (مستفاد في هذا التعليق من « العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين » للقاضي أطهر المُبَارَكْفُوري ، و« الثقافة الإسلامية في الهند » للعلامة عبد الحي الحسني) .

(١) هو الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العَدَوي العُمَري الصَّاغاني الحنفي رضي الدين (٥٧٧ ـ ٦٥٠هـ) : أحد أعلم أهل عصره في اللغة ، وكان فقيهاً محدِّثاً ، وُلِد في (لاهُور) بالهند ، ونشأ بـ (غَزْنة) من بلاد السِّنْد ، ودخل بغدادَ ورحل إلى اليمن ، وتوفِّي ببغداد . =

للبَغَوي[1] ، أو إلى « مشكاة المصابيح » ظنَّ : أنه وصل إلى درجة المحدِّثين وما ذلك إلى لجهلهم بالحديث »[2] .

واستمرَّ الحالُ على ذلك وتفاقَمَ الخَطْبُ ، حتى كادت صلةُ المسلمين في الهند تنقطع عن هذا المعين الصافي ، والمصدر الأصل للدين ، وأصبحت الهند تعيش في عُزْلَةٍ عن حركة التأليف والتعليم في البلاد العربية ، وتخلَّفت عن رَكْب العلوم الإسلامية ، وأصبحت عالماً مستقلاً منفصلاً ، ولما زار الشيخُ شمس الدين المصري[3] هذه البلاد في عهد علاء الدين الخَلْجِي[4] في القرن الثامن الهجري آلَمَه ذلك وأفزَعه ، فكتب رسالةً إلى السلطان يُؤاخِذ فيها الفقهاءَ في هذه البلاد على قِلَّة الاعتناء بالحديث ، ولكن علماء البلاد احتالوا في منع هذه الرسالة عن الوصول إلى السلطان[5] .

وأدركت الهندَ العنايةُ الإلٰهية ، فأتْحَفَ الله هذه البلادَ بالوافدين الكِرَام من المحدِّثين ، من الحجاز ، وحَضْرَمَوْت ، ومصر ، والعراق ، وإيران وذلك في

= وله مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ ، منها : « مشارق الأنوار » في الحديث ، و« الشوارد في اللغات » و« الأضداد » في اللغة . (**الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : ١/ ٩١**) ، و(**الفوائد البهية : ص٦٣**) ، و(**الأعلام : ٢/ ٢١٤**) .

(١) هو الحسين بن مسعود بن محمد ، الفَرَّاء ، أو ابن الفَرَّاء ، أبو محمد ، ويلقَّب بـ « محيي السنَّة » البَغَوي (٤٣٦ـ٥١٠هـ) : فقيهٌ ، محدِّثٌ ، مفسِّر ، نسبتُه إلى (بَغَا) من قُرى خُرَاسان . وله في الحديث : « شرح السنة » و« مصابيح السنة » . و« الجمع بين الصحيحَين » وفي التفسير « لباب التأويل في معالم التنزيل » وغير ذلك (**وفيات الأعيان ١/ ١٤٥**) ، و(**الإعلام ٢/ ٢٥٩**) .

(٢) راجع « تاريخ فيروز شاهي » للقاضي ضياء الدين البَرْني .

(٣) لم أعثر على ترجمته .

(٤) هو الأمير الكبير : علاء الدين علي مَرْدان الخَلْجي ، أحدُ الرجال المعروفين بالجَلادة ، قاتل كفَّارَ الهند ، وضبط البلادَ وأحسَنَ إلى الناس ، حكم الهند سنتين بعد وفاة السلطان قطب الدين أيْبَك ، توفي سنة ٦٠٩هـ . (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ١/ ١١٠) .

(٥) اقرأ أسماءهم في كتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » (ص١٣٦) .

القرن العاشر الهجري ، ولكن أكثرهم آثروا الإقامةَ في « كُجْرَات » لوجود دولةٍ إسلاميةٍ تحمي العلومَ ، وتحتضن العلماء ، وامتاز ملوكها بتحصيل علم الحديث ، والشغف به ، وأكثر هؤلاء الوافدين ماتَ ، ودُفِنَ في (أحْمَدْ آباد)[1] عاصمة حكومة كُجْرَات .

ثم ساق بعضَ علماء الهند سائقُ التوفيق إلى الحرمَين الشريفَين مصدر هذا العلم ومعقله ، يطول ذكرُ أسمائهم ، أشهرهم : الشيخُ حسام الدين علي المُتَّقي صاحب « كَنْز العُمَّال » المتوفى سنة ٩٧٥هـ[2] ، وتلميذه الشيخ محمد بن طاهر الفَتَّنِي صاحب « مجمع البحار » المتوفى سنة ٩٨٦هـ[3] ، فخدما علمَ الحديث خدمةً

---

(١) وهي المدينة التي وقعت فيها في سبتمبر (١٩٦٩م) المَجْزَرة التي ذهب ضحيتها آلاف من المسلمين .

(٢) هو الشيخُ الإمام ، العالم الكبير المحدِّث : علي بن حسام الدين بن عبد الملك بن قاضي خان المُتَّقِي البُرْهَانْفُوْرِي (٨٨٥ ـ ٩٧٥هـ) : وُلد بمدينة (بُرْهَانْفُوْر) قرأ على كبار علماء عصره ، ثم رحل في طلب العلم ، وأخذ الحديث على الحافظ ابن حجر الهَيْثَمي . أثناء إقامته بمكة المكرمة . ورجع إلى الهند وتفرَّغ للدرس والإفادة .
كان على جانبٍ عظيمٍ من الورع والتقوى ، والاجتهاد في العبادة . توفي بمكَّة المكرَّمة . وله مصنَّفات عظيمة ، منها : « كنز العمال » ، قال الشيخ أبو الحسن البكري الشافعي : « إنَّ للسيوطي منةً على العالمين ، وللمتقي منةٌ عليه » . (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : ٤٠/٣٨٧ـ٣٨٩) .

(٣) هو الشيخ الإمام الكبير المحدِّث اللُّغوي العلامة : مجد الدين محمد بن طاهر بن علي الحنفي الفَتَّني (٩١٠ ـ ٩٨٦هـ)، عالمٌ بالحديث ورجاله ، كان يلقَّب بـ« ملك المحدِّثين » ، نسبتُه إلى (فَتَّنْ) من بلاد كُجْرات بالهند ، ومولده ووفاته فيها . زار الحَرمين والتقى بكثيرٍ من العلماء وعاد ، فانقطع للعلم . ودعا إلى مناوأة البَوَاهِيْر (طائفةٌ في كُجْرات تتسمَّى بالإسلام ، وهم ذوو تجارةٍ وصناعاتٍ) وكانوا قومَه ، أنكر عليهم بِدْعتهم ، فانفردوا به فقتلوه بالقُرْب من بلدة (أُجَيْن) ، ودُفن بـ(فَتَّنْ) ، من كُتبه : « مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار » و« تذكرة الموضوعات » ، « المغني في ضبط أسماء الرجال » . (« الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » : ٤/٤٠٩ ، و« الأعلام » : للزركلي ٦/ ١٧٢) . =

باهرةً ، وألَّفا مؤلَّفاتٍ عظيمةً ، حتى جاء دورُ الشيخ العلامة عبد الحق بن سيف الدين البُخاري الدِّهلوي ، المتوفى سنة ١٠٥٢هـ[١] فأخذ علمَ الحديث من علماء الحجاز ونقله إلى الهند واتخذ دار الملك « دِهْلي » مركزاً له ، وشمَّر عن ساق الجدِّ ، والاجتهاد في نشر علم الحديث ، وخدمته تعليماً وتدريساً وشرحاً وتعليقاً ، فأقبل العلماءُ على علم الحديث ، وانتشرت الصحاح وتداولتها الأيدي ونفقت سوق هذا العلم بعد كسادها لقِلَّة البضاعة وزهد العلماء فيه ، وخلفه ولدُه وأولاد أولاده ، ودرَّسوا وألَّفوا ، ونهض علماءُ كبار في كلِّ طرفٍ من أطراف الهند ، ونبغ فيهم رجالٌ يُعْتَرفُ بفضلهم وحِذْقهم للصناعة .

ثم جاء دورُ شيخ الإسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدِّهْلَوي المعروف بوَلِيِّ الله المتوفى سنة ١١٧٦هـ[٢] فرحل إلى الحجاز ، وأخذ الحديثَ عن الشيخ أبي طاهر محمَّد بن إبراهيم الكُرْدي المَدَني ، وعاد وقصر همَّته على نشر الحديث ، فقامت دولةُ الحديث في الهند ، وهبَّت رِيحُه . تجري رُخاءً من الشرق إلى الغرب ،

---

(١) هو الشيخ الإمام ، العالم العلامة ، المحدِّث الفقيه : الشيخ عبد الحق بن سيف الدين بن سَعْد الله البخاري الدهلوي . (٩٥٩ـ١٠٥٢هـ) : المحدِّث المشهور . أول من نَشَر علمَ الحديث بأرض الهند تصنيفاً وتدريساً ، مولده ووفاته بمدينة (دهْلي) . كان محدِّث الهند في عصره . جاوَرَ في الحرمَين الشريفين أربع سنوات ، وأخذ عن علمائهما . بلغَت مصنَّفاته مئة مجلَّد بالعربية والفارسية ، منها : مقدمة في مصطلح الحديث بالعربية . (الإعلام بمن في الهند من الأعلام : ٥/ ٥٥٣ ـ ٥٥٧) .

(٢) هو الإمامُ حكيمُ الإسلام قطب الدين أحمد وَليُّ الله بن عبد الرحيم العُمَري الدِّهْلَوي ، مُسْنِدُ الهند وأعلم أسرار الشريعة (١١١٤ ـ ١١٧٦هـ) ، قرأ سائر العلوم على والده ، وكان يختلف إلى المحدِّث الشيخ محمد أفضل السِّيالْكُوْتي واستفاد منه في الحديث ، سافر إلى الحرمين الشريفين ، وأقام بهما عامَين وصحب علماءها وأخذ الحديث عن الشيخ أبي طاهر الكُرْديِّ ورجع إلى الهند ونشر الحديث فيها ، وقد ألهمه الله تعالى من العلوم والأسرار وجمع فيه من العلوم ما يندر نظيرُها في تاريخ الأمم والديانات ، يقول عنه شيخه الكردي : « يسند عني اللفظ وكنت أصحِّح منه المعنى » ، ومن أشهر مصنَّفاته : « حجة الله البالغة » في علوم أسرار الشريعة . (نزهة الخواطر : ٦/٣٩٧) ، (رجال الفكر والدعوة : ٤) للعلامة أبي الحسن الندوي ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

ومن الشمال إلى الجنوب ، وتهافت على طلبه رُوّادُ علم الحديث من أقصى الهند إلى أقصاها ، وأصبح علمُ الحديث شرطاً للكمال ، وشعاراً لأهل الصلاح والعقيدة الصحيحة ، حتى أصبح العالِمُ لا يعتبر عالماً حتى يبرز فيه ، وتقرَّر تدريسُ الصحاح الستة في كلّ حلقةِ تدريسٍ ، وانتشر تلاميذُه وتلاميذ تلاميذهم في طول الهند وعرضها ، كشجرة « طُوْبى » التي يُوجد فَرْعُها في كلِّ مكانٍ ، ولا يعرف أصلْها ومركزها ، فما من سندٍ ولا درسٍ ولا تأليفٍ ولا حركةِ إصلاح وتجديدٍ إلا وينتهي نسبُه العلميُّ إلى هذه الدَّوْحَة المباركة ، وفروعها السَّامقة ، وقد صدق من قال[١] :

مَـن زار بـابَـكَ لـم تبـرَحْ جـوارحُـهُ تـروي أحـاديـثَ مـا أوليـت مـن مِنَـنِ

فـالعَيْـنُ عـن قُـرَّةٍ والكـفُّ عـن صلـةٍ والقلبُ عن جابرٍ والسَّمْعُ عن حَسَنِ[٢]

وخلف الشيخُ وَلِيُّ الله ابنَه النجيب وتلميذه الرشيد الشيخ عبد العزيز بن ولي الله المتوفى سنة ١٢٣٩هـ[٣] ، وقد بارك الله في تدريسه ، وتخرَّج عليه علماءُ أعلام ،

---

(١) انظر « المستطرف » (١/ ٣٧٩) .

(٢) (قُرَّة) و(صِلَة) و(جابر) و(حسن) ، الكلمات التي جاءت في هذين البيتين كلها أسماء رواة الحديث الكبار ، وقد ورد في « تهذيب التهذيب » ستة رجال اسم كل واحد منهم « قُرَّة » مثل قُرَّة بن إيَاس ، وقرة بن حبيب ، وقرة بن خالد ، وغيرهم ، والمراد بـ« صِلة » ، هو صلة بن زفر العبسي ، و« جابر » هو جابر بن عبد الله الصحابي المشهور و« حسن » هو الحسن بن يَسَار البصري الإمام المشهور .

(٣) هو الإمام العلامة الشيخ عبد العزيز بن وَلِي الله الدِّهْلَوي العُمَري ، الملقَّب بـ« سراج الهند » (١١٥٩ ـ ١٢٣٩هـ) ، أخذ عن والده ، وبعد وفاته أخذ عن الشيخ نُور الله ، والشيخ محمد عاشق ، والشيخ محمد أمين الكشميري ، وهم كانوامن أجلَّة أصحاب والده ، حتى برع في العلوم ، وحصَلَت له الملكةُ الراسخةُ ، كان أحدَ أفرادِ العالم بفضله وعلمه وذكائه وفهمه وسرعة حفظه ، اشتغل بالدرس والإفادة وله خمسَ عشرة سنة فدرَّس وأفاد حتى صار في الهند العلم المفرد ، وتخرَّج عليه كثيرٌ من العلماء والمشايخ كالشيخ عبد القادر الدِّهْلَوي ، والإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، والمفتي إلهي بَخَشْ الكَانْدَهْلَوي وغيرهم ، له مصنَّفات ، منها : « تفسير القرآن » وقد ضاع معظمها في ثورة الهند ، (نزهة الخواطر : ٧/ ٢٦٨) (رجال الفكر والدعوة : الجزء الرابع للعلامة الندوي) .

ومحدِّثون عظامٌ ، أشهرهم وأعظمهم توفيقاً في نشر الحديث وتربية الأساتذة والمدرِّسين ، سِبْطُه الشيخ محمد إسحاق بن محمد أفضل العُمَري المتوفى سنة ١٢٦٢هـ[١] ، فقد انتهت إليه رئاسةُ الحديث في العصر الأخير ، وأصبح المَرْجِعَ والمآب في التدريس والتخريج ، وشُدَّتْ إليه الرِّحالُ من أقاصي البلاد ، وكتب الله له من التوفيق والقبول ما لم يكتبه لأحدٍ من معاصريه في الهند ، وفي أكثر الأمصار الإسلامية ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ومنه تبتدىء وعليه تلتقي جميعُ المدارس الفكرية[٢] في فهم الحديث وشرحه وتأويله ، وهي على اختلاف مشاربها وتباين مذاهبها ترد نسبها العلمي وينتهي بسندها في الحديث إليه ، فهو مسند الهند وواسطة العقد ، ومنتهى أهل الرواية في العصر الأخير .

ومِن أنجب تلاميذه وأشهرهم : الشيخُ عبد الغني بن أبي سعيد المُجَدِّدي الدِّهْلوي المتوفى سنة ١٢٩٦هـ[٣] المهاجر إلى المدينة المنوَّرة ، فقد انتفع بدروسه في الهند وفي الحرمَين الشريفين خَلْقٌ كثيرٌ ، وتخرَّج على يده عددٌ من المخلصين

(١) هو الشيخ العالم المحدِّث سراج أحمد بن مُرْشِد العُمَري السَّرْهِنْدِي ثم الرَّامْفُوري (١١٧٦ ـ ١٢٣٠هـ) ، نشأ في مهد أبيه ، وانتفع بعلومه . له مصنَّفات ، منها شروحه على « صحيح مسلم » و« جامع الترمذي » و« سنن ابن ماجه » كلها بالفارسية (الأعلام : ٧/ ٢١٧) .

(٢) كمدرسة المحدِّث الشهير الشيخ نذير حسين الدِّهْلَوي وتلاميذه ، وكمدرسة الشيخ عبد الرحمن البَانِي بَتِيْ ، والشيخ عالم علي النَّكِيْنَوِي ، والشيخ أحمد علي السَّهَارَنْبُوري ، والشيخ عبد الغني المُجَدِّدي .

(٣) هو الشيخُ الإمام العالم المحدِّث : عبد الغني بن أبي سعيد بن الصَّفي العُمَري الدِّهْلَوي (١٢٣٥ ـ ١٢٩٦هـ) : أحدُ العلماء الربَّانيِّين ، كان من ذُرِّيَّة الشيخ أحمد بن عبد الأحد السَّرْهِنْدي (إمام الطريقة المُجَدِّديَّة) ، ولد بمدينة (دِهْلي) ، أقبل على الفقه والحديث إقبالاً عظيماً من مقتبل عمره ، سمع الحديث عن الشيخ إسحاق بن أفضل الدهلوي ، وسافر إلى الحرمين ، وأسند الحديثَ عن الشيخ محمد عابد السِّنْدي ، ثم رجع إلى الهند ، واشتغل بالحديث ، وأخذ عنه خَلْقٌ كثيرٌ ، ثم اضطرَّ إلى السفر إلى الحجاز وأقام بها حتى وافاه الأجل المحتوم بالمدينة المنوَّرة . وله حاشية نفيسة على « سنن ابن ماجه » سمَّاه « إنجاح الحاجة » (الإعلام : ٧/ ١٠٢٤) .

والعلماء الربَّانيِّين ، الذين وقفوا حياتَهم على تدريس الحديث الشريف ونشره وخدمته .

وبفضل هؤلاء المخلصين الذين وهبوا حياتهم لنشر الحديث وتدريسه ، والتأليف في فنونه وفروعه ، أصبحت الهندُ مركزاً لهذا العلم ومنتجعاً لرُوَّاد هذا الفَنِّ ، بعدما عاشَتْ قروناً مُتَطفِّلَةً على مائدة البلاد العربية ، تقتبس منها هذا العلمَ بعد فترةٍ ، وتشعل مصباحها بعدما ينفد زيتُه من مصباحٍ من مصابيح هذا العلم في بلاد العرب ، وأشرقت الهندُ بنور هذا العلم وانتشرت المصابيحُ في جميع نواحيها كالكواكب الدُّرِّية ، وقامت في وقتٍ واحدٍ في مُدُنٍ كثيرةٍ في هذه البلاد وبعض قُرَاها حلقاتٌ مختصَّةٌ لتدريس علم الحديث ، يَشُدُّ العلماء المتخرِّجون في العلوم الأخرى إليها الرِّحالَ ، فيعكفون على طلب الحديث النبويِّ عكوفاً كاملاً ، سنةً أو أكثر منها ، وينقطعون إليه انقطاعاً كلياً ، لا يشوبهم غرضٌ ، ولا يُزاحمه علمٌ ، ولا يتوزَّع هَمُّهم ، ولا يتشوَّش خاطرُهم ، يقتصرون في أكثر الأحيان على شيخٍ واحدٍ ، وعلى علمٍ واحدٍ ، وعلى غرضٍ واحدٍ ، حتى يخرجوا من هذه الحلقات أساتذةً معلِّمين ، ومربِّين مُرشدين ، فيلتف حولهم التلاميذ النجباء ، والمتخرِّجون في المدارس ، شأنهم مع أساتذتهم وشيوخهم ، ويتصل الأمرُ وينتقل النورُ وتتسع الدائرة إلى ما يشاء الله .

وكانت هذه الحلقاتُ التي تنبع من فردٍ ، وتدور حولَه ، قائمةً في أكثر المُدُن الرئيسية والقُرَى الشهيرة كدِلْهي ، ولَكْنُو ، وسَهارَنْفُور ، وبَاني بَتْ[1] ، ودِيُوْبَنْدَ ، ومُرَادْ آباد ، وبُوفَال ، ومن القُرى نـگوه ، وكَنْجَ مُرَادْ آباد[2] وغيرها .

---

(١) كان يدرِّس فيها الشيخُ عبد الرحمن البَانِي بَتِي المتوفَّى (١٣١٤هـ) من كبار تلاميذ الشيخ محمد إسحاق .

(٢) كان يدرِّس الحديث الشريف فيها العارفُ الكبير الشيخ الجليل مولانا فضل الرحمن الكَنْج مُرَادْ آبادي المتوفى (١٣١٣هـ) تلميذ الشيخ محمد إسحاق، وله إجازةٌ عن الشيخ عبد العزيز بن ولي الله .

وكانت (كَنْكُوه) مركزاً للعلامة الشيخ رشيد أحمد الكَنْكُوْهي[١] المتوفى سنة ١٣٢٣هـ تلميذ الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد المُجَدِّدي[٢] ، وقد جمع بين التربية والإرشاد والتدريس والإفتاء ، وكان يُدَرِّس في علوم متنوِّعة ، ثم انقطع إلى تدريس الحديث الشريف ، واقتصر عليه دونَ سائر العلوم ، وقصده الطَّلَبَةُ والعلماء من الآفاق ، وكانوا يمكثون عنده سنةً يقرؤون عليه الصحاح الستة[٣] ، وينتفعون بصحبته وتربيته ، ويتَّخذونه قدوةً في الأخلاق والعادات ، والأعمال والعبادات ، واتباع السنَّة والنفور عن البِدَع ومحدثات الأمور ، ويتذوَّقون علم الحديث ممارسةً ومدارسةً ، ويتضلَّعُون بحُبِّه ، ويعزمون على خدمته ونشره ، وإيثاره على جميع العلوم والأشغال لمَّا رأوا من شيخهم التفانيَ في الاشتغال به ، وأنَّه قد خالط لَحْمَه ودَمَه ، وظهر في حياته وحركاته وسكناته ، وقد ذكره صاحب « الثقافة الإسلامية في الهند »[٤] فقال : « أخذ عن الشيخ عبد الغني المذكور ، ودَرَّسَ ثلاثين سنةً ، وكان تدريسه للأُمَّهات السِّتِّ في سنةٍ كاملةٍ على وجه التدبُّر والإتقان ، والضَّبْط والتحقيق ، لا يُعادله في ذلك أحدٌ من معاصريه[٥] .

وكان مِن أنجب تلاميذه وأوفاهم لعلومه وتراثه العلمي ، وأحرصهم على نشره وإفاضته : الشيخ محمَّد يحيى بن محمد إسماعيل الكَانْدَهْلَوي المتوفَّى ١٣٣٤هـ[٦]

---

(١) انظر ترجمته في صفحة (٢١٥) .

(٢) قد سبقت ترجمته آنفاً .

(٣) يُطْلِق بعضُ علماء الهند هذه التسميةَ على « الكتب الستة » وذلك من باب التغليب ، إذ إنَّ « الصحيحين » وصِحَاح هذه الكتب تغلب على ضِعافها ، وإلَّا فإنَّ السُّنَن الأربعة تشتمل على أحاديثَ ضعيفةٍ مُنكَرةٍ ، بل وبعض الموضوعات أيضاً .

(٤) هو مؤرِّخ الهند الأكبر ، المحدِّث ، الفقيه، الطبيب: الشيخ عبد الحي الحسني بن فخر الدين الحسني، والد العلامة أبي الحسن النَّدْوي، صاحب مؤلَّفاتٍ قيمةٍ في الحديث، والتاريخ، وغيرهما ، انظر ترجمتَه في أول مقدِّمة « تهذيب الأخلاق » في صفحة (٢٠١) .

(٥) « الثقافة » (ص١٤١) .

(٦) هو العالمُ الكبير المحدِّث الفقيه : الشيخ محمد يحيى بن محمَّد إسماعيل الكَانْدَهْلَوي (المتوفى سنة ١٣٣٤هـ): والدُ المحدِّث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ـ رحمه الله ـ=

وكانت له ملكةٌ علميةٌ راسخةٌ ، يتوقَّد ذكاءً وفِطْنةً ، وكان شيخُه عظيمَ الحُبِّ كثير الإيثار له ، قد اتخذه بطانةً لنفسه ، ورواية علمه ، وكاتِبَ رسائله ، فقيَّد دروسَ الشيخ ، ودوَّن أماليه ، ونقَّحها وحرَّرها ، فجمع ما سمع منه في درس « سنن الترمذي » في مجموع سمَّاه « الكوكب الدُّرِّي »[١] وجمع ما سمعه في درس « الجامع الصحيح » للبخاري في كتابٍ آخر[٢] ، فحفظ ذلك قسطاً كبيراً من علمه وتحقيقاته ، وجعلها كلمةً باقيةً في عَقِبه .

* * *

وصاحبُ مقدِّمة « أوجز المسالك إلى شرح موطَّأ الإمام مالك » هو ابنُ الشيخ محمد يحيى البارُّ الذي أراد الله أن يُكْمِل ما بدأه أبوه ، وأن ينشر ما دَوَّنَه من أمالي شيخه وعلومه ، وأن يزيدها تنقيحاً وتهذيباً ، ويُضيف إليها الشيء الكثير من تحقيقاته وحصيلةِ دراسته ومطالعاته ، ونتيجةِ فكره وتأمُّلاته ، وأن يكون رُكْناً من أركان علم الحديث في هذه البلاد ، وفي هذا العصر الأخير يُعيد إليه زُهْرَته ونَضَارته ، ويجدِّد ذكرى مآثر السَّلف في الانقطاع للعلم والتبتُّل له ، وعُلُوِّ الهِمَّة وشِدَّة المجاهدة ، وقُوَّة النفس ، والانصراف إلى معالي الأمور ، والزُّهْد في سَفْسَافِها[٣] ومحقراتها ، والاستهانة بِزَخَارِف الحياة ، والاستغراق في المطالعة والتأليف والتعليم والتدريس ، والانصراف عمَّا لا يعنيه إلى ما ينفعه وينفع الناس ، وفي سَعَة الأخلاق ، وسماحة النفس ، ورحابة الصدر ، والاحتمال للأضداد

= حفظ القرآنَ في صباه، وقرأ على أبيه حتى برع في المعقول والمنقول، أخذ الحديثَ عن العلامة رشيد أحمد الكَنْكُوهي، درَّس في « مظاهر العلوم » على طلبٍ من العلامة خليل أحمد السَّهَارَنْفُوري، كان له شغفٌ خاصٌّ بتلاوة القرآن الكريم، وإعانة اليتامي والمساكين، توفِّي بـ (سَهَارَنْفُوْر) ودُفِنَ بها .

(١) طُبع الكتاب في جزأين في الهند. ثم طُبع في أربع مجلَّدات.

(٢) سمَّى هذا الكتاب من بعد بـ « لامع الدَّرَاري » تم في ثلاثة أجزاء، ثم طبع في (١٠) مجلَّدات . (انظر مقدِّمة العلاَّمة النَّدْوي له في صفحة : ٢١٧) .

(٣) السَّفسَاف : الردي الحقير من كل شيءٍ وعملٍ.

والأشتات من الأعمال والأشغال ، والمشارب والأذواق ، والأفراد والجماعات ، ما لا يوفَّق له ولا يقدر عليه إلا الأفرادُ القلائلُ في فتراتٍ طويلةٍ من أهل النفوس الزكيَّة ، والقُوَّة القُدْسِيَّة ، والهِمَّة القَعْساء العَلِيَّة .

وُلد في بيتٍ عريقٍ في العلم والدين ، امتاز رجالُه وأسلافه بعُلُوِّ الهِمَّة ، وشِدَّة المجاهدة ، والتمسُّك بالدين والصَّلابة فيه ، والحرص على حفظ القرآن وقراءته وطلب العلوم الدينية ؛ أشهرهم في الأولين الشيخ العلامة : المفتي إلٰهي بَخَشْ الكاندهلوي (١١٦٢ ـ ١٢٤٥هـ)[١] تلميذ الشيخ عبد العزيز بن وَلِيّ الله الدِّهْلَوي ، وخليفة المجاهد الشهير السيد أحمد الشهيد البَرِيْلَوي[٢] ، وأشهرهم في الآخرين :

---

(١) أحدُ العلماء المبرِّزين في المعارف الإلٰهية، يرجع نسبُه إلى الإمام فخر الدين الرازي، ثم إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، مولدُه ووفاتُه بـ « كَانْدَهْلَة ». وله مصنَّفات عديدة، منها: « جوامع الكَلِم » في الحديث، و« شيم الحبيب في ذكر خصائل الحبيب » في علم السنَّة، و« تكملة المثنوي المعنوي ». (الإعلام: ٧/ ٩٢١ ـ ٩٢٢) .

(٢) يقول عنه الكاتب الإسلامي الكبير الدكتور محمد رجب البَيُّومي :
« لو تعارف المسلمون في بُقَاع الأرض سِيَرَ رِجالهم في الوطن الإسلامي الكبير، وطن الإسلام، لكان اسمُ أحمد بن عرفان الشهيد يتردَّدُ في آفاق آسيا وأفريقية كما يتردَّدُ أسماءُ شهداءِ الإسلام من لَدُنِ العصر الأوّل إلى الآن، لقد تطلَّعَ الشهيدُ المِغْوَار إلى ما حوله، فأزعجه أنْ يرى ويسمع عن فظائع طائفة السِّيْخ في البَنْجاب، إذ قدموا على قتل الأبرياء من المسلمين وهَدْم المنازل، وهَتْكِ الأعراض. فغَضِبَ لدين الله، ولإخوته في الإسلام، ورَفَعَ رايةَ الجهاد، واستَنْصَرَ الأبطال من كلّ صوبٍ، فهُرِعوا إليه ملبِّين، وبُويعَ بالإمارة في جمادى الآخرة ١٢٤٢ . ثم قاد الجيوشَ من نصرٍ إلى نصرٍ حتّى إذا أعيتْ أعداءَه الحيلةُ لجؤوا إلى الدَّسِّ حين هالهم أن يُنشىء الإمامُ أحمد دولةً إسلاميةً على الحُدود الشمالية من الهند أثبتت قُوَّةَ الإسلام وحميَّته، وبقيَتْ أربعَ سنين ترفع رايةَ الإسلام، حتى ارتاعتْ بريطانية ، وأمدَّت السِّيخَ بالسِّلاح الأوروبي الحديث، ثم استعانت أيضاً برجال السُّوء ممَّن جهلوا خُبْثَ المحتلّ، وأغراهم المنصب والذهب والجاه، فجعلوا يُثيرون الفتنة؛ ولجأ الإمامُ إلى (كَشْمير) مُجاهداً، ولكنّ اجتماعَ الإنجليز والسِّيْخ والطابور الخامس من المنافقين، قد كان أكبرَ منَ أن تصمد أمامه القلَّة المؤمنة، ولكنّها آثرت الاستبسالَ على الفرار، واستُشهد الإمامُ في معركة (بَالاكُوْت) استشهادَ الحُسين في كربلاء [عام ١٢٤٦هـ]، وهي مآسٍ تتكرَّر، على الزمن، دون اعتبارٍ . . « النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين »: ١/ ٢٢ ـ ٢٣،=

الدَّاعي إلى الله المشهور في الآفاق ، عمُّه الشيخ محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكَانْدَهْلَويّ[1] صاحب دعوة « التبليغ » المشهورة (م ١٣٦٣هـ) ، ودَرَّس وجاهد في سبيل الله غيرُ واحدٍ من أفراد هذه الأسرة ، وجَدُّه الشيخ محمد إسماعيل (م١٣١٥هـ) من الذين اتفقت الألسنةُ على إخلاصه وصلاحه وزهده .

وُلد لإحدى عشرة ليلة خلت من رمضان في (كَانْدَهْلَة) من أعمال (مُظَفَّر نَكَرْ) ، سنة ١٣١٥هـ ورضع بلبان العلم والدين ، ونشأ في تصونٍ تام ، وتربيةٍ دقيقةٍ حكيمةٍ ، ونُقِلَ إلى (كَنْكُوْه) ، وهو قريب العهد بالفِطام ، فدبَّ ودرج بين الصالحين والعلماء الراسخين ، وأدرك الشيخَ الكبير العلامة رشيد أحمد الكَنْكُوهي ، وسعد بحنانه وعطفه الأبويّ ، لِمَا بينه وبين والده من اختصاصٍ وعقل أول ما عقل أيامه وشفقته ، وقد بلغ الثامنةَ من عمره حين انتقل الشيخ إلى رحمة الله تعالى ، وبقي في كَنْكُوْه إلى أن بلغ الثانية عشرة من عمره ، فنشأ في بيئة من أفضل البيئات في ذلك الزمان ، وأكثرها محافظة على الآداب والسُّنَن ، وأبعدها عن الفساد الذي بدأ ينتشر في البلاد ، ووالده يعتني بتربيته أشَدَّ الاعتناء ، ويحاسبه على النقير والقِطْمير ، ويأخذه بعُلُوِّ الهِمَّة في كل شيءٍ ، والإقبال على العلم وصحبة الصالحين إقبالاً كلياً ، والابتعاد عن الاختلاط بالناس ، وكان والدُه أشَدَّ اعتناءً بالتربية منه بالتعليم ، فقرأ مبادىء اللغة الأردية والفارسية على عمِّه الشيخ محمد إلياس ، وحفظ القرآن .

ثم انتقل مع والده سنة ١٣٢٨هـ إلى (سَهَارَنْفُوْر)[2] المركز العلمي الكبير ،

= طبع دار القلم بدمشق » .

(١) ستأتي ترجمته في أول مقدمة : « الأبواب المنتخبة من مشكاة المصابيح في صفحة (٢٨٥) .

(٢) سَهَارَنْفُوْر : مدينة ومقرّ مُتَاخِم لمديرية ولاية (أُتْرَابَرَادِيْش)، وهي آخر المديريات بالولاية . أَسَّسها السلطان محمد عادل شاه بن غياث الدين تَغْلَقْ عام ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م . وكان اسمها التأريخي « شَهرِپُرْزَيْب » (أي « المدينة البهيَّة » ثم كان اسمها « هارون پُوْر » مِن أجل إقامة عالمٍ صالحٍ من صلحاء السلسلة الجِشْتيَّة « الشَّاه هارون » ومن أجل كثرة التداول غيّرت الألسنة هذا الاسم وحوّلته « سَهَارَنْفُور ». وهي تقع من (دِهْلي) على مسافة نحو (١٨٠) كم=

وأقبَلَ على العلم إقبالاً بالقلب والقالب ، واشتغل به بهمَّةٍ عاليةٍ ، وقلبٍ متفرِّغٍ ، وبدأ درسَ الحديث على والده ، وقد تهيَّأ تهيُّؤاً كبيراً ، ودعا في آخر الدرس دعاءً طويلاً ، ومن ذلك اليوم أصبح الحديثُ أكبرَ هَمِّه وغايةَ رغبتِه ، وشعاراً يعرف به ، وغلب على اسمه ، فاشتهر في آخر الأمر بشيخ الحديث ، وقرأ الصحاح على والده ـ غير « سنن ابن ماجه » ـ سنة ١٣٣٣هـ ، ثم قرأ « صحيح البخاري » و« جامع الترمذي » على العالم الجليل والمربِّي الكبير الشيخ خليل أحمد السَّهَارَنْفُوْري[١] ، ـ الذي قدَّر الله أن يكون أكبر خلفائه ، وناشر علومه ، ومفيض بركته ـ سنة ١٣٣٤هـ ، وكان ذلك بطلب واقتراح من الشيخ لما توسَّم فيه من النَّجَابة ، وصدقِ الطلب وعُلُوِّ الهِمَّة ، ولِمَا بينه وبين والده من الحُبِّ العميق ، والرباط الوثيق ، وقضى هذه المُدَّة في عكوفٍ كاملٍ على الدراسة ، وفي إجهاد النفس وإرهاقها في المطالعة ، والإطلاع على المصادر ، والاستعداد للدروس .

وكان ممَّا أكرمه الله به : أنَّ شيخه أبدى رغبتَه وحرصه الشديد على وضع شرح لـ « سنن أبي داود » ، وطلب منه أن يساعده في ذلك ، وأن يكون له فيه عَضُدَه الأيمن ، وقلمَه الكاتب . وكان ذلك مبدأ سعادته وإقباله ، ووسيلة وصوله إلى الكمال ، واختصاصٍ لا مزيدَ عليه بالشيخ ، فكان الشيخ خليل أحمد يُرشده إلى المظانِّ والمصادر العلمية التي يلتقط منها الموادَّ ، فيجمعها الشيخ محمد زكريا ويعرضها على شيخه ، فيأخذ منها ما يشاء ، ويترك ما يشاء ، ثم يملي عليه الشرح فيكتبه ، وهكذا يكون كتاب « بذل المجهود في شرح سنن أبي داود » في خمسة أجزاء كبار[٢] ، وفتح ذلك قريحته في التأليف والشرح ، ووسع نظرَه في فَنِّ الحديث ، ثم اهتمَّ بطبعه في المطابع الهندية ، والعناية بتصحيحه وإخراجه بإخلاصٍ

= والمنطقة من أجمل مناطق الهند رفاهاً ورخاءً .

(١) ستأتي ترجمته في أول مقدمة « بذل المجهول في شرح سنن أبي داود » في صفحة (١٦٣) .

(٢) قد طُبع الكتاب في القاهرة في عشرين مجلَّداً، انظر مقدِّمة العلامة الندوي له في صفحة (١٦٥) .

كاملٍ ، ومجاهدةٍ شديدةٍ ، فنال بذلك رضا شيخه وحاز ثِقَتَه حتى انتهى ذلك إلى ما انتهى إليه من خلافةٍ ونيابةٍ ، وإقبال القلوب والنفوس إليه ، وما وفِّق له من بعد من جلائل الأعمال ، وفضائل الأخلاق .

وعُيِّنَ مدرِّساً في « مظاهر العلوم »[1] التي كان يدرِّس فيها شيخه ، ووالده من قبل ، والتي تعلَّم فيها ، وكان ذلك غُرّة محرم سنة ١٣٣٥هـ وهو من أصغر الأساتذة سِناً وأشبِّهم عمراً براتبٍ زهيدٍ لا يتصوَّر في هذا الزمان ، وأسند إليه تدريسُ كتبٍ لا تسند عادةً إلى أمثاله في العمر وفي أول التدريس ، ولم يزل يتدرَّج فيها حتى أسند إليه تدريس بعض أجزاء من « صحيح البخاري » في سنة ١٣٤١هـ ، وأثبت المدرِّس الشابُّ جدارتَه وقدرته على التدريس ، حتى أصبح رئيسَ أساتذة هذه المدرسة ، وانتهت إليه رئاسة تدريس الحديث أخيراً ، وكان أكثر اشتغاله بتدريس « سنن أبي داود » ، ويدرِّس النصف الثاني من « صحيح البخاري » في آخر السنة ، وبعد وفاة الشيخ عبد اللطيف مدير المدرسة آل إليه تدريس « الجامع الصحيح » بكامله ، فواظبَ عليه مدَّةً طويلةً مع ضَعْف بصره وأمراضه الكثيرة ولم يعتذر عنه إلا في أول السنة الدراسية في سنة ١٣٨٨هـ .

ولم يأخذ الشيخ محمد زكريا ما عُيِّنَ له من المرتَّب ، ولمَّا اضْطُرَّ بأمر شيخه إلى أن يأخذها مجموعةً لينفقها في الحجَّة الثانية سنة ١٣٤٤هـ التي رافق فيها أستاذَه ليُكمِل تأليف « بذل المجهود » ، أخذها الشيخُ محمد زكريا امتثالاً لأمر شيخه ، وتطييباً لخاطره . ثم ردَّها إلى المدرسة بجملتها ، وهكذا كان اشتغالُه بالتدريس

---

(١) تُعَدُّ هذه الجامعةُ مِن أكبر وأعظم المراكز العلمية في الهند، تأسَّستْ في أوائل رجب عام ١٢٨٣هـ ، وهي تُشارك (دار العلومَ دِيُوْبَنْدَ) في العقيدة والمبدأ والشعار . تركِّز اهتمامها على تدريس الحديث الشريف وعلومه، وقد خرَّجت عدداً كبيراً من العلماء الصالحين، والرجال العاملين في ميادين العلم والدين ، ولعلمائها ولمتخرِّجيها آثارٌ جليلةٌ في شرح كتب الحديث وخدمة هذا الفنِّ الشريف وتمتاز هذه الجامعةُ وأساتذتُها وطَلَبَتُها ببساطةٍ في المعيشة ، والقناعة بالكَفاف، والقُوَّة في الدِّيَانةِ . (« أعلام المحدِّثين في الهند » لسيد عبد الماجد الغوري ، ص : ١٥٤ ـ ١٥٥) .

طُول هذه المدَّة تطوُّعاً وتبرُّعاً ، لا يأخذ في ذلك أجراً ولا يبغي جزاءً ، وعُرِضَتْ عليه مرَّتين وظيفتان للتدريس براتبٍ كبيرٍ يزيد على راتبه الرمزيِّ في « مظاهر العلوم » أضعافاً مضاعفة ، وكان امتحاناً شديداً لإخلاصه وعُلُوِّ هِمَّته ، فقد كانت هذه الوظائفُ ممَّا يتنافس فيها المتنافسون ، ويتَهالَكُ عليها الطالبون ، فاعتذر عنها في صرامةٍ وعزمٍ ، وفي ثقةٍ وإيمانٍ ، فكافأه الله على ذلك مكافأةً لم يكن يتصوَّرها ، وعوَّضه من ذلك بما هو خيرٌ وأبقى .

وكانت سفرة ١٣٤٤هـ للحَجِّ التي رافق فيها شيخَه هي سفرة شيخه الأخيرة للحَجِّ ومبدأ سفره للآخرة ، فأكمل تأليف « بذل المجهول » . وهنالك حصلت له الإجازةُ العامَّةُ والخلافة المطلقة عن الشيخ خليل أحمد ، وفي هذه الرحلة وأثناء إقامته في مدينة الرسول ـ عليه أفضل الصلاة والتسليم ـ بدأ في تأليف كتاب « أوجز المسالك في شرح الموطأ » لإمام دار الهجرة وهو في التاسعة والعشرين من عمره . بدأ في تأليفه في مسجد الرسول ﷺ ، عند أقدام الرسول ﷺ ، وبارك الله في الكتابة والتأليف ، فأكمَلَ في بضعة شهور ما لم يكمله في سنين عديدة في الهند ، ووصل في الشرح إلى أبواب الصَّلاة ، وظَلَّ مشتغلاً به بعد عودته إلى الهند ، تتخلَّله فتراتٌ طويلةٌ حتى أكْمَلَه في سِتَّة أجزاء كبار .

وعاد إلى الهند مكرَّماً محبَّباً ، مثقلاً بالأعباء ، قد شخصت إليه الأبصارُ ، وارتفعت إليه الأصابعُ ، واتجهت إليه القلوبُ ، فأقبل على التدريس والتأليف بجميع هِمَّتِه ، وتوفِّي شيخه في الحجاز سنة ١٣٤٥هـ فآلت إليه المشيخةُ ورئاسةُ تدريس الحديث ، والإشرافُ على تربية أصحابه ، والاتصالُ بمراكز العلم المنتشرة حوله ، وبالجماعات الدينية التي تلوذ به ، وتلتقي عليه ، وتَصْدُرُ عن رأيه ، وبيته ملتقى العلماء والطَّلَبَة ، والواردين والصادرين ، الذين قد يحملون آراءً متناقضة ، وأذواقاً مختلفة ، وينتمون إلى مدارسَ متباينةٍ ، ورأيُهُ الحصيف وما رزقه الله من السَّدَاد والاقتصاد يؤلِّفُ بين القلوب المتنافرة والآراء المتباينة ، ومائدته الواسعة تجمع كلَّ صنْفٍ من الناس ، وكلَّ طبقةٍ من الرجال ، وكلَّ فردٍ من الجماعات المتنافسة ، وهو محافظٌ على أوقاته وأشغاله ، دؤوبٌ في المطالعة والتأليف ،

بشوشٌ منبسطٌ مع الوافدين ، يؤتي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ، ويعرف لكلِّ صاحبِ فضلٍ فضله ، ويُنزِل الناسَ منازلهم ، لا يشغله تلقِّي الضيوف وحسن وفادتهم عن المطالعة ، ولا تشغله المطالعةُ وما فطر عليه من حُبِّ العلم وحُبِّ الانزواء والخَلْوَة عن البَشَاشة ، وبذل الوُدِّ ، وطِيْب النفس ، ولا يشغله كلُّ ذلك عن الاشتغال بربِّه ، والانفراد بعبادته ومناجاته ، وعن تربية المريدين ، وعن حضور حفلات التبليغ ، وعن وضع كتب ورسائل في الإصلاح والدعوة إلى الله في أسلوبٍ سهلٍ يتنزَّل فيه إلى مستوى العامَّة ، وقد تُلقِّيت هذه الرسائلُ بقبولٍ عامٍّ[١] ، وانتفع بها خَلْقٌ لا يحصون ، وظهرت لها طبعاتٌ لم تتيسَّر إلا لكتبٍ دينيةٍ معدودةٍ في عصرنا ، هذا مع جذبةٍ قاهرةٍ إلى رفض جميع الأشغال والمسؤوليات ، والفرار من الناس ، والتبتُّل الكلي ، والتفرُّغ للعبادة ، والمناجاة ، والاشتغال مع الله ، ولا يقدر على قهر هذا الدافع وجمعه بكل ما يُشَتِّتُ القلبَ ، ويُكَدِّرُ صفاء النفس إلا كبار الأقوياء ، الذين أراد الله أن ينفع بنفوسهم وأنفاسهم ، وعلومهم ومؤلَّفاتهم .

وأوقاتُه مشغولةٌ بأمورٍ نافعةٍ ، موزَّعةٌ بينها ، يحافظ عليها بكلِّ دِقَّةٍ وشِدَّةٍ ، فإذا صلَّى الفجر ؛ جلس قليلاً ، مشغولاً بحِزْبه ووِرْده ، ثم يخرج إلى بيته ويجلس مع الناس ، ويتناول الشايَ من غير فطورٍ وأكلٍ ، ويكثر عدد الناس في هذا الوقت ، ثم يطلع إلى غرفة مطالعتِه فيشتغل بالمطالعة والتأليف ، ولا يزوره في هذا الوقت إلا من يطلبه أو من يكون مستعجلاً من الضيوف ، وغرفته هذه تُذَكِّرُ بالسَّلَف المنقطعين إلى العلم والتأليف ، فهي آيةٌ في البَسَاطة والتقشُّف ، مجرَّدةٌ عن كلِّ زينةٍ وتكلُّفٍ ، ويثقل عليه أن يُزعجه أحد بزيارته ويصرفه عن شغله ؛ فإذا كان وقتُ الغداء ؛ نَزَل ، وجلس مع الضيوف الذين يكثر عددهم عادة وهم من طبقات شتَّى ، فيؤنسهم ويُلاطِفهم ، ويبالغ في إكرامهم ، والتفقد لما يَسُرُّهم ويَلُذُّهم ، فيكثر من ذلك ، ثم يَقِيْل ، فإذا صَلَّى الظهرَ ؛ اشتغل بإملاء الرسائل والرد عليها[٢] قليلاً ، ثم خرج إلى

(١) وقد طُبعت معظمُ تلك الرسائل بعنايتنا ، في دار الفارابي بدمشق .

(٢) علمتُ في بعض زياراتي : أنَّ عدد الرسائل التي تأتيه من أنحاء مختلفة يتراوح عددها بين أربعين وخمسين (العلامة الندوي) .

الدرس ، وكان يشتغل به ساعتَين كاملتَين قبل العصر ، فإذا صلَّى العصر ؛ جلس للناس ، وقدَّم لهم الشاي وهم في عددٍ كبيرٍ ، يتوهَّم الزائر أنه في حفلةٍ صغيرة ، وأنه شيءٌ جديدٌ ، وهو له عادةٌ ، فإذا صلَّى المغربَ ؛ اشتغلَ طويلاً بالتطوُّع والأوراد ، ولا يتناول طعام العشاء عادةً إلا إكراماً لضيفٍ كبيرٍ .

وهو مربوعُ القامَة ، جسيمٌ وسيمٌ ، أبيضُ اللَّوْن مُشْرَب بالحُمْرة ، كأنَّما فقىء في وجنتيه حَبُّ الرُّمَّان ، كثيرُ النشاط ، لا يعرف الكسل ، خفيفُ الروح ، بَشُوْشٌ وَدُوْدٌ ، كثيرُ الدُّعابة مع الذين يأنسهم أو يُحِبُّ أن يؤنسهم ، سريعُ الدَّمعة ، جريحُ المُقْلَةِ كلَّما ذُكِر شيء من أخبار الرسول ﷺ أو الصحابة والأولياء أو أنشِدَ بيتٌ رقيقٌ مرقَّقٌ فاضت عيناه ، وتملكه البُكاء ، وهو يغالبه ويخفيه فَتَنِمُّ عليه الدموع ، وليس الحديثُ له صناعةً وعلماً فحسب ، بل هو ذوقٌ وحالٌ يعيش به ، ويعيش فيه .

وتوفِّي عمُّه الكبير الذي كان صِنْوَ أبيه وأستاذَه وصِهْرَه ، ومن أحَبِّ الناس إليه ، وأعظمهم حُنُوّاً عليه الشيخُ محمد إلياس سنة ١٣٦٣هـ فكان المصابُ عظيماً ، والواقع كبيراً . فتحمَّله في صبرِ العظماء ، ثم توفي ابن عمِّه الذي كان عَضُدَه الأيمن . وأحَبَّ إليه من أولاده ، والذي كانت حياتُه كلُّها غناءً للمسلمين ، وذُخْراً للدِّين ، وكان فضلُه كبيراً على المسلمين ، الشيخُ محمد يوسف بن إلياس سنة ١٣٨٤هـ[1] فَطَمَّ الأمرُ وعظمُ الخَطْبُ ، وكانت الخسارةُ فادحةً ، وتتابعت المِحَنُ والحوادث ، ومن قبلُ توفي الشيخ حسين أحمد المَدَني سنة ١٣٧٧هـ[2] ، والشيخ

= قلتُ : قد زاد عدد هذه الرسائل بعد ذلك حتى بلغ عددها بين ثمانين ومئة . (محقق الكتاب) .

(١) انظر ترجمته في أول مقدمة « الأحاديث المنتخبة . . . » ، في صفحة (٣٠١) .

(٢) هو العالمُ العَلَم المجاهد : الشيخ سيِّد حسين أحمد الفيض آبادي ، المشهور بالمدني (١٢٩٦ ـ ١٣٧٧هـ) شيخُ الحديث في دار العلوم دِيُوْبَنْد الإسلامية ، ورئيس جمعية العلماء في الهند سابقاً ، ومن كبار قادة حركة التحرير وإجلاء الإنجليز . قرأ فاتحةَ الفراغ في دار العلوم ديوبند ، وأخذ الحديثَ عن العلامة محمود حسن الدِّيُوْبَندي ، المعروف بشيخ الهند ، ولازمه مدةً طويلةً ، ورافقه إلى منفى (مالْطا) أثناء الحرب العالمية الأولى ، ولبث فيها ثلاث سنين وشهرين ، وعاد إلى الهند وعكف على تدريس الحديث الشريف ، وخاض في حركة التحرير =

عبد القادر الرَّائِپُوْري سنة ١٣٨٢هـ[1] ، وكان شديدَ الحُبِّ لهما ، فتحمَّل كلَّ هذا في إيمانٍ وصبرٍ ، ورضاً وتفويضٍ ، وآلت إليه نيابةُ كلِّ واحدٍ منهم ، في إكمال المبتدئين وتربية المُرِيدين ، وتوجيه القاصدين ، والإشراف على مراكز العلم والدين ، هذا مع إجهادٍ شديدٍ للنفس في النوافل والعبادات ، وفي الجمع بين الأشتات والمتناقضات ، خصوصاً في رمضان ، فإنه ملازم لختمه للقرآن في كلِّ يوم ، وطول السَّهر في الليل ، والاجتزاء بالأكل اليسير ، ويصوم عنده بضع مئات من الناس ، ويعتكفون أكثر الشهر ، وكلُّهم ضيوفُه ، فأثَّر كلُّ ذلك في صحته ، وفي بصره ، وهو صابرٌ محتسبٌ ، دائبٌ مستمرٌّ ، لا يتوانى ولا يَكِلُّ ، ولا يسأم ولا يَمُلُّ ، وسافر للحَجِّ للمرَّة الثالثة بطلب من ابن عمِّه الحبيب ، الشيخ محمد يوسف ، وإلحاحٍ منه سنة ١٣٨٣هـ ، وللمرَّة الرابعة مع الشيخ إنعام الحسن (أمير جماعة التبليغ وخَتَنُه العزيز)[2] سنة ١٣٨٦هـ ، وكان إقبال الناس عليه عظيماً في كِلْتا الرحلتين ، خصوصاً في (باكستان) ، فكان الناس يفدون لزيارته

= والثورة السياسية في الهند، وبعد أن نالت الهند الاستقلالَ عكف على التدريس والإفادة، والدعوة إلى الله، وتربية النفوس .

وكان والده الشيخ حبيب الله الفيض آبادي هاجر إلى المدينة المنوَّرة مع عياله، ورافقه الشيخُ حسين أحمد، وتصدَّر للتدريس في مدينة الرسول ﷺ ثلاث عشرة سنة فاشتهر بالمَدني، سقى الله ضريحَه. (انظر ترجمته بقلم العلامة الندوي في « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » ص: ٢٣٩، طبع دار ابن كثير بدمشق).

(١) هو الشيخ عبد القادر الرَّائي فُوْري، كان نموذجاً حيّاً من نماذج الزوايا السَّنُوْسيَّة، وكان من كبار العلماء الرَّبَّانيِّين المطَّلعين البصيرين من أصحاب الفراسة والذكاء، والانفتاح الذهنيّ الذين يجمعون بين العلم والعمل، والتربية والتزكية، وهو من أولئك القادة الروحيِّين والعلماء الصَّالحين الّذين يحتاج إليهم المسلمون في كل زمانٍ للقيادة والتوجيه، والاستفادة من بركاتهم وطيب أنفاسهم.

تلقَّى العلامةُ الندوي منه التربيةَ الروحية، واستفاد من صحبته ومجالسه. توفي رحمه الله تعالى بـ (لاهُوْر) عام ١٣٨٢هـ. (انظر ترجمته في « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » ص: ٢٥٩).

(٢) انظر ترجمتَه في أول مقدمة « الأبواب المنتخبة من مشكاة المصابيح » في صفحة (٢٨٧) .

من أنحاءٍ بعيدةٍ ، وينتهزون فرصةَ مروره بهذه البلاد فينتفعون بصحبته ودعائه .

وسافر على جناح الشوق والحنين المَرَّة الخامسة إلى الحجاز في صفر ١٣٨٩هـ وكأنَّه مدفوعٌ إلى ذلك لا يملك صبراً ولا قراراً ، وقد نذر صومَ شهرين متتابعين شكراً على هذه النعمة . وملازمة الوضوء إلا للاضطرار ، وقد أسْعَدَ اللهُ كاتبَ هذه السطور بمرافقته في هذه الرحلة ، فرأى من عُلُوِّ هِمَّتِه وقُوَّةِ إرادته ، وشِدَّة أدبه مع الرسول ﷺ ، وشِدَّة حُبِّه له ، وشَوْقِه إليه ، ومن عُلُوِّ استعداده ومداركه ، وما أكرمه الله به في هذه المُدَّة من القُرْبِ والاختصاص ما جدَّد ذكرى الأقدمين ، وصِدْقَ ما جاء في كتب أخبار السَّلف الصالحين .

فكان يجلس تُجَاهَ أقدام أفضل الرُّسْل ساعاتٍ متوالياتٍ ، مشغولاً مراقباً ، رغمَ ضَعْفِه وكِبَرِ سنِّه وعِلَلِه الكثيرة ، لا يفتر ولا يشبع من ذلك ، وكان يتمنَّى البقاء في هذه البقعة المباركة ، وفي هذا الجوار الكريم حتى يفارق الدنيا ويلحق بربِّه ، ويَعِزُّ عليه حديثُ العودة ، إلا أنَّ دعوات المسلمين وما يعانونه في هذه البلاد من مشاكل ومسائل تطلب بقاءه بجوارهم ، وما تعانيه المدارسُ الدينيةُ من أزماتٍ ومعضلاتٍ ، وما تحتاج إليه في الهند جماعةُ التبليغ من إرشادٍ وتوجيهٍ ، وإشرافٍ ومراقبةٍ ، اضْطَرَّتْه إلى العودة ، فعاد بسلامة الله في شهر ذي القعدة ١٣٨٩هـ ، ومَرَّ في طريقه من (باكستان) فتهافت عليه الناسُ تهافت الفراش على النور ، والتَفُّوا حوله في كل مكانٍ كان ينزل فيه . وظهر من إقبال الناس عليه وحُبِّهم له ، ما لم يسمع من زمنٍ بعيدٍ .

بارك الله في حياته ونفع بعلومه وأنفاسه ، ومتَّع به الإسلام والمسلمين وأبقاه ذُخْراً للعلم والدين[١] .

---

(١) وقد تشرَّف عدة مرَّات بالحج والزيارة. وأخيراً غلبت عليه جاذبيةُ الحجاز والشوق إلى الإقامة بالمدينة المنوَّرة فآثر الإقامة بها، وانتقل إلى جوار رحمة الله تعالى يوم الإثنين غرة شعبان المعظم (١٤٠٢هـ)، الموافق (٢٤/ ٥/ ١٩٨٢م) ودُفِن بالبقيع بجوار رسول الله ﷺ، وبلغ عدد مؤلَّفاته أكثر من مئة وخمسين مؤلَّفاً، منها المطبوع، ومنها المخطوط، انظر ترجمته في كتاب « تذكرة حياته » للعلاَّمة الندوي، والعدد الخاص لمجلَّة « الفرقان » والمجلة =

وهذه مقدِّمة « أوجز المسالك » نتشرَّف بتقديمها ، ونقدِّم هذه المقدمةَ إلى القُرَّاء ، ونُتْحِف العلماء وطَلَبَةَ هذا الفَنِّ بما جاء فيها من علمٍ جمٍّ ، ومادةٍ غزيرة ، ومعلوماتٍ مفيدةٍ قد تَشَتَّتَتْ في بطون الأسفار ، وكتب التاريخ والأخبار . حتى أَصْبَحَتْ بذلك موسوعةً صغيرةً فيما يتصل بكتاب « الموطأ » ومؤلِّفه العظيم ، هذا إلى ما جاء فيها ممَّا يختص بالهند ، وأخبار كبار الأساتذة والمحدِّثين فيها ، وشيوخ المؤلِّف ، وما جاء فيها من أصولٍ وقواعدَ ، ودُرَرٍ وفرائد . ونسأل الله أن ينفعنا والمسلمين بها .

أبُو الحَسَن عَليٍّ الحَسَنِيِّ النَّدْويِّ
دَارُ العُلُوْم نَدْوَةُ العُلَمَاءِ ـ لكهنؤ (الهِنْد)
يوم الجمعة ٢٣ شوال ١٣٨٩هـ

= « الأحمدية » العدد السابع ـ ٢٠٠١م الصادرة من (دبي) بعنوان « الإمام المحدِّث محمد زكريا الكاندهلوي وآثاره في علم الحديث » للدكتور ولي الدين الندوي .

مختصر تراجم علماء الحديث في الهند

تستحقُّ مقدِّمة العلامة الندوي هذه أن تُسَمَّى دراسةً عن تاريخ الحديث والمحدِّثين في الهند ، لأنه استعرض فيها ـ رحمه الله تعالى ـ أحوالَ البلاد الهندية منذ الفتح الإسلامي ، وما نتج عنه من وصول أعداد من المصنِّفين والمحدِّثين إلى هذه البلاد ، إلى مدرسة الإمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدِّهْلَوي ـ مجدِّد الحديث في هذه الديار ـ هو وبنوه الكرام وتلاميذهم ـ رحمهم الله جميعاً ، وهذا العرض وإنْ كان تمهيداً لمقدِّمة العلامة على هذا الكتاب (أي : أوجز المسالك . .) إلا أنه حريٌّ بأن يكون بحثاً مستقلاً لعظيم فائدته .

وهنا يجدُر بي ـ خاصَّة بعد ذكر العلامة ـ رحمه الله ـ بعضَ المحدِّثين وخدماتهم في تطوير الحديث الشريف في هذه البلاد تأليفاً وتدريساً ـ أن أذكر هنا جميعَ هؤلاء المحدِّثين الذين كانت لهم ـ وما زالت للبعض منهم إلى الآن ـ خدماتٌ جليلةٌ في نشر الحديث الشريف في هذه البلاد ، ومآثرُ عظيمةٌ في التصنيف والتأليف والتحقيق فيه عبر القرون وإلى يومنا هذا ، فأكتفي هنا فقط بأسماء المحدِّثين مع سنيِّ وفاتهم ومؤلفاتهم في الحديث :

- الشيخ العالم المحدِّث عبد الله بن سَعْد الله المُتَّقي السِّنْدي ، المتوفى سنة ٩٨٤هـ . لم يكن في زمانه أعلم منه بالحديث والتفسير ، سافر إلى الحرمين الشريفين ، وأخذ الحديثَ عن أئمَّة العصر ، وعن الشيخ علي بن حسام الدين المُتَّقي (صاحب « كنز العمَّال ») وأخذ عنه خَلْقٌ كثير من العلماء ، من مصنَّفاته « جمع المناسك ونفع الناسك » .

- العالم الكبير المحدِّث الشيخ رحمة الله بن عبد الله بن إبراهيم السِّنْدي ، المتوفى سنة ٩٩٤هـ . سافر إلى الحرمين ، وأخذ الحديثَ عن الشيخ علي بن

محمَّد بن غَريق الخطيب المدني ، صاحب « تنزيه الشريعة » ، وعن غيره من أئمَّة الحديث . وأخذ عنه خلقٌ لا يحصون بحدٍّ وعدٍّ ، ومن مصنَّفاته « كتاب المناسك » .

● العالم الكبير الشيخ : يعقوب بن الحسن الكشميري ، المتوفى سنة ١٠٠٣هـ . أحدُ فحول الأساتذة لعصره ، سافر إلى الحرمَين الشريفين ، وأخذ الحديثَ عن الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهَيْتمي المكِّي . رجع إلى الهند بالكتب النفيسة في الحديث والفقه والتفسير ، وتصدَّر للإفادة والتدريس ، وأخذ عنه الإمامُ أحمد بن عبد الأحد السَّرْهِنْدي وخَلْقٌ آخرون . من مصنَّفاته : « شرح على صحيح البخاري » و« مغازي النبوَّة » و« مناسك الحَجِّ » وغيرها .

● الشيخ العالم الكبير المحدِّث جَوْهَر الكشميري ، المتوفى سنة ١٠٢٦هـ . أثناء إقامته بالحجاز أخذ الحديثَ عن الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي ، وعن الشيخ العلامة علي بن سلطان القاري الحنفي ، وأخذ عنه خلقٌ كثير من العلماء بعد عودته إلى كشمير .

● الشيخ العالم المحدِّث عبد النبي بن أحمد الكَنْكُوهي المتوفى سنة ٩٩١هـ . أخذ الحديثَ عن الشيخ شهاب الدين أحمد الهيثمي وعن غيره من المحدِّثين أثناء إقامته بالحرمين الشريفين ، ولازمهم حتى رسخ في الحديث ، وكان (أكبر شاه التَّيموري) سلطان الهند يذهب إلى بيته لاستماع الحديث الشريف . ومن مصنَّفاته : « وظائف النبي في الأدعية المأثورة » و« سنن الهدى في متابعة المصطفى » وغيرها .

● الشيخ عبد الله بن شمس الدين السُّلْطَانْفُوْري ، المتوفى سنة ٩٩٠ أو ٩٩١هـ . كان من فحول العلماء ، رأساً في الفقه والأصول والتاريخ والحديث وسائر العلوم النقلية . أخذ الحديثَ عن الشيخ إبراهيم بن المعين الحسيني الأَيْرَجي ، وعندما سافر إلى الحرمَين استقبله أكابر علمائها استقبالاً عظيماً ، ومنهم الشيخ شهاب الدين الهيتمي . ومن مصنَّفاته : « كشف الغُمَّة » و« منهاج الدين » و« عصمة الأنبياء » وغيرها .

● الشيخ قُطْب الدين العَبَّاسي الغُجْرَاتي لم أعثر على تاريخ وفاته .

● الشيخُ العالم المحدِّث أحمد بن إسماعيل المَنْدَوي ، أحدُ العلماء المبرِّزين في الفقه والحديث ، لازم الشيخَ محمد بن أبي الحسن البكر الشافعي مدَّةً أثناء إقامته بالحجاز ، وأخذ عنه . لم أعثر على تاريخ وفاته .

● العالمُ المحدِّث الشيخ راجح بن داود الغُجْرَاتي ، المتوفى سنة ٩٠٤هـ أحدُ العلماء العاملين ، وكبار المحدِّثين في الهند ، ذكره السَّخَاوي في الضوء اللامع .

● الشيخُ العالمُ المحدِّث عليم الدين المَنْدَوي أخذ الحديثَ عن علماء الحرمَين الشريفين خلال زيارته لهما للحج، أخذ عنه خَلْقٌ كثيرون . لم أعثر على تاريخ وفاته .

● عليّ المتُقيّ بن حُسام الدين الهندي ، صاحب « كنز العمَّال » في ترتيب « الجامع الكبير » للسيوطي ، قال أبو الحسن البكري : « له مِنَّةٌ على السيوطي » توفي سنة ٩٧٥هـ .

● مَلك المحدِّثين : الشيخ محمد بن طاهر الفَتَّنِي الغُجْرَاتي ، مؤلِّف « مجمع بحار الأنوار » ، و« تذكرة الموضوعات » . و« المغني » ، وغيرها من المؤلَّفات الممتعة ، في الحديث ، وغريبه ، توفي سنة ٩٨٧هـ شهيداً . (انظر ترجمته في حاشية صفحة : ٩٢) .

● الشيخ العالم الكبير المحدِّث المعَمَّرْ إبراهيم بن داود المَانَكْفُوري ، المتوفى سنة ١٠٥١هـ ، أحدُ العلماء المبرِّزين في الحديث والفقه والعربية ، سافر إلى الحجاز وبغداد والقاهرة ، وأخذ الحديثَ عن علمائها ، ولازم الشيخَ علي بن حسام الدين المتقي بعد عودته إلى الهند . صرف عمره في تدريس العلوم الدينية لا سيما الحديث . أخذ عنه أناسٌ كثيرون .

● العالم المحدِّث : الشيخُ عبد الأول بن علي بن العلاء الحسيني الجُونْفُوري ، المتوفى سنة ٩٦٨هـ . أحدُ كبار علماء الحديث وفقهاء الحنفية في عصره ، أخذ الحديثَ عن جدِّه الشيخ علاء الدين . ومن مصنَّفاته : « فيض الباري شرح صحيح البخاري » وغيرها .

● الشيخُ العالم الكبير ، العلامةُ المحدِّث : طاهر بن يوسف السِّنْدي ، المتوفى

سنة ١٠٠٤هـ . أحدُ العلماء المبرِّزين في الحديث والفقه ، أخذ الحديثَ عن الشيخ عبد الأول الجُونْفُوْري ـ المذكور آنفاً ـ . ومن مصنَّفاته في الحديث : « تلخيص شرح أسماء رجال البخاري » للكَرْمَاني ، و« رياض الصالحين » .

● شيخُ الإسلام والمسلمين : الشيخ أحمد بن عبد الأحد السَّرْهِنْدي (المتوفى سنة ١٠٣٤هـ) إمامُ الطريقة المجدِّدية . تصدّى للحديث أيضاً ، وأخذه عن الشيخ يعقوب بن الحسن الصَّرَفي الكشميري (الذي أخذ عن الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيتمي) .

● محدِّث الهند الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدِّهْلَوي ، المتوفى سنة ١٠٥٢هـ . وهو أولُ من أفاض الحديثَ على أهل الهند ، وتصدَّى للدرس والإفادة بـ (دِهْلي) ، وقصر همَّه على ذلك ، وصنَّف ، وخرَّج ، ونشر هذا العلم على ساق الجِدِّ . من مصنَّفاته : « اللمعات شرح المشكاة » و« التبيان في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان » و« مقدِّمة في أصول الحديث[١] » وغيرها .

● الشيخُ محمد سعيد بن أحمد السَّرْهِنْدي (المتوفى سنة ١٠٧٠هـ) له شرحُ على « مشكاة المصابيح » .

● الشيخُ العالم الكبير المحدِّث : فَرُّوخ شاه بن محمد سعيد بن أحمد السَّرْهِنْدي (المتوفى سنة ١١٢٢هـ) ، يقال : إنه كان يحفظ سبعين ألف حديثٍ متناً وإسناداً ، وجَرْحاً وتعديلاً ، ونال منزلةَ الاجتهاد في الأحكام الفقهية . (انظر ترجمته في « الثقافة الإسلامية في الهند » ص : ١٣٨ .) .

● الشيخُ العالم المحدِّث : محمد أعظم بن سيف الدين بن محمد معصوم السَّرْهِنْدي (المتوفى سنة ١١١٤هـ) له شرحٌ مفيدٌ على « صحيح البخاري » سمَّاه بـ « فيض الباري »[٢] .

---

(١) وقد طُبعت في دار ابن كثير بدمشق بتحقيق وتعليق فضيلة أستاذنا الشيخ سلمان الحسيني الندوي .

(٢) يُنْتَبه هنا : يُوجد لعلماء الهند شروحٌ كثيرةٌ بهذا الاسم ، تَرِدُ أسماء بعضٍ منها في تراجمهم .

● أبو الحسن الكبير ابن عبد الهادي السِّنْدي ، المتوفى سنة ١١٣٩ ، صاحب « الحواشي على الأصول الستة » ، و« مسند أحمد » وحاشيته على المسند موجودة في مكتبة شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت بالمدينة المنوَّرة .

● الشيخُ الإمام العالم الكبير المحدِّث : صفة الله بن مدينة الله بن زين العابدين الخير آبادي (المتوفى سنة ١١٥٧هـ) ، أخذ الحديثَ عن الشيخ أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكُرْدي المدني أثناء إقامته بالحجاز . التزم بتدريس الحديث والتفسير بعد عودته إلى الهند ، وانتفع به خَلْقٌ كثيرونٌ من العلماء .

● الشيخُ الإمام ، العالمُ المحدِّث ، الفقيهُ المفتي : نور الحق بن عبد الحق الدِّهْلَوِي (المتوفى سنة ١٠٧٣هـ) أحدُ كبار علماء الحديث وفقهاء الحنفية في عصره ، أخذ الحديثَ عن والده المحدِّث عبد الحق الدِّهْلَوِي . من مصنَّفاته في الحديث : « شرح الجامع الصحيح » للإمام البخاري في ستة مجلَّدات كبار بالفارسية ، و« شرح على شمائل الترمذي » بالفارسية وغيرها .

● الشيخُ العالم المحدِّث : شيخ الإسلام بن فخر الدين بن مُحِبِّ الله ، بن نور الله ابن نور الحق بن عبد الحق الدِّهْلَوي ، من أحفاد المحدِّث عبد الحق الدِّهْلَوِي ، وأحدُ مشاهير المحدِّثين في عصره ، له شرحٌ بسيطٌ على « صحيح البخاري » في ستة مجلَّدات بالفارسية .

● الشيخ فاخر بن يحيى العبَّاس الإلٰه آبادي ، أخذ الحديثَ عن الشيخ محمد حياة السِّنْدي المَدَني ، وشَمَّر عن ساق الجِدِّ لنشر هذا العلم الشريف . لم أعثر على سنة وفاته .

● الشيخُ العالم المحدِّث : خير الدين بن محمد زاهد بن حسن محمد الزَّبِيْدي السُّوْرَتي (المتوفى سنة ١٢٠٦هـ) . أخذ الحديثَ عن الشيخ حياة السِّنْدي حين زار الحرمَين للحجِّ . قام بتدريس الحديث الشريف بعد عودته إلى الهند خمسينَ سنةً ، ببلدته (سُوْرَتْ) وأخذ عنه خَلْقٌ كثيرون .

● الشيخُ العالم المحدِّث : سَلام الله بن شيخ الإسلام بن فخر الدين الدِّهْلَوي ،

من ذرية المحدِّث عبد الحق الدِّهْلَوِي (المتوفى سنة ١٢٢٩هـ وقيل ١٢٣٣هـ) كان من كبار العلماء في الحديث ، ومن مصنَّفاته فيه : « المحلَّى » شرح الموطأ ، وشرحٌ على « شمائل الترمذي » و« أصول الحديث » وغيرها .

● الشيخ المحدِّث أبو الطيِّب السِّنْدي ، صاحب « الحواشي على الأصول الستة » وشارح « جامع الترمذي » المتوفى في حدود سنة ١١٤٠هـ . (انظر ترجمته في « الإعلام » ٦/ ٦٨٩) .

● المحدِّث المحقِّق الشيخ هاشم بن عبد الغفور السِّنْدي ، له مؤلَّفاتٌ ، مثل : « فاكهة البستان » و« ترتيب صحيح البخاري على ترتيب الصحابة » وغيرهما ، المتوفى سنة ١١٧٤هـ .

● المحدِّث الشيخ محمد حياة السِّنْدي (المتوفى سنة ١١٦٣هـ بالمدينة) . ومن مؤلَّفاته : « تحفة الأنام في العمل بالحديث النبوي عليه الصلاة والسلام » و« الإيقاف على أسباب الاختلاف » .

● المحدِّث الشيخ محمد أفضل السِّيَالْكُوتي ، ثم الدِّهْلَوي ، شيخُ الشاه ولي الله الدِّهْلَوِي في الحديث ، وتلميذ المحدِّث الشيخ عبد الله بن سالم البَصْري المكِّي . المتوفى ١١٤٦هـ .

● المحدِّث الإمام الشاه ولي الله الدِّهْلَوي ، المتوفى سنة ١١٧٦هـ ، إمامُ نهضة الحديث في الهند ، صاحب « حجَّة الله البالغة » و« إزالة الخفاء » ، و« الإنصاف » ، و« عقدِ الجيد » ، و« المُصَفَّى » ، و« المُسَوَّى » شرحَيْ « الموطأ » لمالك ، و« الإرشاد إلى مهمَّات علم الإسناد ، و« شرح تراجم صحيح البخاري » و« الانتباه في سلاسل أولياء الله » ، وإليه ينتهي إسناد محدِّثي الهند .

● الشيخ محمد مُعين السِّنْدي ، من تلامذة الشاه ولي الله الدِّهْلَوي ، المتوفى ١١٦١هـ من مؤلَّفاته : « دراسات اللَّبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب »[(١)] .

---

(١) وقد طُبعت في باكستان مع تعليقات الشيخ عبد الرشيد النُّعْماني ، رحمه الله تعالى .

● المحدِّث الحجَّة الشاه عبد العزيز بن الشاه ولي الله الدِّهْلَوِي ، المتوفى ١٢٣٩هـ ، صاحب « بستان المحدِّثين[١] » بالفارسية ، و« العُجَالة النافعة » في مهمَّات علم الحديث ، و« التحفة الاثنا عشرية » وغيرها .

● المحدِّث اللُّغَوي السيد محمد المرتضى البِلْجِرَامي ثم الزَّبِيْدي ، شارح « الإحياء » ومؤلّف « عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة » ، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ .

● المحدِّث الكبير الشيخ القاضي ثناء الله المَظْهَري ، من تلامذة الشاه ولي الله الدِّهْلَوي ، كان الشاه عبد العزيز يسمِّيه (بَيْهَقِيّ العصر) له تفسيرٌ عظيمٌ ، لا نظيرَ له في أحاديث الأحكام ، وأدلتها ، وله كتاب « منار الأحكام » وغيرهما . المتوفى سنة ١٢٢٥هـ .

● العالم الكبير العارف بالله : الشيخ الشاه عبد القادر بن الشاه ولي الله الدِّهْلَوي ، المتوفى في سنة ١٢٣٠هـ . (انظر ترجمته في « الإعلام » : ٧/ ١٠٢٧) .

● الإمام العالم الكبير العلامة المحدِّث المتكلِّم الأصولي : الشيخ الشاه رفيع الدين بن الشاه ولي الله الدِّهْلَوِي ، المتوفى في سنة ١٢٣٣هـ . وله مصنَّفات كثيرة جيِّدة (انظر ترجمته في « الإعلام » ٧/ ٩٧٤ ـ ٩٧٦) .

● المحدِّث الشيخ عبد الحي الدِّهْلَوِي ، من أكبر تلامذة الشاه عبد العزيز ، لم أعثر على ترجمته . ذكره المحدِّث البَنُّوْري في تعليقه على « فقه أهل العراق . . . » ص(٧٩) .

● الشيخ محمد عابد السِّنْدي صاحب « حَصْر الشارد » و« طوالع الأنوار على الدر المختار » في ستة عشر مجلَّداً ضخماً ، وشارح « مسنَد أبي حنيفة » في

(١) نَقَله إلى العربية الأستاذ الباحث الدكتور محمد أكرم الندوي ، وطُبع في دار الغرب الإسلامي ببيروت .

مجلَّدات ، سمَّاه : « المواهب اللطيفة » ، المتوفى سنة ١٢٥٧هـ .

• المحدِّث مسند الهند ، الشيخ محمد إسحاق بن بنت الشاه عبد العزيز الدِّهْلَوِي ، المتوفى سنة ١٢٦٢هـ .

• الشيخُ العالم المحدِّث : عبد الله الصدِّيقي المحمَّدي الإلٰه آبادي ، أحدُ أئمَّة العلم ، أخذ الحديثَ عن أبناء الشيخ ولي الله الدِّهْلَوِي ، وقصر همَّتَه على نشر السنَّة ، ونشر العلم ، ولكنَّه جاوَزَ عن حدِّ الاعتدال في ذمِّ التقليد . لم أعثر على سنة وفاته . ومن مصنَّفاته في الحديث : « اليَمُّ الزَغْرَب في لغات الحديث المنتخب » و« العُرْوة الوثقى لمنبع سنَّة سيد الوَرَى » و« اعتصام السنَّة وقامع البدعة » وغيرها .

• العالم المحدِّث الشيخ عبد الحق بن فضل الله العثماني النِّـيُوْتَنِي (المتوفى سنة ١٢٧٦هـ) . أخذ الحديثَ عن أبناء الشيخ ولي الله الدِّهْلَوِي ، ثم سافر إلى صنعاء ، وأخذ عن السِّنْدي ، والبَهْكلي ، والشَّوْكاني ، وعبد الله بن إسماعيل الأمير ، وعاد إلى الهند ، وأخذ عنه غيرُ واحدٍ من العلماء .

• الشيخ محمد يعقوب أخو الشيخ محمد إسحاق الدِّهْلَوِي (المتوفى سنة ١٢٨٢هـ) . (انظر ترجمته في « الإعلام » ٧/ ١١٣٨) .

• الشيخ عبد الغني المُجَدِّدي (المتوفى سنة ١٢٩٦هـ) أسانيده في « اليانع الجني » .

• الشيخ عبد القيُّوم بن بنت الشاه عبد العزيز ، أخذ من الشيخ محمد إسحاق (المتوفى سنة ١٢٩٩هـ) .

• الشيخ المحدِّث محمد إسماعيل الدِّهْلَوِي ، استُشهد في الجهاد مع الكفار سنة ١٢٤٦هـ .

• المحدِّث الشيخ أحمد علي السَّهَارَنفُوْري (المتوفى سنة ١٢٩٧هـ) وله مِنَّةٌ عظيمةٌ على العلماء ؛ لأنه صحَّح الكتب وأشاعها لا سيما : « صحيح البخاري » صحَّحه ، وعلَّق عليه بما لا مزيد عليه .

• الشيخ العارف المحدِّث محمد قاسم النَّانُوْتَوي الدِّيُوبَنْدي ، المتوفى سنة

١٢٩٧هـ ، مؤسِّس دار العوم بِدِيُوْبَنْد ، مركز الثقافة الدينية والعلمية بالهند ، صاحب التصانيف العالية .

● الإمام المحدِّث الفقيه الشيخ محمد عبد الحي اللَّكْنَوِيّ ، أعلمُ أهل عصره بأحاديث الأحكام ، المتوفى سنة ١٣٠٤هـ .

● الشيخ المحقِّق محمد حسن السَّنْبَهلي ، كان معاصراً للشيخ عبد الحي ، وصديقه ومُشابهه في كثرة التآليف العديدة وتنوّعها ، مع قِصَرَ العُمُرِ أيضاً ، وُلد سنة ١٢٦٤هـ ، وتوفي سنة ١٣٠٥هـ . له نحو مئة مؤلَّفٍ ، أو أكثر ، وبعضها في مجلَّداتٍ ضخمةٍ كحاشيته على « الهداية » . وكتابُه : « تنسيق النظام في مسند الإمام »[1] يُظهر قوّة بحثه ، وضلاعته في الحديث والرجال ومعرفة العِلَل .

● الشيخ الإمام ، العالم الكبير ، المحدِّث العلامة : نذير حسين بن جَوَاد الحسيني الدِّهْلَوي (١٢٢٥ـ١٣٢٠هـ) المتَّفق على جلالته ونبالته في الحديث وعلومه .

● المحدِّث الفقيه الشيخ رشيد أحمد الكَنْكُوهي ، الدِّيُوْبَنْدي ، المتوفى سنة ١٣٢٣هـ، صاحب التآليف السامية .

● الشيخ المحدِّث محمد يعقوب النَّانُوْتَوي الدِّيُوْبَنْدِي ، المتوفى في حدود ١٣٠٠هـ .

● العلامة المحدِّث الشيخ محمد شمس الحق بن أمير علي الدَّيَانَوِي العظيم آبادي ، المتوفى سنة ١٣٢٩هـ ، صاحبُ « عونُ المعبود في شرح أبي داود » .

● الشيخ السيد عالم علي السَّكَيْنَوي (المتوفى سنة ١٢٩٥هـ) ، أخذ الحديثَ عن الشيخ إسحاق ، ودرَّس ، وأفاد بمدينة (مُرَادْآباد) مُدَّةَ حياته ، أخذ عنه خَلْقٌ كثيرٌ .

---

(١) والذي سيُطْبَع بتحقيق الدكتور ولي الدِّين النَّدْوي . مدرِّس الحديث الشريف وعلومه في جامعة الدراسات الإسلامية بدُبَي .

• الشيخ ولايت علي الصَّادقْفُوري (المتوفى سنة ١٢٦٩هـ) ، أخذ عن الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدِّهْلَوِي . ثم عن القاضي محمد بن علي الشوكاني ، وقصر همّتَه على تدريس الحديث الشريف ، وإشاعة السنَّة المحضة ، وانتفع به وبعلومه خَلْقٌ لا يُحْصَون بحدٍّ وعدٍّ .

• العلامة أمير حسن السَّهْسَواني (المتوفى سنة ١٢٩١هـ) أخذ عن المحدِّث نذير حسين الدِّهْلَوِي ، والشيخ عبد الحق بن فضل الله النِّـيُوْتَني ، درّس الحديثَ مدَّةً في بلدته .

• الشيخ العلامة أمير أحمد (المتوفى سنة ١٣٠٦هـ) ، أخذ عن المحدِّث نذير حسين الدِّهْلَوِي . كان رأساً في اختلاف المذاهب والرجال ، وسائر فنون الحديث .

• الشيخ العلامة السيد صديق حسن خان القَنُّوْجي (المتوفى سنة ١٣٠٧هـ) أخذ عن القاضي زين العابدين وصنْوه المحدِّث الشيخ حسين بن مُحسن الأنصاري اليَمَاني ، وله مصنَّفات جليلةٌ في الحديث .

• الشيخ السيد حسن شاه الرَّامْفُوري (المتوفى سنة ١٣١٢هـ) أخذ عن السيد عالم علي ، وقصر همّتَه على تدريس الحديث الشريف بمدينة (رَامْفُور) ، أخذ عنه جمعٌ كثيرٌ .

• الشيخ القاري عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (المتوفى سنة ١٣١٤هـ) أخذ عن الشيخ إسحاق ، ولازمه مدّةً طويلةً ، ودرَّس وأفاد ، وأخذ عنه جمعٌ كثيرٌ .

• الشيخ القاضي محمد بن عبد العزيز الجعفري المَجْهَلي شَهْري (المتوفى سنة ١٣٢٠هـ) أخذ عن الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدِّهْلَوِي ، وعن الشيخ مَعْمَر عبد الحق بن فضل الله النِّـيُوْتَنِي وغيرهم . وانتفع به كثيرٌ من الناس .

• الشيخ عبد المنَّان الضرير الوَزير آبادي (المتوفى سنة ١٣٣٤هـ) أخذ الحديثَ عن المحدِّث نذير حسين الدِّهْلَوي ، ودرَّس مُدَّةَ عمره في بلاد (بَنْجاب) وأفنى قواه في ذلك ، أخذ عنه خلقٌ لا يُحْصون بحدٍّ وعدٍّ .

• العلاَّمة المحدِّث الشيخ محمد بشير الدين العُمَري (المتوفى سنة ١٣٢٣هـ) . أخذ عن المحدِّث نذير حسين الدِّهْلَوِي ، وله مصنّفات كثيرة .

• الشيخ العلامة عبد الله الغَازِيْفُوري (المتوفى سنة ١٣٣٧هـ) : أحدُ العلماء المبرّزين في الحديث والفقه . أخذ عن المحدِّث نذير حسين الدِّهْلَوِي ، وأخذ عنه كثيرٌ من العلماء .

• الشيخ فخر الحسن الكَنْكُوهي الدِّيُوْبَنْدي ، صاحب حاشيةٍ جيِّدةٍ على « سُنن أبي داود » من تلامذة الشيخ رشيد الكنكوهي . المتوفى ١٣١٥هـ .

• الشيخ أحمد حسن الأَمْرُوهوي الدِّيُوْبَنْدِي ، من تلامذة الشيخ محمد قاسم النَّانُوْتَوِي .

• المحدِّث الفقيه الشيخ خليل أحمد السَّهارَنْفُوْري، (المتوفى سنة ١٣٤٦هـ)، صاحب « بذل المجهود في شرح سنن أبي داود » .

• العالم المجاهِد ، المحدِّث الكبير ، الشيخ محمود حسن الدِّيُوْبَنْدِي المعروف بـ« شيخ الهند » ، المتوفى سنة ١٣٣٩هـ ، صاحب التحقيقات والتصانيف الفائقة في الحديث ، والتفسير ، والكلام .

• الشيخ المحدِّث ظهير أحسن النِّيْمَوِي ، صاحب « آثار السُّنن » وعدة رسائلَ جيدةٍ في مسائل من الحديث ، وهو من تلامذة الشيخ عبد الحي اللَّكْنَوِي) المتوفى ١٣٢٢هـ .

• المحدِّث الجليل ، الفقيه الكبير ، إمام العصر : محمد أنور الكشميري ، ثم الدِّيُوْبَنْدِي ، المتوفى سنة ١٣٥٢هـ ، صاحب المؤلَّفات الحاوية على تحقيقات باهرة ، مثل : « فصل الخطاب » و« نيل الفرقدين » و« كشف الستر » ، وغيرها مثل : « فيض الباري » .

• الشيخ المحدِّث محمد أشرف علي التَّهانَوي الدِّيوبَنْدي ، الملقب بـ« حكيم الأمة » ، جاوزت تآليفه خمسمئة مصنّف ، قلَّما يخلو فن من تآليفه ، المتوفى سنة ١٣٦٢هـ .

• العلامةُ المحدِّث الحجَّة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المُبَارَكْفُوري ، صاحبُ « تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي » المشهور في الآفاق ، كان من كبار المحدِّثين في الهند في عصره .

• العالمُ العَلَمُ المجاهِدُ ، المحدِّث الشيخ حسين أحمد الفَيْض آبادي ، المشهور بالمَدَني ، أحد كبار العلماء في الهند المتمكِّنين من الحديث النبوي الشريف قام بتدريسه في دار العلوم ديوبند مدَّةً طويلةً ، وتخرَّج عليه كثيرٌ من العلماء والدعاة ، منهم العلامة أبو الحسن الندوي . توفي عام ١٣٥١هـ .

• المحدِّثُ الفقيه ، والعالم الربَّاني : الشيخ حَيْدَرْ حسن خانْ الطُّونكي ، كان متضلِّعاً من جميع العلوم العقلية والنقلية ، متصلِّباً في المذهب الحنفي . درَّس الحديث النبويَّ في دار العلوم ـ نَدْوة العلماء فترةً مديدةً ، سمع منه كبارُ العلماء ، ومنهم العلامة أبو الحسن الندوي ، كان منهجه في تدريس الحديث منهجاً علمياً ، هو أشْبَهُ بمنهج المحدِّثين منه بمنهج الفقهاء ، يذكر المذاهب ، ويذكر أدلَّتها ، وما يحتج به أصحابُها من الحديث ، ولا يقصِّر في ذلك ، ثم يحاكم فيها محاكمةً مبنيةً على علم الأصول والرجال ، أكثر من الدلائل المنطقية والتعليلات العقلية . توفي بلَكْنو عام ١٣٦٠هـ . له رسائل قليلةٌ في بعض المسائل الخلافية .

• المحدِّث الشيخ حسين علي المَيَانْوَالي في البَنْجاب ، من تلامذة المحدِّث الشيخ الكَنْكُوهي . لم أعثر على تاريخ وفاته .

• المحدِّث محقِّق العصر الشيخ شَبِّيْر أحمد العثماني الدِّيُوبَنْدي ، صاحب « فتح المُلْهِم بشرح صحيح مسلم » في مجلدات ضخام .

• المحدِّث المحقِّق الشيخ محمد كفاية الله الدِّهْلَوِي ، مفتي الديار الهندية ، وشيخ الحديث بالمدرسة الأَمينية بدِهْلي سابقاً ، المتوفى ١٣٧٢هـ .

• المحدِّث الشيخ عبد العزيز الفَنْجَاني ، صاحب « أطراف البخاري » و« حاشية تخريج الزيلعي » إلى الحج ، وغيرهما ، له تحقيقات في الحديث ، واشتغال جيد في الرجال والطبقات .

• المحدِّث الشيخ مَهدي حسنَ الشَّاهْجَهانْفُوري ، صاحب التآليف المفيدة في الحديث وغيره ، ومن أعظمها « شرح كتاب الآثار » لمحمد بن الحسن الشَّيْباني .

• المحدِّث الشيخ محمد إدريس الكَانْدَهْلَوِي ، شارح « مشكاة المصابيح » في خمس مجلَّداتٍ كبيرةٍ ، المتوفى ١٣٩٤هـ .

• المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوِي ، صاحب « أوجز المسالك في شرح موطأ مالك » المتوفى ١٤٠٢هـ .

• العلامة الشيخ أبو المحاسن عبد الله الحَيْدَرْ آبادي العبد الصالح ، صاحب « زجاجة المصابيح » في خمس مجلَّدات كبار ، توفي رحمه الله في سنة ١٣٨٣هـ .

• العلامة الداعية الموهوب الرَّباني الشيخ محمد يوسف الكَانْدَهْلَوِي ، أمير (جماعة التبليغ) في الهند وباكستان سابقاً ، صاحب كتاب « حياة الصحابة » في ثلاثة مجلَّدات كبار ، و« أماني الأحبار في شرح معاني الآثار » للطحاوي ، طبع منه مجلَّدان كبيران ، هو شاهد بضلاعته في الفقه والسنَّة وعلومها .

• العلامة المحدِّث البارع الشيخ محمد بدر عالَم المِيْرَتْهِيْ ، تلميذ إمام العصر الشيخ أنورشاه الكشميري، وناسخ إملاءاته في «فيض الباري على صحيح البخاري» في أربع مجلَّدات كبار، له كتاب «ترجمان السنَّة» بالأردية، طُبع منه ثلاث مجلَّدات أو أكثر . توفي رحمه الله تعالى بالمدينة المنوَّرة في ٣ من رجب سنة ١٣٨٥هـ .

• العلامة المحدِّث الفقيه الشيخ ظَفَر أحمد العثماني التَهَانَوِي ، وهو ابن أخت الشيخ أشرف علي التهانوي ، له كتب منها : « إعلاء السُّنن » فريدٌ في بابه بما جَمَع من الاستدلال بالكتاب والسنَّة والآثار على أبواب الفقه الحنفي ، في عشرين مجلَّداً طُبع منه ١٨ مجلداً في الهند وباكستان ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٩٤هـ .

• العلامة المحدِّث الفقيه أبو المحاسن محمد يوسف البَنُّوري : تلميذ إمام العصر الشيخ أنورشاه الكشميري ، من كتبه الحافلة : « معارف السنن » في شرح « سنن الترمذي » في أكثر من عشر مجلَّدات ضِخام ، طُبع شطره في كراتشي ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٩٧هـ .

● العلامة المحدِّث البارع الفقيه الحافظ الحُجَّة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، صاحب التعليقات البديعة ، والتحقيقات النادرة ، العالم بالرجال والعِلَل . وتعليقاته وتحقيقاته السنِّيَّة على « سنن سعيد بن منصور » و« الزهد » لابن المبارك ، و« مسند الحُمَيْدي » و(استدراكاتُه) على الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على « مسند أحمد » ، ثم (تعليقاته الحافلة) على « مصنَّف عبد الرزَّاق » ، كلّها تنطق بسُمُوِّ فضله ، وبسطة يديه في هذا العلم الشريف . توفي رحمه الله سنة ١٤١٢هـ .

● المحدِّث الفقيه الشيخ محمد شفيع العثماني ، (مفتي جمهورية باكستان الإسلامية سابقاً) أحدُ تلامذة الشيخ أشرف علي التَّهَانَوِي ، ومحدِّث العصر الإمام أنورشاه الكَشْميري .

● العلامة الناقد الضليع الشيخ محمد عبد الرشيد النعماني ، صاحب التعليقات والتدقيقات والجولات الظافرة في ميادين العلم . ومن كتبه : « ما تَمَسُّ إليه الحاجة لمن يطالع سننَ ابن ماجه » (والذي طُبع بعناية الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة بعنوان « الإمام ابن ماجه وكتابُه السُّنن ») ، وتعليقاته على « دراسات اللَّبيب » ، و« ذَبّ ذبابات الدراسات » ، و« مقدمة التعليم » لمسعود بن شيبة السِّنْدي تَدُلُّ على فحولته في علوم الحديث ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٤٢٠هـ .

● العالم الكبير ، الداعية المخلص : الشيخ محمد منظور النعماني (المتوفى سنة ١٩٩٦م) ، درس على كبار علماء دار العلوم دِيُوْبَنْد ، درَّس الحديثَ مدَّةً في دار العلوم ـ نَدْوَة العلماء ، ومصنَّفاته في الحديث « معارف الحديث » في ثماني مجلَّدات بالأردية ، و« ألفية الحديث » بالعربية .

● المحدِّث الطبيب الشيخ محمد أيوب المَظَاهري ، أحدُ أكبر تلامذة المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكانْدَهْلَوي . كان جامعاً بين الطِّبابة والصناعة الحديثية ، وله استدراكاتٌ على « تهذيب التهذيب » للحافظ ابن حجر ، وعلى « معاني الآثار » ، ومن أشهر كتبه في الحديث « تراجم الأحبار من رجال شرح معاني الآثار » . لم أعثر على تاريخ وفاته .

• العالِمُ ، المحدِّث ، المحقِّق : الشيخ ضياء الحسن الأعظمي القاسِمي النَّدْوِي . أحدُ تلاميذ المحدِّث حبيب الرحمن الأعظمي . درس الحديث في « دار العلوم دِيُوْبَنْد » على كبار أساتذتها ، والأدب في « دار العلوم ـ ندوة العلماء » ، ثم عيِّن أستاذاً للحديث والفقه في « ندوة العلماء » كانت دراسته للحديث وفنونه عميقةً واسعةً . توفي بـ (لَكْنو) عام ١٤٠٩هـ . وله تحقيقاتٌ نادرةٌ ، ودراساتٌ نافعةٌ في علم ورجال الحديث ، منها « الترغيب والترهيب » و« الزهد والرقاق » لابن المبارك .

• المحدِّث الشيخ عبيد الله بن عبد السلام الرَّحماني ، أبو الحسن ، المُبَارَكْفُوري (المتوفى سنة ١٤١٤هـ) ، تخرَّج في « المدرسة الرحمانية » بدِلْهي ، ودرس الحديث على كبار العلماء في الهند ، وهو من مؤسِّسي « الجامعة السَّلفية » بـ(بَنَارَسْ) ، من مؤلَّفاته في الحديث : « مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح » .

• المحدِّث الشيخ عبد الجبَّار الأعظمي ، أحدُ أنجب تلاميذ المحدِّث الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، درس في « جامعة مفتاح العلوم » ودرَّس فيها مدَّةً التفسيرَ والحديث . توفي عام ١٤١٤هـ . من مؤلفاته في الحديث : « إمداد الباري شرح صحيح البخاري » و« التصويبات لما في حواشي البخاري من التصحيفات » .

• الشيخ حبيب الله المختار الشهيد (المتوفى سنة ١٤١٨هـ) ، صاحب « كشف النقاب عمَّا ورد في قول الترمذي في الباب » كان واحداً من كبار علماء باكستان في الحديث ، درَّس في دار العلوم بِنُوري تاؤن بكراتشي ، وقد تخرَّج عليه عددٌ وجيهٌ من الطلبة يخدمون السنَّة المطهَّرة .

• المحدِّث الفقيه الشيخ سليم الله خان ، أحدُ كبار تلامذة المحدِّث الشيخ حسين أحمد المَدَني ، ومؤسِّس الجامعة الفاروقية بكراتشي ، التي تُعَدُّ اليوم من كبرى جامعات باكستان الإسلامية ، وله شرحٌ نفيسٌ على « صحيح البخاري » بالأردية ، وقد بُدئ بتعريبه منذ شهورٍ .

• المحقِّق الضليع ، والباحث الحصيف : الشيخ محمد مصطفى الأعظمي ،

أحد كبار علماء الحديث ، والمؤلِّفين البارعين فيه بالعربية والإنكليزية ، تخرَّج على أجلَّة العلماء والمحدِّثين في دار العلوم دِيُوْبَنْد عام ١٩٥٢م ، ثم سافر إلى مصر ، ودرس في الأزهر ، وحصل على الدكتوراة في الحديث من جامعة كامبردج (في بريطانية) وكانت رسالته : « دراسات في الحديث النبوي » قام بتدريس الحديث في جامعة أم القرى ، وجامعة الملك سعود بالرياض .

ومن مؤلَّفاته : « منهج النقد عند المحدِّثين » و« دراسات في الحديث النبوي » ، وكتبٌ ودراسات قيمةٌ في علوم القرآن بالعربية ، والإنكليزية ، ومن تحقيقاته : « صحيح ابن خزيمة » ، و« العِلَل » لعلي بن المَديني . مُنِح جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) اعترافاً بخدماته الجليلة في خدمة الحديث النبوي .

● القاضي الفقيه المحدِّث الداعية : الشيخ محمد تقي العثماني ، وهو أشهر من أن يعرَّف ، صاحب تكملة « فتح المُلْهِم في شرح صحيح مسلم » وأمالي قيمة على « جامع الترمذي » .

● العلامة بقية السلف وعمدة المحدثين المحقق الثبت المحدث الكبير الفقيه الأصولي ، البحاثة ، الناقد البصير . الشيخ محمد يونس الجُونفُوْري ، أحد العلماء الأفذاذ الذين قل أن يوجد مثلهم في تبحرهم في العلم ، وسعة الاطلاع ، ودقة التحقيق ، وجودة الفهم في عصرنا هذا .

وُلد في الخامس والعشرين من رجب عام ١٣٥٥هـ في جونبور ، وقرأ القرآن على والده ، ثم التحق بجامعة مظاهـر علوم (سهارنبور) في سنة ١٣٧٨هـ وقرأ الحديث على الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، وتخرج عليه في هذا العلم الشريف . ثم عيِّن أستاذاً في الجامعة في سنة ١٣٨٣هـ ، ودرَّس فيها الكتب المتنوعة من العلوم المختلفة إلى سنة ١٣٨٤هـ ، ودرَّس من كتب الحديث مشكاة المصابيح ، وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، وكان الشيخ زكريا الكاندهلوي يدرس « صحيح البخاري » تماماً إلى أن لحقته أعذار ، وأمراض ، فألجأته إلى ترك التدريس ، ففوض تدريس صحيح البخاري إلى تلميذه الشيخ محمد يونس الجونفوري حفظه الله تعالى

وذلك في سنة ١٣٨٨هـ وله ذوق جيد بكتب الحديث حتى أفنى جميع عمره بخدمة الحديث ، وقد منحه الله تعالى قوة الحفظ ، وسعة الاطلاع على كتب المتقدمين والتضلع من الفقه والأصول والرسوخ في علوم الحديث ، وكان يتوسع في نقل المذاهب ودلائلها ، وله استحضارٌ للنقول ، واطّلاعٌ على دواوين السنة وشروح الحديث وكتب المتقدمين .

ويقيم الدلائل على منحته وأرجحيته منصفاً في الحكم عليه ، ويعترف للحافظ ابن حجرٌ بغزارة العلم وعلو الكعب في صناعة الحديث .

وله تأليفات تزيد على العشرة ، أشهرها : « إرشاد القاصد إلى ماتكرر في البخاري بإسناد واحد » و« جزء قراءة خلف الإمام » و«جزء رفع اليدين» و«جزء المحراب» و«جزء المعراج» و« مقدمة أبو داود » و« مقدمة المشكاة » و« تخريج أحاديث أصول الشاشي » و« جزء حياة الأنبياء » و« جزء عصمة الأنبياء » و« اليواقيت واللآلىء » و« مقدمة البخاري » و« ترجمة عبد الله بن الزبير » و« تخريج أحاديث مجموعة جهل حديث »[1] تذكّر بأئمّة المحدِّثين ، يتمتع بسَعَة الاطلاع على الحديث روايةً ودرايةً . يَقِلُّ نظيره اليوم بين علماء الحديث .

• العالم الكبير المحدِّث الفقيه : الشيخ سعيد أحمد البَالَنْفُوْري ، أستاذ الحديث النبوي الشريف ، بدار العلوم ديوبند ، صاحبُ مؤلَّفاتٍ ، وتحقيقات قيمة بالعربية ، والأردوية .

• الشيخ صفي أحمد المُبَارَكْفُوْري (المتوفى سنة ١٤٢٧هـ) ، أحدُ كبار علماء السلفية في الهند ، وصاحب كتاب « الرحيق المختوم »المشهور في الآفاق ، وله شرحٌ مختصرٌ على « صحيح مسلم » وتحقيقات على كتب الحديث ، وغيرها .

• العالم الكبير ، والباحث الحصيف : الدكتور حمزة عبد الله المَلِيْباري . صاحبُ دراساتٍ قيمةٍ في الحديث وعلومه ، لا يستغني عنها طالبُ الحديث الشريف . منها : « علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدِّثين النقَّاد » و« نظرات جديدة في علوم الحديث » وغيرهما .

---

(١) كتبه أحدُ تلامذة الشيخ .

• المحدِّث الفقيه الشيخ سَرْفَرَازْخان صَفْدَرْ ، أحدُ كبار علماء باكستان ، صاحب كتبٍ قيِّمةٍ في الحديث وغيره ، قام بتدريس الحديث الشريف مُدَّةً لا بأس بها في دار العلوم ـ كراتشي ، وله تلامذة منتشرون في باكستان .

• الباحثُ المحقّق ، العالم العامل : الشيخ محمد تقي الدين النّدْوي المظاهري : محقِّق « أوجز المسالك لموطأ الإمام مالك » للمحدِّث الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوي ، وغيره ، محقّق ومؤلِّف كتبٍ نافعةٍ في الحديث وعلومه بالعربية والأردوية .

• الداعيةُ المفكِّر ، العلامة المحدِّث : الشيخ سلمان الحسيني النَّدْوي : أحدُ أنبغ تلاميذ إمام المحقِّقين في عصرنا المحدِّث الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة ـ رحمه الله تعالى ـ ، وهو أستاذ الحديث في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، بلكهنؤ ، ومؤسِّس « جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد » . وصاحب رسائل قيمةٍ في الحديث وعلومه ، منها : « لمحة عن علم الجرح والتعديل » و« التعريف الوجيز بكتب الحديث » وغيرهما .

• العالم الكبير ، المحدِّث الجليل ، الشيخ نعمة الله الأعظمي ، أستاذ الحديث النبوي الشريف ، ورئيس قسم التخصُّص في الحديث بدار العلوم دِيُوْبند . لم أعثر على مؤلَّفاته ، لكن كفاه : أنه جمع عدداً وجيهاً من الطلبة يخدمون ـ اليوم ـ الحديثَ الشريف تأليفاً ، وتدريساً .

• الشيخ عاقل بن أيوب المَظَاهِري الكانْدَهْلَوِي أستاذ الحديث في جامعة مَظَاهِر العلوم في سَهَارَنْفُوْر ، أحدُ تلامذة المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي الكبار .

كانت هذه بعضُ تراجم ، وأسماء هؤلاء العلماء الأعلام الذين بذلوا مُهْجَتهم في نشر هذا العلم الشريف في هذه البلاد ، ورحلوا في سبيل ذلك إلى بلدانٍ شاسعةٍ ، وأخذوا الحديثَ عن علمائها ، فأفاضوه على أهل بلادهم (الهند) ، فأصبحت هذه البلادُ أكبرَ مركزٍ لهذا العلم من حيث العناية به تأليفاً ، وتصنيفاً ، وتدريساً ، وتحقيقاً ، لا يُضاهيه أيُّ بلدٍ في العالم الإسلامي ، وقد شهد بذلك كبارُ علماء العرب ، واعترفوا بمكانة هؤلاء العلماء الأعلام في الحديث وعلومه ، وقدَّروا

جهودهم الجبارة في خدمته ، ومنهم راويةُ العصر ، وأمين التراث الإسلامي : العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري ـ رحمه الله تعالى ـ والذي يقولُ :

« كان للبلاد الهندية حظٌّ كبيرٌ في خدمة السنَّة ـ بعد أن كان الهنود قبل منتصف القرن العاشر الهجري منصرفين إلى العلوم النظرية ؛ والأحكام الفقهية المجرَّدة ـ فِمن هذا الوقت أخذوا يعكفون على دراسة الحديث وعلومه ، ويعنون برواية السنَّة وبحث الروايات وانتقاد الأسانيد ، ولو ذهبنا نستعرض ما لهؤلاء الأعلام من همَّةٍ عظيمةٍ في علوم الحديث ـ في الوقت الذي قعدت فيه الهِمَمُ عن خدمة السنَّة ـ لوقع ذلك موقعَ الإعجاب والشكر البليغ ، فكم لعلماء الهند من شروحٍ ممتعةٍ ، وتعليقات نافعةٍ على الأصول الستة وغيرها ؛ وكم لهم من مؤلَّفات كبيرة في أحاديث الأحكام ؛ وكم لهم من أيادٍ بيضاء في نقد الرجال ؛ وبيان عِلَل الحديث ، وشرح الآثار ؛ وكم لهم من مؤلَّفاتٍ في شَتَّى فنون الحديث وما يتصل به » . (مقالات الكوثري ، ص : ٧١) .

وممَّا هو جديرٌ بالتقدير والإعجاب أيضاً : أنَّ هؤلاء لم تفتنهم المدنيَّةُ الغربية عن دينهم . بل إنها زادتهم تمسُّكاً به وتعصُّباً له ؛ فكثيراً ما ألَّفوا الكتب في الردِّ على القَسَاوسة ، والمستشرقين ، وكثيراً ما كانت تقام مجالسُ للمناظرة أمام الحكَّام ـ الإنجليز ـ فينتصر حقّ المسلمين على باطل المستشرقين ، وكثيراً ما كان يَفِرُّ هؤلاء القساوسةُ من مجالس المناظرة قبل أن تَتِمَّ فصولها ، يجرُّون أذيال الخيبة ، ويتعثَّرون في أثواب الهزيمة ؛ وهذا ممَّا يدلُّ على حرص هؤلاء على السنَّة وَحَدَبِهِم على نشر علومها .

* * *

أوجز المسالك

إلى موطَّأ مالك

تأليف

الإمام المحدِّث محمد زكريا الكاندهلوي المدني

المتوفى سنة ١٤٠٦هـ

اعتنى به وعلَّق عليه

الأستاذ الدكتور تقي الدين النَّدْوي

دار القلم

دمشق

نبذة من ترجمة المؤلِّف والمحقِّق

مؤلِّف الكتاب :

سبقت ترجمته في أول مقدمة « فضائل القرآن » ، انظر صفحة : (٥٧) .

محقق الكتاب :

هو العالمُ الكبيرُ والمحقّقُ الضليع : الدكتور تقي الدين النَّدْوِي بن بدر الدين بن محمد حسن . أحدُ كبار علماء الحديث في الهند .

وُلد ببلدة (مظفَّر فُور) من مديريَّة (أعظم كَرَهْ) في ولاية (أُتْرَابَرْديْش) عام ١٩٣٤م .

تلقَّى مبادىء العلوم الإسلامية واللغة العربية في « مدرسة الإصلاح » الواقعة في بلدة (سَرَائمِيْر) من مديرية (أعظم كَرَهْ) ، ثم التحق بـ « جامعة مظاهر العلوم » في (سَهَارَنْفُور) ، حيث درس الحديثَ والفقه على أجلَّة أساتذتها ، ثم التحق بـ « دار العلوم ندوة العلماء » وأكمل فيها دراستَه على أساتذتها الكبار . ثم أرسله العلامة أبو الحسن النَّدْوِي ـ رحمه الله ـ إلى المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ليتخصَّص في الحديث مستفيداً منه لما رأى شَغَفه الزائد والاهتمام البالغ بالحديث النبوي الشريف . قرأ عليه الدكتورُ « صحيح البخاري » وبعضَ كتب الحديث ، وحصل منه الإجازةَ فيها .

ثم أرسله المحدِّث الكاندهلوي إلى القاهرة ليُشرف على طباعة وتصحيح كتاب ـ أستاذه وشيخه والعلامة المحدِّث الشيخ خليل أحمد السَّهَارَنْفُوري « بذل المجهود في شرح سنن أبي داود » ، وسجَّل الدكتورُ أثناء إقامته بالقاهرة في جامعة الأزهر ، وحصل منها على شهادة الدكتوراه في الحديث بتحقيق « كتاب الزهد الكبير » للإمام البيهقي ، عام ١٩٧٦م .

عيِّن مستشاراً علمياً وقاضياً شرعياً في دائرة القضاء الشرعي بـ (أبو ظبي) من عام ١٩٧٥ ـ إلى عام ١٩٨١م ، ثم انتدبته جامعة الإمارات أستاذاً عام ١٩٧٩م ثم تعيَّن في الجامعة نفسها أستاذاً مساعداً عام ١٩٨٥م فأستاذاً عام ١٩٩٤م . وأشرف أثناء ممارسته في تدريس الحديث في هذه

الجامعة على عدد من رسائل الماجستير ، والدكتوراه ، وشارك في الندوات العلمية والمؤتمرات الدينية المنعقدة في بلدان العالم الإسلامي ، ومن مؤلَّفاته :

١ ـ علم رجال الحديث .

٢ ـ الإمام البخاري : إمام الحفَّاظ والمحدِّثين .

٣ ـ الإمام أبو داود : الحافظ الفقيه .

٤ ـ الإمام مالك ومكانة كتابه « الموطأ » .

٥ ـ أعلام المحدِّثين بالهند (رسالة صغيرة) .

٦ ـ السنَّة مع المستشرقين والمستغربين .

ومن تحقيقاته :

٧ ـ أوجز المسالك شرح موطأ الإمام مالك (في ثمانية عشر مجلَّداً) .

٨ ـ موطأ الإمام مالك (رواية محمد بن حسن الشَّيْبَاني) مع التعليق الممجَّد على موطأ محمد (شرح الإمام عبد الحي اللَّكْنَوي) في ثلاث مجلَّدات .

٩ ـ بذل المجهود في شرح سنن أبي داود (عشرون مجلَّداً) .

١٠ ـ ظفر الأماني في شرح مختصر الجُرْجاني : للإمام عبد الحي اللكنوي (في علوم الحديث) .

١١ ـ كتاب الزهد الكبير : للإمام البَيْهَقي .

وله غير ذلك عشرات البحوث ، ومقالات منشورة في المجلات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدَّمةُ الطَّبْعَة الجَديدَةِ

سماحة الشيخِ العلامَةِ أبي الحَسَن علي الحسني الندويِّ

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرسلَين محمَّد ، وآله ، وصَحْبِه أجمعين ومن تَبِعَهم بإحسانٍ ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين وبعد :

فإنَّ كتاب « أوجز المسالك إلى موطَّأ الإمام مالك » لشيخ المحدِّثين في العصر الحديث ، وبقية السَّلَف ، العلامة الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوِي المَدَني المتوفى في المدينة المنوَّرة من الكُتب المستفيضة في شرح « الموطأ » الذي يجدر بأن يُعْتَبر موسوعةً في علم الحديث ، ومذهب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ . ومؤلِّفه القيِّم هذا قد نال اعترافَ المشتغلين بعلم الحديث ، والمنخرطين بمسلك المذهب المالكي ، وصدرت له عِدَّة طبعاتٍ ، وهذه هي الطبعةُ الجديدةُ التي تصدر بعد مراجعة من أحد أبرز تلاميذ المؤلِّف الدكتور الشيخ تقي الدين النَّدْوي المَظَاهري أستاذُ الحديث في جامعة العَيْن سابقاً .

وقد كانت له مساهمةٌ في تصحيح مؤلَّفات الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي وشيخه الشيخ خليل أحمد السَّهَارَنْفُوري صاحب « بذل المجهود في شرح سنن أبي داود » وقضى فترةً طويلةً في تربيته ، وساعده في طبع وتصحيح كتب الحديث النبويّ الشريف ، وكان موضعَ ثقةٍ لديه ، وقد صدرت بقلمه عِدَّةُ كتب في علم الحديث ، وتراجم المحدِّثين ، ونالت قبولاً عاماً ، وشرح كتبَ الحديث ، ونالت كتبُه التقديرَ في أوساط علماء الحديث .

وقد بذل الدكتورُ الشيخ تقي الدين النَّدْوِي جهداً مُضْنياً في تصحيح كتاب

« أوجز المسالك » . وقامَ بالمقارنة بين النسخة الأصلية القديمة والنسخ الأخرى التي طُبِعَتْ في مصر وبيروت ، وراجع الأصولَ والمراجع لشرح الكتاب ، وأضاف إلى الكتاب فهارسَ وهوامشَ مفيدةً ، فأصبح الكتابُ أنفع وأسهل لطالبي علم الحديث .

وأسأل الله التوفيقَ ، والسَّداد ، والقبول ، وهو وليُّ التوفيق .

أبُو الحسَن عليٌّ الحَسَنيُّ النَّدْويُّ

رَئيسُ دار العُلُومِ ـ نَدْوَة العُلَماءِ ـ لكهنؤ ـ الهِنْد

١٩ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ الموافق ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م

التعليق الممجّد على موطأ محمد

شرح العلامة عبد الحي اللَّكْنَوي

تحقيق وتعليق

الدكتور تقي الدين النَّدْوِي

دار القلم

دمشق

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو : فخرُ المتأخِّرين ، ونادرة المحقِّقين المنصفين ، المحدِّث ، الفقيه ، الأصولي ، المنطقي ، المتكلِّم ، المؤرِّخ ، النظَّار ، البحَّاثة ، النقَّادة ، الإمام الشيخ أبو الحسنات محمد عبد الحي الأنصاري اللَّكْنَوي الهندي ، ابن العلامة المحقِّق الإمام المتفق على براعته وإمامته الشيخ محمد عبد الحليم الأنصاري اللَّكْنَوي الهندي .

وُلِدَ في بلدة (بَانْدَا) في الهند يوم الثلاثاء ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٢٦٤هـ ، وشرَعَ في حفظ القرآن الكريم حين بلغ الخمس سنين ، وفرَغ من حفظه وهو ابن عشر سنين ، ومُنِح منذ نشأته قوَّة الحافظة الواعية .

وقرأ أوّل ما قرأ على والده بعضَ الكتب الفارسية ، والإنشاء ، والخط أثناء حفظه للقرآن ، وكان يُدارس والدَه فيه أيضاً . وبعد أن فرغ من ذلك كلِّه شرع في تحصيل العلوم الشرعية وآلاتها ، فقرأ الكتب المدرسية في الفنون الآتية : الصرف ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والمنطق ، والحكمة ، والطب ، والفقه ، وأصول الفقه ، وعلم الكلام ، والحديث ، والتفسير ، وغيرها من العلوم .

وقد أُلقي في قلبه من مُستهلِّ شبابه محبَّةُ التدريس والتأليف ، فلم يقرأ كتاباً إلا درَّسه بعد قراءته ، فحصَلَ له من ذلك التمكُّنُ في العلوم ، وتسنَّى له بما صار لديه من الملكة في الفهم والعلم أن يقرأ الكتب التي لم يكن قرأها على أستاذ ، ككتاب « شرح الإشارات » للطُّوسي ، و« قانون الطب » ، و« علم العروض » وغيرها .

وأعطي في تدريسه القبولَ والرضا من طَلَبته ، والآخذين عنه ، وشاع الثَناءُ عليه من شيوخه وعارفيه .

وكان أحبُّ العلوم إليه : الحديثُ الشريف ، وفقهُ الحديثِ ، وما إليه من علوم المنقول ، مع تفوّقه في العلوم العقلية ، وحدَّث عن نفسه : أنه يجد في تدريس الحديث الشريف وفقهه والتصنيف فيهما من اللَّذة والسرور ما لا يجده في سواهما من سائر العلوم والفنون .

وكان ذا فتوحٍ ربَّانيٍّ عظيمٍ في المسائل المُعضلة ، والمباحث الدقيقة المشتبكة .

وقد يسَّر الله تعالى له الحجَّ إلى بيته الكريم مرتين ، مرةً مع والده سنة ١٢٧٩هـ ، ومرةً بعد

وفاة والده سنة ١٢٩٢هـ ، وقد جمَع في هاتين الحجتين الشيء الكثير من الفوائد العلمية من علماء الحرمين الشريفين ، كما اقتنى كثيراً من الكتب النادرة المخطوطة ، والمطبوعة من البلاد التي مرَّ بها .

توفي الإمامُ في ١٣٠٤هـ بمدينة لَكْنو ، ولم يَكتمل له من العمر أربعون سنةً ، رحمه الله تعالى ، وجزاه عن العلم والدين والإسلام خير الجزاء .

كثرة تصانيفه وسعةُ مكتبته :

إذا ذُكِرَ المؤلِّفون أصحابُ التصانيف الكثيرة التي زادت على الخمسين أو المئة كتاب ذُكِر الإمام عبدُ الحي اللكنوي في طليعتهم ومُقدّمتهم غيرَ مُدافَعٍ ، ذلك ؛ لأن تصانيفه بلغت نحو مئة وعشرة كتب ، وإذا قِيسَتْ كثرتها هذه في جانب عُمُره القصيرِ الذي كان ٣٩ سنةً بدَتْ كثيرةً جداً .

ويُقرُّ كلُّ من نظر في تآليف الشيخ عبد الحي : أنها تستوفي التحقيقَ العلميَّ الناصع ، وتحوي النقولَ النادرة الفاصلة ، والاستيعابَ لكل ما في المسألة أو الباب ؛ حتى كأنَّه تخصَّصَ طوالَ عمره في الموضوع الذي يبحثه لا غير ، ولا تجده في شيء من كتبه هذه الكثيرة يجترُّ العلم اجتراراً ، أو يقولُ فيها مُعاداً مكروراً ، حتى في كتبه التي تبلغ مجلَّدات ضخمة كحاشيته على « الهداية » للإمام المَرْغِيْنَاني وكتابِه « السِّعاية في كشف ما في شرح الوقاية » وغيرهما .

ولقد آتاه الله تعالى ذَوْقاً مُرهَفاً ، وحِسّاً علمياً نقيّاً ، ودِقَّة نادرةً في الفهم ، وقوَّةً بالغةً في الحفظ ، وقُدرة عجيبة على التأليف بأسرع وقتٍ وأنصع أسلوبٍ ، حتى إنك لا تكاد تلمح في كلامه مَسْحة العُجْمة وهو هنديُّ الدارِ والمولد واللغة ، ولا يمكن أن تشكَّ مرَّةً واحدةً في ذوقه فيما يكتب أو ينقل أو يُناقِش ، حتى في ثورته على مُناوئيه ومخالفيه يتجلَّى لك من أسلوبه التزامُ الأدبُ ، وتحكيمُ العِلم في ميدان المناقشة ، لا السفسطة ، والإقذاع .

ومن أشهرِ مؤلَّفاته :

١ ـ التعليقُ الممجَّد على موطأ الإمام محمد .

٢ ـ عمدة الرعاية على شرح الوقاية .

٣ ـ إمامُ الكلام فيما يتعلَّقُ بالقراءة خلف الإمام .

٤ ـ السعاية في كشف ما في شرح الوقاية .

٥ ـ تذكرة الراشد برد تبصرة الناقد .

٦ ـ طربُ الأماثل في تراجم الأفاضل .

٧ ـ الفوائد البهية في تراجم الحنفية .

٨ ـ الرفع والتكميل في الجرح والتعديل .

٩ ـ الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة .

١٠ ـ ظَفَر الأماني في شرح مختصر الجرجاني (في المصطلح) .

١١ ـ نفع المفتي والسائل بجمع متفرقات المسائل .

١٢ ـ إقامة الحُجَّة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة .

١٣ ـ تحفة الأخيار في إحياء سُنَّة سيد الأبرار .

١٤ ـ الأجوبة الفاضلة . . .[١]

ترجمة المحقِّق :

انظر ترجمته في أول مقدمة « أوجز المسالك . . . » في صفحة (١٣١) .

---

(١) مأخوذ من « الأجوبة الفاضلة . . » بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، بتصرُّفٍ واختصارٍ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَقْدِيم

بقلم سَمَاحَةِ الشَّيْخ
أبي الحَسَن عَليّ الحَسَني النَّدْوي

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده .

وبعد ، فأبدأ هذا التقديمَ المتواضع لكتاب « التعليق الممجَّد على موطأ الإمام محمَّد » للإمام أبي الحَسَنات عبد الحيّ اللَّكْنَويّ رحمه الله تعالى ، تحقيق وإخراج أخينا الفاضل فضيلة الشيخ الدكتور تقيّ الدين النَّدْوي ، بما قاله حكيمُ الإسلام الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ وليّ الله الدِّهْلَوي (١١١٤هـ - ١١٧٦هـ) في مقدِّمة كتابه « المصفَّى شرح الموطأ » بالفارسية ما معناه بالعربية ، قال ـ بعدَ ما ذكر حَيرتَه بسبب اختلاف مذاهب الفقهاء ، وكثرة أحزاب العلماء ، وتجاذبهم كلٌّ واحدٍ عن الآخر إلى جانبٍ ـ قال رحمه الله :

« أُلهِمْتُ الإشارةَ إلى كتاب « الموطأ » تأليف الإمام الهُمَام حُجَّة الإسلام مالك بن أنس ، وعَظُم ذلك الخاطرُ رويداً فرويداً ، وتيقَّنْتُ : أنَّه لا يُوجَد الآن كتابٌ ما في الفقه أقوى من موطأ الإمام مالك ؛ لأن الكتب تتفاضلُ فيما بينها : إمَّا من جهة فضل المصنِّف ، أو من جهة التزام الصِّحَّة ، أو من جهة شهرة أحاديث ، أو من جهة القبول لها من عامة المسلمين ، أو من جهة حُسن الترتيب ، واستيعاب المقاصد المُهِمَّة أو نحوها ، وهذه الأمور كلُّها موجودةٌ في الموطأ على وجه الكمال بالنسبة إلى جميع الكتب الموجودة على وجه الأرض الآن »[١] .

---

(١) نقلاً من « تسهيل دراية الموطّأ في كتاب المسوَّى شرح الموطّأ » ، إخراج دار الكتب العلمية =

ومن كلامه فيه في نفس مقدمة « المصفَّى » :

« لقد انشرح صدري وحصل لي اليقينُ بأنَّ « الموطأ » أصَحُّ كتابٍ يُوجَد على وجه الأرض بعد كتاب الله ، كذلك تيقَّنتُ : أنَّ طريق الاجتهاد وتحصيل الفقه (بمعنى معرفة أحكام الشريعة من أدلتها التفصيلية) مسدودٌ اليوم (على من رام التحقيقَ) إلا من وجهٍ واحدٍ ، وهو أن يجعل المحقِّق « الموطّأ » نصبَ عينيه ، ويجتهد في وصل مراسيله ، ومعرفة مآخذ أقوال الصحابة والتابعين « بتتبُّع كتب أئمَّة المحدِّثين) ، ثم يسلك طريقَ الفقهاء المجتهدين (في المذاهب) من تحديد مفهوم الألفاظ ، وتطبيق الدلائل ، وتبيين الركن والشرط والآداب ، واستخلاص القواعد الكلية الجامعة المانعة ، ومعرفة عِلَل الأحكام ، وتعميمها وتحقيقها ، وِفْقاً لعموم العِلَّة وخصوصها ، وأمثال ذلك ، ويجتهد في فَهْم تعقُّبات الإمام الشافعيّ وغيره (كتعقُّبات الإمام محمد في موطَّئه ، وكتاب الحُجَج) ثم يجتهد في تطبيق المختلفات أو ترجيح الأحسن منها ، ويتمكَّن من تحصيل اليقين بدلالة الدلائل على تلك المسائل ، وبغالب الظَّنِّ للرأي لمعرفة أحكام الله تعالى »[1] .

أمَّا ما يتصل بمكانة « الموطّأ » للإمام محمَّد رحمه الله تعالى بالنسبة إلى « موطّأ مالك » برواية يحيى الأنْدُلسي اللَّيْثي المصْمُوْدي وهو المتبادر بالموطّأ عند الإطلاق ، وأكَبَّ عليه العلماءُ في القديم والحديث بالتدريس والشرح ، فحسب القارىء ما يقوله الإمامُ عبدُ الحيّ بن عبد الحليم اللَّكْنويّ صاحب « التعليق الممجّد » في مقدِّمته لهذا الكتاب :

(له ترجيحٌ على الموطّأ برواية يحيى ، وتفضيلٌ عليه لوجوهٍ مقبولةٍ عند أولي الأفهام)[2] .

= بيروت ، ص(١٧ ـ ١٨) .

(١) المرجع السابق : ص(٢٩) .

(٢) التعليق الممجّد : ص(٣٥) .

ثم ذكر هذه الأسبابَ ، وتوسَّع في عدِّها ، وشرحها[1] .

وقد كان الإمامُ عبد الحيّ اللَّكْنَويّ مِن أقدر الناس وأجدرِهم بالتعليق على موطّأ الإمام محمدٍ ؛ لأنه كان يجمع بين الصِّلة العلمية القوية بالحديث والصلة العلمية القوية بفقه المذاهب الأربعة ، وبصفةٍ خاصةٍ بالمذهب الحنفي ، الذي كان الإمام محمد مِن أعلامه البارزين ومؤسِّسيه الأصيلين ، فكان بذلك يجمع بين نسبٍ علميٍّ معنويٍّ قريبٍ بصاحب « الموطأ » إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس ، ونسبٍ معنويٍّ علميٍّ كذلك بالإمام محمَّد بن الحسن تلميذ الإمام مالك وصاحب الإمام أبي حنيفة . والنسبِ العلميِّ والمعنويِّ ليس أقلَّ قيمةً ولا أضعف تأثيراً من النسبِ الجسديِّ الظاهر ، وبذلك استطاع أن يتغلَّب على ما يعتبره كثيرٌ من التناقض ، والجمع بين الأضداد . واستطاع أن يُنصِفَ كلَّ الإنصاف لصاحب الكتاب الأول الإمام مالك ، وراويهِ وناقِله الراشد البار الفقيه المجتهد ، والمحدِّث الواعي ، الإمام محمَّد . هذا عدا ما اتصف به من اتِّساع الأفُقِ العلميِّ ورحابة الصَّدر ، وسلامة الفكر ، والذكاء النادر . يقول سَمِيُّه العلامة عبد الحيّ ابن فخر الدين الحسني (م١٣٤١هـ) ، في كتابه المشهور : « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر »[2] في ترجَمة الإمام عبد الحيّ اللَّكْنَوي يحكي قوله :

« ومن مِنَحِه : أنه جَعَلني سالكاً بين الإفراط والتفريط لا تأتي مسألة معركة الآراء بين يديّ إلا أُلهمت الطريق الوسط فيها ، ولستُ ممّن يختار التقليدَ البَحْتَ بحيث لا يترك قولَ الفقهاء وإنْ خالَفَتْه الأدِلَّةُ الشرعيةُ ، ولا ممَّن يطعن عليهم ، ويحقِّر الفقه بالكليّة »[3] .

وصاحب كتاب « نزهة الخواطر » قد أدرك الإمامَ عبدَ الحيّ اللَّكْنوي وحضر

---

(١) يُرجع إلى البحث في المقدمة ، من ص٣٥ إلى ص٤٠ .

(٢) والذي طُبع في ثلاث مجلَّدات ضخام ، منقَّحةً ومحقَّقةً ، من دار ابن حزم ـ بيروت ، بعنوان « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » .

(٣) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : ٨/ ١٢٦٨ .

مجالسَه أكثر من مرَّةٍ ، فشهادته له شُهُودُ عِيانٍ وانطباعُ معاصرٍ خبيرٍ ، يقول :

(كان متبحِّراً في العلوم معقولاً ومنقولاً ، مطَّلعاً على دقائق الشرع وغوامضه ، تبحَّر في العلوم ، وتحرَّى في نقل الأحكام ، وحرَّر المسائل ، وانفرد في الهند بعلم الفتوى ، فسارت بذكره الرُّكبان ، بحيث إنَّ كل علماء إقليم يُشيرون إلى جلالته ، وله في الأصول والفروع قُوَّةٌ كاملةٌ وقدرةٌ شاملةٌ ، وفضيلةٌ تامَّةٌ وإحاطةٌ عامَّةٌ . .

والحاصلُ : أنه كان من عجائب الزمن ومن محاسن الهند ، وكان الثناءُ عليه كلمةَ إجماعٍ ، والاعتراف بفضله ليس فيه نزاعٌ)[1] . و« التعليق الممجَّد » للإمام عبد الحيّ اللَّكْنَوِي ، يمثِّل ما وُصِفَ به من الجمع بين إتقان صناعة الحديث والاطِّلاع على مراجعه ، وبين المعرفة الدقيقة الواسعة بالمذاهب الفقهية ، ثم ما اتُّصف به من سَعَةِ الصدر مع سَعَةِ العلم وإعطاء الحديث حقَّه من الإجلال والترجيح ، والفقه من التقدير والاهتمام ، والخروج من كلِّ ذلك بكلامٍ متَّزنٍ مقتصدٍ لا إفراطَ فيه ولا تفريطَ .

وقد اتفق لكاتبِ هذه السطور الاطِّلاعُ على هذا الكتاب أيّام طلبه لعلم الحديث وأيام التدريس ، فأُعجب بسلامة فكره ورحابة صدره .

وقد كان هذا الكتابُ « التعليق الممجَّد » في حاجةٍ إلى أن يتناوله أحدُ المتوفِّرين على دراسة الحديث الشريف وتدريسه بالعناية به تعليقاً وتصحيحاً ، ونشره بالحروف العربية الحديثة حتى تتيسَّر قراءتُه لمن اعتاد ذلك من العلماء في العالم العربي ، فقد كان كتابُه بالخَطِّ الفارسي مطبوعاً كلَّ مرَّةٍ على الحجر ، غيرَ واضحٍ وغيرَ شائقٍ للمشتغلين بالحديث والفقه من العلماء الشباب والكهول والشيوخ في الشرق العربي .

وقد وُفِّق لذلك أخونا العزيز فضيلة الشيخ الدكتور تقيّ الدين النَّدْوي (أستاذ الحديث بجامعة الإمارات العربية المتّحدة) ، وعُني بتصحيح نُسخ الكتاب والتعليق على مواضع كثيرة من الكتاب ، والرجوع إلى المصادر التي نقل منها المؤلِّف عند

---

(١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : (٨/ ١٢٦٨) .

التردُّدِ ، ووضع الفهرس العام للكتاب ، وقام بذلك بعملٍ علميٍّ جليلٍ ، وإحياءِ مأثرةٍ من مآثر عالمٍ مُخْلصٍ ربّانيٍّ ، خادمِ العلوم الدينية وناشرها في رُبُوْع الهند ، ومؤلِّف كتبٍ يبلغ عَدَدُها إلى مئة وعشرة (١١٠) كتب منها ٨٦ كتاباً بالعربية ، فاستحقَّ بذلك الأخ العزيز الفاضل شكر المقدِّرين لكتاب « الموطّأ » ، والمشتغلين بعلم الحديث والفقه ، وثناء الجميع وتقديرهم ، تقبَّل الله عمله ، ونفع به الدَّانِي ، والقاصي .

أبو الحسن عَلي الحسَني النَّدْوي
١٥ من ذي الحجة الحرام سنة ١٤٠٩هـ
دار العلوم ندوة العلماء ـ الهند

فتح المُلهم بشرح صحيح مسلم

للإمام المحدِّث الفقيه

الشيخ شبِّيْر أحمد العثماني

تكملة

القاضي الفقيه الشيخ محمد تقي العثماني

دار القلم

دمشق

نبذة من ترجمة المؤلِّفَيْن

١ ـ الشيخ شَبِّير أحمد العثماني :

هو المحدِّث الفقيه ، الخطيب المِصْقع ، العالم العامل : الشيخ شَبِّير أحمد العُثْماني بن الشيخ فضل الرحمن العثماني الدِّيُوْبَنْدي (١٣٠٥ ـ ١٣٦٩هـ) ولد بـ (دِيُوْبَنْد) ، والتحق بالروضة في ٧ من عمره . وتخرَّج من جامعة ديوبند عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م . وكان من أبرز تلاميذ العلامة شيخ الهند محمود حسن الديوبندي . درَّس أولاً في « المدرسة العالية فتح بُوري » بـ (دِهْلي) ، ثم عين أستاذاً بجامعة ديوبند عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م . وكان تدريسه لصحيح مسلم معروفاً ومقبولاً في أوساط العلماء والتلاميذ .

وفي عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م عيِّن شيخ الحديث بالجامعة الإسلامية لتعليم الدين بمدينة « دَابِيْل » بـ « غُجْرات » . وبإلحاحٍ من الشيخ أشرف علي التَّهَانَوِي وغيره من المشايخ الكبار تولَّى منصبَ الرئيس العام للجامعة الإسلامية دار العلوم/ ديوبند عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٤م ، إلى جانب توليه شياخة الحديث في جامعة « دابِيْل » .

كان أحدَ الخطباء المصاقع والأدباء المترسِّلين المبرِّزين باللغة الأردية ، ألَّف عدداً من الكتب تَنِمُّ عن عميق علمه ، وسعة اطلاعه ، وطول باعه في العلوم الإسلامية إلى جانب تحركاته ونشاطاته السياسيّة وبلائه الحسن في تحرير البلاد . وتولَّى منصبَ عضوٍ بارزٍ في حركة الخلافة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م . وكان من كبار قادة جمعية علماء الهند ، ورأسها لمدَّةٍ . وقبل تقسيم الهند بعامٍ واحدٍ ، أي في عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م انتقل إلى باكستان ، واحتفي به فيها احتفاءً كبيراً ، وعرف بـ « شيخ الإسلام » وعيِّن عضواً في لجنة وضع الدستور ورئيساً للجنة أيضاً .

وله حواشٍ وتعليقاتٌ مفيدةٌ جداً على الترجمة الأردية للقرآن الكريم للعلامة محمود حسن الديوبندي ، وقد قام بطبعها وتوزيعها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوَّرة منذ سنوات ، بكميات كبيرة .

وكذلك له مصنفاتٌ عديدةٌ ، أشهرها : « فتح الملهم بشرح صحيح مسلم » بالعربية (ولم يتمّ ، وأكمله الشيخ محمد تقي العثماني) ، و« فضل الباري بشرح صحيح البخاري » بالأردية .

توفي رحمه الله بمدينة « بَهَاوَلْ بُور » بباكستان ودُفن بكراتشي . . (**تاريخ دار العلوم ديوبند** : **بالأردية (٢/٩٨ ـ ١٠٢)** . .

٢ ـ الشيخ محمد تقي العثماني :

هو العالمُ الضَّليع ، الفقيه المحدِّث ، الداعية الرحَّالة : الشيخ محمد تقي بن العلامة المفتي محمد شفيع العثماني .

وِلد في خامس شوال سنة ١٣٦٢ من الهجرة ، ودَرَس في دار العلوم كَرَاتْشي على أساتذتها ، واستفاد مِنْ والده العظيم وبرع في الفقه والحديث ، ثم التحق بجامعة كراتشي ، ثم بجامعة بَنْجاب ، وحصل الماجستير بدرجةٍ ممتازٍ ، ثم اشتغل بالتدريس بدار العلوم ، وفاق أقرانَه بدقَّةٍ في الشعور والاتزان في الفكر والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وهو الآن نائبُ رئيس دار العلوم كراتشي ، وقاضي التمييز الشرعي بالمحكمة العليا بباكستان .

له مصنَّفاتٌ وبحوثٌ مفيدةٌ بالعربية والأردية والإنكليزية ، جمع فيها بين جدِّية الفقيه القاضي المتبصِّر ، وحكمة الداعية المخلص الخبير بمواطن الدعوة وأساليبها ، والتحليل الموضوعي للصحفي الخبير الناقد ، الناصح لدينه وأمته وبلاده والعالم الإسلامي ، وجمال الذوق الأدبي الرفيع الذي يأخذ بمجامع القلوب ، ويعطر العقول ، والأرواح ، بدأ التأليفَ منذ ميعة شبابه وهو طالب في المدرسة ، وقد رزقه الله تعالى نفساً طويلاً في هذا المجال ، وزاده الله في ذلك على مرّ الأيام .

ومن أشهر مؤلَّفاته بالعربية :

١ ـ تكملة « فتح الملهم » .

٢ ـ ما هي النصرانية ؟

٣ ـ نظرة عابرة حول التعليم الإسلامي .

٤ ـ أحكام الأوراق النقدية .

٥ ـ بحوث في قضايا فقهية معاصرة .

٦ ـ أحكام الذبائح .

تقريظ

من العلاَّمة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
حفظه الله تعالى
ندوة العلماء ـ لكنؤ (الهند)

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّد المُرسَلين ، وخاتَمِ النبيِّين محمد وآله أجمعين ، ومن تَبِعهم بإحسانٍ ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أمَّا بعد : فإنَّ « صحيح مسلم[1] » ـ فضلاً عن كونه من الصحاح الستة ، باتفاق أهل الفَنِّ والنُّقَّاد وقبول الأمة لهذا الحكم ـ يمتاز بمزايا شأن الأعمال العلمية والمجهودات الفنِّية التي تصدر عن رجال قد يشتركون في فَنٍّ وفي عصرٍ ، وفي الإخلاص والجهد ، ويلتقون على أساتذةِ وأئمَّةِ هذا الشأن ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ ﴾ [الروم : ٣٠] نذكر بعضها وأهمَّها :

---

(١) صاحبُه الإمامُ الحافظ حجةُ الإسلام أبو الحسين مسلم بن الحجَّاج القُشَيْري النَّيْسَابُوْري : وُلِدَ سنة أربع ومئتين ، وأوَّل سماعه سنة ثماني عشرة ومئتين ، وممَّن سمع عنهم الإمام أحمد بن حنبل ، وخلقٌ كثيرٌ ، وقال أحمد بن سلَمة : « رأيت أبا زُرْعَة ، وأبا حاتم ، يقدِّمان مسلم بن الحجَّاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما » ، وقال أبو قُرَيْش : « حفَّاظ الدنيا أربعة ، وذكر منهم مُسلماً » وقال محمد بن المَاسَرْجِسي : سمعتُ مسلماً يقول : « صنَّفتُ هذا الصحيحَ من ثلاثمئة ألف حديثٍ مسموعةٍ » ، توفي الإمام بظاهر نيسابور عام ٢٦١هـ ، من أشهر كتبه : « صحيح مسلم » و« التمييز » وغيرهما من المطبوعات والمخطوطات ، وهي كثيرةٌ .

١ ـ هو أسْهَلُ متناولاً من حيث إنَّه جعل لكلِّ حديثٍ موضعاً واحداً يليق به ، جمع فيه طُرُقَه التي ارتضاها واختار ذكرها ، وأوْرَدَ أسانيده المتعدِّدة وألفاظه المختلفة ويَسْهُلُ على الطالب النظرُ في وجوهه واستثمارها وتحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلمٌ من طُرُقِه[١] .

٢ ـ وممَّا يمتاز به « صحيحُ مسلم » : أنَّ مسلماً ـ رحمه الله ـ يسوق الحديثَ بكامله في الباب الواحد ـ ولو كان الحديث طويلاً ـ كما هو الحالُ في المزيَّة الأولى، حيث يجمع طُرُقَه فيه ، ولا يذكر ذلك في أبواب ، أو كتبٍ مختلفة إلا نادراً .

٣ ـ وممَّا يمتاز به « صحيحُ مسلم » : أنَّه ليس فيه بعد الخطبة ، إلا الحديث السَّرد ، ولم يُمازِجْهُ غيرُ صحيح من أقوال التابعين ، وأتباع التابعين والنصوص الفقهية ، ولم يتصدَّ لاستنباط الأحكام .

٤ ـ وممَّا يمتازُ به « صحيح مسلم » اعتناؤُه بضبط اختلاف لفظ الرُّوَاة : حدَّثنا فلانٌ وفلانٌ ـ واللفظ لفلانٍ ـ ، وإذا كان بينهما اختلافٌ في حرفٍ من متن الحديث ، أو صفةِ الراوي أو نسبِه أو نحوِ ذلك ؛ فإنَّه يبيِّنه[٢] ، كما يمتاز « صحيح مسلم » بأنَّه

---

(١) ذكره النوويُّ في شرح لمسلم .

(٢) ومن مزاياه أيضاً ـ غير ما ذكره العلاَّمة الندوي ـ ما يلي :

١ ـ لم يتعرَّض للاستنباط .

٢ ـ فيه جودةٌ في الترتيب ، وقد رتَّبه على أبواب الفقه ، ولكنه لم يذكر تراجمَ كما صَنَع البخاريُّ ، بل ترك للقارىء أن يستفيدها بنفسه ، أما التراجم الموجودة فيه ؛ فهي من وضع الإمام النووي إذ قال : « وقد ترجم جماعة أبوابه بتراجم ، بعضها جيّد ، وبعضها ليس بجيد إمَّا لقصورٍ في عبارة الترجمة ، وإمَّا لركاكة لفظها ، وإمَّا لغير ذلك ، وأنا ـ إن شاء الله ـ أحرصُ على التعبير عنها بعباراتٍ تليق بها في مواضعها ، والله أعلم » . (انظر « مقدمة شرح صحيح مسلم ») .

٣ ـ في الكتاب مقدمة واسعةٌ منهجية ، وقد ذكر فيها نبذةً جيدةً عن أصول علم الحديث ، وصرَّح بشرطه ، واحتج له في هذه المقدمة . فقد قسَّم الأحاديث ثلاثة أقسام :

أ ـ ما رواه الحفاظ المتقنون . =

ثاني مصنَّفٍ يجمع الحديثَ الصحيحَ المجرَّد ؛ إذ الأول « صحيح البخاري » .

ويقول العلامةُ الإمام الشيخ عبد العزيز بن الإمام حكيم الإسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم(١) المعروف بالشيخ وَلِيِّ الله الدِّهْلَوي ـ رحمه الله تعالى ـ .

« إنَّ الإمام مسلماً قد أَودع في صحيحه عجائبَ فنِّ الحديث ، خصوصاً في سَرْدِ الأسانيد ، وحُسْنِ سياق المتون بورعٍ تامٍّ ، وتحرٍّ لا شكَّ فيه في الرواية وتلخيص الطُّرُق مع الاختصار وضَبْطِ الانتشار إلى حدٍّ لا نظيرَ له فيه ، لذلك فَضَّل الحافظ

= ب ـ ما رواه المتوسطون في الحفظ والاتقان .
ج ـ ما رواه الضعفاء المتروكون .

٤ ـ اقتصر على الأحاديث دون الموقوفات ، فلم يعرج عليها إلا في بعض المواضع على سبيل الندرة تبعاً لا قصداً .

٥ ـ ذكر النَّوويُّ : أنَّ من مزايا « صحيح مسلم » التفريقُ بين (حَدَّثنا) و(أخْبَرنا) ، فالأولى عنده للسماع ، والثانية عنده لما قرىء على الشيخ ، وقال النوويُّ : « وهذا الفرق هو مذهب الشافعي وأصحابه وجمهور أهل العلم في المشرق » . (انظر « شرح صحيح مسلم » للنووي ١/ ٢١) .

٦ ـ وذكر النوويُّ أيضاً اعتناءه لضبط اختلاف لفظ الرواة كقوله : (حَدَّثنا فلان) و(اللفظ لفلان) ، وكما إذا كان بينهما اختلافٌ في حرف من متن الحديث ، أو صفة الراوي أو نحو ذلك فإنه يبيِّنه ، وربما كان بعضه لا يتغير به معنى .

٧ ـ ليس في « صحيح مسلم » حديثٌ معلَّقٌ إلا في موضعٍ واحدٍ في التيمم ؛ حيث قال : « وروى اللَّيثُ بن سَعْد . . . » فذكر حديث أبي الجهم (صحيح مسلم : ١/ ٢٢) .
وهناك في « صحيح مسلم » مواضع أخرى ذكرها السيوطيُّ في « التدريب » (ص : ٦٠) . ولكنه ذكر : أنَّ مسلماً أوردها معلَّقةً بعد أن أوردها متصلةً ، ولذا فلا تُعَدُّ معلقة ومجموعها (١٦) موضعاً .

٨ ـ إذا كان في الأحاديث ناسخٌ ومنسوخٌ ، فإنَّ مسلماً يأتي أولاً بالمنسوخ ، ثم يأتي بالناسخ . قال النووي : « وهذه عادةُ مسلمٍ وغيره من أئمة الحديث ، يذكرون الأحاديث يرونها منسوخة ، ثم يعقبونها بالناسخ » . (شرح صحيح مسلم : ٤/ ٤٣) .

(١) قد سبقت ترجمته في صفحة (٣٣) .

أبو علي النَّيسَابوري[1] « صحيح مسلم » على مؤلَّفاتِ هذا العلم ، فقال :

« ما تحت أديم السَّماء أَصَحُّ من كتاب مسلم » وذهب الجماعةُ من المَغَاربة إلى ذلك ، ودليلُهم : أنَّ شرط مسلمٍ : أنَّه لا يسرد حديثاً إلا الحديث الذي رواه تابعيان عن اثنين من الصحابة ، وهكذا في الجميع من الطبقات من تبع التابعين ومن دونهم[2] .

ولا بُدَّ هنا من التنويه بأنَّ شرح النَّووي لمسلمٍ يمتاز من بين شروح الحديث بخصائص ومزايا ، ترجع إلى إخلاص الشارح وربَّانيَّته ، واقتداره على الشرح والإيضاح في سهولةٍ ويُسْرٍ ، منها إحداثُ الذوق والمناسبة بالحديث النبوي الشريف في نفوس القُرَّاء ، وقد جَرَّبه الكاتبُ في عهد الطلب والدراسة الأولى للحديث .

ويطول استعراضُ الشروح والتعليقات على صحيح مسلم مدى العصور والأجيال ، وعلى مستويات من البحث والتنقيح ، والنفع والإفادة[3] .

وقد قَيَّض الله في عصرنا الحاضر وفي محيطنا العلميِّ والدينيِّ والتأليفي العلامة الشيخ شَبِّير أحمد العُثْماني[4] الدِّيُوْبَنْدي المتوفى سنة (١٣٦٥هـ) لشرح « صحيح مسلم » وكان جديراً بذلك ، قديراً عليه ، لرسُوخه في العلوم الشرعية وتضلُّعه منها ، مع صحة العقيدة وسلامة الفكر وما يحتاج إليه الجيلُ الإسلاميُّ الجديدُ ، والعصرُ الحديثُ من تحقيقاتٍ وإقناعاتٍ علميَّةٍ عقليةٍ كلاميةٍ ، وما يقتضيه الزمانُ من

---

(١) هو الحافظ الحسين بن محمد بن زياد النَّيسابوري ، أبو علي القبَّاني : أحد أركان الحديث بنيسابور ، رحل في طلبه رحلةً واسعةً ، قال الحاكم : « هو أحدُ حفاظ الدنيا » . توفي عام ٢٨٩هـ . له من المصنَّفات : « المسند » و« التاريخ » و« الكنى » و« أتباع الأتباع » . (انظر « تذكرة الحفاظ » ٢/ ٢٢٦) .

(٢) بستان المحدِّثين (بالفارسية) : للعلامة الإمام الشيخ عبد العزيز الدِّهْلَوي ص(١٠٤ ـ ١٠٥) . هذا ما ذكره الشيخُ عبد العزيز الدِّهْلَوي رحمه الله نقلاً عن بعض المغاربة ، ولكن التزام الإمام مسلم بهذا الشرط في صحيحه لا يخلو من نظرٍ .

(٣) انظر حاشية (٣) في صفحة (١٥٥) ، وقد جاء فيها في مقال الإمام الكوثري بعضُ أسماء أهم شروح « صحيح مسلم » مع تعريفٍ وجيزٍ لها .

(٤) سبقت ترجمته في أول هذه المقدمة، صفحة (١٤٩).

بسطٍ في بعض المواضع وإيجاز في بعضها وما أثير في هذا العهد من بحوثٍ وتساؤُلاتٍ وتشكيكاتٍ لتأثير الحضارة الغربية ، والنُّظُم التعليمية الأجنبية مع بيان أسرار الشريعة مستفيداً في ذلك من كتب الإمام ولي الله الدِّهْلوي ، والإمام الغَزَالي[1] ، والشيخ محيي الدين[2] بن عربي ، مع استدلال للمذهب الحنفي في القضايا الشرعية ، وإيضاحه مع البحث المُقارَن والدراسة المقارنة ، ونقل ما انتقل من جيلٍ إلى جيلٍ من الدَّارسين لكتب الحديث ، والمدرِّسين لها من تحقيقاتِ أساتذة هذه المدرسة الحديثية الحنفية ، وما جاء منها في كتابٍ مطمورٍ أو مغمورٍ ، لم يكن بمتناول طلبة هذا الفَنِّ مع إعطاء مذاهب غير المذهب الحنفي حقها من العرض الصحيح والبحث المُنصِف .

ولكنَّ إرادة الله غالبةٌ ، فلم يمهله الأجلُ لإكمال هذا الشرح المفيد[3]

---

(١) هو الإمام حُجَّة الإسلام زين العابدين أبو حامد محمد بن محمد الطُّوْسي الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ) أخذ عن إمام الحرمَين حتى برع في زمن أستاذه، ثم ولِّي التدريس بمدرسة « النظامية » ببغداد، وهنا بعد صِيته وارتفعت منزلُته فترك جميعَ ما كان عليه، وسلك طريقَ الزهد وبلغ الكمال، إنه دخل في أحشاء الفلسفة، ثم خرج منها وصنَّف كتابه: « تهافت الفلاسفة » للرَّدِّ عليهم ، وهي من أكبر مآثره، وله غيرذ لك من مصنفات نافعة أشهرها « إحياء علوم الدين » [ب].

(٢) العلامة محيي الدين أبو بكر محمد بن علي الحاتمي المرْسي ابن العربي، سمع من ابن بشكوال وابن رُسْتم وابن صافٍ وغيرهم، وكان ذكياً كثيرَ العلم، ثم تزهَّد وتفرَّد وتعبَّد وتوحَّد، وسافر وتجرَّد وعلَّق شيئاً كثيراً في تصوُّفِ أهل الوحدة، ومن أشهر مصنَّفاته: « فصوص الحكم » وفيه ما فيه، توفِّي سنة ثمانٍ وثلاثين وستمئة . « سير أعلام النبلاء »: (٤٨/٢٣) [ب].

(٣) حين صدر هذا الشرح العظيم، استقبله علماءُ العالم الإسلامي بحفاوة بالغةٍ، وأقبلوا عليه إقبالاً عظيماً، وكتبوا في المجلاَّت مقالاتٍ ينوِّهون فيها بالشرح والشارح، ومنهم راويةُ العصر وأمين التراث الإسلامي: العلامة محمد زاهد الكوثري ـ رحمه الله تعالى ـ، والذي كتب مقالاً ضافياً عن هذا الشرح، أنقلُ هنا البعضَ منه لما يحتوي أيضاً على فوائد علمية، فيقول رحمه الله:

« لأهل العلم بالحديث عنايةٌ خاصَّةٌ بـ « صحيح مسلم » علماً منهم بمنزلته العليا بين أصول=

= الإسلام الستة.. فمنهم من ألَّف مستخرجاتٍ عليه، ومنهم من ألَّف في رجاله خاصَّةً، ومنهم من عُني بمواضع النقد عند بعض أهل النقد سنداً ومَتْناً، ومنهم من سعى في إيضاح مخبآت معانيه وشرح وُجوه دلالاته وكشف ما أُغلق في أسانيده، فمن جملة الشارحين لهذا الكتاب الجليل:

الإمام أبو عبد الله محمَّد بن علي المازرِيّ صاحب « المُعْلم » في شرح « صحيح مسلم »..

ومنهم القاضي عِياض بن موسى اليَحْصُبيُّ مؤلِّف « إكمال المُعْلِم » في شرح صحيح مسلم..

ومنهم أبو العباس أحمد بن عمر القُرْطُبيُّ مصنِّف « المُفْهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم »..

ومنهم أبو زكريا محيي الدين يحيى النَّوَوِي صاحب « المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحَجَّاج »، وهو استمدَّ من الكتب الثلاثة التي ذكرناها ومن الأعلام و« معالم السُّنَن » للخطَّابي. وشرح النوويِّ هذا هو أولُ شرحٍ برز في عالم المطبوعات من شروح « صحيح مسلم » إلا أنه ليس ممَّا يشفي غُلَّةَ الباحثِ في جُلِّ المطالب، ثم ظهر في عالم الوجود «إكمال إكمال المعلم » لأبي عبد الله محمد بن خليفة الأبِّيِّ ، الذي طُبع قبل نحو ثلاثين سنةً ومنه (مكمل إكمال الإكمال) لأبي عبد الله محمد بن محمد السَّنُّوْسي، وقد جمعا فيهما صفوةَ ما في الشروح السابقة من الفوائد مع استدراكهما ما تيسَّر لهما، وكان سرورُ أهل العلم بهما عظيماً لما لقوا فيهما من نوعٍ من البسط بالنظر إلى شرح النووي المطبوع فيما سبق.

ولكن ـ والحقُّ يقال ـ إنَّه لم يكن شرحٌ من تلك الشروح يفي « صحيح مسلم » حقَّه من الشرح والإيضاح من جميع النواحي التي تَهُمُّ الباحثين المتعطِّشين إلى اكتناه ما في الكتاب من الخبايا، فإنْ أجاد أحدُ الشروح في الفقهيات أو الاعتقاديات على مذهبٍ من المذاهب مثلاً تجده يغفل شرح ما يتعلَّق بسائر المذاهب عملاً واعتقاداً، وهذا لا يروي ظمأ الباحث أو تراه يهمل شرح مقدِّمته مع أنها من أقدم ما سطره أئمَّةُ الحديث في التمهيد لقواعد المصطلح ككتاب « التمييز » لمسلم، وحقُّ مثلها أن يشرح شرحاً وافياً، وتجد بين الشُّرَّاح من يترك الكلامَ على الرجال بالمرَّة، مع أنَّ الباحث في حاجةٍ شديدةٍ إلى ذلك في مواضع النقد المعروفة، فإذا أعجبك أحدُ تلك الشروح من بعض الوجوه تجده لا يشفي غُلَّتك من وجوهٍ أخر، وهكذا سائرُ الشروح، وهذا فراغٌ ملموسٌ، كنَّا في غاية الشوق إلى ظهور شرحٍ لـ « صحيح مسلم » في عالم المطبوعات ليملأ هذا الفراغَ.

وهانحن أولاء قد ظفرنا بضالَّتنا المنشودة ببُروز « فتح المُلْهِم في شرح لصحيح مسلم ». =

ذي القيمةِ العلميَّة الفنيَّةِ الكلاميَّةِ ـ وكلُّ شيءٍ عنده بأجل مسمًّى ـ فقد وافاه الأجلُ

= وقد اغتبطنا جدًّ الاغتباط بهذا الشرح الضخم الفخم صورةً ومعنًى ، حيث وجدناه قد شفى وكفى من كل ناحيةٍ، وقد ملأ بالمعنى الصحيح ذلك الفراغَ الذي كنا أشرنا إليه ، فيجد الباحث مقدِّمةً كبيرةً في أوله تجمع شتَات علم أصول الحديث بتحقيقٍ باهرٍ يصل آراءَ المجدِّدين النَقَلَة في هذا الصدد بما قرَّره علماء أصول الفقه على اختلاف المذاهب ، غير مقتصرٍ على فريقٍ دون فريقٍ . . فهذه المقدِّمةُ البديعة تكفي المطالع مؤنة البحث في مصادر لا نهاية لها (وقد صدرت هذه المقدمة في صورة كتابٍ مستقلٍّ، بعناية المحدِّث الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة ـ رحمه الله تعالى ـ بعنوان « مبادىء علم الحديث » .) .

وبعد المقدِّمة البالغة مئة صفحة يلقي الباحث شرح مقدِّمة « صحيح مسلم » شرحاً ينشرح له صدرُ الفاحص، حيث لم يدع الشارحُ الجِهْبذُ موضعَ إشكالٍ منها أصلاً، بل أبان مالها وما عليها بكل إنصافٍ، ثم شرح الأحاديث في الأبواب بغاية من الاتزان ، فلم يترك بحثاً فقهياً من غير تمحيصه، بل سَرَد أدلَّة المذاهب في المسائل وقارن بينها وقوّى القويَّ ، ووهَّن الواهيَ بكل نصفة .

وكذلك لم يُهمِل الشارحُ المِفْضال أمراً يتعلَّق بالحديث في الأبواب كلِّها، بل وفاه حقَّه من التحقيق والتوضيح : فاستوفى ضَبْطَ الأسماء، وشرح الغريب، والكلام على الرجال وتحقيق مواضع أورد عليها بعضُ أئمَّة هذا الشأن وجوهاً من النقد من حيث الصناعة غير مستسيغٍ اتخاذ قولِ من قال : « كلُّ من أخرج له الشيخان فقد قفز القَنْطَرَة » (قائله هو الشيخ محمد بن عبد الملَك بن إبراهيم، أبو الحسن الهَمَذاني) ذريعةً للتقليد الأعمى، وكم رَدَّ في شرحه هذا على صنوف أهل الزَّيْغ، وله نزاهةٌ بالغةٌ في ردوده على المخالفين من أهل الفقه والحديث، وكم أثار من ثنايا الأحاديث المشروحة فوائد شاردة، وحقائق عالية لا ينتبه إليها إلا أفذاذُ الرجال وأرباب القلوب .

ولا عجبَ أن يكون هذا الشرحُ كما وصفناه وفوق ما وصفناه عند المطالع المنصف .

ومؤلِّفه ذلك الجِهْبذُ الحجَّة الجامع لأشتات العلم، محقِّق العصر، المفسِّر المحدِّث، الفقيه البارع النقَّاد الغوَّاص : مولانا شَبِّير أحمد العثماني، شيخ الحديث بالجامعة الإسلامية في دَابِيْل (سُوْرَتْ) « بالهند »، ومدير دار العلوم الدِّيُوْبَنْدِيَّة ـ أزهر الأقطار الهندية ـ وصاحب المؤلَّفات المشهورة في علوم القرآن والحديث والفقه والردِّ على المخالفين. (مقالات الكوثري : ص : ٩٠ ـ ٩٢، طبع المكتبة التوفيقية ـ القاهرة) .

سنة ١٢٦٩هـ في (كَرَاتشي)[1] باكستان ، وقد أكْمَلَ الجزءَ الثالث من الشرح ، وكان حاملَ لواء الإسلام والملقَّب بحقٍّ بـ (شيخ الإسلام) ـ رحمه الله تعالى ـ وجزاه على خدمة الإسلام والمسلمين وتقنين البلاد بالقانون الإسلامي مدى جهدِه ، واستعداد المسؤولين وإجابتهم لذلك .

وقد قدَّر الله تبارك وتعالى ـ وهو المُعين دائماً والموفِّق لإكمال سلاسل الخير ، وما بدأ به مخلصٌ من خدمة للشريعة الإلهية والكلام النبويِّ الشريف وله أمثلةٌ على مدى القرون والأنواع ، كما يَدُلُّ على ذلك التاريخِ العلميُّ والدينيُّ ـ أن يكون إكمالُ هذه السلسلة المباركة على يدِ من ينوب عن بادىء هذه السلسلة علماً ومذهباً ووطناً ونسباً ، ويمتاز ـ مع إجلال المؤلِّف الأول والاعتراف بفضله وجدارته ـ بمزايا تكون نتيجة تقدُّم الزمان وسنوح الفُرَص للدراسات الحديثية والقضايا العصرية والاطلاع على تساؤلاتٍ علميةٍ وتشريعيةٍ وما يحدث ـ كنتيجة للدراسات المقارنة وبحوث المستشرقين وكتاباتهم ـ من شُبُهاتٍ وتساؤلاتٍ ـ وكان ذلك بنهوض صاحب الفضيلة والسعادة ، العالم الراسخ الضَّليع ، والحقوقيّ الكبير : فضيلة الشيخ محمد تقي العُثْماني[2] ـ بارك الله في حياته ونفع به ـ قاضي التمييز الشرعي في المحكمة العليا في باكستان ، فقد مارس التدريسَ وأخذ العلوم من منابعها الأصيلة ، ورجالها الراسخين في العلم والدين فبدأ بهذا العمل الجليل ووفَّقه الله تعالى لإكمال هذه السلسلة في سبعة مجلَّداتٍ كبارٍ ، تُسمَّى : بتكملة « فتح الملهم » ونشرتها مكتبةُ دار العلوم كَرَاتْشي ـ باكستان[3] .

وكانت هذه الخاتمةُ للسلسلة المباركة ، التي بدأ بها العلامةُ الشيخ شَبِّير أحمد العثماني ـ رحمه الله تعالى ـ مَلْئاً لفراغ ، وقضاءً لحاجةٍ علميَّةٍ ، دينيَّةٍ ، فنِّيةٍ ، ومواجهةً لبحوث وتساؤلاتٍ وشُبُهاتٍ ، يقتضيها تغيرُ الزمان وتطوُّر الحضارة والفكرة ، والبحوث المقارنة ، فكان لا بُدَّ من مواجهة هذه التساؤلات ، والشُّبُهات

---

(١) دُفِنَ جُثْمانُه في كراتشي ، وأمَّا وفاته فكانت في (بَهَاوَلْفُوْر) كما ذكرنا في ترجمته .

(٢) سبقت ترجمته في أول هذه المقدمة ، صفحة (١٥٠).

(٣) ستصدر لهذا الشرح طبعةٌ أنيقةٌ، من دار القلم بدمشق، محقَّقةً بمزيد من الاعتناء.

الخفيَّة والظاهرة وحَلّها في ضوء الشريعة الإسلامية والحديثِ النبويِّ الشريف من قضايا وأحكام في ضوء العلم الراسخ الواسع ، والاطلاع على التشريعات الأجنبية ، والعصرية ، والعلوم الغربية ، وبعض اللغات الأجنبية ، فكان فضيلة الأستاذ محمد تقي العثماني بحكم تضلُّعه من العلوم الشرعية ، وتناولها ، وتلقيها من علماء راسخين متضلِّعين كوالده العلامة الكبير والعالم الضليع الفقيه المحدِّث والمدرِّس المحنَّك الموثوق به في دينه وعلمه واتجاهه ، العلامة المفتي محمد شفيع العثماني الدِّيُوْبَنْدي(١) وغيره من العلماء الراسخين ، والأساتذة البارعين جديراً بذلك ، قديراً عليه ، فتناول عدداً كبيراً من القضايا ، وماجاء في الحديث النبوي واحتوى عليه « صحيحُ مسلم » ، كغيره من كتب الحديث والصحاح والمسانيد من أحكامٍ وقضايا ، قد تُثار حولها بحوثٌ وتساؤلاتٌ بتأثير الثقافة الحديثة ، والحضارة الغربية ، والتشريعات الجديدة ، بالبحث العلمي والمُقَارن ، وأزال ما أثير حولها من شُبُهاتٍ ، وما استغلَّت لمنافع شخصيةٍ أو جماعيةٍ أو سياسيةٍ ، ويكفي لذلك على سبيل المثال ما جاء في المجلَّد الثالث ، الذي هو أمام الكاتب من بحث في الجِهَاد ، والإمارة ، والصَّيد ، والذبائح ، والأطعمة ، والأشربة ، وتقاس على ذلك بقية المجلَّدات .

فجاء هذا العملُ العلميُّ والتأليفيُّ في أوانه وفي مكانه ، وحالفه التوفيق الإلٰهي ، نسأل الله أن يتقبَّله وينفع به ويجزي صاحبَه أحسن الجزاء ، بارك الله في حياته ونفعه ونفع به ، ويفتق به قريحة المعلِّمين والمتعلِّمين والمقننين والمشرعين ،

---

(١) أحد العلماء المبرِّزين في الفقه والحديث والتفسير، تخرَّج بجامعة دِيُوْبَنْد الإسلامية، ثم التحق بها ودرس وأفاد، ثم هاجر إلى باكستان سنة ثمانٍ وستين وثلاثمئة وألف، وأسَّس مركزاً علمياً في (كَرَاتْشِي)، وعكف على الدرس والإفادة والتصنيف والتأليف واستفاد منه كثير من العلماء.

كان من نوادر العصر في الاتزان في الفكر والتعمُّق في الفقه، واسعَ الاطلاع، جيدَ القريحة، وكانت له مشاركةٌ في الشعر، لقب بالمفتي الأعظم بباكستان، تبلغ تآليفُه إلى مئتين تقريباً، أشهرها: « معارف القرآن » في ثماني مجلَّدات كبار، و« جواهر الفقه » في ثلاث مجلَّدات وغيرهما ، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ عام ١٣٩٦هـ .

ويوفِّقهم للنهوض لمثل هذه الأعمال المُثمرة المقبولة عند الله ، وعند المنصفين والراسخين في العلم والشاهدين بالفضل .

١٤/ ٤/ ١٤١٦هـ	**أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي**
١١/ ٩/ ١٩٩٥م	**ندوة العلماء ـ لَكْنُؤ (الهند)**

* * *

بذل المجهود في شرح أبي داود

للمحدِّث الفقيه الشيخ خليل أحمد السَّهَارَنْفُوري

دار الفكر

بيروت

نبذة من ترجمة المؤلف

هو العلامة المحدِّث الفقيه الشيخ خليل أحمد بن مجيد علي الأنصاري الحنفي السَّهَارَنفُوْري (١٢٦٩ ـ ١٣٤٦هـ) ، وُلِد في (نَانُوْتَهْ) ، وقرأ على خاله الشيخ يعقوب والشيخ محمد مظهر النَّانُوْتَوِي وعلى غيرهما في دِيُوْبَنْدَ و(مَظَاهِر العلوم) حتى برز في الحديث والفقه ، وتصدَّر للتدريس في « مدرسة مظاهر العلوم » ، ثم سافر إلى بعض بلاد الهند للدرس والإفادة حتى اختير أستاذاً في دِيُوْبَنْدَ ثم تولَّى رئاسة التدريس في مظاهر العلوم فانتقل إليها ، وبعد مدَّةٍ تولَّى نظارتها ونالت به المدرسة القبول العظيم .

كان مِن أخصِّ تلامذة العلامة رشيد أحمد الكَنْكُوهي ، وحصلت له الإجازةُ عن المشايخ والمسندين الكبار كالشيخ عبد الغني المُجَدِّدي ، والعارف الكبير الشيخ إمداد الله ، والشيخ أحمد دَحْلان ، والشيخ عبد القيوم البُرْهَانْفُوري وغيرهم .

عُني بالحديث عنايةً عظيمةً تدريساً وتأليفاً ومطالعةً وتحقيقاً ، وكتابه « بذل المجهود » أتَمُّ مظهرٍ لعلومه ، ومن أكبر مآثره العلمية وله مصنَّفاتٌ غيره ، وفي آخر عمره هاجر إلى الحرمين الشريفين وانقطع إلى جوار رسول الله ﷺ حتى أجاب داعيَ الله .

تخرَّج على يده كبار من المشايخ والعلماء كالداعية الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلَوي ـ مؤسِّس جماعة التبليغ ـ ، والعلامة المحدِّث محمد زكريا الكَانْدَهْلَوي ، والشيخ عاشق إلٰهي المِيرَتْهِي وغيرهم .

ومن مؤلَّفاته :

١ ـ المغتنم في زكاة الغنم .

٢ ـ تنشيط الآذان في تحقيق محل الأذان .

٣ ـ المهنَّد على المفند (المعروف بـ « التصديقات لدفع التلبيسات ») .

٤ ـ هدايات الرشيد إلى إفهام العنيد .

٥ ـ البراهين القاطعة على ظلام الأنوار الساطعة .

ومن أشهر هذه المؤلَّفات : « بذل المجهود في حَلِّ سنن أبي داود » . بما أنَّ « سنن

أبي داود » يحمل أهميةً خاصّةً بين دواوين الأحاديث فأكثر العلماء من شرحه والتعليق عليه ، ولكن شرحه هذا يُعتبر أكثر الشروح غناءً ، واعترف بأهمية الكتاب العلماءُ المتضلِّعون في شبه القارة الهندية والحجاز والشام ومصر ، والكتاب يحلّ المسائل العويصة بأسلوبٍ واضحٍ لا يُوجد في غيره من شروح الحديث . واستغرق تأليفه عشرَ سنوات وخمسة شهور وعشرة أيام . ويمتاز هذا الشرحُ بما يلي :

١ ـ بيانُ المذاهب الأربعة في كل مسألةٍ والمقارنة بينها .

٢ ـ تحقيق المذهب الحنفي والإجابة المقنعة عن دلائل المذاهب الثلاثة .

٣ ـ استيفاء الجرح والتعديل لكلِّ راو .

٤ ـ بيان توفيق الروايات مع ترجمة الباب إذا بدت أنها لا تتفق معها .

٥ ـ إتباعُ الروايات الموجزة بالروايات المفصلة الواردة في مواضع أخرى في الكتب الأخرى .

٦ ـ بيان مرادات رسول الله ﷺ عن طريق الكشف عن الحقائق والمحاسن التي لا يتذوّقها إلاّ من يتذوّق فن الحديث ويحب الرسول ﷺ[١] .

طُبع الكتاب في القاهرة وبيروت في عشرين مجلّداً . وسيصدر له طبعةٌ فخمةٌ ، محقَّقةٌ ومُنقَّحةٌ بعناية الدكتور تقي الدين النَّدْوي المظاهري ، من دار القلم بدمشق .

---

(١) انظر للاطلاع على ترجمته الموسّعة : « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » للشيخ عبد الحي الحسني (٨/١٢٢٢) ، و« أعلام المحدِّثين في الهند » لسيد عبد الماجد الغوري .

مقدِّمة الكتاب

بقلم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة على سيِّد المُرسَلِين وخاتم النبيِّين ، محمَّد وآله وصَحْبه أجمعين ، ومن تَبِعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمَّا بعد ! فيُسعد كاتبَ هذه السطور أن يقدِّم لكتاب « بذل المجهود في حَلِّ سنن أبي داود » للعلامة المحدِّث الكبير ، والمربِّي الجليل مولانا خليل أحمد السَّهَارَنْفُوري ـ رحمة الله عليه ـ وقد سعد الكاتبُ ووفِّق لتقديم عِدَّة كُتُبٍ قيِّمةٍ ومؤلَّفاتٍ عظيمةٍ لتلميذه الأبَرِّ الأكبر ، شيخنا العلامة محمد زكريا بن يحيى الكَانْدَهْلَوي السَّهَارَنْفُوري كـ مقدِّمة « أوجز المسالك »[1] ومقدّمة « لامع الدُّرَاري »[2] و« جزء حجَّة الوداع وعُمْرات النبيِّ ﷺ »[3] و« الأبواب والتراجم للبخاري »[4] .

وكاتبُ هذه السطورِ يشهد الله على أنَّ هذه الكتابات لم تخدعه عن نفسه وقد كان يتقدَّم إليها في كلِّ مرَّةٍ متهيِّباً خاشعاً أمام جلال الموضوع ، ومكانة الكتاب العلمية ، ومنزلة المؤلِّف الدينية ، وعُلُوِّ كعبه ، واختصاصه في علم الحديث مؤمناً بضآلة قدر نفسه ، وقِلَّة بضاعته وبأنه متطفِّلٌ على مائدة هذا الفَنِّ الشريف ، يعتبر ـ عَلِمَ الله ـ : أنَّ إقدامه إلى هذا التقديم جسارةٌ تكاد تكون وقاحةً وإساءةَ أدبٍ وقِلَّةَ حياءٍ ، وبأنَّ

---

(١) سبقت هذه المقدمة في صفحة (٨٥) .
(٢) سبقت هذه المقدمة في صفحة (٢١٥) .
(٣) انظر هذه المقدمة في صفحة (٣١١) .
(٤) سبقت هذه المقدمة في صفحة (٢٣١) .

في القطر الهندي وحده ـ فضلاً عن شبه القارَّة الهندية ، فضلاً عن العالم الإسلامي ـ من هو أجْدَرُ ، وأقْدَرُ وأوْلى بهذه التقديمات والتعريف بالتأليف والمؤلِّف .

ولا يستطيع الكاتبُ أن يعلِّل هذا التكريمَ المتكرّرَ إلا بحكمةٍ إلْهيَّةٍ خفيةٍ، وأسلوبٍ من أساليب التربية التي خَصَّ اللهُ بها كبارَ المربِّين وحُذَّاق المعلِّمين ، وأنَّ لهم في ذلك مرامي بعيدةً ومقاصدَ دقيقةً ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] ، ولعلَّ ذلك لإثارة كوامن الشوق وتشحيذ العزم الفاتر ، والهِمَّة الكليلة في دراسة هذا الفَنِّ الشريف ، وإعادة الخيط النُّوراني الذي يربط القلوبَ بهذا العلم ، والذي ضَعُفَ وكاد ينقطع .

وعلى كلٍّ فالكاتب يعتقد كلَّ ذلك من أعظم نِعَمِ الله سبحانه وتعالى عليه ، التي لا يستوفي حقَّ شكرها :

فلو أنَّ لي في كلِّ مَنْبَتِ شعرٍ لساناً لما استوفيتُ واجبَ حَمْدِهِ

وكتابُ « بذل المجهود » هو واسطةُ العقد بين هذه الكتب التي أُمِرْتُ بالتقديم لها ، واهتمام شيخنا العلامة محمد زكريا بنشره في الحروف العربية ووصوله إلى أيدي علماء الحديث والمشتغلين بتدريسه وتحقيقه ، وانتشاره في الأوساط العلمية والمدارس الدينية ، وحُلُوله المَحَلَّ اللائق به من بين شروح الحديث التي أُلِّفت في العصور الأخيرة أعظم وأكثر ؛ إذ هو ليس مجرَّد تأليفٍ لشيخه ـ الذي أحبَّه واقترنت حياتُه العلمية بحياته ، وليست إلا ظِلاً ممدوداً لهذه الشجرة الطيِّبة المباركة ـ بل هو فَلْذةُ كبدِه وقطعةُ نفسِه ، وأحَبُّ أعماله إليه كما سيقرأ القارىءُ في السطور الآتية ؛ فأصبح خروجُ هذا الكتاب في الثوب القشيب والمظهر الجديد أعزَّ أمانيه وأكْبَرَ آماله يتلذَّذ بالحديث عنه ويتسلَّى بالتفكير فيه ، وقد طابت له الحياةُ وهانت عليه المِحَنُ والخطوبُ في سبيل نشر هذا الأثر العلميِّ العظيم ، وتذْكَار شيخه الأثير الحبيب ، وانتظار خروجه واكتماله ، ومن دواعي الغبطة والسُّرور لكاتب هذه السطور أن يكون له نصيبٌ في هذا العمل ، وأن يكون عاملاً صغيراً في تحقيق هذه الأمنية العزيزة وإظهار هذه المأثرة الخالدة .

وكلمةٌ وجيزةٌ عن مكانة « سنن أبي داود »[1] ومنزلته من بين دَوَاوين السنَّة ومجاميع الحديث ، وإنْ كان هذا الموضوعُ قد استوفي في كتب أصول الحديث ، ومقدِّمات علم الحديث ، وتاريخ تدوين السنَّة ولم يترك الأولُ للآخر شيئاً ، ولا يجاوز عملُ كاتبٍ مثلي إعادةَ ما قيل ، وإجمالَ ما فصِّل ، ووقفة قصيرة عند شروح هذا الكتاب وتعليقاته ، ونظرة إجمالية في هذا الشرح ، ومكانته من بين الشروح والثغرة التي يَسُدُّها ، ولماذا احتاج المؤلِّفُ إلى وضعه ، ومدى ارتباط المؤلِّف بهذا الكتاب وتفانيه فيه وتعلُّقه به ومدى نجاحه ونُبوغه ، فلكلٍّ ذلك قصةٌ مُمْتِعةٌ مفيدةٌ ، فيها عبرةٌ لمن اعْتَبَر ، ودروسٌ مفيدة لتلاميذ المدارس النجباء ، ورُوَّاد العلم الأذكياء ، وأولي الهِمَمِ من المؤلِّفين والعلماء ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] .

[مكانة « سنن أبي داود » بين دواوين السنَّة ومجامع الحديث] :

أمَّا « سُنَنُ أبي داود » فهو من كتب الحديث التي تلقَّتها الأمَّةُ بالقبول وتلقَّاها علماءُ الصناعة وأئمَّة الفَنِّ بالاعتناء التَّامِّ ، وعليه المعوَّلُ والاعتمادُ قديماً وحديثاً ، وهو ثالثُ الأركان أو الرابع في قول بعض المحقِّقين التي قام عليها بناءُ السنَّة[2] .

---

(١) هو الإمام الثَبْتُ سيِّد الحفاظ سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزْدي السِّجِسْتاني (٢٠٢ - ٢٧٥هـ)، سمع أحمدَ بن حَنْبَلَ، وأبا الوليد الطَّيَالِسِي، وأحمد بن يونس، وسليمان بن حَرْب، وخَلْقاً كثيراً بالحجاز والشام ومصر، والعراق، والجزيرة، والثغر، وخراسان، وحَدَّث عنه الإمامُ الترمذي والإمام النَّسائي، وروى عنه أبو سعيد بن الأعرابي، وأبو علي اللُّؤْلُؤي، وأبو بكر بن دَاسَة، وأبو سالم محمد بن سعي الجَلُوْدي، وأبو عمر أحمد بن علي، وكتب عنه شيخُه أحمد بن حنبل حديثاً واستحسن كتابه، قال محمد بن إسحاق الصَّاغاني : « لُيِّنَ لأبي داود الحديث كما لُيِّن لداود الحديد » . وقال الذهبيُّ : « كان رأساً في الحديث رأساً في الفقه، ذا جلالةٍ وحرمةٍ، وصلاحٍ وورعٍ حتى إنَّه كان يُشبه بالإمام أحمد بن حنبل الشَّيْباني، له مصنَّفاتٌ أشهرها سننه في مجلَّدين ضخمَين يحتوي على أربعة آلاف وثمانمئة حديثٍ، انتخبه من خمسمئة ألف حديثٍ، ومنها مراسيله » . (تذكرة الحفَّاظ : ٢/ ٥٩١)[ب] .

(٢) قال السيوطي في التدريس، يقول الذهبي : « انحطت رتبةُ جامع الترمذي » عن سنن=

ونبدأ بكلام الإمام أبي داود نفسِه في وصف كتابه وذكر خصائصه فهو الثِّقةُ الصَّدوق فيما يقول ، ولا يصف كتاباً ولا يعرف غوامضه مثل مؤلِّفه . قال رحمه الله تعالى في رسالةٍ أرسلها إلى أهل مكَّة(١) . في صفة كتابه :

« وهو كتابٌ لا يَرِدُ عليك سنَّة عن النبي ﷺ بإسنادٍ صالحٍ إلا وهو فيه ، إلا أن يكون كلامٌ استُخْرِجَ من الحديث ، ولا يكاد يكون هذا .

ولا أعلم شيئاً بعد القرآن ألزمَ للناس أن يتعلَّموه من هذا الكتاب ، ولا يَضُرُّ رجلاً ألا يكتب من العلم بعد ما يكتب هذا الكتاب شيئاً ، وإذا نَظَر فيه وتَدَبَّره وتَفَهَّمه حينئذٍ يَعْلَم مقداره(٢) » .

وقال أبو سعيد أحمد بن محمَّد بن زياد بن الأعرابي(٣) « وهو أحدُ كبار تلاميذ

= أبي داود والنسائي لإخراجه حديث المَصْلُوب والكَلْبيِّ وغيرهما، ووضع النَّوويُّ « سنن أبي داود » بعد الصحيحين في التقريب، وعلى هذا المِنْوال ذكره الإمامُ وَلِيُّ الله الدِّهْلَويّ، وابنُه المحدِّث عبد العزيز الدهلوي، وكلامُ ابنِ سَيِّد الناس في شأن أبي داود يُشير إلى أنَّه يجعله في رتبة مسلم إذْ قال : « فهذا ألزم بما ألزم به أبو داود »، ومنهم من يعدُّه رابع الكتب الستة ولكن أكثر العلماء يعده ثالثَ الستة المشهورة . [ب] .

(١) اشتهر أمر كتابُ « سنن أبي داود » وطار صيتُه في حياة مؤلِّفه، ولمَّا وصل كتابُه إلى أهل مكَّة كتبوا إليه يسألونه عن أمور حول « أحاديث سُنَنِه » ومرتبتها في الصحة، فأجابهم بهذه الرسالة الوجيزة المباني الكثيرة المعاني ؛ التي كشَفَتْ عن منهجه وشروطه في كتابه .

(٢) مقتبسٌ من « رسالة أبي داود السجستاني » في وصف تأويله لكتاب السُّنَن (ص/ ٦ـ٧)، رواية أبي الحسين بن جميع عن محمد بن عبد العزيز الهاشمي عنه، طبعت في مطبعة الأنوار بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ بتحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري ـ رحمه الله ـ وهي مطبوعةٌ بعناية الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ رحمه الله ـ .

(٣) هو الإمامُ الحافظ المحدِّث الزاهد شيخ الحرم : أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر البصري الصُّوفي (٢٤٦ ـ ٣٤٠هـ)، سمع عن الإمام أبي داود وطبقته وروى عنه ابن المُقْري، وابن مَنْدَة وغيرهما، كان ثقةً ثَبْتاً، عارفاً، عابداً، ربَّانياً، كبير القدر، بعيد الصِّيت، قد صحب الجُنَيْدَ البغدادي وأبا أحمد القَلانسِي . من تصانيفه : كتاب « طبقات النسَّاك » ، وصنَّف تاريخاً للبصرة كبيراً . (تذكرة الحفاظ : ٣/ ٨٥٢)، (شذرات الذهب : ٢/ ٣٥٤)=

الإمام أبي داود وصاحب النسخة المشهورة للسُّنن)[1] لو أنَّ رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله ، ثم هذا الكتاب (وأشار إلى نسخة السُّنَن وهي بين يديه) لم يَحْتَجْ معهما إلى شيءٍ من العلم بَتَّة[2] .

وقال أبو سليمان الخَطَّابي صاحب « معالم السُّنَن »[3] :

« واعْلَموا رَحِمَكم الله : أنَّ كتاب السُّنَن لأبي داود كتابٌ شريفٌ لم يُصَنَّف في علم الدين كتابٌ مثلُه ، وقد رُزِق القبولَ من الناس كافَّة ، فصار حَكماً بين فِرَق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ، فلِكُلٍّ فيه وِرْدٌ ، ومنه شِرْبٌ ، وعليه معوَّلُ أهل العراق ، وأهل مصر ، وبلاد المغرب ، وكثيرٍ من مُدُن أقطاع الأرض .

فأمَّا أهل خراسان فقد أُولِعَ أكثرُهم بكتاب محمد بن إسماعيل . ومسلم بن الحَجَّاج ومَن نحا نَحْوَهما في جمع الصحيح على شرطهما في السَّبْك والانتقاد ، إلا أنَّ كتاب أبي داود أحسنُ رصفاً وأكثرُ فقهاً ، وكتابُ أبي عيسى[4] أيضاً كتابٌ

= [ب] . .

(١) وهي أنقَصُ النسخ الثلاثة حتى قيل : إنه ليس فيها كتاب الفِتَن والملاحم والحروب وغيرها [ب] .

(٢) ذكره الخطَّابيُّ في مقدِّمته سَمَاعاً من ابن العربي (معالم السُّنن : ص/ ٨) .

(٣) هو الإمام المحدِّث الفقيه الأديب العلامة الرَّحَّال أبو سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطَّابي البُسْتي، وُلد سنة ٣٨٨هـ، سمع أبا سعيد بن الأعرابيِّ، وأبا بكر بن دَاسَة وطبقتهما، وروى عنه الحاكمُ النيسابوري وغيره كثيرٌ من الناس . [ب] .

كان ثقةً متثبِّتاً من أوعية العلم قد أخذ اللغةَ عن أبي عمرو الزاهد، والفقهَ عن أبي علي بن أبي هريرة، والقفَّال، له التصانيف البديعة، أشهرها « معالم السُّنَن » في شرح أبي داود، و« أعلام السُّنَن » في شرح البخاري وكتاب « إصلاح غلط المحدِّثين » توفِّي ببست . (تذكرة الحفاظ : ٣/١٠١٨)، (وفيات الأعيان : ١/٤٥٣)، (شذرات الذهب : ٣/١٢٧)[ب] .

(٤) هو الإمام الحافظ علم المحدِّثين أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة السُّلَمي التِّرْمذي الضَّرير (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ)، قام برحلةٍ إلى خراسان، والعراق، والحجاز، وسمع قُتَيْبَة بن=

حسنٌ ، والله يغفر لجماعتهم ، ويُحْسن على جميل النيّة فيما سعوا له مَثُوْبَتَهم برحمته » .

وقال أيضاً : « وكان تصنيفُ علماء الحديث قبل زمان أبي داود الجوامعَ والمسانيدَ ونحوهما ، فتَجمع تلك الكتب إلى مافيها من السُّنَن والأحكام أخباراً وقِصَصاً ومواعظ وآداباً ، فأمّا السُّنَنُ المحضة فلم يَقصد واحدٌ منهم جمعها واستيفاءها ـ ولم يقدر على تخليصها واختصار مواضيعها من أثناء تلك الأحاديث الطويلة ، ومن أدلَّة سياقها ـ على حسب ما اتفق لأبي داود ، ولذلك حَلَّ هذا الكتابُ عند أئمَّة الحديث وعلماء الأثر مَحَلَّ العَجَب ، فضُرِبت إليه أكبادُ الإبل ، ودامَتْ إليه الرِّحَلُ »[١] .

وقال شيخُ الإسلام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النَّوَوِي[٢] (شارحُ

= سعيد، وسُوَيْدَ بن نصر، وعليِّ بن حجر ، وغيرَهم، وتفقَّه في الحديث على أبي عبد الله البخاري، وحدَّث عنه مكحولٌ، وأبو العباس المَحْبُوبي، والهَيْثمُ بن كُلَيْب الشَّاشِي وخلقٌ سواهم، وقد سمع منه أبو عبد الله البخاري .
قال ابنُ حبان : « كان أبو عيسى ممَّن جمع وصنَّف وحفظ وذاكَرَ »، وقال أبو سعيد الإدريسي : « كان يُضْرب به المثلُ في الحفظ »، وقال الحاكمُ : سمعتُ عمر بن علك يقول : مات البخاريُّ فلم يخلف بخُراسان مثل أبي عيسى في العلم والزهد والورع » بكى حتى عُمي وبقي ضريراً سنين، له مصنَّفات، أشهرها : « جامعه » في مجلَّدين ضخمين، يقول عنه الترمذيُّ : « من كان في بيته هذا الكتابُ فكأنما في بيته نبيٌّ يتكلَّم، وله « كتاب العِلَل والشَّمائل » وغيرهما . (**تذكرة الحفاظ** : ٢/ ٦٣٣)[ب] .

(١) معالم السنن : (ص/ ٦ـ٧)، المطبعة العلمية، بحلب .

(٢) هو الإمام الحافظ، شيخ الإسلام : محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النَّوَوي الحزامي الحَوْراني الشافعي (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ)، قدم دمشقَ وقرأ بعض الكتب على شيخه الكمال، ثم حَجَّ مع أبيه ، وأقام بالمدينة وأخذ عن شيوخها، فكان يقرأ كلَّ يوم اثني عشر درساً، أخذ الحديثَ عن أبي إسحاق إبراهيم بن عيسى المُرَادي وطبقته، ولازَم الاشتغال والتصنيف ونشر العلم والعبادة .
كان أوْحَدَ زمانِه في العلم والورع والعبادة، والتقلُّلِ وخشونة العيش، إماماً بارعاً حافظاً للحديث وفنونه ، صنَّف التصانيف الجَمَّة، أشهرها : شرحه لصحيح مسلم، و« رياض =

« صحيح مسلم » والمؤلَّفات الكثيرة الشهيرة) في قطعة كتبها في شرح « سنن أبي داود » :

« وينبغي للمشتغل بالفقه وغيره الاعتبار بـ « سُنن أبي داود » وبمعرفته التامة ، فإنَّ معظم أحاديث الأحكام التي يحتج بها فيه مع سهولة تناوله وتلخيص أحاديثه وبراعة مصنِّفه ، واعتنائه بتهذيبه »(١) .

وقال العلامة الحافظ شمس الدين ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (صاحبُ « زاد المعاد » ، والمؤلَّفات المقبولة في شرحه(٢) لاختصار المُنْذِرِيّ لـ « لسنن أبي داود » :

« ولمَّا كان كتاب السُنن لأبي داود سليمان بن الأشْعَث ـ رحمه الله ـ من الإسلام بالموضع الذي خَصَّه به ، بحيث صار حَكماً بين أهل الإسلام ، وفصلاً في موارد النزاع والخصام ، فإليه يتحاكم المُنصِفون ، وبحكمه يرضى المحقِّقون ، فإنه جَمَع شملَ أحاديثِ الأحكام ، ورتَّبها أحسَنَ ترتيبٍ ، ونَظَّمها أحسن نظامٍ مع انتقائها أحسن الانتقاء ، واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء »(٣) .

= الصالحين » من كلام سيد المرسلين »، و« الأربعين »، و« التقريب »، و« الأذكار » وغيرها . (تذكرة الحفاظ : ٤/ ١٤٧٠)، (شذرات الذهب : ٥/ ٣٥٤)[ب] .

(١) العبارة منقولةٌ من « الحطة في ذكر الصحاح الستة » للأمير العلامة صديق حسن خان القِنُّوْجي : ص/١٠٦ ، المطبعة النظامية، كَانْفُور، طبعُ عام ١٢٨٣هـ .

(٢) ذكر في شرحه : أن الحافظ زكي المنذري قد أحسن في اختصاره فهذَّبته نحو ما هذَّب به الأصل ، وزدتُ عليه من الكلام على عِلَلٍ سكت عنها [ب] .

(٣) ومن أهمِّ خصائص « سنن أبي داود » والتي لم ترد في أقوال هؤلاء الأئمة والأعلام ، وهي فيما يلي :

١ ـ هو كتابٌ غنيٌّ في متون الحديث ، فعنايته بالمتون كبيرةٌ جدّاً ، ولهذا يذكر الطُرُقَ واختلاف ألفاظها والزيادات المذكورة في بعضها دون بعضٍ .

٢ ـ يعنى هذا الكتاب بفقه الحديث أكثر من عنايته بالأسانيد ، فقد كانت رغبة أبي داود جمع الأحاديث التي استدلَّ بها فقهاءُ الأمصار وبنوا عليها الأحكام .

٣ ـ لا يذكر في الباب الواحد أحاديث كثيرة خشية أن يكبر الكتاب جداً .

٤ ـ لا يُعيد الحديث في الباب إلَّا لزيادةٍ فيه . =

وفيما نَقْلناه بلاغٌ ومَقْنَعٌ للدلالة على مكانة الكتاب وأهميَّته ، وكانت نتيجُته الطبيعية ومقتضى إجلال العلماء له ، واحتياج الفقهاء والمحدِّثين إليه أن يكثر الاهتمامُ بشرحه وخدمته ، والتعليقُ عليه ، فتناوله بالشرح كبارُ علماءِ الأمةِ ، وأئمَّةُ علم الحديث في كلِّ عصرٍ ومصرٍ .

[عناية العلماء به وشروحه وتعليقاته] :

ومِن أقدم شُروحه وأشهرها ، وأغزرها مادةً ، وأكثرها فوائدَ وأصولاً ونُكتاً

= ٥ ـ قد يختصر الحديث الطويل ليدلَّ على موضع الاستشهاد يقول في (رسالته لأهل مكة) : « وربما اختصرتُ الحديث الطويل ؛ لأني لوكتبتُه بطوله لم يعلم بعض من سمعه ، ولا يفهم موضع الفقه منه فاختصرتُه لذلك » .

٦ ـ قد يترك الأقوى إسناداً إلى حديثٍ صحيح ولكنه دونه إذا كان صاحبه أقدم في الحفظ ، يقول في رسالته (رسالته لأهل مكة) : « ولا أرى في كتابي من هذا عشرة أحاديث » .

٧ ـ يشير إلى الحديث الذي هو فيه وَهْنٌ شديدٌ ويبيِّنه ، قال في (رسالته لأهل مكة) : « وما في كتابي من حديثٍ فيه وهنٌ شديدٌ فقد بيَّنتُه ، ومنه ما لم يصح مسنداً » . وهو لم يذكر حديثاً أجمع الناس على تركه ، وكثيراً ما يذكر علة الحديث .

٨ ـ الأحاديث التي سكت عنها أبو داود اختلف العلماء فيها ، فمنهم من يقول : إنها حسنةٌ ، ومنهم من يقول : إنها صحيحةٌ ، ويقول أبو داود في ذلك : « وما لم أذكُرْ فيه شيئاً فهو صالحٌ وبعضها أصح من بعض » .

والموقف السليم في رأينا أن ننظر في أسانيد هذه الأحاديث التي سكت عنها أبو داود ، فما حكم له سنده بالصحة كان صحيحاً وما حكم له سنده بالضعف كان ضعيفاً .

٩ ـ عناوينه تحوي ما استنبطه العلماءُ من الأحاديث وهي تَدُلُّ على سَعَةِ باعه في الفقه .

١٠ ـ ليس فيه شيءٌ من الآثار .

١١ ـ وقد يفاضل بين حديثين فيقوي أحدهما على الآخر .

١٢ ـ فيه كثيرٌ من المراسيل ، واختلاف أهل العلم بالاحتجاج بها معروفٌ .

هذا وقد قال ابن كثير في (مختصر علوم الحديث) : « إنَّ الروايات لسنن أبي داود كثيرة يُوجَد في بعضها ما ليس يوجد في الأخرى » [انظر « رسالة أبي داود لأهل مكة » و« أبو داود حياته وسننه » للدكتور الصباغ] .

شرح « معالم السُّنن » لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخَطَّابي[١] ولا يَعْزُبَنَّ عن البال : أنَّ الخَطَّابي ـ رحمه الله تعالى ـ لم يشرح جميع الأحاديث ؛ بل يأتي إلى الباب الذي تعدَّدت فيه الرواياتُ ، فإذا كان المآلُ فيها واحداً ؛ شرح منها حديثاً واحداً ، وكأنَّه بذلك شرح جميعَ الباب ، وإلا شرح أكثر من ذلك على حسب ما يتراءى له وإلى ذلك الإشارة بقوله « من باب كذا »[٢] .

إلا أنَّ الكتاب مُجْمَعٌ على فضله ، واحتوائه على فوائد كثيرة تنير السبيلَ للمستفيدين ، وتنشىء فيهم ملكةَ الاستنباط وفقه الحديث ، وقد جاءت في ثنايا الكتاب ثروةٌ ذات قيمةٍ من مقاصد الشريعة وأسرارها ، كما نوَّه بذلك شيخُ الإسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدِّهْلَوِي في مقدِّمة « حُجَّة الله البالغة »[٣] .

وشَرَحه الشيخُ قطب الدين أبو بكر بن أحمد بن دَعِين اليَمَنِيّ الشافعي (المتوفى سنة ٦٥٢هـ)[٤] في أربع مجلَّدات كبار .

وقد تناوله بالشرح شيخ الإسلام محيي الدين النَّووي . (المتوفى سنة ٦٧٦هـ) إلا أنَّ هذا الشرح لم يَتِمَّ ، ولو تَمَّ ؛ لكانت له مكانةٌ مرموقةٌ لاقتدار صاحبه على الشرح والإيضاح ورسوخه في علوم الحديث وسلامة ذهنه .

---

(١) قد سلف ذكرُه وشرحه على سنن أبي داود برواية ابن دَاسَة، ولَخَّص هذا الشرحَ الحافظُ شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم المَقْدِسي (م٧٦٥هـ)، وسمَّاه « عُجَالة العالم من كتاب المَعَالم » .

(٢) مقتبسٌ من مقدِّمة العلاَّمة الشيخ راغب الطَّبَّاخ على « معالم السنن » للخطَّابي، طبع حلب .

(٣) في مكتبة (دار العلوم دِيُوْبَنْد) مقدِّمةٌ للشيخ أبي طاهر أحمد بن محمد السَّلفي الأصْبهاني، كتبها بطلبٍ من جماعة للفقهاء حين إملائه لـ« معالم السنن » في سنة ٥٤٦هـ للتعريف بصاحب السُّنن الإمام أبي داود ، وبشارحه أبي سليمان الخَطَّابي، يقول في هذه المقدمة : « وقد أردتُ أن أقدِّم هاهنا أيضاً فصلاً في التنبيه على جلالة أبي داود وما صنَّفه، وفضل أبي سليمان وشرحه »، وقد جاءت هذه المقدِّمةُ في (٢٢) صفحة من القطع الكبير، وهي خطية لم تطبع بعد (مخطوطات دار العلوم : ص/ ٩٥) [ب] .

(٤) لم نعثر على ترجمته .

وشَرَحه الحافظُ علاء الدين مُغْلَطاي بن قُلَيْج[1] ، ولم يُكْمِله ، وهو كتابٌ عظيمٌ ، كثيرُ الفوائد .

وشَرَحه شهابُ الدين أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال المَقْدِسي[2] سمَّاه « انتحاء السُّنَنَ واقتفاء السنن » .

وشَرَحه الشيخ سراج الدين عمر بن علي بن المُلَقِّن الشافعي[3] .

---

(١) هو الإمام العلامة الحافظ المحدِّث علاء الدين أبو عبد الله بن قُلَيْج بن عبد الله البَكْجَري الحنفي، وُلد بعد التسعين وستمئة، كما هو المشهور، كأن أبوه في الصباح يرسله ليرمي بالنشاب فيخالفه ويذهب إلى دروس أهل العلم حتى صار له مشاركةٌ جيِّدةٌ في فنون من العلم، سمع عن ابن دقيق العيد والعراقي والدِّمْياطي وغيرهم، وتخرَّج على ابن سَيِّد الناس وبعد وفاته ولي التدريس بالظاهرية .
كان كثيرَ المطالعة والدأب والكتابة، له مصنَّفاتٌ كثيرةٌ مفيدةٌ تبلغ مئة كتاب تقريباً، مات في شعبان ٧٦٢هـ (ذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن : ص/ ١٣٣)، (وللسيوطي : ص/ ٣٦٥)، (شذرات الذهب : ٣/ ١٩٧) [ب] .

(٢) هو الإمام المحدِّث الحافظ شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال المَقْدسيّ (٧١٤ ـ ٧٦٥هـ)، سمع من أصحاب ابن عبد الدائم، وابن علاق، والنجيب وطبقتهم، وعُنِي بهذا الشأن فجمع وضبط وبرع، رحل وأفاد، وصنَّف ودرَّس بعد العلائي بالتَّنْكِيْزِيَّة، سمع منه جماعة من الفضلاء، يقول الذهبي عنه : « هو الإمام المحدِّث ، رحل إلى القدس ومصر ودمشق وتوفي في بيت المقدس . (الدرر الكامنة : ١/ ٢٤٢)، (ذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن الدمشقي : ص/ ١٤٨) [ب] . .

(٣) هو العلامة المحدِّث الفقيه : سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري المصري الشافعي المعروف بابن المُلَقِّن (٧٢٣ ـ ٨٠٤هـ)، وُلِد في القاهرة، ونشأ في كفالة ، زوج أمِّه وقد توفي أبوه، أخذ عن التَّقي السُّبْكي وابن سيد الناس ومُغْلَطائي وغيرهم، وأجاز له جماعةٌ كالمِزِّي وغيره، اشتغل في كُلِّ فَنٍّ حتى قرأ في كلِّ مذهبٍ كتاباً، قال ابنُ حجر : كان موسَّعاً عليه في الدنيا مشهوراً بكثرة التصانيف حتى يقال : إنَّها بلغت ثلاثمئة تقريباً ما بين صغيرٍ وكبير، منها : شرحه على « صحيح البخاري » و« شرح زوائد السنن »، لأبي داود على الصحيحين في مجلَّدين . (البدر الطالع : ١/ ٥٠٨) (شذرات الذهب : ٧/ ٤٤) [ب] .

وشَرَحه الشيخُ العلامة وَلِيُّ الدين أبو زُرْعَة أحمد بن الحافظ أبي الفضل زَيْن العِرَاقي[1] ، قال السُّيُوطيُّ[2] : « هو شرحٌ مبسوطٌ جدّاً ، كتب فيه من أوّله إلى سجود السَّهْو في سبع مجلَّدات[3] ، ولو كَمَّله ؛ لجاء أكثر من أربعين مجلَّداً » .

وشَرحه الحافظُ شهاب بن رَسْلان الرَّمْلِي الشَّافعي في أحد عشر مجلَّداً[4] ، وقد رأى الشيخُ العلامة حسين بن مُحْسن الأنصاري[5] شرحَه في بعض بلاد العرب ،

---

(١) هو العلامة المحدِّث الفقيه الأصولي : ولي الدين أبو زُرْعَةَ أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين العِرَاقي الشافعي (٧٦٣ ـ ٨٢٦هـ)، قرأ على أساتذة بلده ، ثم رحل أبوه به إلى الشام، فأحضر عند جمعٍ من العلماء، ثم رجع أبوه فطلب العلمَ بنفسه وطاف على الشيوخ وكتب الطباق وفهم الفنَّ، أخذ عن البُلْقيني وابن المُلَقِّن حتى برز في الحديث والفقه والعربية، ولمَّا مات أبوه تقرَّر في وظائفه فدرَّس ثم ولِّي القضاء الأكبر ثم صرف عنه، كان من خير أهل عصره بشاشةً وصلابةً في الحكم، وقياماً في الحقِّ، وطلاقةَ وجهٍ وحسنِ خُلُقٍ، له مصنَّفات في الحديث ، والفقه، منها : شرح « سُنَن أبي داود » برواية اللؤلؤي . (**شذرات الذهب** : ٧/ ١٧٣)، (**الضوء اللامع** : ١/ ٣٣٦)، (**ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي** : ص/ ٣٧٥) [ب] .

(٢) هو المحقِّق الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي الشافعي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) أحضره والدُه في صباه مجلسَ الحافظ ابن حجر، أخذ عن الشمس المَرْزُبَاني والعلم البُلْقَيْني، وأجيز بالإفتاء والتدريس، ولمَّا بلغ أربعين سنةً أخذ في التجرُّد والعبادة، والانقطاع إلى الله سبحانه، وبدأ التأليف وترك الإفتاء والتدريس، وأقام في روضة المقياس فلم يتحوَّل منها إلى أن مات، مؤلَّفاته كثيرةٌ نافعةٌ تبلغ إلى خمسمئة مؤلَّفٍ، كان أعلمَ أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه، وأخبر هو عن نفسه : أنَّه يحفظ مئتي ألف حديثٍ . (**شذرات الذهب** : ٨/ ٥١)، (**الضوء اللامع** : ٣/ ٦٥)[ب] .

(٣) وكتب مجلَّداً فيه الصيام والحجّ والجهاد .

(٤) شرحٌ حافلٌ ينقل فيه عن شيخه العلامة الحافظ ابن حجر العَسْقَلاني ـ رحمه الله ـ .

(٥) هو العلامة المحدِّث القاضي حسين بن محسن الأنصاري اليَمَاني (١٢٤٥ـ١٣٢٧هـ)، وُلد بالحُدَيْدَة، وتفقَّه على مذهب الشافعي، وأخذ الحديثَ عن العلامة حسن بن عبد الهادي الأهْدَل، ثم توجَّه إلى اليمن وأخذ عن العلامة سليمان بن محمد بن عبد الرحمن الأهْدَل، =

وذكر : أنَّه في ثماني مجلَّداتٍ كبارٍ كما جاء في « غاية المقصود »[1] .

وشَرَحه الشيخُ شهاب الدين بن أحمد بن الحسين الرَّمْلي المَقْدِسيّ الشافعي[2] .

وشَرَحه العلامةُ بدر الدين محمود بن أحمد العَيْني الحنفي (م سنة ٨٥٥هـ) ولـم يُكْمِل .

وشَرَحه العلامةُ جلال الدين السُّيُوْطيّ (المتوفى سنة ٩١١هـ) وسمَّاه « مِرْقاة الصعود إلى سُنَن أبي داود » وعليه حاشيةٌ للعلامة السيد علي بن سليمان الدِّمْنتي البُجُمْعَوِيّ[3] وسماه « درجات مرقاة الصعود » وقد قال في مقدمته : « هذا اختصارنا لـ « مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود » للعلاَّمة السيوطي ، وهو تعليق على نسق أصله الذي لخص به « معالم السنن »[4] للإمام أبي سليمان الخَطَّابي ، وضَمَّ

= وأجازه الشيخُ أحمد بن القاضي محمد بن علي الشَّوكاني، والعلامة ناصر الدين الحَازِمي، ولِّي القضاء ببلدة (لَحْيَهْ) ثم تركها وقَدِمَ الهندَ، ولبث في (بُوْفال) سنتين، ثم رجع إلى وطنه، ثم عاد وتوطَّن ببلدة (بُوْفال)، وقد طار صيتُه في الأقطار الهندية، وخضع لعلمه كبارُ العلماء والمحدِّثين وأسندوا عنه، لم يشتغل بالتأليف والتصنيف، ولو أراد ذلك لكانت له مصنَّفاتٌ في الحديث، له بعضُ الرسائل وبعض التعليقات على « سنن أبي داود » (**الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام** : ٨/ ١٢١٢)[ب] .

(١) غاية المقصود : ص(٩) .

(٢) هو الإمام العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن أرْسَلان المَقْدِسيّ الشافعي (٧٧٥ ـ ٨٤٤هـ)، وُلِد بـ (رَمْلَة) فلسطين، حفظ القرآن في صباه، وأخذ عن الشمس القَلْقَشَنْدي، وابن الهَائِم، والجلال البُلْقِيني وطبقتهم، وبرز في الحديث والفقه والأصول، وتصَدَّى للتدريس والإفتاء ثم تركهما بعد مدَّةٍ وسلك طريقَ الزهد والعبادة وجدَّ فيه حتى بلغ رتبةَ الكمال، له تصانيفُ منها : شرحه للبخاري وأبي داود وغيرها، توفِّي بالقُدْس . (**شذرات الذهب** : ٧/ ٢٤٨)، (**الضوء اللامع** : ١/ ٢٨٢)، (**الأعلام** : ١/ ١١٥) [ب] .

(٣) هو العلامة أبو الحسن علي بن سليمان الدِّمَنْتيُّ البُجُمْعَوِيُّ من أعلام المَغَاربة، وُلد في دمنات سنة ١٢٣٤هـ، له مصنَّفاتٌ منها « لسان المحدِّث » و« منظومةٌ في اصطلاح الحديث » وشرحها وغير ذلك، توفي سنة ١٣٠٦هـ . (**الأعلام** : ٤/ ٢٩٢)[ب] .

(٤) لخصه شهاب الدين المقدسي ، وقد ذكرته آنفاً .

إليه الفوائد الزوائدَ ، والخرائدَ الشرائدَ . (وهو في جزءٍ واحدٍ طُبع في المطبعة الوهبية سنة ١٢٩٨هـ) .

وقد شَرَحه العلامة الشيخ محمود محمَّد خَطَّاب السُّبْكِي المِصْري (م سنة ١٣٥٢هـ)[١] ، وسمَّاه « المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود » وهو شرحٌ حافلٌ في أجزاء ولم يَتِمّ ، وقد وَصَل المؤلِّف في شرحه إلى « باب التلبيد » .

وكان نصيبُ علماء الهند من خدمة هذا الكتاب الجليل نصيباً غيرَ منقوصٍ ، شأنُهم في خدمة علم الحديث عامةً ، وخدمة الصحاح الستة بصفةٍ خاصَّةٍ .

فأوَّلُ من شرحه من علماء الهند العلامة أبو الحسن السِّنْدي ابن الهادي المَدَني[٢] ، (وهو شرحٌ لطيفٌ) سمَّاه « فتح الورود على سنن أبي داود » .

وتلاه علماءُ آخرون ، فعُنِي به العلامةُ المحدِّث الكبير شمس الحقّ الدَّيَانَوي[٣]

---

(١) هو المُصلِح الكبير الداعي إلى الله الشيخ محمود الخَطَّاب السُّبْكي، تعلَّم العلم كثيراً، وتخرَّج من الأزهر ، وكانت دراستُه بكاملها في نحو سنة كما حكى هو عن نفسه في كتابه « فتاوي أئمَّة المسلمين »، ودَرَّس في الأزهر وقام بدعوةٍ دينيةٍ إصلاحيةٍ، كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في إزالة البِدَع والمُنْكَرات واتباع السنَّة وطريقة السَّلف الصالح، وأسَّس جمعيةً سمَّاها « الجمعية الشرعية لتعامل العاملين بالكتاب والسنَّة المحمدية »، توفي سنة ١٣٥٢هـ .

(٢) هو الشيخُ العلامة أبو الحسن نور الدين محمَّد بن الهادي الحنفي السِّنْدي المحدِّث الكبير، وُلد ببلدة (تته) من السِّنْد ونشأ بها، ثم سافر إلى (تُسْتَرْ)، وأخذ عن جملة من الشيوخ، ثم هاجر إلى المدينة المنوَّرة وأخذ عن السيد محمد بن عبد الرسول البَرْزَنْجي، والشيخ إبراهيم بن حسن الكَوْرَاني وعن غيرهما، ودرَّس بالحرم النبوي الشريف واشتهر بالفضل والذكاء والصلاح، وألَّف مؤلَّفاتٍ نافعةً، أشهرها : تعليقاتُه على الكتب الستة، ومسند الإمام أحمد، وشرحه على « الأذكار » للنَّوَوِي، توفي سنة ١١٣٨هـ بالمدينة المنوَّرة، ودُفن بالبقيع . (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : ٦/ ٦٨٥) [ب] .

(٣) هو الشيخُ العلامة شمس الحق بن أمير علي الدَّيَانوِي العظيم آبادي (١٢٧٣ ـ ١٣٢٩هـ)، قرأ المختصرات في بلده ثم سافر إلى (لَكْنؤ) ولازم الشيخَ فضل الله اللَّكْنَوي، ثم ارتحل إلى مُرَادْ آباد) ولازم العلامة بشير الدين العثماني القَنُّوجي، ثم سافر إلى (دِهْلي)، وأسند الحديثَ عن الشيخ نذير حسين، ورجع إلى بلدته، ثم سافر مرة ثانية وقرأ عليه بعضَ الكتب=

فبدأ بشرحٍ عظيمٍ محيطٍ بمباحث الكتب والمُتُون والأسانيد ، لو تَمَّ ؛ لكان عملاً جليلاً ، ومن شروح الحديث الكبيرة الشاملة ، إلا أنه لِسَعة دائرته وضخامة عمله لم يَتِمَّ وسمَّاه « غاية المقصود » ، وقد احتوى على بحوثٍ مفيدةٍ وفوائدَ كثيرةٍ ، ولَعَلَّ المؤلِّف قد شعر بأنَّ هذا العمل لا يَتِمُّ في حياته فضيق دائرة التأليف ، وصَغَّر إطارَ الكتاب ، وأخرج الكتابَ في أربعة أجزاء ، وسمَّاه « عون المعبود » ونسبه إلى أخيه الشيخ محمد أشرف وهو من تأليفه حقيقةً .

وتَرْجَمَه الشيخُ وحيد الزَّمَان اللَّكْنَوي الحَيْدَرْ آبَادِي الملقَّب بوقار نَوَازْجَنْك[1] ، وتناوله بالشَّرح والإيضاح وسمَّاه « الهدي المحمود في ترجمة سنن أبي داود » .

وقد جمع أحدُ تلاميذ العلامة أنور شاه الكَشْميري[2] وهو الشيخ أبو العتيق

= وأسند عن العلامة حُسين بن مُحسن الأنصاري، ثم رجع إلى بلدته وعكف على التدريس والتصنيف والتذكير وبذل جهدَه في نصرة السنَّة ونشر كتب الحديث، سافر إلى الحجاز فحَجَّ وزار وأدرك المشائخَ فاستفاد منهم وأفاد، له تصانيفُ كثيرةٌ، أشهرها : « غاية المقصود في شرح سنن أبي داود » . (**الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام** : ٨/ ١٢٣٤) [ب] .

(١) هو الشيخُ العالم الكبير : وحيد الزَّمان بن مسيح الزَّمان العُمَري (١٢٦٧ ـ ١٣٣٨هـ)، وُلد بـ (كانفُوْر)، وقرأ على المفتي عناية أحمد الكَاكُوْرَوِي وعلى غيره من العلماء، ثم لازم العلامةَ عبد الحي اللَّكْنَوي وأخذ عنه، سافر إلى الحجاز، وأخذ الحديثَ عن الشيخ أحمد بن عيسى الحَنْبَلي ثم رَجَع إلى الهند وسَكَن بـ (حَيْدَر آباد) وخدم الدولة الآصِفيَّة حتى صار معتمداً للوزير، ولقَّبه صاحب الدَّكَن بـ « نواب وقار نَوَازْجَنْك بَهَادُرْ »، ثم اعتزل في بيته عاكفاً على المطالعة والتأليف، وبعد مدَّةٍ هاجر إلى المدينة المنوَّرة ولكنه اضْطُرَّ إلى العودة .

كان من كِبار مؤلِّفي عصره ترجمةً وتصنيفاً، راسخَ القَدَم في علم اللغة والحديث، له تصانيفُ كثيرةٌ، ومن أحسن مؤلَّفاته « وحيد اللغات في غريب الحديث ومفرداته » ـ في ثمانية وعشرين مجلَّداً ـ (**الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام** » ٨/ ١٣٩٨) [ب] .

(٢) هو حافظُ العصر، ومُسْند الوقت، المحدِّثُ المفسِّرُ، الفقيهُ الحنفي، الأصولي المكين، المتكلِّم النظَّار، المؤرِّخ الأديب، اللُّغَوِيُّ الشاعر، البحَّاثةُ النقَّادة، المحقِّقُ الموهوب : الإمام الشيخ محمد أنْوَر شاه الحسيني الحنفي ابن الشيخ محمد معظَّم شاه الكشميري (١٢٩٢ ـ ١٣٥٢هـ) . انتهت إليه رئاسةُ تدريس الحديث في الهند . =

عبد الهادي محمد صديق النَّجيْب آبادي[1] إفادته في درس « سنن أبي داود » ، وضَمَّ إليها فوائدَ اقتبسها من « بذل المجهود » للعلامة خليل أحمد السَّهَارَنْبُوري ، وزاد فوائدَ أخرى التقَطَها من درس العلامة محمود حسن الدِّيُوْبَندي المعروف بـ « شيخ الهند » ، لـ « صحيح البخاري » ، ودرس العلامة شَبِّيْر أحمد العُثْماني لكتاب « صحيح مسلم » ، وألَّف من كلِّ ذلك كتاباً أسْماه « أنوار المحمود » في جزأين[2] وتَمَّ الشرحُ فيهما .

= كان دقيقَ النظر في طبقات المحدثين والفقهاء، نادرةَ عصره في قوَّة الحفظ، وسَعَة الاطلاع على كتب المتقدِّمين، والتضلُّع من الفقه والحديث وأصولهما والتفسير وأصوله، والرسوخ في العلوم الإسلامية والعربية، يسرد ما قرأه في ريعان شبابه بنصوصه دون إخلال بمعنى، شغوفاً بالقراءة والاطلاع على كل جديدٍ، شديدَ الغيرة على الإسلام، كثيرَ الحماية لعقيدة أهل السنَّة والجماعة، شديدَ العداء والمحاربة للقاديانية، متوفِّراً على الردِّ عليهم بالكتابات والخطابات، كثيرَ الترغيب لتلاميذه وأصحابه في مقاومتها بالقلم واللسان . (١٢٧٣ ـ ١٣٥٢هـ)، قرأ المختصرات على والده ثم سافر إلى (بَكْلي) وقرأ على أساتذتها، ثم ارتحل إلى (دِيُوْبَنْد) وأكمل دراستَه على أساتذتها، ولِّي التدريسَ بالمدرسة الأمِيْنيَّة بدهلي، ثم سافر إلى الحجاز للحَجِّ والزيارة، وبعد عودته أقام بديوبند للتدريس، ثم ولِّي رئاسةَ التدريس بها، وحينما حدثت الفتنةُ في ديوبند غادر إلى (دَابِيْل) على طلب مِن بعض تلامذته ، وانتفعت به هذه البلادُ حتى أنهكته الأمراضُ فرجع إلى (ديوبند) وتوفي بها .

من مؤلّفاته تعليقات على « فتح القدير » لابن الهمام إلى كتاب الحج، وتعليقات على « الأشباه والنظائر » وتعليقات على صحيح مسلم، وكتاب « عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام » و« إكفار الملحدين في ضروريات الدين » و« مشكلات القرآن » و« التصريح بما تواتر في نزول المسيح » . وما إلى ذلك .

للاستزادة من ترجمته يرجع إلى « نفحة العَنْبر في حياة إمام العصر الشيخ أنور » للشيخ محمد يوسف البِنُّوْري، و« تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر . . » للمحدِّث الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة، و« أعلام المحدِّثين في الهند » للمحقِّق .

(١) لم نعثر له على ترجمته .

(٢) طبع هذا الكتاب في تَجَلِّي بريس بدِهْلي سنة ١٣٣٠هـ، وعدد صفحات الجزء الأول (٦١٠)، وعدد صفحات الجزء الثاني (٥٦٨) .

وللشيخ فخرِ الحسن الكَنْكُوهي[1] تعليقٌ على « سنن أبي داود » وسمَّاه « التعليق المحمود » .

وللشيخ العلامة المحدِّث القاضي حُسَين بن مُحسن الأنصاري اليَمَاني تعليقاتٌ على سنن أبي داود ، ولتلميذه العلامة السيد عبد الحي الحَسَني مؤلِّف « نزهة الخواطر » تعليقٌ على السُّنَن كذلك لم يَتِمَّ[2] .

وكان الشيخُ العلامة المحدِّث الكبير مولانا خليل أحمد السَّهَارَنْبُوْري من كبار المَعْنِيِّين بـ « سنن أبي داود » تدريساً وتحقيقاً ، وكان ممَّا جَرَتْ به العادةُ ، ووقع عليه الاتفاقُ في مدرسة « مَظَاهِر العلوم » التي كان مديرَها ورئيس أساتذتها أن يُباشر هو تدريس هذا الكتاب ، أو يتولاه الشيخ العلامة محمد يحيى بن إسماعيل الكَانْدَهْلَوي لا يتخطَّاهما إلا نادراً ، وكان فكرةُ شرح هذا الكتاب تُراود الشيخَ منذ أيام الطلب وعُنْفوان الشباب ، وكان يتمنَّى على الله أن يوفَّق لهذا العمل الجليل ، وقد شرع في ذلك فعلاً وبدا له أن يسمِّيه « حَلُّ المعقود الملقَّب بالتعليق المحمود على سنن أبي داود » وأقبل على هذا العمل بعد أن عيِّن مدرساً ، وقد شرع في ثلاث مِرَارٍ ، وكان الشروعُ فيه للمرَّة الثالثة سنة ١٣١١هـ ، إلا أنه لم يقدَّر له الاستمرارُ فيه وإكماله في ذلك الحين ، فصرفَتْه عنه الأشغالُ العلمية ، والدروس المُرْهِقة ، والأسفار المتتابعة .

---

(١) هو الشيخُ العالم الكبير فخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكَنْكُوهي، أخذ الحديثَ عن العلامة رشيد أحمد الكَنْكُوهي، وأخذ الصناعةَ الطِّبِّيَّة عن الحكيم محمود بن صادق الشريفي الدِّهْلَوي، واشتغل بمداواة الناس في آخر عمره بـ (كَانْفُوْر)، كان حُلْوَ اللفظ والمحاضرة، موصوفاً بالصِّدق والصفاء، صاحبَ حميةٍ وشجاعةٍ، متصلِّباً في المذهب، يشتغل كثيراً بالمناظرة بين الهندوس والنصارى، له تعليقاتٌ على بعض الكتب ، وتعليقٌ بسيطٌ على « سنن أبي داود » توفي سنة ١٣١٥ هـ بكانفور . (**الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام** : ٨/ ١٣٢٣) [ب] .

(٢) نسخته الخطية موجودةٌ في مكتبة « ندوة العلماء » العامة (مكتبة العلامة شبلي النعماني) [ب] .

وقد كانَت لله في ذلك حكمةٌ خفيةٌ ، فقد أراد الله أن يَتِمَّ هذا العمل على يده ، وقد بلغ درجة النبوغ والنُّضْج العقلي ، وتوسَّعت دراستُه واتسع نطاقُ علمِه ، وظهرت كُتُبٌ جديدةٌ في شرح هذا الكتاب ، فجاء الكتابُ حصيلةَ دراستِه وعُصَارةَ مطالعته .

وكان الباعثُ الأوَّلُ على تأليف هذا الشرح هو شَغَفُه بحديث رسول الله ـ ﷺ ـ الذي لا يعرف مَدَاه وسِرَّه إلا من ذاق حلاوةَ الحُبِّ ، وشُغِفَ بمحبوبه وبكلِّ ما يصدر عنه ، ويتصل به وينسب إليه ، وحرصه على الاشتغال بالحديث لفظاً ومعنىً ومنطوقاً ومفهوماً ، وشرحاً وتحقيقاً وفحصاً وبحثاً ، ولما كان الشرح ضامناً كافلاً بهذا الاشتغال والخوض في أعماق الحديث ؛ آثَرَه الشيخُ ، والتزمه فإنْ تم الشرح وتحقَّقت الأمنية ؛ فنِعْمَ وحَبَّذا ، وإلا ؛ فقد قضى هذه المُدَّةَ في شُغْلٍ عزيزٍ لذيذٍ وفي سعادةٍ وغبطةٍ وسرورٍ .

مُنىً إنْ تكن حَقّاً تكن أحسَنَ المُنَى ... وإلا فقد عِشْنا بها زَمَناً رَغِدا

وكان الباعثُ الثاني عليه هو عَدَمُ وجود شرحٍ وافٍ لهذا الكتاب الجليل بقلم عالمٍ حنفيٍّ يجمع بين التبحُّر في الحديث، والتضلُّع في الفقه، مع أنَّ الكتاب من أهَمِّ الكتب التي يعتمد عليها في إثبات مذهبٍ أو رَدِّ مذهبٍ ؛ لأن موضوعه الخاص ، وميزته الكبرى هو أحاديثُ الأحكام ، وهي التي يَكْثُرُ فيها الخلافُ ، وتتجلَّى فيها القدرةُ على التحقيق وقوَّة الاستدلال ، وذلك ما أهَمَّ المؤلِّفَ وشَغَلَ خَاطِرَه .

[النشاط العلمي والعقلي في العالم الإسلامي] :

ولم يَزَلْ علماءُ الإسلام منذ قديم الزمان يشرحون كتبَ الحديث ، وفي مقدِّمتها ـ الصحاح الستة ـ بوِجْهة نظرهم الخاصة ، ويطبِّقون بين الأحاديث وآراء مذهبهم ، ويقدِّمون دلائلها من كتب الحديث الموثوق بها ، المعتمد عليها ، كما فعل الإمامُ أبو جعفر الطَّحَاوي[1] في « شرح معاني الآثار » وكما فعل العلامةُ

---

(١) هو الإمامُ العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سَلامة بن سلمة الأزْدي الحجري المصري الطَّحَاوي الحنفي (٢٣٧ ـ ٣٢١هـ)، سمع عن هارون بن سعيد، ويونس بن عبد الأعلى، =

الزَّيْلَعيُّ(١) في « نصب الرايّة » ، والعلامة علاء الدين ابن التُّرْكَماني(٢) في « الجوهر النقي » .

وسادتُنا الشافعية ـ والحَقُّ أحَقُّ أن يقال ـ قد أحرزوا قصبَ السبق في ميدان التأليف والتدوين(٣) ، فألَّف أحدُهم شرحاً لكتاب من كتب الصحاح تلاه عالمٌ كبيرٌ من علماء المذهب الحنفي فألَّف شرحاً آخر لهذا الكتاب ، وإذا ألَّف أحدُ كبار علماء الشافعية أو المالكيَّة كتاباً في التفسير أو في أصول الفقه وتلقَّاه الناسُ بالقبول وسارَتْ به الرُّكْبانُ ،

= والمُزَنيّ وطبقتهم، وروى عنه الخَشَّابُ وابن المُقْري، والطَّبَراني وغيرُهم، رحل إلى الشام وتفقَّه على القاضي أبي حازم وغيره، وبرع في الفقه والحديث، كان ثقةً ثَبْتاً عالماً بمذاهب الفقهاء لم يخلف مثله، انتهت إليه رئاسةُ أصحاب مصر، له تصانيف بديعة ممتعة، منها : « معاني الآثار » و« مشكل الآثار » وغيرهما . (**تذكرة الحفاظ** : ٣/ ٨٠٨)، (**وفيات الأعيان** : ١/ ٥٣)، (**شذرات الذهب** : ٣/ ٢٨٨)، (**الجواهر المضيئة** : ١/ ١٠٤)، (**الفوائد البهية** : ص/ ١٨)[ب] .

(١) هو الإمامُ العلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزَّيْلَعي الحنفي (م٧٦٢هـ)، سمع من أصحاب النجيب، وأخذ عن الفخر الزيلعي وابن التُّرْكماني وغيرهما، ولازم مطالعةَ كتب الحديث حتى برز فيه، له مصنَّفاتٌ ممتعةٌ، منها : « نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية »، و« تخريج أحاديث الكشَّاف » وغيرهما . (**ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي** : ص/ ٦٢)، (**الدرر الكامنة** : ٢/ ٣١٠)[ب] .

(٢) هو الإمامُ العلامة علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المَارِدِيْني المعروف بابن التُّرْكَماني الحنفي (٦٨٣ ـ ٧٥٠هـ)، وُلد في بيتٍ عريقٍ في العلم والدين، أخذ عن الأبْرقُوْهيِّ والدِّمْيَاطي وطبقتهما، وولِّي قضاء الحنفية بالديار المصرية، ودرَّس وأفاد، أخذ عنه العِراقيُّ، والزَّيْلَعيُّ، وعبد القادر القُرشي وغيرهم، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه والأصول، له مصنَّفاتٌ مفيدةٌ، منها : « الجوهر النقي في الرَّدِّ على البَيْهقي » في مجلَّدين ضخمين، وغيره من الرسائل الممتعة . (**ذيل تذكرة الحفاظ** : ص/ ١٢٥)، (**الدرر الكامنة** : ٣/ ٨٤)، (**الجواهر المضيئة** : ١/ ٣٦٦)، (**الفوائد البهية** : ص/ ٥١)[ب] .

(٣) خاصَّةً في التفسير والحديث، أمَّا الفقه بجزئياته واستنباطاته الدقيقة فللحنفية فيه تقدُّمٌ وشأنٌ [ب]، اقرأ في ذلك « فقه أهل العراق وحديثهم » للعلامة المحقِّق الإمام محمد زاهد الكوثري، بتحقيق المحدِّث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ رحمهما الله ـ .

وشُغِفَتْ به الأوساطُ العلميّـة والحلقاتُ التعليمية ، جاء عالمٌ حنفيٌ فألّف كتاباً في نفس الموضوع قد يفوقه وقد يُدرك شَأْوَه وقد يتخلّف عنه شأنَ الكتب العلمية والجهود البشرية في كلِّ زمـانٍ ومكانٍ ، وهذه قِصَّةُ « عُمْدَة القاري » للعلامة بَدْر الدين العَيْنِيّ[١] مع « فتح الباري » للعلامة الحافظ ابن حجر العَسْقَلاني[٢] .

---

(١) هو الإمام العلامة المحدِّث الفقيه المؤرِّخ ، بدر الدين محمود بن شهاب الدين أحمد العَيْنتابي المصري الحنفي المشهور بالعَيْنِي (٧٦٢ ـ ٨٥٥هـ) ، تفقَّه على والده ، ثم رحل إلى حلب ، وأخذ عن يوسف بن موسى الملطي الحنفي ، ثم قدم القدسَ الشريف فأخذ عن العلاء السِّيْرامي وصحبه حتى سافر معه إلى القاهرة ولازمه حتى مات فأقام بمصر مُكِبّاً على الاشتغال والإشغال ، وولِّي حسبة القاهرة ثم ولِّي عدة تداريس ووظائف دينية ، واشتهر اسمه وبَعُد صيته ، أفتى ودرَّس وصنَّف إلى أنْ ولي قضاء قضاة الحنفية بالديار المصرية ، كان فصيحاً باللغتين العربية والتركية وكان أحدَ أوعية العلم ، أخذ عنه ما لا يحصى . له مصنَّفاتٌ جليلةٌ ، أشهرها : « عمدة القاري شرح صحيح البخاري » في عشرين مجلَّداً . (**شذرات الذهب : ٧/ ٢٨٦**) ، **الجواهر المضيئة : ٢/ ١٦٥**) ، (**الفوائد البهية : ص/ ٨٧**) (**الضوء اللامع : ١٠/ ١٣١**) [ب] .

(٢) هو الإمام الحافظ أحمد بن علي ، أبو الفضل ، شهاب الدين ابن حجر الكَنَاني العَسْقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ) من كبار أئمّة الحديث والتاريخ ، أصلُه من عَسْقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة ، أوْلِعَ بالأدب والشعر ، ثم أقبل على الحديث ورحل إلى اليمن ، والحجاز ، والقاهرة وغيرها للسَّماع عن الشيوخ ، أخذ عن العِرَاقيِّ ، وابن المُلقِّن وغيرهما ، وعلت له شهرةٌ ، قصده الناس للأخذ عنه ، وأصبح حافظَ الإسلام في عصره ، كان تِقْناً من الأتقان في حديث رسول الله ﷺ ، فَرُسَ به وضَرَب أباط أموره ومَغَابنها ، واستشفَّ ضمائرها وبواطنها ، ولو لم يكن به إلَّا « فتح الباري » لكفاه رِفْعَةً في المنزلة ، بَلْه مؤلفاته الأخرى البليغة الكثرة ذوات الفوائد والعوائد ! يقول السَّخاوي : « انتشرت مصنَّفاتُه في حياته وتهادتها الملوكُ وكتبها الأكابر ، كان فصيحَ اللسان ، صبيحَ الوجه ، ولِّي قضاء مصر مرَّاتٍ ، ثم اعتزل ، له مصنَّفاتٌ كثيرةٌ جليلةٌ أشهرها : « فتح الباري في شرح صحيح البخاري » ، و« لسان الميزان » ، و« تهذيب التهذيب » ، و« الدُّرَرُ الكامنة في أعيان المئة الثامنة » وغيرها من المؤلَّفات النافعة ، ولتلميذه السَّخاوي كتاب في ترجمته سمَّاه « الجواهر والدُّرَر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » (**شذرات الذهب : ٧/ ٢٧٠**) ، (**الأعلام : ١/ ١٧٣**) [ب] .

وهذا هو الدافعُ النبيل الذي دَفَع بعضَ كبار علماء الحنفية إلى تأليف كتابٍ في تفسير القرآن بعدما كثرت مؤلَّفاتُ علماء الشافعية في التفسير ، وانتشرَتْ في الآفاق ، وأقبل عليها الطَّلَبَةُ والعلماء درساً وتدريساً ، كما فعل العلامةُ أبو البركات حافظ الدين النَّسَفي[١] في كتابه « مدارك التنزيل وحقائق التأويل »[٢] والعلامة أبو السُّعُوْد محمد بن محمد بن مصطفى العِمَادي[٣] في تفسيره المُسَمَّى بـ (إرشاد العقل السَّليم إلى مَزايا الكتاب الكريم)[٤] والمحدِّث الكبير ، والفقيه الشهير القاضي ثناء الله البَانِي بَتِي[٥] في « التفسير المَظْهَري »[٦] .

---

(١) هو الإمام العلامة عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات حافظ الدين النَّسَفِي (م٧١٠هـ)، بَرَز في الفقه والحديث والتفسير، تفقَّه على شمس الأئمة الكُرْدي وعلى غيره من العلماء، كان إماماً كاملاً، عديمَ النظير في زمانه، له مصنَّفاتٌ جليلةٌ، أشهرها : « كنز الدقائق في الفقه » وغيره . (**الدرر الكامنة** : ٢/٢٤٨)، (**الفوائد البهية** : ص/٤٢)، (**الجواهر المضيئة** : ١/ ٢٧٠)، (**معجم المؤلفين** : ٦/ ٣٢)[ب] .

(٢) وهو معروفٌ بين الطَّلَبة بـ « تفسير النَّسَفي » .

(٣) هو الإمامُ العلامة أبو السُّعُود محمد بن محمد بن مصطفى العِمَادي الحنفي (٨٩٨ ـ ٩٨٢هـ)، قرأ على والده وصار ملازماً من المولى سعدي جَلْبي، ثم ولِّي قضاء بـ (رَسَّة)، ثم قضاء (قُسْطَنْطِيْنِيَّةْ)، ثم قضاء (العسكر) في ولاية (رُوْم إيْلي)، ثم تولَّى الفتيا ، واستمر على ذلك إلى وفاته، كان عميقَ النظر في الفقه والفتوى، واسعَ الاطلاع في الفنون، له بعضُ التصانيف النافعة منها كتابه في التفسير، وحاشيةٌ على « العناية »، وبعض التعليقات على « الكشَّاف » . (**شذرات الذهب** : ٨/٣٩٨)[ب] .

(٤) هو المعروف بـ « تفسير أبي السُّعُود » أكثر ممَّا سمَّاه هو نفسُه .

(٥) هو العلامة المحدِّث ثناء الله العُثْماني البَانِي بَتِي، أحدُ العلماء الراسخين، وُلد ونشأ ببلدة (بَاني بَتْ)، وقرأ على أساتذة بلدته، ثم سافر إلى دِهْلي ، وأخذ عن الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدِّهْلَوِي، وبرز في الفقه والحديث والتفسير، قال الشيخُ غلام علي الدِّهلوي : « إنَّه كان متفرّداً في أقرانه في التقوى والديانة مشتغلاً بالتدريس والتصنيف وفصل القضايا، وإنه بلغ إلى رتبة الاجتهاد في الفقه والأصول، له مصنَّفاتٌ مشهورةٌ منها : « التفسير المَظْهَرِي » في سبع مجلَّدات، و« ما لا بُدَّ منه » في الفقه، وكتابٌ مبسوطٌ في مجلَّدين في الحديث ورسائل أخرى، توفِّي في بلدته سنة ١٢٢٥هـ . (**الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام** (٧/ ٩٤٢)[ب] .

(٦) فات العلاَّمة النَّدْوي أن يذكر هنا تفسيراً قيِّماً لأحد علماء الأحناف الكبار ألا وهو « روح=

والعِلْمُ الثالث الذي له صلةٌ وثيقةٌ بالمذاهب والآراء الفقهيَّة ، وعليه أساسُ استنباطِ المُسْتَنْبطين واجتهادِ المجتهدين ، هو علمُ « أصولُ الفقه » ، فكان المجالَ الثالث لتأليف فُحول علماء المذهب ونوابغهم ، فألَّف فيه العلامةُ أبو الحسين البَصْري[1] ، وإمامُ الحرمَين العلامة أبو المَعَالي عبد الملك الجُوَيْنيّ[2] ، وحُجَّةُ الإسلام محمد بن محمد الغَزَالي ، والعلامة علي بن أبي المُظَفَّر الآمديّ[3] والإمام فخر الدين الرَّازِي وغيرُهم من كبار علماء الشافعية .

= المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » لعلاَّمة العراق الإمام المفسِّر شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلُوْسِي (١٢١٧ ـ ١٢٧٠هـ) ، والذي استوعب فيه جميعَ ما أُلِّف قبله من التفاسير ، وأضاف إليه ما رفدته به ثقافات عصره ، وجَمَع فيه بين المنقول والمعقول ، والرواية والدراية ، وذلك مع إضافاتٍ قيِّمةٍ حصل عليها المؤلِّفُ من قراءاته واطلاعه ، ورجاحة تفكيره وقُوَّةِ شخصيته ، وهو يُعَدُّ بحقٍّ موسوعةً تفسيريةً تتصل بالتفسير ، وبكلِّ ما يتصل به من علومٍ مساعدةٍ .

(١) هو العلامة أبو الحسين محمد بن علي بن الطيِّب البَصْري، المتكلِّم على مذهب المعتزلة، وهو أحدُ أئمَّتهم الأعلام المشار إليه في هذا الفَنِّ، كان إمامَ وقتِه، له التصانيفُ الفائقة في أصول الفقه منها : « المعتمد » وغير ذلك من المصنَّفات، سكن ببغداد، وتوفِّي فيها سنة ٤٣٦هـ . (**وفيات الأعيان** : ٤/ ٢٧١)، (**شذرات الذهب** : ٣/ ٢٥٩)[ب] .

(٢) هو العلامة الإمام إمام الحرمين : أبو المعالي ضياء الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجُوَيْني الشافعي (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ)، تفقَّه على والده في صباه، وبعد وفاته أخذ عن تصانيفه حتى أرْبَى على المتقدِّمين، وجلس على مَسْنَد والده ثم تركه، وسافر إلى مكة وجاور بها أربع سنين، ولقِّب بإمام الحرمَين، ثم رجع إلى « نَيْسَابور » وذهب إلى (بغداد) وتولَّى تدريسَ « المدرسة النظامية » وحصل له القبول ما لم يحصل لغيره، ومكث على ذلك ثلاثين سنة، ثم رجع إلى نيسابور واشتغل بالتأليف والتصنيف حتى وافته المَنِيَّةُ، له مصنَّفاتٌ بديعةٌ منها : « البرهان في أصول الفقه »، و« النِّظاميّ »، و« الغِيَاثيّ »، وغيرها . (**شذرات الذهب** : ٣/ ٣٥٨) ، (**سير أعلام النبلاء** : ١٨/ ٤٦٨)، (**طبقات الشافعية** : ٣/ ٢٤٩)[ب] .

(٣) هو العلامةُ أبو الفضائل علي بن أبي المُظَفَّر يوسف بن أحمد بن محمد بن الحسين الآمِدِي الوَاسِطي الشافعي (٥٥٩ـ٦٠٨هـ)، تفقَّه ببغداد على الشيخ أبي طالب صاحب « ابن الحلل » وغيره، وسمع الحديثَ من جماعة كثيرة ببلدته (وَاسِط) و(بغداد)، ثم تولَّى القضاء بواسط، كان له معرفةٌ بالحساب، وقد كان يقرض الشِّعْرَ، توفِّي بواسط . (**وفيات الأعيان** :=

والعلامة جمال الدين بن الحَاجِب[١] ، والعلامة أبو إسحاق الشَّاطِبي[٢] من علماء المالكية .

والإمام محمد بن الحسين أبو يَعْلَى[٣] ، والعلامة ابن قُدَامة المَقْدسيّ[٤] مِن علماء الحنبلية ، مؤلَّفاتهم الشهيرة في علم الأصول وسارَتْ بها الرُّكْبان ودرجت الأجيال على دراستها ، وحفظ بعضها وشرحها عدَّة قرون .

= ٣/ ٧٥)[ب] .

(١) هو العلامة عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدُّوني، ثم المصري الفقيه المالكي أبو عمر جمال الدين بن الحاجب (٥٧٠ـ٦٤١هـ)، تفقَّه على مذهب مالك، وبرع في العربية والقراءات وانتقل إلى (دمشق) ودرس بجامعها في زاوية المالكية، ثم عاد إلى القاهرة، وأقام بها وأفاد خلقاً كثيراً، له مصنَّفاتٌ نافعةٌ في أصول الفقه والنحو والصرف . (**وفيات الأعيان** : ٣/ ٢٤٨)، (**شذرات الذهب** : ٥/ ٢٣٤)[ب] .

(٢) هو الإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللَّخْمي الغَرْناطي المالكي الشهير بأبي إسحاق الشَّاطِبي (م٧٩٠هـ)، محدِّثٌ فقيهٌ، أصوليٌّ، لُغَويٌّ، مفسِّرٌ، من مؤلَّفاته : (عنوان التعريف بأسرار التكليف)، في الأصول، و(الموافقات) في أصول الأحكام وغيرهما . (**معجم المؤلِّفين** : ١/ ١١٨)[ب] .

(٣) هو الإمام أبو يَعْلَى بن الفَرَّاء، شيخُ الحنابلة القاضي الحَبْر محمد بن الحسين، محمد بن خلف البغدادي (٣٨٠ ـ ٤٥٨هـ)، صاحب التصانيف وفقيه العصر، حدَّث عن أبي العربي، والمخلص وطبقتهما، وتفقَّه على أبي عبد الله بن حامد، وأملى عِدَّة مجالس، ووَلِّي قضاء (الحريم)، له تصانيفُ كثيرةٌ منها « الكفاية » و« العدَّة » في أصول الفقه، و« أحكام القرآن » وغيرها من المصنَّفات . (**شذرات الذهب** : ٣/ ٣٠٦)، (**الأعلام** : ٦/ ٣٣١) . [ب] .

(٤) هو العلامة الإمام عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدَامة المَقْدسي الجَمَّاعِيْلي ثم الدِّمَشْقِي الصَّالحي الحنبلي، أبو محمَّد موفَّق الدين الفقيه المجتهد (٥٤١ـ٦٢٠هـ)، أخذ عن الشيخ عبد القادر، وهبة الله الدَّقَّاق وابن البَطِّي، وتفقَّه على ابن المُنى ؛ حتى فاق أقرانَه، وانتهى إليه معرفةُ المذهب وأصوله، أخذ عنه ابن الدَّبِيْثي والضِّياء، والمُنْذري وغيرُهم، له مصنَّفاتٌ نافعةٌ ضخمةٌ منها : « المغني » في سبع مجلَّدات كبار، و« البرهان في علوم القرآن » و« الروضة في الأصول » وغيرها . (**شذرات الذهب** : ٥/ ٨٨)، (**معجم المؤلفين** : ٦/ ٣٠)[ب] .

صنَّف الإمام علي بن محمد بن عبد الكريم فخر الإسلام البَزْدَوي[١] من علماء الحنفية كتابه المشهور بـ (أصول البَزْدَوي) ، وصنَّف الشيخ العلامة حسام الدين محمَّد بن محمد بن عمر الأخْسِيكَثِيّ[٢] الحنفي كتابه « المنتخب الحُسَامي » ، وألَّف الشيخ العلامة كمال الدين بن الهُمَام الحنفي[٣] كتابه المشهور « التحرير » ، وتداولت الأيدي هذه الكتبَ ، وأقبل عليها العلماءُ دراسةً وتدريساً ، وشرحاً وتلخيصاً حتى جاء الشيخُ العلامة مُحِبُّ الله بن عبد الشَّكُوْر الحنفي البِهَاريّ الهِنْدي[٤] ، فصنَّف كتابَه المشهور (مُسَلَّم الثُّبوت) فتهافت عليه العلماءُ والمؤلِّفون

(١) هو الإمام العلامة أبو الحسين علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم الحنفي الفقيه الأصولي، وُلد في حدود أربعمئة، يقول العلامة اللَّكْنَوي : « هو الإمام الكبير الجامع بين أشتات العلوم، إمام الدنيا في الفروع والأصول » وكان يُضْرب به المثلُ في الحفظ، له تصانيفُ جليلةٌ وكتابٌ كبيرٌ في أصول الفقه المعروف بـ « أصول البَزْدَوي »، توفي سنة ٤٨٢هـ . (**سير أعلام النبلاء** : ١٨/ ٦٠٢)، (**الجواهر المضيئة** : ١/ ٣٧٢)، (**الفوائد البهية** : ص/ ٥٢)[ب] .

(٢) هو الإمامُ محمَّد بن محمَّد عمر الأخْسِيْكَثي الحنفي أبو عبد الله حُسَام الدين، كان إماماً في الفروع والأصول، له « المختصر في أصول الفقه » المعروف بـ « المنتخب الحسامي »، تفقَّه عليه محمَّدُ بن عمر النُّوْحَاباذِي، ومحمد بن محمد البخاري، توفي سنة ٦٤٤هـ، (**الجواهر المضيئة** : ٢/ ١٢٠)، (**الفوائد البهية** : ص/ ١٨٨)[ب] .

(٣) هو الإمامُ العلامة كمال الدين محمَّد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود الكمال بن همام الدين السِّيْوَاسي ثم الإسكندري المعروف بابن الهُمَام الحنفي (٧٩٠ـ٨٤١هـ)، أخذ عن السِّراج، والقاضي محب الدين ابن الشِّحْنَة وأبي زُرْعة ابن العِرَاقي وغيرهم حتى فاق أقرانَه، وبرع في العلوم وتَصَدَّى لنشرها، فانتفع به خَلْقٌ، كان ماهراً في الفقه والأصول والنحو والتصريف والمعاني والبيان، محقِّقاً جَدَلياً، أفتى برهةً من الزمان ثم تركها، ودرَّس الفقه ثم تركه وجاور بالحرمَين، له مصنَّفاتٌ بديعةٌ نافعة منها : « فتح القدير للعاجز الفقير »، شرح الهداية . (**الضوء اللامع** : ٨/ ١٢٧)، (**شذرات الذهب** : ٧/٢٩٨)[ب] .

(٤) هو الشيخُ العلامة مُحِبُّ الله بن عبد الشَّكور العثماني الصِّدِّيقي الحنفي البِهَاري الهِنْدي، أحد الأذكياء المشهورين، قرأ بعضَ الكتب الدرسية على الشيخ قطب الدين الأنصاري، وأكثرها على الشيخ قطب الدين الحسيني الشمس آبادي، ثم رحل إلى (معسكر) السلطان عَالمْكِيْر=

وتناولوه بالشَّرح والتعليق ، وقد شَغَل هذا الكتابُ أذكى علماء البلاد وأبرعهم أكثرَ من قرنٍ ، وبلغ عددُ شروحه ، وتعليقاته التي اشتهرت بين الناس ثمانية شروحٍ على ما جاء في كتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » للعلامة السيد عبد الحي الحسني ، وكان ذلك طبيعياً ومعقولاً ، وممَّا اقتضته طبيعةُ اختلاف المذاهب وطبيعة العلم والبحث .

إنَّ هذه الحركة العلمية القوية التي انتشرت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي واستمرَّت إلى عهدٍ قريبٍ ، وظَهَرتْ ، بشكلٍ خاصٍّ في مجال شروح الحديث ، وكتب التفسير ، وأصول الفقه ، أفادت النشاطَ العقليَّ والعلميَّ في العالم الإسلامي إفادةً كبيرةً ؛ لأنها مَخَضَتْ المكتبةَ الإسلامية الدينية ، وغَرْبَلَتْها غربلةً ، وَنَخَلتْ كتبَ الحديث والرجال وعلمي الأصول ، للاحتجاج لما يراه المؤلِّفون وعلماء المذاهب من الآراء الفقهية من الكتاب والسُّنة ، والحديث الصحيح ، وإقامة الدليل والبرهان عليه ، فلم يَبْقَ جانبٌ من جوانب الحديث النبويِّ وما يتصل به من علوم ومقدِّمات إلا وكُشف عنه ، ولا موضوعٌ له نسبٌ قريبٌ أو بعيدٌ بالسنَّة ، وآيات الأحكام إلا وبُحِثَ ودُرِسَ ونُوْقِشَ ، واستُعْمِلَتِ العقولُ في ذلك إلى أقصى حدودها ، فكان كلُّ ذلك ممَّا يعود على الشريعة الإسلامية بالنفع ، وتكوَّنت هذه المكتبةُ الدينيةُ التي لا نظيرَ لها في المِلَل والأمَم .

تأليف كتاب « بذل المجهود في حَلِّ أبي داود » ومنهج المؤلِّف فيه :

في سنة ١٣٣٥ هـ حين بلغ الشيخُ أربعاً وستين سنةً من عمره جاء الوقتُ الموعود المقدَّر لتأليف هذا الكتاب ، فذكر أُمْنِيَّته القديمة التي لم تُفارِقه مدةَ حياته الدراسية والتأليفية لتلميذه الذي ظهرت عليه آثار النجابة والنبوغ ، واختص بالشيخ اختصاصاً

= فولاه القضاء بمدينة (لَكْنُوْ)، ثم نقله بعد مدة إلى (حَيْدَر آباد)، ثم عزله عن القضاء وجعله معلِّماً لحفيده رفيع القدر، ولمَّا ولِّي شاه عالم ولاه الصدارةَ العظمى، ولقَّبه « فاضِل جَاهْ » . من مصنَّفاته : (سلم العلوم) في المنطق، و(مُسَلَّم الثبوت) في أصول الفقه مقبولةٌ متداولةٌ في المدارس والعلماء، توفي سنة ١١١٩هـ . (**الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام** : ٧/ ٧٩٣) [ب] .

لم يكتب لغيره، وهو العالمُ الناهضُ محمَّد زكريا (ابن صديقه مولانا محمد يحيى الكَانْدَهْلَوي) الذي تخرَّج من المدرسة حديثاً ، وعيِّن مدرِّساً صغيراً فيها ، وذكر أنه لا يزال عنده حنينٌ كامنٌ لتأليف هذا الكتاب، إلا أنَّ الأسباب لم تتهيَّأ له، وقد وهنت قُوَاه وضَعُفَ بصرُه ، وكان أكبر الاعتماد في إنجاز هذا العمل على والده العظيم الشيخ محمد يحيى الذي رُزِق قسطاً من الذَّكاء وحسن الملكة في علم الحديث ، وكان من أنجب تلاميذ الشيخ الإمام المحدِّث مولانا رشيد أحمد الكَنْكُوهي وكان شديدَ التَّجَاوب معه ، عجيبَ التوارد في المباحث العلمية ، والمسائل الغامضة الدقيقة ، خصوصاً في تطبيق الحديث والفقه ، وبيان الحُجَجَ والدلائل للمذهب الحنفي ، وقد توفِّي ـ رحمه الله ـ في سنة ١٣٣٤هـ ، ففقد لوفاته العَضُدَ الأيمنَ والمساعدَ الأكبر ، وحزن عليه حزناً شديداً لخسارة العلم ورزيئة صناعة التعليم فيه ، وكان دائماً يشعر بمكانه الشاغر وقال له وهو يمشي معه مرَّةً : « إذا ساعدتَني أنت وزميلك حسن أحمد[1] في تأليف هذا الشرح فلعل ذلك يحقِّق أُمْنِيَّتي » .

ولمَّا وَصَل الشيخُ الكبير إلى هذه النقطة من حديثه اهتزَّ له تلميذُه النجيب وصادف ذلك رغبةً ملحةً دفينةً في نفسه في الحرص على خدمة الحديث الشريف والمثابرة عليه ، والتفاني فيه ، وإفناء العمر والقُوى في سبيله ، ولم يكن يجد لذلك سبيلاً ولا يصدِّق أنه ممكنٌ ، لأنه الآن في الشوط الأول من التدريس ، فمتى يصل إلى الاشتغال بكتب الحديث ، وكيف تتأتى له الفرصة ؟ فكان قد دعا الله مخلصاً ومبتهلاً حين قرأ فاتحةَ الفراغ على والده وأستاذه ألا ينقطع عن الاشتغال بالحديث ، ويَظلَّ حياته عاكفاً عليه بالتدريس والتأليف ، فكأنَّما تكلَّم الشيخُ على لسانه ، وعبَّر عن جنانه ، وتحقَّق حلمُه اللذيذ الذي كان يراه بعيدَ المنال وضرباً من المحال ، فلم يتمالَك نفسَه وانفجر قائلاً : ﴿ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ ﴾ ولعل الله أجاب دعائي » وقَصَّ عليه القصة بطولها وفرح الشيخُ ودعا له بالتوفيق ، وأملى أسماء كتب يستعان بها في هذا الموضوع ، وابتدأا العمل من غدٍ ، وكان ذلك لليلة خلت من ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة وألف .

---

(١) كان من تلاميذ الشيخ الأذكياء المَرْجُوِّين ومات شاباً ـ رحمه الله ـ.

وكان منهجُ التأليف : أنَّ الشيخ كان يرشد إلى مظانِّ الموضوع في الكتب التي جمعت وتوجد في مكتبة المدرسة ، وكان التلميذ يجمع الموادَ العلمية وما كتبه المتقدِّمون من الشُّرَّاح والمؤلِّفين ويقرؤها على الشيخ فيختار منها ما يستحسنه ، ويملي الشرح ، واستمرَّ العملُ ، والشيخ لا هَمَّ له ولا لَذَّة إلا في هذا العمل الذي يعدُّه من أعظم القُرُبات ومن أفضل العبادات ، والتلميذ لا شُغْلَ له ـ إلا ساعات تمضي في دروسٍ معدودةٍ ـ إلا مطالعة الكتب وجمع المواد وعرضها على الشيخ .

ومضت على ذلك تسعة أشهر ، وتَمَّ شرحُ الجزء الأول في سلخ ذي القعدة ١٣٣٥هـ ، وكان الشيـخ قد ملكته فكرةُ هذا التأليف وتَغَلْغَلَتْ في أحشائه ، وخالطت لحمَه ودَمَه ، وسيطرت على مشاعره وتفكيره وذوقه ، حتى كان آخر ما يفكِّر فيه قبل النوم وأول ما يهتمُّ به عند اليقظة ، وحَقَّ له أن ينشد بلسان الشاعر الحَمَاسي :

أآخرُ شيءٍ أنتَ في كلِّ هَجْعَةٍ وأوَّلُ شيءٍ أنتَ عند هُبُوْبي ؟!

ولا يفهم ذلك إلا من أكرمه اللهُ بالغَرَام بمبدأ سامٍ ومقصدٍ رفيعٍ ، فكان ذلك عنده مقياسُ الرضا ووسيلة القرب ، فبمقدار غناء الرجل في هذا العمل وإعانته عليه ومساهمته فيه كان حظيّاً عنده ، وجيهاً في عينه ، وقد عرف الناس ذلك وانتفعوا به ، وتقرَّبوا بسببه إليه ، ذكَّرني هذا بما ذكره القاضي ابن شَدَّاد[1] عن السلطان صلاح الدين الأيُّوبي[2] ، يقول : « ولقد كان حُبُّه للجهاد والشغف به قد استولى

---

(١) هو أبو المحاسن يوسف بن رافع القاضي بهاء الدين المعروف بابن شَدَّاد (٥٣٩ ـ ٦٣٧هـ)، برع في الحديث والتفسير والأدب، كان من نُدَمَاء السُّلطان صلاح الدين الأيُّوبي وخَوَاصِّه ، سمع السلطانُ منه الحِديثَ وولاه قضاءَ العسكر والحكم بـ (القدس) ثم اتصل بعد وفاة السلطان بخدمة الملك الظاهر وحَلَّ عنده في رتبة الوزارة، ألَّف في سيرة السلطان وسمَّاه (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) وهو خيرُ مرجعٍ في سيرة السلطان .

(٢) هو أبو المظفَّر يوسف بن أيوب بن شادي الملك الناصر (٥٣٧ ـ ٥٨٩هـ) نصر اللهُ به الإسلامَ والمسلمين، ورَدَّ غارةَ الصَّليبيِّين، واستردَّ بيتَ المَقْدِس بعدما بقي في أيدي النصارى تسعين سنةً، وخلَّص (مصر) من دولة العبيديِّين الملاحدة، إلى غير ذلك من المفاخر والمآثر التي=

على قلبه وسائر جوانحه استيلاءً عظيماً ، بحيث ما كان له حديثٌ إلا فيه ، ولا نظرٌ إلا في آلته ، ولا كان له اهتمامٌ إلا برجاله ، ولا ميلٌ إلا إلى من يذكره ويَحُثُّ عليه » .

« وكان الرجلُ إذا أراد أن يتقرَّب إليه يَحُثُّه على الجهاد »[1] .

ومن يقرأ كتبَ التراجِم والطبقات يرى أمثلةَ هذا الشغف والاستغراق عند كثيرٍ من العلماء والمؤلِّفين ، والعظماء المصلحين في مشاربهم وأذواقهم .

وإذا استولى هذا الحُبُّ على إنسانٍ وجرى منه مجرى الرُّوحِ والدَّمِ ؛ أتى بالعجائب ، وكان مصدرَ إلهامٍ وتوجيهٍ ، وقد وقع للشيخ بعضُ حوادث غريبة فمنها : أنه رأى مرَّةً فيما يرى النائمُ كأن منبِّهاً ينبِّهه على خطأٍ في هذا الشرح . وقد فرغ منه ، فلمَّا استيقظ دعا تلميذَه الشيخ محمد زكريا وأخبره بهذه الرؤيا ، ولمَّا راجَعَ هذا المقامَ ؛ وجد أن فيه خطأً فأصلحه .

وكان العملُ قائماً على قدمٍ وساقٍ ، وكان الشيخُ منصرفاً إليه بقلبه وقالبه ، وتلميذُه مقبلاً عليه بجميع قُوَاه ومواهبه ؛ إذ عرضت للشيخ رحلة إلى الربوع المقدَّسة ، مهبط الوحي ومدرسة الحديث الأولى ، وأبدى التلميذ رغبتَه ـ بما رأى من حِرص الشيخ على إتمام هذا الكتاب وضَعْفِه وعُلُوِّ سنه ـ في المرافقة ، فقبلها الشيخ مسروراً وأمَّل في تمام هذا العمل ، وتوجَّه على بركة الله إلى الحرمَين الشريفين وذلك في شهر شوال سنة ١٣٤٤هـ ، ولم يزالا مُكبَّين على إتمام هذا الشرح ، منقطعَين إليه لا يتخلَّله إلا العبادة والفرائض الدينية والأمور الطبيعية ، وكان الشيخُ له دعواتٌ ثلاث ، وأمانٍ عزيزة ، لا يعدل بها أمنيةً :

= قلَّما اتفقت لغيره بعد عصر الخلفاء الراشدين. (وفيات الأعيان: لابن خلِّكان ٧/ ١٣٩)، (السلطان صلاح الدين الأيوبي) للعلامة أبي الحسن الندوي، اقرأه في : « من أعلام المسلمين ومشاهيرهم » ص(٣٦) طبع دار ابن كثير بدمشق. [ب].

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية: ص(١٦).

أولاها : أن تقوم في الحجاز حكومةٌ إسلاميةٌ مستقرَّةٌ ، ويسود في ظِلِّها الأمنُ والسَّلامُ ، وتستقرُّ الأمورُ .

والثانية : إكمالُ بذل المجهود .

والثالثة : أن يوافيه الوقتُ الموعود في مدينة الرسول ـ ﷺ ـ ويُدْفَن في البقيع .

وقد أجاب الله دعواته الثلاث التي دعا بها على الملتزم ، وحقَّق هذه الأماني كلَّها .

ولثمان بقين من شعبان (٢١ شعبان) سنة ١٣٤٥هـ تحقَّقت أُمْنِيَّتُه الكبرى التي غذاها بدم قلبه فتَمَّ الشرحُ ، وقد كانت مدَّةُ تأليفه عشرَ سنواتٍ وخمسة أشهر وزادت عليها عشرة أيام ، وتمَّ الكتابُ في خمس مجلَّداتٍ كبارٍ وفي ألفَين من الصفحات بالقطع الكبير ، فكان له يومُ عيدٍ ، بل يومٌ ما جاء عليه يومٌ هو أكثر فرحاً وسروراً فيه من هذا اليوم ، فعيَّن يوماً (وهو يوم الجمعة ٢٣ شعبان سنة ١٣٤٥هـ) لضيافة علماء المدينة وأَحِبَّته وأصدقائه شكراً لله تعالى ، وإبداءً لسروره وفرحه ، وصنع طعاماً كثيراً على طريقة أهل الحجاز وأخبر تلاميذه ومريديه ، وأَحِبَّته في الهند بهذا الموعد المبارك ليشاركوه في السُّرور والشكر .

وقد وَهَب المدرسةَ حقوقَ هذا الكتاب تنتفع به وهي صاحبةُ الامتياز في طبعه وقد طبع مرَّتين ، وهذه هي الطبعة الثالثة بالحروف العربية للمرَّة الأولى مع زياداتٍ وإفاداتٍ مهمَّةٍ للشيخ محمد زكريا الذي كان له النصيبُ من أول عهد تأليف هذا الكتاب ، نسأل الله أن ينفع به طلبة العلم ويجعله ذُخْراً له في الآخرة ، وذِكْراً في الدنيا ، وصدقةً جاريةً وباقيةً صالحةً .

ميزاتٌ بين الشروح الأخرى لأبي داود :

وكلمةٌ عن خصائص هذا الشرح والتزامات المؤلِّف التي التزمها وعُنِيَ بها عنايةً خاصَّةً ، ونُؤثر الإجمال والإشارة فإنما يعرف فضلَ هذا المجهود العلمي من باشَرَ تدريسَ هذا الكتابِ مدَّةً طويلةً وعَرَضَتْ له مشكلاتٌ فنِّيةٌ .

فمنهـا : أنَّ المؤلِّف اهتَمَّ بأقوال الإمـام أبي داود (صاحب الكتاب) وكلامِه

في الرُّوَاة ، أو في إيضاح بعض ما وَرَد في الحديث اهتماماً كبيراً .

ومنها : أنَّه اهتمَّ بتصحيح نُسَخ السُّنَن المختلفة المنتشرة ، ويراه القارىءُ كمثالٍ في باب افتتاح الصلاة في حديث أبي حَمِيد السَّاعِدي[1] .

ومنها : الاهتمامُ البالغ بتخريج التعليقات والفحص عنها في كتب أخرى وذكرها ، وإذا لم ينجح في ذلك بعد التتبُّع البليغ صرَّح بذلك في غير تردُّدٍ .

ومنها : تطبيقُ الروايات بالترجمة ، وقد ظهرت في ذلك دِقَّةُ فهمه وطولُ تأمُّلِهِ ، وحيث تكرَّرت الأبوابُ دفع ذلك وذكر حكمةَ هذا التكرارِ ، ونضرب له مثلاً : « باب صفايا رسول الله ـ ﷺ ـ من الأموال وباب سهم الصَّفي ، فليراجع في كتاب الخراج والفيء والإمارة » .

ومنها : أنه حَكَم فيما اختلف فيه الشُّرَّاح بما يشرح الله له صدرَه ، وفتح عليه ، وتكلَّم بكلامٍ فصلٍ يثلج الصدرَ ويَحِلُّ العُقْدَةَ .

ومنها : أنَّ أكثر الكتب التي أُلِّفت في الهند في شرح كتب الحديث ، أو في إثبات المذهب الحنفي وفي مسألةٍ خلافيةٍ ، كان يغلب عليها في العهد الأخير الأسلوبُ الكلاميُّ والاستدلالُ العقليُّ ، وتكْثُرُ فيها اللطائفُ العلمية ومع الاعتراف بقيمتها العلمية والكلامية وحسن قصد المؤلِّفين وعُلُوِّ كَعْبِهم في العلم يؤخذ عليها أنَّها لم تكن على طريقة المحدِّثين ، وشُرَّاح الحديث المتقدِّمين ، ويَقِلُّ فيها الكلامُ على الرُّوَاة والجَرْح والتعديل ، وعِلَلِ الحديث وطبقاته ، وإلى غير ذلك من المباحث الحديثية ، ويستثنى من ذلك كتابان من تأليف علماء المذهب الحنفي في الهند في العهد الأخير ، أولهما : « كتاب المُحَلَّى شرح الموطأ » للشيخ سلام الله بن شيخ الإسلام الدِّهْلَوِي الرَّامْبُوري[2] ، وثانيهما :

---

(١) هو صحابيٌ مشهورٌ، اسمه المُنْذِر بن سعد بن المنذر، أو ابن مالك، وقيل: اسمه عبد الرحمٰن، وقيل: عمرو، شهد أُحُداً وما بعدها، وعاش إلى أول خلافة يزيد سنة ستين. (تقريب التهذيب: ص٦٣٥).

(٢) هو الشيخُ العالم المحدِّث سلام الله بن شيخ الإسلام بن فخر الدين الدِّهْلَوي، أحدُ كبار=

« آثار السُّنَن[1] والتعليق الحسن على آثار السنن » للشيخ العلامة ظَهير حسن النِّيْمَوِي البِهَاري الهِندِي[2] .

أمَّا هذا الشرحُ فيمتاز بأنَّه كتب على نهج المشتغلين بالحديث والباحثين فيه ، وكبار الشُّرَّاح الذين تلقَّت الأمةُ شروحَهم بقبولٍ عامٍّ ، وانتفع بها طَلَبَةُ العلم في كلِّ عصرٍ ، واشتمل على بحوثٍ قيمةٍ في أسماء الرِّجال وأصول الحديث ، وعارض مؤلِّفُه الحُجَّة بالحُجَّةِ ، وكان كلامُه في أكثر الأحيان محدوداً في صناعة الحديث ومتعلِّقاتها من الفنون .

وقد استفاد المؤلِّفُ في هذا الشرح من تحقيقات شيخه الإمام المحدِّث مولانا رشيد أحمد الكَنْكُوْهي التي جاءت في دروسه ، وضَبَطها وقَيَّدها تلميذُه النابغة الشيخ محمد يحيى ، وكان من خصائصه : أنه يتحَرَّز بقدر الإمكان عن نسبة الخطأ إلى الراوي ، وإذا التجأ إليه الشُّرَّاح ولم يروا من ذلك بُدّاً فَضَّل الشيخ العلامة تأويلَ ذلك بما يسيغه الفهمُ ويقبله العاقلُ المنصف ، ومثال ذلك الروايات التي جاء فيها وضعُ الخاتم ، فقد ذهب جميعُ المحدِّثين إلى أنه وهمٌ من الزُّهْريِّ ، ولكن مؤلِّف « بذل المجهود » أوَّل ذلك تأويلاً حسناً وهو مقتبسٌ من كلام الشيخ الكَنْكُوْهي ، فليراجع

= العلماء كان مِن نسل الشيخ عبد الحق الدِّهْلَوي، دخل (رَامْبُوْر) في عهد فيض الله خان (أمير تلك الناحية) وانتفع بصِلاته، له مصنَّفاتٌ ممتعةٌ أشهرها « الكمالين على الجلالين » و« المحلَّى شرح الموطأ » و« رسالة في أصول الحديث » وغيرها، توفي سنة ١٢٢٩هـ، أو ١٢٣٣هـ . (**الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**: ٧/ ٩٨٣).

(١) مع الأسف : أنَّ الكتاب من أول أبواب الطهارة إلى آخر أبواب الصلاة، ولو تَمَّ ؛ لكان عملاً جليلاً [ب].

(٢) هو الشيخُ العلامة ظهير حسن بن سُبْحان علي النِّيْمَوي العظيم آبادي، وُلد ونشأ في بلدته ثم سافر إلى (لَكْنؤ) وقرأ على العلامة عبد الحي اللَّكْنَوي وعلى غيره من العلماء ، واشتغل بقرض الشعر مدَّةً طويلةً ثم وفقه الله لخدمة الحديث الشريف فشمَّر عن ساق الجِدِّ وصنَّف « آثار السنن » وهو كتابٌ نادرٌ غريبٌ، ثم علَّق عليه وسمَّاه « التعليق الحسن على آثار السنن » وله غير ذلك من المؤلَّفات النافعة، توفي سنة ١٣٢٥هـ . (**الإعلام بمن في الهند من الأعلام**: ٨/ ١٢٥٥)[ب].

ذلك في : « باب الخاتم يكون فيه ذكر الله تعالى » في كتاب الطهارة .

ومنها : لطائفُ الاستنباط التي احتوى عليها هذا الشرحُ ويراها القارىءُ منثورةً في ثنايا هذا الكتاب .

ومن المباحث اللطيفة التي ظَهَرتْ فيها سلامةُ فكر المؤلِّف ، واطلاعُه الواسع على كتب الحديث مسألة القسامة . ويزول بكلامه اختلاف الروايات .

وكذلك مِن محاسن الكتاب ، ومِن مواضعه المهمَّة التي ظهر فيها جهدُ المؤلِّف وإمعانُه أحاديث الفِتَن والمَلاحِم ، وقد اجتهد في تعيين هذه الفِتَن التي أشير إليها في هذه الأحاديث ، واهتَمَّ بترجيح الراجح ، وعيَّن بعضها باجتهاده واستقصائه ، ويرى القارىءُ مثالَه في شرح كلام قَتَادة حيث جاء في الكتاب « وكان قتادة يضعه على الرِّدَّة التي في زمن أبي بكر على أقْذَاء ، يقول : قذى وهُدْنَة ، يقول صلح على دخن على ضَغَائن »[1] .

وقد أشار في شرح حديث إلى فتنة الشريف حسين بن علي ، فليراجع ذلك في حديث عبد الله بن عمر الذي جاء فيه : « ثم يصطلح الناسُ على رجل كورك على ضلعٍ »[2] وذكر ذلك في تفصيل ووضوح ، ويظهر في كلامه في مثل هذه المناسبات ثِقَته بتحقيقه وجزمه بما توصَّل إليه في البحث والتأمُّل ، ولا يغلب عليه التواضعُ والتردُّدُ فيبعث هذا الجزم الثقة واليقينَ في نفس القارىء ، وهذا من سياسة التعليم وحكمة التربية ومن محاسن الشرح .

وقد يتردَّدُ الشارحُ في صحةِ لفظٍ وَرَد في حديثٍ ، فيجتهد في تحقيقه اجتهاداً بالغاً ولا يدَّخر جهداً ، ويرى القارىء نموذج ذلك في : « باب عبيد المشركين يلحقون بالمسلمين فيسلمون » في كتاب الجهاد ، فقد وَرَد في متن الحديث عن عليٍّ بن أبي طالب ؛ قال : خرج عبدان إلى رسول الله ـ ﷺ ـ يعني يوم الحُدَيْبيَة قبل الصُّلح ، وقد أطال الشارحُ الكلامَ في وقوع القِصَّة يوم الحديبية ، وأثبت : أَنَّ هذه

---

(١) بذل المجهود: كتاب الفتن : (١٧/ ١٤٠) .

(٢) بذل المجهود : كتاب الفتن (١٧/ ١٣٤) ، طبع دار البيان للتراث ـ القاهرة .

القصة وقعت في غزوة الطَّائف ، وقال : لقد تحيَّرتُ في هذه القصة التي وقعت في حديث أبي داود ، والتِّرمذي ، والمستدرك في الحديبية ، فالظاهرُ : أنَّ الذي ذكر : أنَّها وقعت في الحديبية غلطٌ من بعض الرُّوَاة بثلاثة أوْجُهٍ .

وذَكَرَ هذه الأوجُه بتفصيلٍ ، وذكر : أنَّ لفظ (الحديبية) ليس من عليٍّ بن أبي طالب ، بل من بعض الرُّواة ؛ لأنَّ في لفظ الرواية لأبي داود زاد لفظ « يعني قبل يوم الحديبية » فهذا يَدُلُّ على أنَّ لفظ الحديبية ليس في أصل السَّند بل زاده بعضُ الرواة على ما فَهِم من لفظ شيخه ، ولو سُلِّمَ : أنَّ هذه القصة وقعت في الحديبية أيضاً فالمراد بقوله « ناسٌ من بعض الكفَّار » من قريش الذين كانوا موجودين هناك ، لا الصحابة ، إلى آخر كلامه ، فليراجع ، وهذا تحقيقٌ شريفٌ خلت عنه الشروحُ .

ونقتصر في هذه العُجَالة على هذه الإشارات ، ونُحيل القارىء الذكي إلى مطالعة أصل الكتاب بإنعام النظر ، فكما قال الشاعر :

.... **في طَلْعَةِ الصُّبْحِ ما يُغْنِيْكَ عن زُحَلِ**(١)

ونسألُ الله تعالى أن ينفع بهذا الأثرِ العلميِّ الجليل ، ويحبِّب به السنَّة والحديث إلى نفوسَ القرَّاء ، ويُلهِم العملَ به ، ويرفع الهِمَمَ ، ويشحذ العزائمَ إلى دراسته وخدمته ، إنَّه على كلِّ شيءٍ قدير ، وبالإجابة جديرٌ .

أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي
الأمين العام لندوة العلماء ـ لكنو (الهند)
٢٩/ ٢/ ١٣٩٢هـ

---

(١) أوّل شطر هذا البيت :
خُذْ ما تَراه ودَعْ شيئاً سمعتَ به ....

روائع الأعلاق
لأبي سحبان روح القدس النَّدْوِي

شرح
تهذيب الأخلاق
للشيخ المحدِّث الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني
١٢٨٦ـ١٣٤١هـ

قدم له
الداعية المفكر سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي

راجعه
الباحث المحقق فضيلة الشيخ أبو محفوظ الكريم مَعْصُومي

نبذة من ترجمة المؤلِّف والشارح

ترجمة المؤلِّف :

هو المحدِّث الفقيه ، ومؤرِّخ الهند الأكبر ، العلامةُ البحَّاثة : الشيخ عبد الحي بن فخر الدين الحسني ـ والد العلامة أبي الحسن النَّدْوِي ـ (١٢٨٦ـ١٣٤١هـ) .

استحقَّ بجدارة لقب « ابن خلِّكان الهند » لمؤلَّفه القيِّم « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » عن أعلام المسلمين في الهند وعمالقتهم ، والذي أضحى بمجلَّداته الثمانية منهلاً ثرّاً لكل باحثٍ ومحقِّقٍ .

كان واحداً من عمالقة الهند وأعلامها ، مولعاً بالعلم والمعرفة ، والبحث والاستقصاء ، ومُغرَماً بالتاريخ وهاوياً للتصنيف والتأليف فيه ، قدَّرت الهندُ فيما بعد علمَه وجهده ، وآثاره العلمية العظيمة ، التي قدَّمها عنها (عن الهند) إلى العرب بلسانهم المبين .

وُلِدَ في زاوية الشيخ علم الله الحسني ، ونشأ منذ نعومة أظفاره في طاعة الله ، وفطم نفسَه منذ حداثتها على تقواه ، تلقَّى دراسته الابتدائية ومبادىء اللغة الفارسية والعربية والإنجليزية على علماء وشيوخ بلده ، ثم قرأ الفقه والأصول والتفسير على كبار علماء مدينة(لَكْنؤ) ، واستفاد في الحديث وعلومه من محدِّث الهند الكبير العلامة الإمام عبد الحي اللَّكْنَوي ، ثم سَافرَ إلى بُوْفَالْ (وهي إذ ذاك محطُّ رجال العلم والطلاب) وقرأ الحديثَ على العلامة المحدِّث الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني ، وقرأ الطبَّ على أحد الأطبَّاء الحُذَّاق . وزار في الهند المراكزَ العلمية والدينية ، واجتمع بكبار العلماء والشيوخ واستفاد منهم .

كان حريصاً على إصلاح المسلمين ونفعهم وإنهاضهم ، وكان يتألَّم كثيراً مما يرى من اضطراب حبل المسلمين وتفرُّق كلمتهم ، وتشتُّت جماعتهم وانحطاطهم ، وقد نهضت يومئذ جماعةٌ بجهود الشيخ محمد علي المُوْنْكِيْري فوفِّقت لتأسيس جمعية لتحقيق هذه الأغراض ، اشتهرتْ في العالم الإسلامي بـ« نَدْوة العلماء » وذلك سنة ١٣١١هـ ، فتفرَّغ لخدمة « ندوة العلماء » وخدمة الإسلام والمسلمين بواسطتها ، ولم يزل يخدم « ندوة العلماء » تطوُّعاً واحتساباً حتى جُعل لها أميناً عاماً في سنة ١٣٣٣هـ ، واستمرَّ على ذلك إلى أن انتقل إلى جوار ربِّه ، حيث دُفِن في مقبرة « زاوية شاه علم الله » في رائي بَرِيلي .

كان ـ رحمه الله ـ متضلِّعاً من جميع العلوم الدينية والدنيوية ، وبارعاً في آداب اللغة العربية والفارسية ، وكان شاعراً مجيداً إلا أنه لم يُكثر فيه ، ومتبحِّراً في التفسير والحديث والفقه والسِّير والتاريخ ، كان منقطعَ النظير بأحوال الهند ورجالها وحضارتها ، كان شديدَ الحرص على اتباع السنة ، والتعظيم للحديث النبوي .

وكان علمُ الحديث هو العلم المفضَّل عنده ، وقد حصلت له مناسبةٌ تامَّةٌ ، وملكةٌ راسخةٌ فيه ، يتبيَّن ذلك من كتابه : « منتهى الأفكار في شرح كتابه تلخيص الأخبار » .

وكانت أمنيَتُه الأخيرة أن يتفرَّغ عن كلِّ ما هو فيه من أعمال ومسؤوليات ، وينصرف إلى تدريس الحديث الشريف في مسقط رأسه . . ويصرف البقيةَ الباقية من حياته في الاشتغال بحديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، الذي أحبَّه من شبابه ، وامتزج حبُّه بلحمه ودمه ، ولم تتحقق هذه الأمنية ، فقد اخترمته المنية قبل ذلك .

وللعلامة مؤلَّفاتٌ ضخمةٌ دسمةٌ في تراجم أعلام الهند وعمالقتهم ووفياتهم ، وفي تاريخ مساهماتهم في مجال العلوم والفنون ، وفي تاريخ الهند في العهد الإسلامي خِططاً وآثاراً وما إليها ، وقد توارثَ هذا الذوقَ من والده الشيخ فخر الدين الحسني ، كان له في هذا الموضوع هَوًى من الصِّبا ، فأفرغ مواهبه كلَّها في المكتبة التاريخية العظيمة التي أنتجها وخلفها للأجيال القادمة ، ومن مؤلَّفاته العظيمة الخالدة .

في التاريخ :

١ ـ نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر : (طُبع حديثاً في ثلاث مجلَّدات ضخام ، في دار ابن حزم ـ بيروت) بعنوان : « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » .

٢ ـ الثقافة الإسلامية في الهند .

٣ ـ الهند في العهد الإسلامي .

٤ ـ تاريخ غُجرات (يادِ أيَّام) بالأردية .

٥ ـ الوردة الرشيقة (گلِ رعنا) بالأردية .

في الحديث :

٦ ـ تهذيب الأخلاق (وهو نفس « تلخيص الأخبار ») .

٧ ـ منتهى الأفكار في شرح تلخيص الأخبار .

في الفقه :

٨ ـ الغناء في الإسلام .

٩ ـ القانون في انتفاع المرتهن بالمرهون[1] .

ترجمة الشارح :

هو الأستاذُ الباحث الشيخ أبو سحبان رُوْح القُدْس النَّدْوي ، وُلد بمدينة (مُوْنْكِيْر) الواقعة في ولاية (بِهَار) بالهند ، عام ١٩٥٤م .

تلقَّى مبادىء اللغة الأردية والفارسية في أَحْدِ كتاتيب بلده ، ثم قرأ مبادىءَ العربية على والده المحامي الشيخ روح القدس (المتوفى سنة ١٩٦٤م) رحمه الله تعالى .

التحق بدار العلوم التابعة لندوة العلماء ودرس في معهدها الثانوي الشرعي أولاً ، ثم في كلِّيتي أصول الدين والشريعة حتى تخرَّج منهما عام ١٩٧٤م ، ثم رحل إلى السعودية والتحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة ، وتخرَّج من كليتها الدعوة وأصول الدين عام ١٩٧٩م ، واستفاد أثناء إقامته في الجامعة من كبار أساتذتها يومئذٍ ، ثم رجع إلى الهند وتابع دراستَه العليا في جامعة لَكْنؤ ، ونال منها شهادة الماجستير عام ١٩٩٠م .

انخرط بسلك التدريس منذ عام ١٩٧٩م ، وعيِّن محاضراً بدار العلوم ندوة العلماء في كليتي : الشريعة وأصول الدين .

وله نشاطاتٌ في مجال الدعوة والتربية ، شارك في ندواتٍ علمية داخل الهند وخارجها .

ومن أعماله العلميَة « روائع الأعلاق » وبحوثٌ ومقالاتٌ منشورةٌ في المجلاَّت والصُّحف العربية الصادرة من « ندوة العلماء » .

---

(١) يرجع للاطلاع على ترجمته إلى كتاب « العلاَّمة عبد الحي الحسني مؤرِّخ الهند الأكبر . . . عصره ـ حياته ـ مؤلَّفاته » للدكتور السيد قدرة الله الحسيني ، طبع دار الشروق ـ جُدَّة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

سماحة الشَّيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرسَلِين ، وخاتم النبيِّين ، محمَّد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أمَّا بعد! فقد كان لكاتبِ هذه السطور بحكم صلتِه النَّسَبيَّة المباشرة ـ وهو صلةُ الولد بالوالد ـ وكثرةِ اشتغاله بآثار والده العلمية الاطلاعُ على كتابه الذي أسْمَاه « بتلخيص الأخبار » ، وكان مطموراً مغموراً في مؤلَّفاته المتنوعّة العديدة ، كثيرة الأجزاء ، كبيرة الحجم[1] .

وقد عثَر في أثناء البحث والإثارة ، وتنظيم مكتبته التأليفية العامرة الغامرة ، وأوراقه ودفاتره المتناثرة المتنوّعة على هذا الكنز الدفين الذين لا بُدَّ أن تكون له أكبرُ

---

(١) ككتاب « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » في ثماني مجلَّدات كبار، صدرت له طبعتان من دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، والطبعة الثالثة باسم ـ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ـ من دار عرفات، رَائي بَرِيْلي، [ثم صدرت في ثلاث مجلَّدات من دار ابن حزم، بيروت في أبهى حُلَّةٍ وأجمل طباعة]. وكتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » طبع المجمع العلمي بدمشق، المُسمَّى الآن بمجمع اللغة العربية، وكتاب « الهند في العهد الإسلامي » طبع دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، إلى غير ذلك من كتبٍ ورسائلَ في تاريخ الشعر والشعراء في الهند، و« ياد أيَّام » تاريخ مقاطعة كُجْرَات، وغير ذلك من الرسائل الدينية والتربوية في لغة أرْدُوْ، ورسائل في الفقه والأحكام بالعربية (العلامة الندوي).

قيمةٍ في نظر المؤلِّف ، وزُلْفَى إلى الله والرسول ، فعُنِيَ باستخراجه والعناية به ، وخدمته ، والتعليق عليه تعليقاً موجزاً ، وتقديماً وتعريفاً بمؤلَّفاته ، ثم عَرَضه على أصحاب بعض المكتبات لطبعه ، كان الفضلُ الأولُ ، والسَّبق للمكتب الإسلامي ، في بيروت ، وقد طبعَتْهُ باسم : « تهذيب الأخلاق » ، الذي هو أدَلُّ على موضوعه وعنايته ، وارتضاه كاتبُ هذه السطور ، ثم عُنِي بطبعه ومراجعته المعنيُّ بنشر آثار السَّلَف الصالحين ، والعلماء الراسخين ، سماحة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري(١) ، وطبع بأمر صاحب السُّمُوِّ الشيخ خليفة حمد آل ثاني ، أمير دولة قطر ، وتلتها طبعةٌ أو طبعاتٌ في الهند ، وقرِّر تدريسُه في دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، والمدارس التابعة لها ، ومن عَنَى لهذا الموضوع الذي هو في صميم الدعوة والتربية ، ويرجو الكاتبُ عنايةَ كاتبِ هذه السطور بهذا التأليف للوالد وغيره من المؤلَّفات التاريخية والأدبية تحقيقاً وتفسيراً لقوله ﷺ : « إنَّ من أبرِّ البرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أهْلَ وُدِّ أبِيْهِ بَعْدَ أنْ يُوَلِّي »(٢) . فإذا كان من البِرِّ حسن صلة الولد بأحبة والده ، فكيف لا يكون من البِرِّ صلةُ الولد بآثار والده ، ومواضع عنايته ومجهوده ، مما يتقرَّب به إلى الله والرسول .

---

(١) هو العالمُ، الباحث، المحقِّق، العلامة الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري (١٣٤٠ ـ ١٤١٠هـ)، وُلد بمدينة (الحوز) في قطر، ورحل إلى (الأحساء) و(مكَّة المكرمة) ودرس على كبار علمائها، وعاد إلى قطر فأسندت إليه إدارةُ الشؤون الدينية وسمِّيت فيما بعد بـ « إدارة إحياء التراث الإسلامي »، وحرص على تزويدها بوسائل البحث والتحقيق والدراسة، وأخرج من خلال إدارته لها نفائس الكتب التراثية، وكانت له جهودٌ مشكورةٌ في مجال الدعوة ونشر العلم في بلدان مختلفة، وكان له تأثيرٌ كبيرٌ على المتعلِّمين والمثَّقفين وعوام الناس في قطر وفي غيرها من بلاد العرب والمسلمين. توفي بقطر رحمه الله تعالى . ومن مصنَّفاته: « معرفة الصواب في موافقة الحساب »، و« الأدعية والأذكار » و« الخمرة أم الخبائث » وغيرها . (انظر ترجمته في « أعلام التراث في العصر الحديث » للأستاذ محمود الأرناؤوط، ص: ١٨١ ـ ١٨٢ ، طبع مكتبة العروبة ـ الكويت) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البِرِّ والصلة، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، رقم الحديث (٢٥٥٢) عن ابن عمر ، رضي الله عنهما.

فيرجو الكاتبُ أن تكون عنايةُ الكاتبِ المُعترف بتقصيره ، وتفريطه نوعاً من البِرِّ بالوالد العلامة المحدِّث الفقيه ، المؤرِّخ الأديب ، المَعْنيُّ بخدمة الدين والأمة ، والناشر لآثار السَّلَف وأحد المؤسِّسين لندوة العلماء ، ومديرها الثاني .

وقد فُوْجِيءَ الكاتبُ مفاجأةً سارَّةً تَقَرُّ بها العينُ ، ويَتَسلَّى بها القلبُ أنَّ أستاذاً مِن أساتذة دار العلوم المتخرِّج منها والمدرِّس فيها ، والذي لم يبلغ سِنَّ الكُهُوْلَة وهو : الأستاذ أبو سحبان رُوْحُ القُدْس النَّدْوي ، المتخرِّج من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة قد عَكَف على التعليق على هذا الكتاب ، المقرَّر للدراسة في دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، وخَدمه شرحاً وإيضاحاً ، وفقهاً ورجالاً ، وغير ذلك من الفوائد الحديثية الفنية ، والإصلاحية والتربويَّة . وإلى الناظر بعض خصائص هذا التعليق والتقديم والإيضاح والشرح بإيجاز واختيار الأهم :

١ ـ استيعابُ أسماء الكتب التي أُلِّفت في موضوعاتٍ لها اتصالٌ بموضوع « تهذيب الأخلاق » .

٢ ـ والحَثُّ على فضائل الأعمال والأدعية والأذكار ، وقد جاء في ذلك استقصاءٌ كبيرٌ .

٣ ـ وتتبُّعٌ واسعٌ لما أُلِّف في هذا الموضوع ، يستحق الإعجابَ والاعترافَ في المتتبعين لآثار السَّلف العلمية ، وجهودهم ، ويستدلُّ بذلك على أهمية الموضوع وحاجات الأمة إلى هذا الجانب الخُلُقيِّ الإيمانيِّ والتربويِّ ، وتزكية النفس وتحليتها في كل عصرٍ ومصرٍ .

وبدا للمؤلِّف شعورٌ بأهمية البحث المقارن للكتب المؤلَّفة في هذا الموضوع قديماً وحديثاً .

وقد أشاد المؤلِّفُ الشارحُ لهذا الكتاب بحسن ترتيب الأبواب ، وذكر : أنه بديعٌ مبتكرٌ ، وأنَّ تراجم الأبواب ودراستها تفيد : أنَّ المؤلِّف يهدف بها وضعَ منهاجٍ متكاملٍ يكون بمثابة معالم رئيسية ، وأبدى إعجابَه بمعرفة المؤلِّف بصناعة الحديث ، وعُلُوِّ كعبه فيه ، وحسنِ اختياره ، وسلامةِ ذوقه ومعرفته لروح عصره ،

ومداركِ الطالبين في المعاهد الدينية ، كما جاء في تقديم الكتاب لكاتب هذه السطور .

وقد عُنِيَ الشارحُ الفاضل ـ الذي لا يزال في شَرْخ الشباب وفي زحمة متنوِّعة من المواد التدريسية التي تطلب منه العكوفَ على المطالعة في موضوعاتها ، وإضناء النفس وتوفير الجهد فيها ـ بإعطاء هذا الكتاب حقَّه من الشرح والإيضاح ، ومقابلة نصِّ الحديث بمصادره الأصيلة ، وتراجم رُوَاة الحديث مع ضبطِ ما يتصل بهم من التعريف والتعيين ، وشرحِ مفردات الحديث مع توضيح معنى الحديث في تفسيرٍ وتوسُّعٍ ، وتعريفٍ موجزٍ بالمعالم ، وتوضيحِ المكيال والميزان .

وقد التزم ـ مشكوراً وجديراً بالثناء ـ شرحَ أحاديث الصفات على طريقة السَّلَف ، والإلمامَ بذكر مذاهب الأئمَّة ، وآراء الفقهاء مع اختيار القول الراجح في أحاديث الأحكام مع ذكر ما يُعارضه من حديثٍ ، والإشارة إلى سبب ورود الحديث ؛ إذ اكتفى المؤلِّف بإيراد طرفٍ من حديثٍ (حرصاً على أن يكون الكتابُ جديراً بتدريس المبكِّرين في السِّنّ ، والمتوسِّلين في الدراسة) ، وعُنِيَ بفقه الحديث ، وإلقاء الأضواء على ما احتوى عليه من فوائد ودروسٍ .

وعلى كلٍّ . . . فقد جاء هذا الشرحُ في أوانه ومكانه ، وقضى حاجةً كبيرةً مُلِحَّةً قد يشعر بها المدرِّسُ لكتاب « تهذيب الأخلاق » في المعاهد والمدارس الدينية وحلقات الدروس التهذيبية ، والمناسبات الدعوية ، والاجتماعات الشعبية الإصلاحية ، واستحقَّ به الشارحُ ثوابَ الخادمين للحديث النبوي الشريف ، والمباشرين لتدريس هذه المادَّة في نطاقٍ كبيرٍ سامٍ ـ كالمدارس وحلقات الدروس المنتظمة ، أو في الوعظ والإرشاد الشعبي .

ويَسُرُّني ، ويفرض الاعتراف بالحقِّ عليّ أن أقول ـ مع اعتذارٍ إلى الشارح (وهو عضو في جماعة المدرِّسين في دار العلوم ندوة العلماء والمتخرِّجين منها ، ولي شرفُ الإشرافِ على دار العلوم وصلاتٌ شخصيةٌ مباشرةٌ بأساتذتها ومدرِّسيها) إنِّي لم أتوقَّع لعدم وصول الشارح العزيز إلى سِنٍّ عاليةٍ ومرحلةٍ من النُّضْجِ والاكتمال ـ أطال الله عمره وبارك في حياته ـ : أنه يبلغ في هذا الشرح ـ الذي اختاره كعملٍ

جانبيٍّ ، واشتغل به في أوقات الفراغ ـ إلى هذه المكانة من التوسُّع في الدراسة والتفنُّن في العناية ، وإعطاء الكتاب ـ بل الموضوع الجليل الحبيب حقَّه من الجهد والعناية ، ويثبت به جدارته لشرح مجموعةٍ حديثيةٍ ذات جوانب علميةٍ فنيةٍ ، وبحثٍ مقارنٍ .

وفي الحقيقة قد جاء الشرحُ الوافي الكافي على غير ترقُّبٍ من هذا الكاتب ـ الذي كان له شرفُ تقديمه والتعليق عليه في الطبعة الأولى ، وكفى بذلك شهادةً واعترافاً وشكراً من ابن المؤلِّف الذي كان له إلمامٌ بهذا الفنِّ الشريف ، وشَرَفُ تدريسه مدَّة .

وأرجو أن ينالَ هذا الشرحُ حقَّه من الإعجاب والاعتراف من المشتغلين بهذا الموضوع والعاكفين على تدريسه ، والتأليف فيه ، وفوق كلِّ ذلك أجرُ العاملين في هذا المجال ، والمشتغلين بهذ الفَنِّ الشريف ، وشروحه وعلم الرجال .

والله لا يضيع أجرَ المحسنين .

أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي

٢/ من رجب المرجَّب ١٤١٥هـ

٦/ ١٢/ ١٩٩٤م

مقدِّماته

لكتب الأمالي والتراجم في الحديث

١ ـ لامع الدُّرَاري على جامع البخاري : للمحدِّث الفقيه الشيخ رشيد أحمد الكَنْكُوْهي .

٢ ـ الأبواب والتراجم للبخاري : للمحدِّث الشيخ محمد زكريا الكانْدَهْلَوِي .

٣ ـ الكوكب الدُّرِّيُّ : للمحدِّث الشيخ رشيد أحمد الكَنْكُوْهي .

لامع الدُّرَاري على
جامع البخاري

إفادات

الإمام الربَّاني المحدِّث الفقيه

الشيخ رشيد أحمد الكَنْكُوهي

شرح

العلامة المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوِي

نبذة من ترجمة المؤلف والشارح

ترجمة المؤلف :

هو الشيخ المحدِّث رشيد أحمد بن هداية أحمد الأنصاري الحنفي الرَّامْفُوْري ثم الكَنْكُوْهِي (١٢٤٤ ـ ١٣٢٣هـ) ، وُلِد في « كَنْكُوه » ونشأ بين خؤولتِه ، قرأ المختصرات في بلده ثم سافر إلى (دِهْلي) وقرأ على الشيخ عبد الغني حتى فاق أقرانَه في العلوم ، وتصدَّى للتدريس بـ « كَنْكُوه » ، سافر إلى الحجاز ثلاث مرَّات واستفاد من شيوخه الشيخ عبد الغني والشيخ إمداد الله .

أسهم إسهاماً لا يستهان به في ثورة عام ١٨٥٧م ، وحارب ضِدَّ الإنجليز إنقاذاً للشعب الهندي والمسلمين من جحيم الاستعمار ، ولمّا هدأتْ عاصفةُ الثورة ألقت الحكومةُ الإنجليزية القبضَ عليه وزجَّت به في السجن إلا أنها لم تنجح في إثبات دعواها فاضطرّت إلى الإفراج عنه ، واتخذ الشيخُ في السجن أسوةً يوسف عليه الصلاة والسلام فاهتدى به عددٌ كبيرٌ من السجناء وأنابوا إلى الله .

كان شديدَ الغيرة على الدين ، فأينما رأى منكراً ثار عليه وقاومه بكل ما أُوتي من قوَّةٍ عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ رأى منكم مُنْكراً فاستَطاع أن يُغَيِّرَهُ بيده ، فَلْيُغَيِّرْه بيَدِه ، فإن لم يَسْتَطِعْ فبلِسَانِه ، فإن لم يستطِعْ بلسانِه فبقَلْبِه ، وذلك أضْعَفُ الإيمان »(١) .

كانت أوقاتُه موزَّعةً مضبوطةً يحافظ عليها ، واقتصر في آخر عمره على درس الصحاح الستة فلما كُفَّ بصرُه ترك التدريس وتوسع في الإرشاد والتحقيق ، كان آيةً باهرةً في التقوى واتباع السَّنة والعمل بالعزيمة والحرص على نشر السنَّة ، لا يعرف المحاباة والمداهنة في الدين مع التواضع واللين ، وكانت له اليدُ الطولى في تزكية النفوس ، وقد رزقه الله من التلاميذ ما يندر وجود أمثالهم .

---

(١) أخرجه أبو داود في كتابه الملاحم ، باب الأمر والنهي ، برقم (٤٣٤٠) عن أبي سعيد الخدري .

له مصنَّفاتٌ مختصرةٌ قليلةٌ ، وقد جمع تلميذُه النجيب الشيخ محمد يحيى الكَانْدَهْلَوي ما أفاد في درسه لجامع الترمذي وطبع باسم « الكوكب الدُّرِّيُّ »[١] .

ترجمة الشارح :

هو العلامة المحدِّث ، الفقيه ، الداعية ، العالم الربَّاني الشيخ محمد زكريا بن يحيى الكَانْدَهْلَوي ثم المَدَني . قد سبقت ترجمتُه في أول مقدمة « فضائل القرآن » صفحة (٥٧) .

---

(١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ٨/ ١٢٢٩) .

مقدِّمة الكتاب

بقلم الداعية الكبير الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدْوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المُرسَلين ، وخاتم النبيِّين ، محمَّد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمَّا بعد ! فإنَّه يسعد كاتبَ هذه السطور أن يقدِّم لمقدِّمة « لامع الدَّرَاري على جامع البخاري » لبقية السَّلَف وحجَّة الخَلَف الشيخ العلامة محمَّد زكريا بن يحيى الكَانْدَهْلَوِيِّ السَّهَارَنْفُوْرِيِّ بعدما أكرمه الله بتقديم لمقدِّمة « أوْجَزِ المَسَالك[1] إلى شرح موطَّأ الإمام مالك[2] » وكِلْتا المقدِّمتَين العظيمتين كانتا في غِنَىً عن تقديمٍ وتعريفٍ ، ولكن مؤلِّفها العظيم أراد أن يُكْرِم كاتبَ هذه السطور بهذا التقديم ، ويُشرِكه في هذه الكرامة ، وأراد أن يضمَّ إليها سعادةً جديدةً ، فكانت له الحسنى وزيادة .

---

(١) وهو مِن أبدع مصنَّفاته ومن أحسن شروح « الموطَّأ » ، حتى قال بعض المحدِّثين المالكيّين : إنه لم يصنَّف قبله مثل ذلك في شرح « الموطَّأ » .

(٢) هو سيِّدنا الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس الأَصْبَحِي الحُمَيْدي (٩٣ ـ ١٧٩هـ) إمام دار الهجرة ، وأحدُ الأئمَّة الأربعة ذوي المذاهب المتبوعة ، مولده ووفاته بالمدينة ، حدَّث عن نافع والزُّهري وابن دِينار وغيرهم ، يَصْدق عليه قولُ النبي ﷺ « تُضْرَبُ للإبل أكبادُها إلى عالم المدينة ، لا ترى أعلم منه » ، صنِّفت في عصره موطآتٌ كثيرةٌ حتى قيل لمالك ـ رحمه الله ـ : ما الفائدة من تصنيفك ؟ قال : « ما كان لله بقي » ، كما في التدريب للسيوطي وهكذا كان . أقبل عليه الناسُ إقبالاً كلياً حتى قال خليفةُ عصره : أريد أن أعلِّقه بأستار الكعبة وأجعله دستوراً ، فمنعه الإمامُ . (**تذكرة الحفاظ** : ١/ ٢٠٧) ، (**تهذيب التهذيب** : ١٠/ ٥) ، (**شذرات الذهب** : ١/ ٢٨٩)[ب] .

وإنَّ كاتب هذه السطور يقف حائراً مبهوراً أمام هذه الكرامة التي هي فوق هِمَّتِه ، وأكثر مِن قدره وقيمته ، فكأنَّه كُسِي ثوباً سابغاً فَضْفَاضاً قد فصِّل على من هو أطْوَلُ منه قامةً ؛ وأكثر منه جسامةً ، وقد كان في علماء هذا الشأن والمشتغلين بصناعة علم الحديث من كان أجدر بهذه الكرامة وأقدر على هذا التقديم من كاتب هذه السطور ، ولكنَّه فضلٌ من المؤلِّف وشرفٌ للكاتب .

لقد أصْبَحَتْ هذه المقدِّمة كتاباً مستقلاً مفيداً يستحقُّ أن يُنْشَرَ بمفرده ، فقد أصْبَحَتْ مقدِّمةً ضافيةً في علوم الحديث وأنواع المؤلَّفات فيها ومراتبها وطبقاتها وخصائصها ، ودائرةَ معارفٍ فيما يتَّصل بالإمام البُخَاريِّ[١] ، وسيرته وأخباره ودقائق حياته وجلائلها ؛ وخفيات أموره وظواهرها ، وما خَصَّه الله به مِن مواهب وخصائص ، ومنهجه في التأليف ، وما التزمه من التزاماتٍ وشروطٍ في وضع هذا الكتاب ، وبما تلقَّته هذه الأمةُ من اعتناءٍ وقبولٍ ؛ وإقبالٍ وتقديمٍ ، وتوثيقٍ ، وتصحيحٍ ، وثقةٍ واعتمادٍ ، وتناقلٍ وتوارثٍ ، وشرحٍ وإبرازٍ لكل ناحيةٍ من نواحي هذا الكتاب تخطر على قلب بشرٍ أو ينتقل إليها الذهنُ الإنسانيُّ ، وهي غايةُ ما يصل إليه الذَّكاءُ ويبلغ إليه الخيالُ في التحقيقِ والتدقيقِ ، والتجزيةِ والتحليلِ ؛ والشرحِ والتفصيلِ ، وغايةُ ما عُرف من الاعتناء بكتاب لمؤلِّفٍ من مؤلِّفي العالم ، ولإنسانٍ في تاريخ التأليف والتصنيف ، وفي تاريخ العلم والحضارة ، عبر القرون والأجيال ، وعبر الحدود والثغور ، فلو زَعَم زاعمٌ أو ادَّعى مدَّعٍ أنَّه لم يُعْتَنَ بكتابٍ

(١) هو الإمام عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغِيرَة بن بردذبه الجُعْفي البخاري ، حَبْرُ الأمة وأمير المؤمنين في الحديث (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ) ، وُلِدَ في (بُخَارى) ونشأ يتيماً ، قام برحلةٍ طويلةٍ في طلب الحديث فزار خُرَاسان ، والعراق ، ومصر ، والشام ، وسمع مِن نحو ألف شيخ ، منهم الإمام أحمد بن حَنْبَلَ ، كان من أوعية العلم ، يتوقَّدُ ذكاءً لم يخلف بعده مثله في سَيَلان ذهنه وسرعة حفظه ، له مصنَّفاتٌ شهيرة ، أشهرها في الآفاق صحيحُه ، وهو يقول : صنَّفْتُ كتابَ الصحيح بستّ عشرة سنة خرجتُه من ستمئة ألف حديثٍ وجعلتُه حجَّةً . توفِّي ليلة الفطر في شوال . (**تذكرة الحفاظ** : ٢/ ١٢٠) ، (**تهذيب التهذيب** ٩/ ٤٧) ، (**وفيات** : ١/ ٤٥٥)[ب] .

بشريٍّ في أيِّ مِلَّةٍ وديانةٍ ، وفي أيِّ لغةٍ وأدبٍ ، وفي أيِّ موضوعٍ ومقصدٍ ، وفي أيِّ عصرٍ من العصور ، مثل ما اعتني بـ « الجامع الصحيح » للإمام البخاري(١) ، لما كان مجازفة من القول ، ولا مبالغة في الدعوى ، ولا إسرافاً في الحكم ، ولكان لهذا القول وجاهةً علميةً ودلائلَ تاريخيةً ، قائمةً على استعراضٍ طويلٍ دقيقٍ ، محايدٍ أمينٍ للمكتبة العلمية العالمية ، ونتاجِ العقول والأقلام ، ومحصولِ القرائح والهمم ، من فجر التاريخ إلى يوم الناس هذا .

ولنظرةٌ عَجْلى فيما تضمَّنت هذه المقدِّمةُ من معلوماتٍ وتفاصيلٍ عن مدى اعتناء الأمة الإسلامية بهذا الكتاب الذي اعتبرَتْه أصَحَّ الكتب بعد كتاب الله ، وأوثق مصدر للحديث النبويِّ ، وكيف تناوَلَتْه بالبحث والتنقيب ، وكيف عصَرَتْ عقولَها ، وصَبَّتْ آخرَ قطرةٍ من قطراتها ، واستفرغَتْ جهدَها ، واستنفدَتَ قُوَّتَها وطاقاتها ، وأفْنَتْ أعمارَها وأوقاتها في الكشف عن خَبَاياه وحلِّ غوامضه واستقصاء شروط المؤلِّف فيه ، ومعرفةِ رجاله ورواته واستعراضِ ما قيل عنه وما اعْتُرِضَ عليه وذُبَّ به عنه والمحاكمة في كلِّ ذلك ، ومقارنته بمجاميع السنَّة الأخرى ، وتفضيله على قرينه « الجامع الصحيح » للإمام مسلم بن الحَجَّاج القُشَيْرِيِّ ، وفيما وقع بينهما من اختلافٍ في بعض الأصول والشروط ، ثم كيف خُدِمَ الكتابُ من نواحٍ مختلفةٍ ، لا يقع على أكثر منها الذهنُ البشريُّ عادةً ولا يتجاوزها غالباً تكفي لتصديق ما قلناه وتفصيل ما أجملناه من العناية الفائقة الخارقة للعادة بهذا الكتاب .

ويكفي القارىء أن يطَّلع على جهود العلماء وكبار الأذكياء في التطبيق بين تراجم الأبواب والأحاديث ، وقد ذكر مؤلِّفُ هذه المقدِّمة سبعين أصلاً لفهمِ أسرار المؤلِّف وأغراضه في وضع هذه التراجم والوصول إلى مراده وغايته والتطبيق بينهما ، وقد استقصى هذه الأصولَ من الكتب المؤلَّفة في هذا الموضوع قديماً وحديثاً ، ومن

---

(١) أقبل عليه الناسُ درساً وتدريساً ، شرحاً وتعليقاً ، استدراكاً وتخريجاً ، استنباطاً واستخراجاً ، جزئياً وكلياً ، لا يُوجَدُ له مثيلٌ في هذا الأمر في أيِّ كتابٍ بشريٍّ في أيِّ أمةٍ من الأمم ، وهذه حقيقةٌ اعترف بها الأعداءُ والأصدقاءُ [ب] .

شروح البخاري ، وضَمَّ إليها أصولاً جديدةً ، أَلْهَمَه الله إيَّاها بطول ممارسته لهذا الفَنِّ ومباشرته لتدريس هذا الكتاب ، وبفَرْطِ ذكائه وصدق طلبه ومثابرته على التأمُّل والمطالعة ، وإجالة الفكر وإعمال القريحة ، ففَتَح الله عليه بالشيء الكثير والعلم الغزير ، وبما لم يسبق إليه ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] وقوله تعالى : ﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٠] .

ويكفيه كذلك أن يُجِيْلَ نظره في وجود المناسبة والارتباط اللطيف الدقيق بين أوّلِ كلِّ كتابٍ وخاتمته من الكتب التي يشتمل عليها هذا الكتابُ العظيمُ « الجامع الصحيح » للبخاري ولطائف ذوقية في التزامات المؤلِّف مثل التذكير بالموت والآخرة في آخر كلِّ كتابٍ ، فقد نقل المؤلِّفُ في هذه المقدِّمة كل ما وَصَل إليه اجتهادُ أكبر شارحٍ للجامع الصحيح ، وهو العلامة الحافظ ابن حجر العَسْقَلانيّ ـ رحمه الله ـ في كتابه العظيم الخالد « فتح الباري » وما أضاف إليه مؤلِّفُ هذه المقدِّمة من نُكَتٍ بديعةٍ وإشاراتٍ لطيفةٍ في ربطِ آخر الكتاب بأوله ، حتى يصبح الكتابُ وحدةً متناسقةً متكاملةً ، وعقداً منتظماً ، كلُّ لؤلؤةٍ تلتئم مع أختها وتنسجم مع شقيقتها ؛ وتخدم غايةً واحدةً ، هي غاية الجمال والكمال ، وغاص فيها المؤلِّفُ إلى أعماقٍ بعيدةٍ ، لا يصل إليها كلُّ مشتغلٍ بهذا العلم الشريف ، ولا يلزم أن يوافِقه في ذلك كلُّ باحثٍ ، ويتذوَّقه كلُّ قارىءٍ ، فقد يغلب ذكاؤه المُفرِط وهيامُه بهذا الكتاب ومعانيه ، وإيمانه الزائد بدِقَّةِ فهمِ مؤلِّفه وبُعْد غَوْره ومراميه ، فيأتي بما لا يسهل فهمه وإساغته ، ولكن لا ينقص من قيمته ولا ينكر جهد المؤلِّف وحرصه على استخراج الدُّرَرِ واقتناص النجوم ، وإعجابه الشديد بعبقريَّة الإمام البخاري ، ولُطْف حِسِّه ورِقَّةِ شعوره وامتحانه للعقول .

ولا نعرف كتاباً من كتب البشر ـ في المكتبة الدينية العالمية ـ تناوله العلماءُ والمؤلِّفون بالشرح والتحشية والتعليق مثل ما تناولوا كتابَ هذا الإمام الجليل ، الذي هو أَصَحُّ الكتب بعد كتاب الله ، وقد كان الشرحُ والتعليقُ هو المجال العلمي الذي تظهر فيه عنايةُ العلماء والمؤلِّفين في العصور القديمة ، ومقياس اهتمامهم بأثرٍ

علميٍّ ، فكان أكثرُ الكتب شروحاً وتعليقاتٍ هو أعظم المؤلَّفات تقديراً ، وأعلاها منزلةً وأكثرها شهرةً ، وكان أقلُّ الكتب شروحاً وتعليقاً أخملها ذكراً وأقعدها شهرة وصيتاً ، فيبقى مطموراً مغموراً ، لا يسترعي انتباهاً ، ولا يثير اهتماماً .

فإذا أخذ هذا المقياسُ ـ وهو المقياس الوحيد لنجاح كتاب في عهدنا العلمي الماضي ، والدليل القاطع على احتلاله للصدارة في المجلس العلمي ـ حكمنا بأن « الجامع الصحيح » للبخاري قد فاز بالقِدْح المُعلَّى في هذا الميدان ، واحتل الصدارة في مكتبتنا الإسلامية التي انبثقت عن القرآن ودعوة الإسلام ، وامتدَّتْ على مشارق الأرض ومغاربها ، في المساحة الأرضية المكانية ، وعلى القرن الأول إلى القرن الثالث عشر ـ على الأقلِّ ـ في مساحتها التاريخية الزمانية ، فقد بلغ عددُ شروحه والتعليقات عليه إلى مئة وواحد وثلاثين كتاباً (١٣١) على حسب استقراء مؤلِّف هذه المقدِّمةِ وعلمه واطلاعه ، وقد يكون العددُ أكثر من هذا ، فقد كان هذا الاستقصاءُ مؤسَّساً على « كشف الظُّنون » للجَلَبي ، و« مفتاح السَّعادة » لطَاش كبرى زَادَهْ[1] ، و« إتحاف النُّبلاء » ، و« الدِّيباج المذَّهب » ، و« نيل الابتهاج » ، ومقدِّمات الشروح المشهورة التي كانت في متناول يده ، و« الثقافة الإسلامية في الهند » ، وبعض دراساته وتتبعاته الفردية ، ولا شكَّ : أن العالم الإسلامي أوْسَعُ ممَّا تخيَّله الجغرافيُّون ، والتاريخ الإسلامي العلمي أغنى مما دوَّنه المؤرِّخون ، وفي الزوايا خَبَايا لم تقع عليها عينٌ ولم تطلع عليها الشمسُ .

وإن كتاب « فتح الباري » للعلامة ابن حجر العسقلاني الذي يقع في ثلاثة عشر مجلَّداً ضخماً ومقدِّمةً مبسوطةً تكاد تكون مكتبةً مستقلةً في علوم الحديث كتاب

---

(١) هو العلامة أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده (٩٠١ ـ ٩٦٨هـ) قرأ على علاء الدين اليتيم وأخذ عن عمِّه قوام الدين قاسم بن الجليل ، قرأ قدراً من « صحيح البخاري » على محمَّد التُّونسي ، وحصلت له الإجازةُ ، درَّس بعدَّة مدارس ، ثم صار قاضياً ببروسا ثم انتقل إلى إحدى المدارس الثماني ودرس ثم صار قاضياً ، ألَّف عدة مؤلَّفات نافعة ، منها : « مفتاح السعادة » عدة مجلَّدات ، و« الشقائق النعمانية » وغير ذلك (**حاشية « الفوائد البهية »** : ص/ ٣٣) . (**معجم المطبوعات العربية** : ٧/ ١٢٢١) [ب] .

لا يُوجد له نظيرٌ في مكتبات الديانات والمِلَل ، وإنَّ لهذه الأمة الإسلامية أن تفتخر بهذا الأثر العلمي الخالد ، وتقدِّمه إلى علماء الديانات والفلسفات وروّاد الحضارات والثقافات كبُرْهانٍ ساطعٍ على جهاد هذه الأمة العلمي ونبوغها الفكري وولوعها بآثار نبيِّها والغوص فيها إلى أعماق ليست بعدها أعماقٌ ، والوصول فيها إلى آفاق ليست وراءها آفاقٌ ، هذا مع عدم الحطِّ من قيمة الشروح الأخرى ـ وفي مقدِّمتها « عُمْدة القاري » للعلامة بدر الدين العَيْني التي هي مكتبةٌ حافلةٌ في النحو والعربية ، وعلوم البلاغة ، والأحكام المستخرجة ، والفوائد المستنبطة من الأحاديث ـ ومع الاعتراف بإخلاص مؤلِّفيها ونصحهم لله ولرسوله وللمؤمنين ، وإفراغ وسعهم في خدمة الحديث ونشره ، والتعمُّق فيه إلى غاية لا يتصوَّر فوقها . جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء .

ثم يلي هذا المقياسَ شدَّةُ العكوف على دراسة الكتاب والتهافت على روايته ونقله والتنافس في حمله ونشره وضَمِّه إلى الصدور والعَضِّ عليه بالنَّواجذ ، وتوارثِ الأجيال في تلقِّيه جيلاً بعد جيلٍ ، وكابراً عن كابرٍ ، وتلميذاً عن أستاذٍ ، وطبقةً عن طبقةٍ ، حتى لا تُعرف فترةٌ من الزمان نسج فيها عليه العنكبوتُ ، وساد عليه الظلامُ ، وانقطعَتْ روايتُه ، وتوقَّفت دراستُه ، وعبث به العابثون ، وتصرَّف فيه الخائنون المحرِّفون ، وقد تفرَّد « الجامع الصحيح » بهذه المِيزة بعد كتاب الله ، فقد أخذ هذا الكتاب عن مؤلِّفه تسعون ألفاً من الرُّوَاة والحفَّاظ ، وتَسْلَسَلَ نقلُه وروايته ، حتى انتهى هذا الكتابُ إلى مؤلِّفه ، وبلغ حدَّ التواتر في شهرته وصحة نقله ونسبته إلى المؤلِّف ، لا يُنْكر ذلك ولا يتشكَّك فيه إلا من تَشَكَّكَ في المتواترات والحقائق العلمية التي تثبت بالضرورة ، ولا يزال هذا الكتاب موضعَ الاهتمام والعناية ، وموضعَ التأمُّلِ والدراسة في الحلقات العلمية في العالم الإسلامي .

وقد كان نصيبُ الهند ـ للأسباب التي بسطنا بعضها في مقدِّمتنا لمقدِّمة « أوجز المسالك[1] ـ أوفرَ في التمسُّك بهذا الكتاب والعكوف عليه درساً وتدريساً من كلِّ بلدٍ

(١) اقرأ هذه المقدِّمة في صفحة (٨٥) .

إسلاميٍّ في العصر الأخير ، فإنه لا يزال في قمَّة الكتب الحديثيَّة التي تدرَّس في المدارس الدينية ، يقرأ من أوله إلى آخره في آخر سني الدراسة ، وقد أصبح شعاراً لنبوغ الأستاذ ورسوخه في علوم الحديث والأثر ، واقتداره على صناعة التدريس والتفهيم ، يتجلَّى فيه امتيازُ معلِّمٍ عن معلِّمٍ ، وتفوُّقُ أستاذٍ على أستاذٍ ، وأصبح شرطاً لكمال الطالب واجتهاده وفوزه ونجاحه ، فلا يعتبر عالماً إلا إذا قرأ هذا الكتابُ بدقَّةٍ وإمعانٍ وجهدٍ وإتقانٍ ، ولا تزال ختمات البخاري لتفريج الكرب وإزالة ما نزل بالمسلمين عادةً منتشرةً ، وتقليداً متبعاً في أنحاء العالم الإسلامي .

وهذا كلُّه دليلُ اعتناءِ الأمة بهذا الكتاب ، وما حازه من قبولٍ عند الله وعند الناس .

ثم خُصَّ هذا الكتابُ بالإطباق على أنه قد بلغ أقصى درجات الصحة والوثاقة والتحرِّي في نقل الصحيح الثابت ، والاحتياط الذي يبلغ إليه اجتهادُ المجتهدين ، وأمانة النَقَلة والرُّوَّاة ، وأنَّ المؤلِّف قد أفرغ فيه جهدَه ونجح فيه نجاحاً لم يكتب لمحدِّثٍ آخر ، وراعى فيه أدقَّ الشروط التي عُرِفَتْ في هذا الفنِّ ؛ والتزم فيه التزامات لم تعرف عن أيِّ مؤلِّفٍ في هذا الموضوع ، ثم ساعدته في ذلك الملكةُ الراسخةُ التي لا يُرزقها إلا واضعو الفنون والصيارفة الحذَّاق وأهل السليقة الذين لا يعرفهم التاريخُ إلا في فتراتٍ طويلةٍ وعلى مَرِّ القرون والأعصار ، وهم في كلِّ لغةٍ وأدبٍ ، وكلِّ موضوعٍ ومقصدٍ ؛ ويجعلهم الله ميزاناً في هذه الفنون وحجَّةً في هذه المقاصد ، فيرزقهم من ثقوب النظر ، وصحة الحدس ، وسرعة الخاطر ، ودِقَّة الشعور ، وسلامة الفكر ، والذوق السليم الذي لا يخطىء ما لا يرزقه أقرانهم ونظراءَهم ـ على جلالة قدرهم وغزارة علمهم ـ فيأتون في هذه الفنون والمقاصد من الحكم الصحيح السريع والوصول إلى الحقيقة والاهتداء إلى الصميم بما يُشبه الإلهامَ ، وبما يخيَّل إلى كثيرٍ من الناس بأنه فوق الطاقة البشرية ، وما هو بإلهامٍ دائماً ، وماهو فوق الطاقة البشرية ، لكنه الملكةُ الراسخةُ ، والموهبةُ الربَّانيّة ، والتوفيق الإلهي ، وطول الممارسة ، وشدَّة الإخلاص .

ونظائرُ ذلك كثيرةٌ في الأدب والشعر ، واللغة والنحو ، وعلم العروض

والطِّبِّ ، وأولئك الأئمَّة لا يخضعون للقواعد التي وضعها من كان في طبقاتهم أو دُونهم ، ودوَّنتها كتبُ هذا الفنِّ ، وجاء فيها الغَثُّ والسَّمينُ ، واختلط فيها الحابلُ بالنابلِ ، فقد يتحرَّرون عن هذه القواعد وعن هذه الآراء والمقاييس ؛ ويحكمون بسليقتهم وبصيرتهم وذوقهم وتجربتهم .

ومن الظُّلم والجهل بالحقيقة ، والتسرُّع في الحكم ، والتقليد الأعمى أن يخضعوا لهذه القواعد المرسومة المحدودة التي جاءت في كتبٍ من تأخَّر زمانه عن زمانهم ، وانحطَّ مكانه عن مكانهم فيؤخذ « تهذيب الكمال »[1] للمِزِّي[2] مثلاً أو مختصراته للحافظ ابن حجر ، أو « ميزان الاعتدال » للذهبي[3] ـ على فضل هذه

---

(١) وهذا الكتابُ في الأصل تهذيبٌ واستدراكٌ على « الكمال » للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المَقْدِسي الحنبلي (م٦٠٠هـ) ، يقول المِزِّيُّ : « إنَّ الحافظ عبد الغني لم يصرف عنايته إليه ولا استقصى الأسماء ، ولا تتبع التراجم ، ثم إنَّ ولده رامَ تهذيبه فزاد فيه أسماء جماعة كثيرة استقصاءً من الأطراف لابن عساكر لكنَّه ذكر مختصراً مع أوهام شنيعة ، فأردتُ تهذيبَه واستدراك النقص ، فأضفتُ فيه ألفاً وسبعمئة اسم ، وجعلتُ لكل تأليف علامة » وأضاف فيه جماعةٌ وهذَّبه جماعةٌ منهم مُغْلَطائي الحنفي والذهبي وغيرهما حتى جاء ابنُ حجر فصنَّف باسم « تهذيب تهذيب الكمال » في ستِّ مجلَّدات ، قال فيه : « إنَّ كتاب الكمال الذي ألَّفه الحافظ عبد الغني وهذَّبه الحافظُ المِزِّي من أجلِّ المصنَّفات في معرفة جملة الآثار ، ولاسيّما التهذيب ؛ بَيْدَ : أنه أطال فقصُرَت الهِمَمُ عن تحصيله لطوله فاختصره بعض الناس » ، هذا كما في « كشف الظنون » وللحافظ ابن حجر مختصر تهذيب التهذيب أيضاً سماه « تقريب التهذيب » [ب] .

(٢) هو الإمام المحدِّث العلامة يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحَجَّاج جمال الدين ابن الزَّكي أبو محمد القُضَاعي الكلبي المِزِّي الشافعي (٦٥٤ـ٧٤٢هـ) ، محدِّث الديار الشامية في عصره ، وُلد بحلب ونشأ بالمِزَّة (من ضواحي دمشق) ، مَهَر في اللغة ثم في الحديث ومعرفة رجاله ، ووَلِّي دار الحديث الأشرفية ثلاثاً وعشرين سنةً ، له التصانيف النافعة أشهرها : « تهذيب الكمال في أسماء الرجال » اثنا عشر مجلَّداً ، يقول الذهبي عنه : « إليه المنتهى في معرفة الرجال وطبقاتهم فما رأيتُ مثله » . (**تذكرة الحفاظ : ٤/١٤٩٨**) ، (**شذرات الذهب : ٦/١٣٦**) ، (**الدرر الكامنة : ٤/٤٥٧**)[ب] . .

(٣) هو الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، حافظٌ ، مؤرِّخٌ ، =

الكتب وفضل مؤلِّفيها على المشتغلين بهذا العلم - فيحكم على « الجامع الصحيح » للبخاري أو « الجامع الصحيح » لمسلم أو « الموطَّأ » للإمام مالك ؛ فيُعاد الأمرُ جذعاً ويستأنف النظر في هذه الكتب التي تلقَّتها الأمةُ بالقبول ، وبلغ أصحابها إلى أقصى الدرجات في التحقيق والدِّقَّة والتحرِّي وتشريح الأجسام ، وتُسَلَّط عليها المقاييسُ المحدودة التي تقبل النقاشَ ويتسع فيها مجال الكلام ، فهذا النوع من القسوة العلمية والجفاف الفكري والعمل التقليدي سيحدث فوضى تتزلزلُ بها أركان الدين ؛ وتتضعضعُ بها العقيدةُ واليقين ، ويتورَّط المسلمون في اضطرابٍ قد أغناهم الله عنه وكفاهم شره .

ولذلك كان حُذَّاقُ المحدِّثين وعلماء أسماء الرجال يعتمدون في ذلك على « البخاري » و« مسلم » أكثر ممَّا كانوا يعتمدون على كتب أسماء الرجال التي دوِّنت في العصور المتأخِّرة ؛ ويُعْجبني في ذلك ما نَقَله صاحبُ المقدِّمة عن الشيخ أبي الحسن المَقْدِسيّ[1] كان يقول في الرجل الذي يخرَّج عنه في الصحيح : « هذا جاز القَنْطَرة » ، يعني بذلك : أنَّه لا يلتفت إلى ما قيل فيه . وقال الشيخ أبو الفتح القُشَيْري : « هكذا نعتقد وبه نقول ولا نخرج عنه إلا لحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد

= علامةٌ ، محقِّقٌ ، تُرْكُمَانيُّ الأصل ، مولده ووفاته في دمشق ، رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان ، أخذ عن ابن دقيق العيد والدِّمْياطي وغيرهما ، كُفَّ بصره سنة ٧٤١هـ ، يقول السُّبْكيُّ : اشتمل عصرُنا على أربعة من الحفَّاظ لا خامَس لهم ، منهم : الذهبيُّ ، وقال عنه : « كنزٌ هو الملجأ » ، له مصنَّفاتٌ كثيرةٌ وغزيرةٌ ، أشهرها : « تذكرة الحفَّاظ » و« ميزان الاعتدال ، و« سير أعلام النبلاء » . (**شذرات الذهب** : ٦/ ١٥٣) ، (**ذيل تذكرة الحفاظ** : ٣٤ و٣٤٧) ، (**الدرر الكامنة** : ٣/ ٣٣٦) [ب] .

(١) هو محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد ، أبو الحسن الهَمَذاني ، يُعرفُ بالمَقْدِسي (٤٦٣ - ٥٢١هـ) من كبار المؤرِّخين ، سَكَن بغداد ، وبها نشأ وتوفي . قال ابن الجوزي : « هو من أولاد المحدِّثين والأئمة » . وقال ابن النجَّار : « وبه خُتم فنُّ التاريخ » ومن مصنَّفاته : « عنوان السير » و« طبقات الفقهاء » ، و« أخبار الوزراء » و« تكملة تاريخ الطبري » وغيرها . (**البداية والنهاية** : ١٢/ ١٩٨) و(**طبقات الشافعية الكبرى** : ٤/ ٨٠) و(**الأعلام** : ٦/ ٢٤٨ - ٢٤٩) .

في غلبة الظَّنِّ على المعنى الذي قدَّمناه من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما « بالصحيحين » ، ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما » .

ويؤيِّده ما قال الحافظُ ابن حجر ـ كما نقل عنه صاحبُ المقدمة ـ : « وقبل الخوض فيه ينبغي لكلِّ منصفٍ أن يعلم أنَّ تخريج صاحب الصحيح لأيِّ راوٍ كان مقتضياً لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ، ولاسيّما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأمة على تسمية الكتابين « بالصحيحين » وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما » .

وكذلك ليس من الصَّواب ولا من الفقه ولا من مصلحة الإسلام والمسلمين أن تُثار قضيةُ أَصَحِّيَّةِ هذين الكتابَين الجليلين من جديدٍ ، وتبحث كأنَّ الأمر أنفٌ والموضوع بكرٌ لم يطرق من قبل ، ولم يقتل بحثاً وتفكيراً ، فهو يُحدِث كذلك فوضى فكريةً ويضيع على الأمة كثيراً من جهودها وطاقاتها وأوقاتها ، وهو جهادٌ في غير جهادٍ أغنى الله خلَفَ هذه الأمة عن القيام بأعبائه بما تولاه سلفُ هذه الأمة ، وفتح بابِ خطرٍ على مصراعيه تدخل منه آفات كثيرة وتشويشات عظيمة ، وليس سِرُّ أصحية هذين الكتابين وفضلهما على سائر الكتب في علوِّ طبقةِ رجالهما وعدالتهم وفي الشروط الدقيقة التي التزمها المؤلِّفان فحسب ، بل في اشتهار هذه الأحاديث التي حواها هذان المجموعان ، وشدَّة اعتناء علماء هذا الشأن بها ، وكثرة تلقِّي الأمةُ لها ، وقد أحسن شيخُ الإسلام الشيخ وَليُّ الله بن عبد الرحيم الدِّهْلَوي كلَّ الإحسان إذ قال مبيِّناً لهذه النكتة في كتابه الفريد « حجَّة الله البالغة » :

« أمَّا الصحيحان فقد اتفق المحدِّثون على أنَّ جميع ما فيهما من المتصل المرفوع الصحيح بالقطع ، وأنَّهما متواتران إلى مصنِّفيهما ، وأنَّه كل من يهوِّن أمرهما فهو مبتدعٌ ومتبعٌ غير سبيل المؤمنين ، وإنْ شئت الحقَّ الصراح فقسهما بكتاب ابن أبي شَيْبة ، وكتاب الطَّحاوي ، ومسند الخُوَارَزْمي وغيرهما تجد بينها وبينهما بُعْد المَشْرقين ، وقد استدرك الحاكمُ عليهما أحاديث هي على شرطهما ولم يذكراها ، وقد تتبعتُ ما استدركه ، فقد أصاب من وجهٍ ، ولم يصب من وجهٍ ؛ وذلك لأنَّه وجد أحاديث مرويَّةً عن رجال الشيخين بشرطهما في الصحة والاتصال ،

فاتجه استدراكه عليهما من هذا الوجه ، ولكن الشيخين لا يذكران إلا حديثاً قد تناظر فيه مشايخهما وأجمعوا على القول به والتصحيح له كما أشار مسلمٌ ؛ حيث قال : « لم أذكر هاهنا إلا ما أجمعوا عليه » وجل ما تفرد به « المستدركُ » كالموكى عليه ، المخفي مكانه في زمن مشايخهما ، وإنْ اشتهر أمره من بعد »[1] .

وليس اتفاقُ الأمة وعلمائها على أصحِّية البخاري وفضله على سائر الكتب مجرَّد اتفاق ومصادفة ، ولا عن تواطؤ ومؤامرة ، وقد أعاذ الله هذه الأمة التي اختارها لحمل دينه وتبليغ رسالته من أن تكون فريسة غفلة وغباوة وأن تجتمع على الضَّلال ، بل كان ذلك إلهاماً من الله ومكافأةً على ما قام به مؤلِّفُ هذا الكتاب من جهاد في سبيل حفظه الأحاديث النبوية ، ثم تحقيقها وتنقيحها ومعرفة رجالها ورواتها ، وكشف أستار الكذَّابين والوضَّاعين وتمييز الضعفاء والمجروحين ثم في نقلها ونشرها في الآفاق وجمعها في مجموعة مهذَّبة منقَّحة ، بحسب الطاقة البشرية والعلم الإنساني ، وقد هجر في سبيل ذلك راحتَه وحظوظَ بدنِه ومطالبَ نفسِه ، ونسي لَذَّتَه وغادر وطنه واكتفى من الدنيا ببلغةِ عيشٍ وسَدَادِ رَمَقٍ ، ولقي في سبيله أذى كثيراً وتحمَّل في سبيله نكراناً وجفاءً ، ومحنة وبلاءً ، فقد وهب للحديث حياتَه وما أكرمه الله به من قُوَى وطاقاتٍ وحافظةٍ لاقطةٍ واعيةٍ ، وذهنٍ وَقَّادٍ ، وعقلٍ نقَّاد ، ونفسٍ كبيرة ، وهمَّةٍ عاليةٍ ؛ فكافأه الله على كلِّ ذلك بأن قيَّض له أفواجاً من العلماء والأذكياء يخدمون كتابَه بصنوف من الخدمة وأنواع من الجهد لم تخطر ببال أيِّ جماعةٍ قبلهم ولم تتيسَّر لكتاب بعد كتاب الله ، وأشعل في قلوبهم حُبَّ هذا الكتاب ، والسَّهَرَ على خدمته حتى لم يشعروا بلذة إلا في شرحه ونشره ولم يجدوا راحةً إلا في تحقيقه وتنقيحه ، حتى كوَّنوا هذه المكتبةَ الواسعةَ الزاخرةَ التي لم تُوجَد لكتابٍ .

وفي هذه المقدِّمة العظيمة أضواءٌ على هذه المكتبة ؛ وتعريفٌ بأهمِّ كتبها ومحتوياتها ولم يكن ذلك كلُّه إلا مظهراً من مظاهر سنَّة الله في خلقه وهي « أنَّ الجزاء

---

(١) حجة الله البالغة : ص : ١٣٤ .

من جنس العمل » فهي سنَّةٌ قديمةٌ في الأمم والجماعات البشريَّة وأفراد الناس ، فلمَّا حفظ البخاري سُنَّةَ رسولِ الله ﷺ ، وجاهَدَ في سبيلها حقَّ الجهاد ، ووقف كلَّ حياته وكلَّ ما كان يملكه ويمتاز به له ، كفل الله بحفظ كتابه وانتشاره وبقائه وازدهاره واعتناء الأمة به اعتناءً لا مزيدَ عليه ، وفي هذه المقدِّمة قصةُ هذا الاعتناء ، وعرضٌ لجوانبه الكثيرة ومناحيه المختلفة .

ومن سلسلة هذا الاعتناء التاريخيِّ الطويل الذي حكى المؤلِّفُ قصته في تفصيل وجود هذا الكتاب العظيم الذي أسماه جامعه وناشُره « لامع الدَّرَاري على جامع البخاري » وهو مجموعُ أمالٍ وتحقيقاتٍ للإمام الربَّاني شيخُ المحدِّثين في عصره الشيخ رشيد أحمد الكَنْكُوْهِي في أثناء تدريس « الجامع الصحيح » للإمام البخاري ، قيَّدها تلميذُه النجيب الوفي الشيخ محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكَانْدَهْلوي ، وهو عُصارةُ دراسات الشيخ ولُبَاب تأمُّلاته وعكوفه الطويل على علم الحديث دراسة وتدريساً ، وقد جاء دورُ الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى ، فنقَّحها وهذَّبها وتناولها بالشرح والإيضاح والكشف والإبانة ، وضَمَّ إليها ما فتح الله به عليه من نُكَتٍ بديعةٍ ، وإشاراتٍ لطيفةٍ ، وتحقيقاتٍ نادرةٍ ، وتطبيقاتٍ فائقةٍ ، لا يَعْرف قيمتَها إلا مَن باشر تدريسَ هذا الفنِّ سنين طوالاً ، وعرضت له معضلاتٌ ومشكلاتٌ أثناء الدرس في مدَّةٍ طويلةٍ فلم يجد حلَّها في بطون الأسفار والكتب المتداولة والشروح المشهورة السائرة ، وقد جَرَّبْتُ ذلك أثناء تدريسي للجامع الصحيح ، على قِلَّة بضاعتي ، وقصر باعي ، وقلَّة اطلاعي في هذا العلم[1] الذي لا يعرف في علوم الإسلام علمٌ اتَّسع اتساعَه ، ودَقَّ دقَّته .

---

(١) هذا تواضعٌ منه ـ رحمه الله تعالى ـ كان يقدِّر منزلته في الحديث الشريف مؤلِّفو هذه الكتب والشروح ، الذين رغبوا منه في التقديم لها وبلاد شبه القارة الهندية حافلةٌ بكبار علماء هذا الشأن .

غلب على العلامة الندوي منذ عنفوان شبابه العملُ في حقل الدعوة والإصلاح خطابةً وكتابةً فاشتغل به عن الاهتمام الزائد بالحديث الشريف ، تأليفاً وتدريساً ، لكنَّه رغم ذلك قام بتدريس أصحِّ كتابٍ بعد كتاب الله (صحيح البخاري) مدَّة في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، =

وهذه المقدِّمةُ اجتمَعَتْ فيها فوائدُ ، وعلومٌ قد تفرَّقتْ وتناثَرَتْ في كُتب هذا الموضوع ، فجمعها مؤلِّفُها الذي أصبح له الحديثُ شعاراً ودثاراً ، وذوقاً وحالاً في هذه المقدِّمة ، ويجد فيها المعلِّمُ والتلميذُ غايةَ ما أورد به على البخاريِّ واسْتُشْكِلَ من هذا الكتاب ، ثم جوابُه الشافي ، وشرحاً وافياً لرموز البخاري ومصطلحاته ومقاصده وأسراره في التَّراجم ولطائفه في التأليف ، هذا عدا معلوماتٍ قيمةٍ عن الأئمَّة الأربعة ومذاهبهم وبحوث مفيدة في أصول الحديث وأسماء الرجال ، فجاءت شاملةً كاملةً وموسوعةً واسعةً ، يجد فيها الطالبُ ما يُفَتِّق قريحتَه ، ويشحذ ذهنه ، ويرفع همَّتَه ، ويجد فيها المعلِّمُ الحاذقُ والأستاذُ الكاملُ ما يُنير سبيلَه ، ويسهِّل مُهِمَّتَه ، ويوفِّر عليه وقتَه وجهودَه ، فللمؤلِّف شكرُ المشتغلين بهذا الفَنِّ وثناؤُهم

= وكتب وألَّف في الحديث ما شاء ربُّه .

وقد تلقَّى العلامة الحديثَ عن شيوخ كثيرين من كبار علماء العصر ، ولم يلتفت إلى كثرة الإجازات لانشغاله بأمور أكثر أهمية وأجدى نفعاً من التأليف والدعوة والرحلات العلمية الكثيرة ، فاكتفى بالإجازة من شيخيه المسندَيْن الكبيرَيْن : العلامة الشيخ حَيْدَر حسن خان الطُّونْكي ، والعلامة الشيخ عبد الرحمٰن المُبَارَكْفُوري صاحب « تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي » رحمهما الله تعالى .

وعلوُّ الإسناد ومكانة الشيوخ الذين يروي عنهم خيرٌ ممَّا دَرَج عليه بعضُ الناس من الاستكثار من الرواية عمَّن هبَّ ودَرَج من الشيوخ دون تحقُّقٍ بالعلم وتوثقٍ من الرواية . وطالبُ العلم يفتخر ويعتزّ أن يتَّصل سندُه إلى رسول الله ﷺ عن أمثال العلامة الندوي ، كان يحرص على الفوز بإجازته في الحديث كبارُ المشايخ في العالم ، عرباً وعجماً ، ونظراً لمكانته العلمية الرفيعة ، وشهرته الواسعة في الأقطار الإسلامية ، فقد حَرصَ كثيرٌ من كبار أهل العلم على الاتّصال بأسانيده ، والرواية عن طريقِه لِمَا أكرمه الله تعالى من تحقُّق بهدي السنَّة النبوية والعلم بها والدعوة إليها ، ولمَا حباه الله سبحانه من علوٍّ في الإسناد والرواية عن كبار أهل الحديث .

اقرأ ما كتبناه عن مساهمة العلامة الندوي في الحديث الشريف ، في كتابنا « أبو الحسن الندوي الإمام المفكِّر الداعية المربِّي الأديب » (الطبعة الثالثة ـ المطبوعة في دار ابن كثير بدمشق) الباب الثاني ، صفحة (٦٧٦) .

واعترافهم بالجميل ، وله من الله الأجرُ الجزيلُ ، والذكرُ الباقي ، والدعاء الدائم .
والحمد لله أوّلًا وآخراً ، وصلّى الله على نبيِّه محمّد وآله وصحبه أجمعين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

الأبواب والتراجم
للبخاري

تأليف

العلامة المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي

مقدّمة الكتاب

بقلم : الداعية الكبير الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدْوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد الأنبياء والمُرسَلين ، وخاتم النبيِّين محمَّد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمَّا بعد : فمِمّا تقرَّر عند المشتغلين بصناعة الحديث تدريساً وتصنيفاً وشرحاً وتحقيقاً أنَّ الأبواب والتراجم(١) في هذا الكتاب من أدقِّ البحوث والمطالب ، ومن

---

(١) عُرفت العناوين في كتبنا القديمة بالتراجم ، ومن أعظم ما امتاز به « صحيحُ البخاري » تراجم أبوابه ؛ إذ إننا نعلم أنَّ هناك من الكتب ما تجرَّدت أبوابُه عن العناوين مثل « صحيح مسلم » الذي لم يضع فيه عنواناً واحداً .

وإنَّ النظر في عناوين أبواب هذا الكتاب ليدل على براعةٍ فائقةٍ ، وفقهٍ سديدٍ ، وذِهْنٍ فقهيٍّ غَوَّاصٍ ، وقدرةٍ على الاستنباط عظيمةٌ ، حتى قيل فيها : « تراجمه حيَّرت الأفكارَ وأدهشت العقولَ » .

ومن هنا كان فقهُ المؤلِّف للحديث كامناً في العنوان الذي اختاره وقد قال جمع من الفضلاء : « فقه البخاري في تراجمه » .

وكان البخاري ـ فيما يبدو ـ يبذل جهداً فائقاً ، واهتماماً كبيراً في اختيار هذه العناوين ، يدلنا على ذلك ما جاء في « شرح القَسْطَلاني » (١/ ٢٥) : من أنه « كان يصلِّي لكل ترجمة ركعتين) .

ونستطيع أن نذكر بعض الصفات المهمَّة التي تميز هذه التراجم :

١ ـ تمتاز تراجمُ هذا الكتاب بالدِّقَّة والعُمْق ، فربما لا يَدُلُّ الحديث لأول وهلةٍ على المعنى المفهوم من العنوان ، ولكن الإمعان في النظر في الحديث يقود إلى إدراك مغزاه وارتباطه بالعنوان الذي اختاره .

=

أعمقها غَوْراً وأبْعَدِها مَدًى ، حتى اشتهر بين العلماء : أنَّ فقه البخاري في تراجمه .

= وربما يترجم بأمرٍ ظاهرٍ قليلِ الجدوى ؛ لكنّه إذا حقّقه المتأمِّلُ وجده ذا جدوى كقوله (باب قول الرجل : ما صلينا) فإنه أشار به إلى الرد على من كره ذلك ! (انظر : « شرح تراجم أبواب البخاري » ص٩) .

٢ ـ كثيراً ما يُترجِم بصيغة الاستفهام ؛ كقوله (باب هل يكون كذا ؟) وذلك حيث لا يتجه له الجزم بأحد الاحتمالين .

وغرضُه أن يوضِّح للقراء توقفه في الحكم في هذا الأمر وأنه لم يستطع أن يصل فيه إلى أمرٍ نهائيٍّ ، وأنه لا يدري : أيثبت الحكم من هذا الحديث أم لا ؟ وربما كان أحد الاحتمالين أظهر ، وعندئذٍ يكون غرضه أن يبقي للناظر مجالاً ، وينبهه على أن هناك تعارضاً يوجب التوقُّف .

٣ ـ كثيراً ما يترجم بلفظٍ يومىء إلى معنى حديث لم يصح على شرطه ، أو يأتي بلفظ الحديث الذي لم يصح على شرطه صريحاً في العنوان ، ويُورِد في الباب ما يؤدِّي معناه بنصٍّ صريح تارة وبنصٍّ خفيٍّ الدلالة تارةً أخرى .

وربما اكتفى أحياناً بلفظ العنوان الذي هو لفظُ حديثٍ لم يصح على شرطه ، وربما أَورد معه أثراً أو آية ، فكأنه يقول : لم يصح في الباب شيء على شرطي .

٤ ـ هناك في الكتاب تراجم لأبوابٍ خاليةٍ من الأحاديث ، ويدل هذا الصنيعُ على أنه وجد أحاديثَ صحيحةً تدلُّ على الحكم الذي تضمَّنته الترجمةُ ولكن الشروط التي اشترطها في أحاديث كتابه لا تتوافر فيها .

٥ ـ وهناك في الكتاب أحاديثٌ لم يضع لها المؤلِّف تراجمٌ فجعلها أبواباً بلا عناوين ، وقد عللوا ذلك بتعليلات عدة :

● علَّل ذلك بعضهم بما سبق أن ذكرناه من أن البخاري ـ رحمه الله ـ مات ، وكتابه مسوّدة ، فكأنه رحمه الله كان يريد أن يتمّم فيه كثيراً من المواضيع ، ولكن الموت أعجله عن ذلك .

● ويقول ابن حجر (الباب إذا لم تُذْكَر له ترجمةٌ خاصةٌ يكون بمنزلة الفصل مما قبله مع تعلُّقه به ، كصنيع مؤلِّفي الفقهاء) (انظر « فتح الباري » ١/ ٧٠) . وبَسَط هذا الكلام الإمام ولي الله الدِّهْلَوي فقال : « قد يجمع في باب أحاديث كثيرة ، كلُّ واحدٍ منها يدل على الترجمة ، ثم يظهر له في حديثٍ واحدٍ فائدةٌ أخرى سوى الفائدة المترجَم عليها ويعلم على ذلك الحديث بعلامة : الباب . وليس غرضُه أنَّ الباب الأول قد انقضى بما فيه ، وجاء البابُ الآخر برأسه ، ولكن قوله (باب) هنالك بمنزلة ما يكتب أهل العلم على الفائدة المهمة لفظ : « تنبيه » أو لفظ : « فائدة » أو لفظ « وقف » (انظر : « شرح تراجم أبواب البخاري »

وأصبح ذلك شعاراً لهذا الكتاب يتميَّز به عن أقرانه الصحاح على جلالة قدرها وفخامة شأنها ، وأصبح مقياساً لِفِطْنَة العلماء ، وتوقُّدِ ذكائهم ، وسَيَلان ذهنِهم ، وبُعْد غَوْرِهم واقتدارهم على فهم هذا الكتاب الجليل ، وحَلِّ غوامضه ، وفَتْح أغلاقه ، والتَّوَصُّل إلى مقاصد المؤلِّف ، لا يشهد لمؤلِّفٍ أو مدرِّسٍ ببراعةٍ في العلم ، وتفوُّقٍ في التدريس ، وسَعَةِ اطلاعٍ على الشروح والحواشي ، وأقوال الأئمَّة والفُحُول من المحدِّثين ، وطول ممارسة لتدريس هذا الكتاب الشريف وإضناء القُوَى ، وإفناء العُمُر في ذلك حتى يجتمع له الشيءُ الكثير مِن هذا الباب ، وينفرد بتوجيهاتٍ وتعليلاتٍ تَنْحَلُّ بها الألغازُ ، وتتفتَّح بها الأقفالُ ، وتخلو عنها بطونُ الأسفار .

ولذلك عُنِيَ بهذا الموضوع العلماءُ قديماً وحديثاً ، وأجالوا فيه قِدَاحَهم ، وأرْكَضوا في هذا السِّبَاق جِيَادَهم ، واعْتَصَرُوا في ذلك عُقولَهم الراجحة ، وعلومَهم الراسخة ، ولا نعرف أديباً أو لغوياً تعمَّق في فهم بيتٍ من الأبيات ، ومعرفةِ معنى من المعاني الشعرية ، والوصول إلى غايةٍ من غايات الشعراءِ مثل تعمُّقِ شُرَّاح « الجامع الصحيح » والمشتغلين بتدريسه في فهم مقاصد المؤلِّف وشرح كلامه .

ولا نَعرِف ـ على طُول اشتغالنا بالتاريخ العلمي ـ مؤلَّفاً من مؤلَّفات العلماء أو الحكماء عُنِيَ به رجالُ ذلك الفَنِّ وعكفوا على حلِّ غوامضه ، وفَكِّ مشكلاته حتى شَقُّوا فيه الشعرةَ ، مثل ما عُنِيَ علماءُ الحديث بـ « الجامع الصحيح » ، وما ذلك إلا لإخلاصِ مؤلِّفه لعلم الحديث الشريف وانقطاعه إليه وجهاده في سبيله وتفانيه في ذلك[1] .

= ص : ٨) .

● وذكر الإمام ولي الله الدِّهْلَوي : أن البخاري ربما استعمل كلمة (باب) ليدل على أن حديثين جاءا بإسنادٍ واحدٍ ، وهذا كأنه قال : (وبهذا الإسناد) . (انظر : « شرح تراجم أبواب البخاري » ص : ٨) . استفدنا في هذا من كتاب « الحديث النبوي . . . » للدكتور الصباغ ، ص : ٣٠٣) .

(١) ومن أسبابه الظاهرة في ذلك كما يقول الإمامُ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله =

كما بيَّنا ذلك في تقديمنا(١) لمقدِّمة « لامع الدُّرَاري » وما ذلك إلا لشدة اعتناء الأمة الإسلامية بكلِّ ما يتصل بالحديث النبويِّ . ويتصل بالشخصية النبويَّة التي ضَمِنَ اللهُ لها برفع الذكر وتخليد الأثر ، وارتفاع المنار ، ولسان صدقٍ في العالمين، حتى تخطَّت هذه البركةُ ، وسَرَتْ إلى ما اتصل بها عن قريبٍ أو بعيدٍ فأدْرَكَتْ كلَّ من انخرط في سِلْكِ الرُّوَاة على مدى العصور والأجيال ، فرفعت عنه اللِّثامَ ، وأزالَتْ عنه لوثةَ النكارة ، أو وَصْمَةَ الجهالة ، فدُوِّن في كتب أسماء الرجال اسمُه واسمُ أبيه وذكرُ كثيرٍ من أخباره، وبحث عن نسبه ونسبته ، ودراسته ونشأته ، وأمانته وعدالته، حتى أصبح عَلَماً يُعْرَفُ ومعرفةً لا تُنْكَر(٢) وفاق في ذلك على كثيرٍ من المصلحين في أممٍ أخرى ، وكثيرٍ من العظماء والأبطال ومؤسِّسي الحكومكات حتى قال أحدُ المستشرقين الكبار ، وهو العالم الألْمَانيُّ المعروف بـ« إسْبَرَنْجَرْ »(٣) في مقدِّمته

= الدِّهْلوي ـ رحمه الله ـ : « إنَّ الإمام البخاري بَرَز بعد المئتَين والعلماء قد صنَّفوا في العلوم الدينية في الفنون المختلفة كالحديث والفقه والتفسير والسِّيَر والرجال والأصول والزهد والرقائق ، وغيرها، وهذه المصنَّفاتُ كانت بين عينيَه فجمع هذه العلومَ ما صَحَّ منها على شرطه في كتابه « الجامع » ليكون حُجَّة قاطعةً للمسلمين، وسمَّاه « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسُنَّتِه وأيامه » فصار هذا الكتابُ مرجعاً ومنتهى للعلوم الدينية وتلقته الأمة بالقبول الكامل »[ب].

(١) وقد قدَّم العلامة الندوي لسائر المصنَّفات في فنِّ الحديث للمحدِّث الجليل العلامة زكريا الكاندهلوي ـ رحمه الله ـ على طلبٍ منه كهذا التقديم على « الأبواب والتراجم للبخاري »، وتقديماته على « أوجز المسالك » و« الكوكب الدري » و« جزء حِجَّة الوداع وعُمرات النبي ﷺ » وغير ذلك من المصنَّفات.

(٢) فإنَّه قد دعا النبيُّ ﷺ لمن يحفظ كلامَه ويَعيه ويؤدِّيه إلى غيره فقال ﷺ: « نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالتي فحَفِظَها وَوَعَاها ، وأدَّاها كَمَا سَمِع ».

(٣) هو العالمُ الألماني المعروف الدكتور اسْبَرَنْجَرْ، كان موظَّفاً في ديوانٍ من دواوين المعارف في ولاية (البِنْغَال) بالهند عام ١٨٥٤م، وعمل كذلك أمين السِّرِّ للجمعية الآسيوية فيها. وقد عُني بتحقيق « كتاب المغازي » للواقدي. وطُبع بعنايته : « الإصابة في أصول الصحابة » للحافظ ابن حجر. وقد ادَّعى : أنَّه أولُ أوربيٍّ كتب في سيرة محمَّد ﷺ معتمداً في ذلك على المصادر العربية الأولى، ولم يعتمد في تأليفه إلا عليها، وفي الحقيقة : أنَّه لم يكتب هذا=

بالإنجليزية على كتاب « الإصَابة » المطبوع في (كَلْكَتَّه)[1] سنة ١٨٥٣ ـ ١٨٦٤م .

« لم تكن فيما مضى أمَّةٌ من الأمم السالفة ، كما أنه لا توجد الآن أمَّةٌ من الأمم المعاصرة أتَتْ في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر الذي يتناول أحوالَ خمسمئة ألف رجلٍ وشؤونهم »[2] .

لم يقتصر هذا البرُّ والرفد على الأولياء والمحبِّين من أمته والخادمين لدينه وعلمه ؛ بل تَعَدَّى ذلك إلى الأعداء الكاشحين ، والمناوئين لدينه فعُرِف به كثير من أعدائه الألدَّاء ممَّن طَوَتْهُمُ الجاهليةُ وَطمَسَتْهم الأيامُ فَبقِيَتْ أسماؤُهم ، وكثيرٌ من أخبارهم بفضل السِّيرة النبوية والحديث النبوي ، ولولاهما لذَهَبَتْ أخبارُهم أدراجَ الرِّياح وطارَتْ بأسمائهم العَنْقَاء ، فلا عجبَ إذا كان العصرُ الغابرُ والتاريخُ الماضي يتمثَّلان ببيت الشاعر العربي ويُخاطِبان هذه السَّحَابَةَ التي مَرَّتْ بهما فأفاضت عليهما الحياء والنَّمَاء وينشدان :

فاذْهَبْ كما ذَهَبَتْ غوادي مزنة ... أثنـى عليهـا السَّهْـلُ والأوْعَـارُ

ونعود إلى الحديث فنقول : وكان مظهراً من مظاهره هذه العناية الفائقة بهذا الكتاب الفَذِّ عناية العلماء بتراجم الأبواب في الجامع الصحيح فتناوله كلُّ من شَرَح هذا الكتابَ ، أو علَّق عليه ، أو عَكَف على تدريسه ، وأفرد بعضهم له تأليفاتٍ فات كثيراً من المؤلِّفين أسماؤُها شأنَ العلوم الأخرى ، ومِن المؤلَّفات التي حُفِظَتْ أسماؤُها ، وجاءت الإشارةُ إليها ، ثلاثة مؤلَّفات في هذا الموضوع ، ذكرها الكاتبُ الجَلَبيُّ المشهور باسم الحَاج خليفة (م١٠٦٧هـ) في كتابه الشهير « كشف الظُّنُون عن أسامي الكتب والفنون » وهي :

= الكتاب دفاعاً عن صاحب الرسالة ﷺ، بل كان متحاملاً عليه، ومخالفاً له شأن كثير من المستشرقين.

(١) هي عاصمة البنْغَال الغربي، وإحدى كبرى مُدُن الهند.

(٢) الرسالة المحمَّدية: للعلامة السيد سليمان الندوي تعريب: الأستاذ محمد ناظم الندوي، (ص: ٦٢)، طبع دار ابن كثير ـ دمشق.

١ ـ كتاب للإمام ناصر الدين علي بن محمَّد بن المنير الإسْكَنْدَارنيّ[١] سَمَّاه : « المتواري على تراجم البخاري »[٢] .

٢ ـ ترجمان التراجم : لأبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفِهْري البُسْتي[٣] ، قال الجلبي : وهو على أبواب الكتاب ولم يُكْمِله .

٣ ـ « حَلُّ أغراض البخاري المُبْهَمَة في الجمع بين الحديث والترجمة » وهي مئة ترجمة للفقيه أبي عبد الله محمد بن منصور ابن حَمَامة المِغْرَاوي السِّجْلُمَاسي المتوفى سنة ٣٧٠هـ[٤] ، وأضاف إلى هذه الكتب الثلاثة مسندُ الهند وأستاذ الأساتذة فيها الشيخ عبد العزيز بن وَليِّ الله الدِّهْلَوي كتاباً رابعاً في كتابه المفيد : « بستان المحدِّثين »[٥] وهو « تعليق المصابيح على أبواب الجامع الصحيح » لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عمر القُرشي المَخْزُومي الإسْكَنْدَراني الملقَّب ببَدْر الدين المعروف بالدَّمَامِيْنيّ[٦] المتوفى سنة ٨٢٨هـ .

---

(١) له شرحٌ على صحيح البخاري في عشر مجلَّدات سمَّاه « مصابيح الجامع »، كما في « كشف الظنون » [ب].

(٢) كشف الظنون : (ص٣٦٥).

(٣) هو عالمُ المغرب الحافظ العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفِهْري (٦٥٧ ـ ٧٢١هـ)، احتفل في صباه بالأدبيَّات حتى برع، ثم رحل إلى (فَاس) ، طلب الحديثَ وجهد فيه وتفقَّه، وأخذ الأصلين عن جماعةٍ، حَجَّ وجاوَرَ، ودخل مصرَ والشام سمع من ابن دقيق العيد وطبقته، توفي بفاس (**شذرات الذهب**: ٦/ ٥٦)، (**البدر الطالع**: ٢/ ٢٣٤) [ب].

(٤) لم نعثر على ترجمته.

(٥) وهو باللغة الفارسية، عرَّبه الباحثُ المحقِّق الأستاذ محمد أكرم النَّدْوي، ونُشرْ في أعداد مجلَّة « البعث الإسلامي » ـ الصادرة عن « ندوة العلماء » بلكنؤ (الهند) ـ، وطُبع أخيراً في « دار الغرب الإسلامي » بيروت.

(٦) هو الإمام محمد بن أبي بكر بن عمر المَخْزُومي القُرَشي المعروف ببَدْر الدين بن الدَّمَامِيني المالكي (٧٦٣ ـ ٨٢٨هـ): عالمٌ بالشريعة وفنون الأدب، وُلد في الإسكندرية واستوطن القاهرة، سمع من ابن المُلَقِّن والنُّوَيْريِّ وطبقتهما، درس في الأزهر ثم تَحَوَّل إلى دمشق، ثم=

هذا ما أُثِر عن المتقدِّمين والأئمَّة المحقِّقين في البلاد الإسلامية العربية ، ومن المعروف : أنَّ علماء الهند قد سَمَتْ هِمَّتُهم في خدمة علم الحديث ، وتفنَّنوا فيها كلَّ تَفَنُّنٍ ، فكانت لهم في كلِّ فَنٍّ من فنونه وغَرَضٍ من أغراضه جولةٌ ، وقد انتهت إليهم رئاسةُ علم الحديث ، والصدارة في تدريسه ونشرِه في العصر الأخير[(١)] فلا بُدَّ أن تكون لهم مؤلَّفاتٌ لم تصل إلينا أسماؤُها ، وجزى الله عنَّا وعنهم مؤلِّفُ كتاب « الثقافة الإسلامية في الهند »[(٢)] إذ حفظ لنا الشيءَ الكثيرَ من مؤلّفات علماء الهند في علم الحديث واستقصاها استقصاءً كبيراً ولكنَّه لم يذكر ممَّا أُلِّف في موضوع الأبواب والتراجم إلا رسالةً[(٣)] لشيخ مشايخ الهند وأستاذ الأساتذة وناشر علم الحديث في

= حَجَّ وعاد إلى مصر فولِّي قضاء المالكية ثم ترك ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زَبِيْدٍ ثم انتقل إلى الهند ومات في مدينة « كُلْبَرْكَه »، قال العلامة عبد الحي الحسني: « وله شرحٌ على صحيح البخاري سمَّاه: « مصابيح الجامع » أوله: « الحمد لله الذي في خدمة السُّنة النبوية أعظم سيادة، ذكر فيه أنه ألَّفه للسلطان أحمد شاه المذكور، وعلَّق على أبواب منه ومواضيع يحتوي على غريبٍ وإعرابٍ وبنية، وقد دخل ابنُ الدماميني مدينة « أحمد آباد » سنة ٨٢٠هـ، ولا بُدَّ أن يكون هذا الكتابُ قد أُلِّف بين سنتي ٨٣٠هـ و٨٣٨هـ » . (**نزهة الخواطر**: ٣/ ٩٥)، (**شذرات الذهب**: ٧/ ١٨١)، (**الضوء اللامع**: ٧/ ١٨٤)، (**البدر الطالع**: ٢/ ١٥٠) (**الأعلام**: ج/ ٦، ص/ ٥٧) [ب].

(١) ومن أجَلِّ حاملي لوائه الإمام علاء الدين علي المُتَّقي بن حسام الدين الهندي البُرْهَانْفُوْري صاحب « كَنْز العُمَّال » (م٩٧٥هـ) وتلميذُه النابغ العلامة محمد بن طاهر بن علي الفِتَني صاحب « مجمع بحار الأنوار »، (م٩٨٦هـ) والعلامة عبد الحق بن سيف الدين البخاري الدِّهْلَوي (م١٠٥٠هـ)، والشيخ أبو الحسن السِّنْدي الكبير صاحب الحواشي الستة على الصحاح الستة (م١١٣٨هـ) والإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بوَلِيِّ الله الدِّهْلَوي مُسْند الهند (م١١٧٦هـ)، والعلامة عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (م١٢٣٩هـ)، والشيخ محمد إسحاق (م١٢٦٢هـ) والشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي (م١٢٩٦هـ)، وغيرهم من المحدِّثين والمصنفين الكبار [ب].

(٢) هو العلامة المؤرِّخ الشيخ عبد الحي الحسني رحمه الله، انظر ترجمته في أول مقدمة « روائع الأعلاق شرح تهذيب الأخلاق » .

(٣) طَبَعتْهما دائرةُ المعارف العثمانية بحيدر آباد (دَكَنْ) سنة ١٣٢٣هـ، باسم « شرح تراجم صحيح البخاري »، وهي تقع في (١٢٩) صفحة بالقطع المتوسِّط.

هذه الديار : الإمام وَليّ الله بن عبد الرحيم الدِّهْلوي (المتوفى سنة ١١٧٦هـ) ، وهي رسالةٌ وجيزةُ المباني غزيرةُ المعاني تكاد تكون كلُّها أصولاً كليةً ونُكَتاً حكميةً ، واللُبَّ اللُّباب في فهم التراجم والأبواب ، شأنُه في كلِّ موضوعٍ يتطرَّقه وبحثٍ يتناوله ، ومن المرجَّح : أن مؤلِّفُ الثقافة لم يطلع على رسالة العلامة الشيخ محمود حسن الدِّيُوْبَنْدي[١] المعروف « بشيخ الهند » فإنما طُبِعَتْ بعد وفاة مؤلِّف « الثقافة . . »[٢] .

هذا جلُّ ما انتهى إلينا مِن أخبار الكتب والرسائل في موضوع الأبواب والتراجم للبخاري في الماضي[٣] .

وسِرُّ الغموض في هذه الأبواب والتراجم تَنَوُّعُ[٤] مقاصد المؤلِّف الإمام ، وبُعْدِ

---

(١) هو الشيخُ العلامة المحدِّث محمود حسن بن ذي الفقار علي الحنفي الدِّيُوْبَنْدي (١٢٦٨ - ١٣٣٩هـ)، وُلد في « بَرِيْلي » ونشأ بـ « دِيُوْبَند »، وقرأ على عدَّة أساتذة ولا سيَّما العلامة محمد قاسم النَانُوْتَوِي، وانتفع به كثيراً حتى برع في العلوم، ووُلِّي التدريس بـ « ديوبند » ثم رأس التدريسَ بها، ونفع الله به في هذه الفترة نفعاً عظيماً.
كان قد وضع خطةَ لتحرير الهند من حكم الإنجليز، وسافر إلى الحجاز وقابل حكماءَ التُّرك، وحاول ولكن اكتشفت الحكومةُ الإنجليزية هذه الخطةَ وألقت القبض عليه، ومكث في السِّجن ثلاث سنين عاكفاً على العبادة والإفادة ثم وصل إلى الوطن مكرَّماً مبجَّلاً، وقد مالت إليه القلوبُ وتقاطر الناسُ لاستقباله وزيارته، وقد أضناه الأسر ووهنت قواه ولكنه ما دام مشتغلاً بعمله حتى وافاه الأجلُ.
كان دائمَ الابتهال، سليم الصدر، جيِّد الثقة، والمشاركة في العلوم، عالي الهمة بعيد النظر، قليل الاشتغال بالتأليف بالنسبة إلى غزارة علمه وكثرة دروسه .

(٢) والكتاب يقع في (٧٢) صفحة وهو في اللغة الأردية، وفي آخره نحو أربع صفحات بالعربية، وهو بمذكِّرات معلِّمٍ أشبه منه بكتابٍ مستقلٍّ، طبع في مطبعة « الأمان » في نكَينه، بَجْنُوْر [ب].

(٣) ذكر صاحبُ المقال كتابَ العلامة محمد زكريا الكَانْدَهْلَوِي في نهاية مقاله بشيء من البسط والتفصيل.

(٤) ظَنَّ بعضُ الناس بجملة : « أنَّ فقه البخاري في تراجمه » : أنَّ الإمام خَصَّ التراجمَ في كتابه للمسائل الفقهية . ولكن الحقيقة : أنَّ الفقه هنا ليس له معنى اصطلاحيٌّ خاصٌّ، بل هو يَدُلُّ=

مراميه ، وفَرْطِ ذكائه ، وحِدَّة ذهنه ، وتعمُّقه في فهم الحديث ، وحرصه على الاستفادة والإفادة منه أكبر استفادةٍ مُمكِنَةٍ ، فهو كنحلةٍ حريصةٍ توّاقَةٍ تجتهد أن تتشرَّب من الزهرةِ آخرَ قطرةٍ من الرَّحِيْق ، ثم تحوِّلها إلى عسلٍ مصفًّى فيه شفاءٌ للناس .

وشأنُ الإمام البخاري مع الحديث النبويِّ الصحيح شأنَ العاشقِ الصادق ، والمُحِبِّ الوامق مع الحبيب الذي أسبغ اللهُ عليه نعمةَ الجمال والكمال ، وكَسَاه ثوباً من الروعة والجلال ، فهو لا يكاد يملأ عينيه منه وهو كلَّما نَظَر إليه اكتشف جديداً من آيات جماله ، فازداد افتتاناً وهُيَاماً ، ورأى جماله يتجدَّد في كلِّ حينٍ ، وإذا الوجهُ غيرَ الوجهِ ، والجمالُ غير الجمالِ ، فلا قديمَ في الحُبِّ ولا إعادةَ عند المُحِبِّ ، وصدق الشاعر :

يَزِيْدكَ وَجْهَهُ حُسْناً   إذا ما زِدْتَه نَظَرا

ولذلك نرى الإمامَ البخاري لا يكاد يشبع من استخراج المسائل ، واستنباط الفوائد ، والنزول إلى أعماق الحديث ، والتقاط الدُّرَرِ منه ، والخروج على قرائه بها حتى يذكر حديثاً واحداً أكثر من عشرين مرَّةٍ .

ورَوَى حديثَ بَرِيْرَة عن عائشة أكثر من أربع وعشرين مرَّةً ، واستخرج أحكاماً وفوائدَ جديدةً .

= على الدِّقَّة في العلوم والتضلُّع والبصيرة فيها كما هو معناه في دعاء النبيِّ ﷺ لعبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ « اللهم فقِّهْهُ في الدين » . [أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حال . . » برقم (١٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما] .

فهذه الأبوابُ والتراجم ـ التي كتبها الإمامُ في روضة النبيِّ ﷺ بين قبره ومنبره ـ على صاحبهما الصلاة والسلام ـ لها مقاصدُ متنوِّعةٌ تَدُلُّ على تضلُّعِ الإمام ودِقَّته في العلوم، فربَّما يستخرج منها المسائلَ الفقهية، وربما يشير بها إلى المسائل الكلامية، وربما يبيِّن طريقَ الجمع بين الأحاديث ، وربما يريد التوجيهَ إلى أمورٍ لم يصل إليها الآخرون وهكذا ، وبهذا التنوُّعِ وقع الاختلافُ بين أفهام العلماء ومقاصد المؤلِّفُ الإمام في تراجمه [ب].

ورَوَى حديثَ جابر قال : « كنتُ مع النَّبيِّ ﷺ في غزوة فأبطأ بي جملي وأعيا . . . الحديث » أكثر من عشرين مرة .

ورَوَى حديثَ عائشة : « أنَّ النبي ﷺ ، اشترى طعاماً من يهوديٍّ إلى أجَلٍ ورهنه درعاً من حديدٍ » في أحد عشر موضعاً ، وعقد له أبواباً وترجم لها(١) .

ورَوَى (قصَّةَ موسى والخضر) في أكثرِ من عشرة مواضع .

وأخرج حديثَ كعب بن مالك في تخلُّفه عن غزوة تَبُوْك في أكثر من عشرة مواضع ، وفوائده أكثر من خمسين .

ورَوَى حديثَ أسماء في كسوف الشمس وخطبتِه ﷺ في عشرة مواضع .

ورَوَى حديث : « إنَّ من الشجرة لشجرةٌ لا يسقط ورقُها » (الحديث) واستخرج منه فوائدَ جديدةً(٢) .

فكأنَّه تأخذه النَّشْوَةُ والطربُ عند رواية الحديث فلا يَملُّ من إعادته وينشد بلسان الحال :

أعِدْ ذكرَ نَعمان لنا إنَّ ذِكْرَه ... هو المِسْكُ ما كرَّرته يتضوَّع

وكأنه يتمثَّل ببيت الشاعر :

وحدَّثتنا يا سعد عنهم فزِدْتنا ... شجوناً فزِدْنا من حديثك يا سعد

ثم يشتعل ذكاؤُه ـ الذي ضرب فيه بسهمٍ وافرٍ ـ ويتوقَّد ذهنه وتسيل قريحته ، فيفلت زمام التأليف ويُرسِل النفسَ على سَجِيَّتها ، ويستخرج من حديث واحد نتائج وفوائد لا تدور بخلد كثيرٍ من الأذكياء ، وما ذلك إلا لحِدَّة ذهنه وإفراط حبّه . ولم يزل المُحِبُّ مُلْهماً للبدائع ملهباً للقرائح ، والمُحِبُّ يقع على ما لا يقع عليه المتأمِّل المرهق لجسمه المتعب لعقله .

---

(١) عمدة القاري : للعلامة العيني (٥/ ٤١٥).

(٢) انظر : هذه الإحصائيات في كتاب « دليل القاري إلى مواضع الحديث في صحيح البخاري » وضعه الشيخُ عبد الله بن محمد الغُنَيْمان، وطبع بالمدينة المنورة ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ[ب].

وسِرٌّ آخر للغُموض في تراجم الأبواب : أنَّ المؤلف الإمام غيرُ خاضعٍ للأساليب التأليفية والقوانين الوضعية ، التي جرى عليها المؤلِّفون في فنِّ الحديث في عصره وبعد عصره ، بل هو واضعُ طريقةٍ خاصَّةٍ في التأليف ، وإمامُ مذهبٍ خاصٍّ ، وهو لم يقتصر على ما يتبادَرُ إليه الذهنُ من الأحكام الفقهيَّة المستخرجَة من الأحاديث شأنَ أقرانه ومن سبقه من المؤلِّفين في علم الحديث والفقه ، بل يستخرج من الأحاديث فوائدَ علميةً وعمليةً لا تدخل تحت باب من أبواب الفقه المعروفة .

وقد أحْسَنَ الإشارةَ إلى ذلك أكبرُ شُرَّاح كتابه وأعرفهم بمراده العلامة الحافظ ابن حجر العَسْقلاني في مقدِّمة كتابه الفريد : (فتح الباري) فقال :

« ثم رأى ألا يخلِّيه من الفوائد الفقهيَّة والنُّكَتِ الحكمية ، فاستخرج بفهمه من المُتون معانيَ كثيرة فرَّقها في أبواب الكتاب بحسب تناسُبها ، واعتنى فيه بآيات الأحكام ، فانتزع منها الدلالات البديعة ، وسَلَكَ في الإشارة إلى تفسيرها السُّبُلَ الوسيعة ، قال الشيخ محيي الدين نفع الله به : لعلَّه مقصودُ البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط ؛ بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها ، ولهذا المعنى أخلى كثيراً من الأبواب عن إسناد الحديث واقتصر على قوله فيه : فلانٌ عن النبيِّ ﷺ ، أو نحو ذلك ، وقد يذكر المتنَ بغير إسنادٍ ، وقد يُورِدِه معلَّقاً ، وإنما يفعل هذا : لأنَّه أراد الاحتجاجَ للمسألة التي تَرْجَمَ لها وأشارَ إلى الحديث لكونه معلوماً ، وقد يكون ممَّا تقدم وربما تقدَّم قريباً ، ويقع في كثيرٍ من أبوابه الأحاديث الكثيرة وفي بعضها ما فيه حديثٌ واحدٌ ، وفي بعضها ما فيه آيةٌ من كتاب الله ، وبعضها لا شيءَ فيه البتَّة ، وقد ادَّعى بعضُهم أنه صنع ذلك عمداً ، وغرضُه أن يبيِّن : أنه لم يثبت عنده حديثٌ بشرطه في المعنى الذي تَرْجَم عليه ، ومن ثمَّة وقع في بعضٍ من نسخ الكتاب ضَمّ باب لم يذكر فيه حديثٌ إلى حديثٍ ، لم يذكر فيه بابٌ فأشكل فهمه على الناظر فيه[١] .

وقد زاد على ذلك شيخُ الإسلام ولي الله الدِّهْلَوي فأحَسَن وأجادَ ، وأوْضَحَ

---

(١) مقدمة « فتح الباري » : ص : ٦ .

التفاوُتَ الواقعَ بين أفهام العلماء ومقاصد المؤلِّف الإمام ، وكأنَّه يقول بلسان الشاعر :

نزلوا بمكَّةَ في قبائلَ هاشم   ونزلتُ بالبَيْدَاءَ أبعَدَ منزِلِ

قال رحمه الله : « وكثيراً ما يستخرج الآداب المفهومة بالعقل ، بالكتاب والسنَّة والعادات الكائنة في زمانه ﷺ ، ومثل هذا لا يُدرِك حسنَه إلا مَن مارس كتبَ الآداب ، وأجال عقلَه في ميدان آداب قومه ، ثم طلب لها أصلاً من السنَّة »[(١)] .

ومَن أكْثَرَ قراءةَ « الجامع الصحيح » درساً وتدريساً وأمْعَنَ النظرَ فيه شهد بصدق شيخ الإسلام فيما قاله ، وإصابته الصميم ، ووجد شيئاً كثيراً ممَّا يتأدَّب به ويتخلَّق بأخلاق الرسول ﷺ وعادات الصحابة منثوراً في ثنايا هذا الكتاب العظيم ، حتى يستطيع أن يستخرج منه كتاباً آخر ، ويسمِّيه « الأدب المفرد »[(٢)] أو بما شاء ، وقد يستهين المختصُّ بالفقه والحديث بقيمة هذه الثروة العظيمة ، وقد يلتوي عليه فهمُها ، وحكمة وضعِها في هذا الكتاب الذي أفرد لجمع الأحاديث الصحيحة على شروط الإمام البخاري ، ولكن نظر المُحِبِّ يختلف عن نظر غيره ، وقد أراد الإمامُ البخاري أن يكون هذا الكتابُ نِبْرَاساً للسَّاري ، وصورةً لِمَا كان عليه الصحابةُ والمسلمون في عصرِ النبوَّة .

والسَّبَبُ الثاني لتعقُّد بعض ما أورده في هذا الكتاب من الأبواب والتراجم والتوائها على فهمِ كثيرٍ من الشرَّاح والمدرِّسين ، حتى قال الكَرْمَانيُّ[(٣)] :

---

(١) « شرح تراجم أبواب صحيح البخاري »، ص٥، طبع حيدر آباد ١٣٢٣هـ.

(٢) هذه إشارةٌ إلى كتاب المؤلِّف الإمام الآخر « الأدب المفرد »، وقد تأخَّر طبعُه، وما اعتُنِي به كما كان حقُّه، وعليه شرحٌ واحدٌ للشيخ الفاضل فضل الله بن أحمد علي بن العارف الكبير العلامة الشيخ محمد علي المُوْنكِيْرِي (مؤسِّس ندوة العلماء) سمَّاه : « فضل الله الصَّمد في شرح الأدب المفرد ».

(٣) هو العلامةُ المحدِّث الكبير محمد بن يوسف بن علي سعيد، شمس الدين الكَرْمَانيّ (٧١٧ ـ ٧٨٦هـ)، أصله من « كَرْمَان »، أخذ عن أبيه بهاء الدين وجماعةٍ ببلدته، ثم ارتحل إلى « شِيْراز » فأخذ عن القاضي عضد الدين ولازمه اثنتي عشرة سنة، قال ابنُ حَجِّي: تَصَدَّى=

« إنَّ هذا قسم عجز عنه الفحولُ البوازل من الأعصار ، والعلماء الأفاضل من الأمصار فتركوها بأعذار » .

هو عَدَمُ اطلاعِ أكثرهم على ما كان يسود في عصره من آراء وأقوال يشتد حولهاالخِصامُ ، ويكثر فيه القيلُ والقالُ ، وما ذهب إليه بعضُ معاصريه ومن تقدَّمه بقليلٍ من مذاهب ، فإنه يعقد باباً ويأتي بترجمةٍ وما قصده من ذلك إلا نقض ما انتشر في الناس ، وجرى عليه العامَّةُ أو نُقِلَ عن عالمٍ وهو عنده مخالفٌ للحديث وما ثبت من السنَّة ، فهو يُوْدِي بذلك أو ينظر إليه من طرفٍ خفيٍّ ، ولا يستملح ذلك ولا يفهم سِرَّ إيراده له إلا من اتسع علمُه ، وأحاط بأكثر ما كان يوجد في عصره من الأخلاق والعادات والأقوال والآراء ، وكذلك اطَّلع على كتب معاصريه أو من سبقه بقليل كـ « مصنَّف عبد الرزاق »[1] و« مصنف ابن أبي شَيْبَة » وغيرِهما .

وقد أشار إلى هذه النكتة الشيخُ ولي الله الدِّهْلَوِيُّ في بعض مباحثه في كتابه المتقدِّم ذكره ؛ إذ قال :

« وأكثر ذلك تعقُّباتٌ وتبكيتات على عبد الرَّزاق وابن أبي شيبة في تراجم مصنَّفيهما ؛ إذ شواهد الآثار تُروى عن الصحابة والتابعين في مصنَّفيهما ، ومثل

= لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة، وأقام مُدَّةً بمكَّة وفيها فرغ من تأليف كتابه « الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري » خمسة وعشرون جزءاً صغيراً، وله غيرُ ذلك من التصانيف، سمع منه جماعةٌ منهم: القاضي محب الدين البغدادي وغيرُه، مات راجعاً من الحَجّ في طريقه إلى « بغداد » ودُفِنَ فيها . (**الدرر الكامنة**: ٤/ ٣١٠)، (**الأعلام**: ٨/ ٢٧)، [ب].

(١) هو العلامة المحدِّث الحافظ عبد الرَّزَّاق بن هَمَّام بن نافع الحِمْيَري أبو بكر الصَّنْعاني (١٢٦ ـ ٢١١هـ): من حُفَّاظ الحديث الثقات، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديثٍ، روى عن مَعْمر، وابنِ جُرَيْجٍ، والأوزاعي، والثَّوْري، وروى عنه أحمدُ بن حنبل وإسحاقُ وغيرهما، قال الذهبيُّ ـ رحمه الله ـ: « كان ـ رحمه الله ـ من أوعية العلم، له كتب أشهرها مصنَّفه في الحديث جمع فيه الأحاديث المرفوعة وآثار الصحابة والتابعين . (**تهذيب التهذيب** ٦/ ٢١٠)، (**وفيات**؛ ١/ ٣٠٣)، (**ميزان**: ٢/ ١٢٦)، (**شذرات**: ٢/ ٢٧)، (**تذكرة الحفاظ**: ١/ ٣٦٤)، (**الأعلام**: ٣/ ٣٥٣)، [ب].

هذا لا ينتفع به إلا من مارس الكتابَين واطّلع على ما فيهما »[١] .

وسَبَبٌ آخر لهذا الغُموض والتعقُّدِ ، هو عجزُ العلماء والشُّرَّاح عن حَلِّه ومعاناتهم في ذلك الشِّدَّة والمشقَّة حتى التجأ كثيرٌ منهم إلى تأويلاتٍ وتكلُّفاتٍ لا يسيغها الذوقُ السليمُ ، حتى قال الباجيُّ[٢] :

« وإنَّما أوردتُ هذا هاهنا لما عُنِيَ به أهلُ بلدنا من طلب معنى يجمع بين الترجمة والحديث الذي يليها ، وتكلُّفهم في ذلك من تعسُّفِ التأويل ما لا يسوغ » هو أنَّ الكتاب لم يزل في دور التنقيح والتهذيب والحذف والزيادة ، شأنَ الكتب التي يُعنى بها أصحابُها أشدَّ عنايةٍ ، ويَصُبُّون فيها علمَهم ، ويعتبرونها عمدةَ بضاعتهم ، ورأسَ مالِهم وزادهم في الآخرة ، وشأن العلماء الذين لا يزال عقلُهم في نبوغٍ وعلمهم في نُمُوٍّ ، فلا يزال عقلُهم مشغولاً بهذا الكتاب ، ولا يزال قلمهم يتناوله بالتحسين والتحبير ، وحياةُ الإمام البخاري لم يكن فيها هدوءٌ واستقرارٌ ، بل كان ينتقل من بلدٍ إلى بلدٍ ، ومن محنةٍ إلى محنةٍ ، ومن جفاءٍ إلى جفاءٍ حتى لقي ربَّه[٣] .

---

(١) رسالة شرح التراجم للإمام ولي الله الدهلوي: ص(٥).

(٢) هو الحافظُ العلامة سليمان بن خلف بن سعيد التَّجِيْبي القُرْطُبي أبو الوليد الباجي (٤٠٣-٤٧٤هـ)، فقيهٌ مالكيٌّ كبيرٌ من رجال الحديث، أصله من (بَطَلْيُوْس) ومولده في (بَاجَة) بالأندلس، رحل إلى الحجاز فمكث ثلاثة أعوام وسافر إلى (بغداد) و(الموصل) و(دمشق) و(حلب)، ثم ولِّي القضاء في بعض أنحاء (الأندلس) روى عنه الخطيبُ وابنُ عبد البَرّ وخلقٌ سواهما، له كتبٌ أشهرها: « المنتقى في شرح الموطَّأ »، و« شرح المدوَّنة »، توفي بـ(المرية)، (**تذكرة الحفاظ**: ٣/ ١١٧٨)، (**وفيات**: ١/ ٢١٥)، (**شذرات**: ٣/ ٣٤٤)، (**الأعلام**: ٣/ ١٢٥). [ب].

(٣) وقد امتُحنَ الإمامُ البخاري في آخر عُمرِه بمسألةِ اللفظِ بالقرآنِ، فإنَّهُ قال: « أفعالُ العبادِ مخلوقةٌ ». فنسبَهُ محمدُ بن يحيى الذُّهْليُّ إلى القولِ بأنَّ اللفظَ بالقرآنِ مخلوقٌ، وأمرَ بهَجْرِه، وضَيَّقَ عليه، فخَرَجَ البخاريُّ من نَيْسابورَ إلى بُخارى، فكتبَ محمد بن يحيى إلى والي بخارى في أمره، فنفاهُ من بخارى ! فشغبَ الناسُ على البخاريِّ وانفضُّوا عنه، وخشيَ البخاريُّ على نفسه فتركَ مدينةَ نيسابور ـ وكان استقرَّ بها زمناً ـ فذهبَ إلى بلدته بُخَارى، =

ويَدُلُّ على ذلك ما نقله الإمام أبو الوليد الباجِي المالِكيُّ في مقدِّمة كتابه في أسماء رجال البخاري ، فقال : أخبرني الحافظُ أبو ذر عبد الرحيم بن أحمد الهَرَوي[١] ، قال : حدَّثنا الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المُسْتَملي[٢] قال : انتسختُ كتابَ البخـاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفِرَبْـري[٣] فرأيتُ فيه أشياءَ لم تتم وأشياء مبيَّضة ، منها تراجمُ لم يثبت بعدها شيئاً ، وفيها أحاديث لم يُترجِم لها فأضفنا بعضَ ذلك . قال الباجيُّ : وممَّا يَدُلُّ على صِحَّة هـذا القـول : أنَّ روايـة أبـي إسحـاق المُسْتَملي وروايـةَ أبـي محمـد

= حيث استُقْبِلَ أحسنَ استقبال، ولكنه لم يلبث أن اضْطُرَّ للخروجِ منها، فذهبَ إلى بِيْكَنْد، ثم اتَّجه إلى مدينةِ سَمْرَقَنْد، ولكنه مَرِضَ في الطريقِ فلبثَ عند أقربائه بقرية خَرْتَنك، حيث انتقل إلى جوار ربه راضياً مرضياً، (انظر « شرح علل الترمذي » لابن رجب الحنبلي، بتحقيق الأستاذ الدكتور نور الدين عِتْر، (١/ ٢٢٦/ ٢٢٧).

ومسألة الكلام وخلقِ القرآن مسألةٌ دقيقةٌ خطيرةٌ ، أثَّرت على الفكر الإسلامي تأثيراً كبيراً ، وأثارت خلافاً اتسعت فيه الشقةُ جدّاً ، يرجع لاستيفاء هذا البحث إلى تعليقات المحدِّث الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابيه « الرفع والتكميل في الجرح والتعديل » ، و« قواعد في علوم الحديث » .

(١) هو الإمام العلامة الحافظ أبو ذَرّ عبد الرحيم بن أحمد الأنصاري المالكي، ابن السَّمَّاك شيخ الحرم الهَرَوي (٣٥٥ ـ ٤٣٤هـ)، سمع أبا إسحاق المُسْتَملي، والدَّارَقُطْني، وأبا الهيثم الكَشْمَيْهَني، وروى عنه أبو الوليد الباجي والخطيب البغدادي وغيرهما، كان ثقةً ضابطاً زاهداً ورعاً، جاور ثم تزوَّج في الحجاز وسكن السروات، فكان يحجُّ كلَّ عام، له مصنَّفات . (**تذكرة الحفاظ** : ٣/ ١١٠٣)[ب].

(٢) هو الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم البَلْخي المعروف بالمُسْتَملي، محدِّثٌ ثقةٌ له « معجم الشيوخ »، توفي سنة ٣٧٦هـ، (شذرات: ٣/ ٨٦)، (الأعلام: ١/ ٢٣) [ب].

(٣) هو الحافظ محمَّد بن يوسف بن قطر أبو عبد الله الفِرَبْري (٢٣١ ـ ٣٢٠هـ)، أوثقُ من روى صحيحَ البخاري عن مصنِّفه وأشهرهم، سمعه منه مرَّتين: الأولى: سنة ٢٤٨هـ، والثانية: سنة ٢٥٢هـ. ورواه عنه كثيرون نسبته إلى « فِرَبْر » من بلاد « بخارى »، توفيَّ في شوال (شذرات: ٢/ ٢٨٦)، و(الأعلام: ٧/ ١٤٨)[ب].

السَّرَخْسِي[1] ، ورواية أبي الهيثم الكَشْمَيْهَنِيّ[2] . ورواية أبي زيد المَرْوَزِيّ[3] مختلفةٌ بالتقديم والتأخير ، مع أنهم انتسخوا من أصلٍ واحدٍ ، وإنما ذلك بحسب ما قدَّر كلُّ واحدٍ منهم فيما كان في طُرَّةٍ أو رُقْعةٍ مضافةٍ : أنه من موضعٍ ما ، فأضافه إليه ، ويبيِّن ذلك : أنك تجد ترجمتَين وأكثر من ذلك متصلةً ليس بينها أحاديثُ[4] .

وأيَّده العلامةُ الحافظ ابن حجر صاحب « فتح الباري » ، فقال : « وهذه قاعدةٌ حسنةٌ يفزع إليها حيث يتعسَّر وجهُ الجمع بين الترجمة والحديث وهي مواضع قليلةٌ جداً[5] .

وعلى كلٍّ فهذه بعضُ أسباب لتعقُّد الأبواب والتراجم في هذا الكتاب الذي اعتنت به الأمَّةُ أشدَّ اعتناءٍ بعد كتاب الله ، وصلت إليها دراسةٌ قاصرةٌ لمن لم يكن صاحبَ اختصاصٍ في فنِّ الحديث ، وقد يكون أكثرَ من ذلك ، ولا آخر في عالم العلم والتأمُّل والبحث ، وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم .

---

(١) الإمام المحدِّث الصدوق المسند أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حَمُّوْيَهْ السَّرَخْسِي (٢٩٣ - ٣٨١هـ)، سمع الصحيحَ في سنة ٣١٦ من الفِرَبْرِي، حدَّث عنه الهَرَوِيُّ وغيره، قال: قرأتُ عليه وهو ثقةٌ صاحب أصول حسان. (**سير أعلام النبلاء**: ١٦/ ٤٩٢)، (**شذرات الذهب**: ٣/ ٨٦)[ب].

(٢) المحدِّثُ الثقة أبو الهيثم محمد بن مَكِّي بن محمد الكَشْمَيْهَنِيّ، حدَّث صحيحَ البخاري مرَّاتٍ عن الفِرَبْرِي، وحدَّث عن غيره، وأخذ عنه أبو ذر الهَرَوِي وآخرون، توفي في سنة (٣٨٩هـ) . (**سير أعلام النبلاء**: ١٦/ ٤٩١) (**شذرات**: ٣/ ١٣٦)[ب].

(٣) هو الشيخ الإمام المفتي القُدْوة الزاهد أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله المَرْوَزي، (٣٠١ - ٣٧١هـ) سمع الصحيحَ من الفِرَبْرِي، وأخذ عنه وعن غيره، حدَّث عنه الحاكمُ والدَّارَقُطْنيُّ وآخرون، قال الحاكم: « كان أحدُ أئمَّة المسلمين » . (**سير أعلام النبلاء**: ١٦/ ٣١٤)، (**شذرات الذهب**: ٣/ ٧٦)، (**البداية والنهاية**: ١١/ ٢٩٩) (**تاريخ بغداد** ١/ ٣١٤) [ب]. .

(٤) مقدمة فتح الباري: (ص٦).

(٥) مقدمة فتح الباري: (ص٦).

ولم يزل الموضوعُ غضّاً طريّاً يطرقه كلُّ باحثٍ في علم الحديث ، وكلُّ دارسٍ ومدرِّسٍ للجامع الصحيح ، وكان الموضوعُ في حاجةٍ ـ بعد ضياع كتب المتقدِّمين الأربعة التي تقدَّم ذكرُها ـ إلى كتابٍ أكمل وأشمل وأجمع وأوعى ، فجاء هذا الكتابُ[1] ـ والحمد لله ـ وافياً بالغرض ، مُسْعِفاً بالحاجة لصدق قول الأوَّلين : (كم تَرَكَ الأوَّلُ للآخر) وكان المؤلِّف ـ رحمه الله ـ قد ذكَّر في كتابه : « مقدِّمة كتاب لامع الدَّرَاري » بكلٍّ من أصول الشيخ الإمام وَليِّ الله الدِّهْلَوي ، والقواعد الكُلِّيَّة للتطبيق بين الأبواب والتراجم ، وأبواب لا ترجمةَ لها ، وكذلك كلُّ ما جاء في رسالة الشيخ العلامة محمود حسن الدِّيُوْبَنْدي ما وجد من فوائد في دروس الشيخ الكبير مولانا رشيد أحمد الكَنْكُوهي ، وكذلك كل ما وجده من أصول وقواعد في كلام الحافظ ابن حجر والقَسْطَلاَّني[2] ، والحافظ العَيْنِيّ فاستوعَبَها وزاد عليها ممَّا كان خاطرُه أبا عُذْرِه ، ولم يسبق إليه حتى بلغ عددُ هذه الأصول الكلِّيَّة إلى سبعين أصلاً وقاعدةً فاحتوى على علمٍ غزيرٍ لم نجده في كتابٍ واحدٍ ـ والغيب عند الله ـ فاقترحتُ على المؤلِّف كما اقترح كثيرٌ من تلاميذه تجريدَ هذا الجزء وطبعه ككتابٍ مستقلٍّ فقبل هذا الاقتراحَ مشكوراً مُحْسناً إلى المشتغلين بتدريس هذا الكتاب العظيم بصفةٍ خاصَّةٍ والخادمين لعلم الحديث بصفةٍ عامَّةٍ مستحقاً ثناءَهم وتقديرهم ودعواتهم الصالحة ، وما عند الله أوفى وأبقى وأعظم وأجل .

وكان قد تناول كلَّ كتابٍ من كتب الجامع الصحيح ، وتكلَّم على أبوابها

---

(١) أَلَّفه العلامة المحدِّث الجليل الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوي ـ رحمه الله ـ، وسمَّاه: « الأبواب التراجم للبخاري » .

(٢) هو الإمامُ العلامة الحُجَّة المحدِّث الفقيه: الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد القَسْطَلاَّني المصري الشافعي (٨٥١ ـ ٩٢٣هـ)، أخذ عن خالد الأزهري والجلال البَكْري وغيرهما، قرأ صحيحَ البخاري في خمسة مجالس على الشَّاوي، حَجَّ غير مرَّةٍ، وله مصنَّفات، أشهرها: شرحه على صحيح البخاري سمَّاه: « إرشاد السَّاري » يقول الحَضْرميُّ في « النور السافر »: وبالجملة فإنه كان حافظاً مُتْقناً، جليل القدر، حسن التقرير والتحرير، لطيف الإشارة بليغ العبارة، حسن الجمع والتأليف، لطيف الترتيب والتوصيف، توفِّي بالقاهرة . (شذرات الذهب: ٨/ ١٢١) [ب]. .

وتراجمها باباً باباً وترجمةً ترجمةً ، فجاء الكتابُ سِفْراً ضخماً قد يقع في عِدَّة أجزاء ، وأصبح الكتابُ موسوعةً أو دائرةَ معارفٍ بالتعبير الحديث في كلِّ ما يتصل بالأبواب والتراجم في « الجامع الصحيح » للبخاري مُغْنياً عن غيره ، وبذلك أغنى طلبةَ علم الحديث ومدرِّسيه عن تتبُّع هذا الموضوع في كلِّ كتابٍ ، والتقاطِ الدُّرَرِ من كلِّ بحرٍ ووفَّر عليهم وقتاً طويلاً وعَنَاءً كبيراً ، ولا يعرف قيمةَ هذا الكتاب وما فَتَح الله به على مؤلِّفه الرأيَ السديدَ ، والقولَ الصوابَ وما أتى به فيه من لُبَاب النقول ، وصَفْوة الأقوال ، ومحصول العقول والألباب إلا من مارَسَ هذه الصناعةَ ، واشتغل بتدريس الكتاب مُدَّةً طويلةً ، ولقي الجهدَ والعناءَ في حَلِّ غَوَامضه ، وفَكِّ مشكلاته وقد قال القائلُ :

إنَّمـا يَعْـرِفُ ذا الفضـ ـل مـن النَّـاسِ ذَوُوْه

وندعو اللهَ أن ينفع بهذا الكتاب طَلَبَة العلم ، وأساتذة الحديث كسائر مؤلَّفاته ويعز به العلم والدين ، والحمد لله أوَّلاً وآخراً ، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّه المصطفى محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

الكوكب الدُّرِّي

تأليف

المحدِّث الفقيه العلامة رشيد أحمد الكَنْكُوْهي

تعليقات

المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوي

مقدّمة الكتاب

بقلم الداعية الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني النَّدْوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المُرسَلين ، وخاتم النبيِّين ، وسيِّد الأوَّلين محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين ، وأصحابه الغُرِّ المَيَامين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمَّا بعد ! فإنَّ علم الحديث ـ بجميع فروعه وأقسامه وما يتصل به اتصالاً قريباً أو بعيداً ـ من العلوم التي نَضِجَتْ[1] ، واحترقَتْ ـ كما قال بعضُ حُذَّاقُ العلماء والمؤرِّخين ، وصَيَارفة العلوم والفنون ـ ولم يدع المشتغلون بهذه الصناعة في القوس منزعاً ، وهَبَّتْ على الصِّحاح الستة التي عليها الاعتمادُ في صناعة الحديث ، نفحةٌ من نفحات الخلود والقبول ، اللذين خصَّ الله بهما نبيَّه المصطفى ﷺ وأعلن

---

(١) قيل : « العلوم ثلاثة : عِلم نَضِجَ وما احترَقَ ، وهو علم النحو وأصول الفقه ، وعِلم ما نَضِجَ ولا احترَقَ ، وهو علم البيان والتفسير ، وعِلم نَضِجَ واحترَقَ ، وهو عِلمُ الحديث » .

والمراد بالنُّضْج والاحتراق هنا : أن المحدثين ـ جزاهم الله كل خير ـ وضعوا كتباً في تراجم الرجال ـ الثقات والضعفاء والمجروحين ـ، وفي ضبط أسمائهم وأنسابهم وبلدانهم ، وما افترَق منها وما اتفق . . . ، وحصَروا من رَوى عن النبي ﷺ من الصحابة الكرام ، وبيَّنوا الراويَ الثقةَ العدلَ من سيِّىء الحفظِ والمجروح ، وفاسدَ الرواية من صحيحها ، وحصَرُوا روايةَ كل راو ، وأحصَوْا شيوخَه والآخذين عنه ، والبلدانَ التي دخلها ، والأحاديث التي رواها ، واستوفوا كل شاردة وواردة في شأن نَقَلَةِ الحديثِ حتى أربَوْا على الغاية . ومن هذا قالوا في علم الحديث : إنه عِلمٌ نَضِجَ واحترق . (انظر : « لمحات من تاريخ السنّة وعلوم الحديث » للشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة ، ص : ١٣٦) .

عن ذلك بقوله : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح : ٤] لاختصاص هذه الكتب بأخباره وأقواله ، وأحواله وآثاره ـ ﷺ ـ ، ولشِدَّة إخلاص جامعيها في عملهم ، وجهادهم الأكبر في ذلك ، وعُلُوِّ هِمَّتِهم ودِقَّةِ نظرِهم ، وإيثارهم هذا المقصد الأسْنَىٰ على كلِّ ما يَعِزُّ و يَلَذُّ ، ويَشْغُل ويَسْتَهْوِي ، وتَجَرُّدهم له تجرُّداً يندُرُ نظيرُه في تاريخ العلوم والفنون ، وفي تاريخ المنقطعين والمتجرِّدين من العلماء ، والزاهدين ، والمتبتِّلين المجاهدين .

وسَرَىٰ نورُ هذا العمل الخالص ، والحياة المباركة التي يدور حولها ، وينبع عنها هذا العلمُ الشريفُ ، وهذه المكتبةُ الفَذَّةُ ، فأشرقت الأرضُ بنور ربِّها ، وأضاء كلُّ جانبٍ من جوانب هذه المكتبة ، وتناول أئمَّةُ كلِّ عصرٍ ، ونوابغُ كلِّ بلدٍ كلَّ ما يتبادر إليه الذِّهْنُ ، ويجول في الخاطر ، أو تقع إليه الحاجةُ من أخبار جامعيها ، وتراجم حياتهم ، وأخبار أساتذتهم وشيوخهم ، وشروطهم والتزاماتهم في هذه الكتب ، وخصائصها ، وما يمتاز به بعضُها عن بعضٍ ، والمقارنة بينها ، وفضلُ بعضِها على بعضٍ ، ومذاهبُهم في اختيار الروايات ، وترجيحها وتركها ، وقبول الرُّوَاة ورَدِّهم ، وحكمهم على الأحاديث المَرْويَّة ، والفوائد التي استخرجوها منها ، والأحكام التي استنبطوها ، إنْ كان هنالك هذا الصِّنْفُ من الكلام ، وهذا الجانبُ من الفقه ، وسَمَتْ هِمَّةُ الشُّرَّاح ودِقَّة فهومهم ، فاقتنصوا في ذلك الأوَابد ، وشَقُّوا فيه الشَّعْرَة ، وكثرت الشُّرُوْحُ والتعليقات[1] ، واشتدَّت العنايةُ بتدريسها ونشرها وروايتها ، والإجازة فيها حتى أصبحت تلي كتابَ الله في تلقِّي الأمَّة لها ، والعناية بها ، ولنظرة عَجْلى في الكتب التي أُلِّفت في تاريخ العلوم ، وفي تاريخ علوم الحديث خاصَّةً ، وفي الكتب التي أُلِّفت في أسَامي العلوم والفنون والكتب ، ومقدِّمات الشُّروح الكبيرة لهذه الكتب السِّتَّة تكفي للاطلاع على ضَخَامة هذه الثَّرْوَة ، واتساع هذه المكتبة الحديثية ، ومدى عناية الأمة ، وشغفها بحديث نبيِّها ـ ﷺ ـ بصفةٍ عامةٍ ، وبالصِّحَاح الستة بصفةٍ خاصَّةٍ .

---

(١) وقد زادت الشروحُ والتعليقات على « صحيح البخاري » على مئة وهي سوى ما كتب فيه من المستخرجات والمستدركات وما إلى ذلك [ب] .

ولجامع الإمام أبي عيسى التِّرْمِذِيّ مكانةٌ خاصَّةٌ في هذه الصِّحَاح التي تلقَّتها الأمةُ بالقبول ، وأجمَعَتْ على عُلُوِّ درجتها ، فإنه قد استفاد بما سبق إليه أستاذاه : الإمامُ محمد بن إسماعيل البخاري ، والإمام مسلم بن الحَجَّاج القُشَيْري بالتأليف ، وبذل الجهدَ في جمع الصحاح ، وكل ما سبق تأليفه في هذا الشأن ، وشَقَّ له طريقةً خاصةً من بين أئمَّة الحديث ، والذين صنَّفوا في هذا الموضوع ، وهكذا كلُّ من جاء بعد السابقين الأولين ، ورُزِق ملكةَ التصنيف ، وقُوَّةَ الاجتهاد والإبداع ، والاقتدارَ على الصناعة ، وقُوَّةَ التصرف فيها ، ونَضِجَ علمُه ونَبَغَ عقلُه بالتقدُّم في السِّنِّ ، وبطُول الممارسة للصِّناعة ، وطولِ الصُّحْبة لأئمَّة هذا الفَنِّ ، وحُبِّه ووفائه لهم ، والاعترافِ لهم بالسَّبْق والفضل ، وتواضعه وزهده في الدنيا ، وتجرُّده من الأغراض ، وطولِ دعائه وابتهاله إلى الله .

وكان يبدو للناظر في الصَّحِيْحَين وقد بلغا الغايةَ في الصِّحَّة والدِّقَّة ، والاقتدارِ على الصناعة ، وفي « سُنَنِ الإمام أبي داود السِّجِسْتَاني » فقد جَمَعَ شملَ أحاديثِ الأحكام بترتيبٍ حسنٍ ، ونظامٍ جيِّدٍ ، إنَّهم ما تركوا لمَن يأتي بعدهم شيئاً ، وإنَّ وضعَ كتابٍ في الأحـاديث الصحيحة ، يكون من قبيل تحصيل الحاصل ، وجهاداً في غير جهادٍ ، وجـاء الإمامُ أبو عيسى فوضع هذا الكتابَ ، وقد نَيَّفَ على السِّتِّين من عمره وهي سِنُّ النُّضْجِ والنُّبُوْغِ العقليِّ والحَصَـافة ، فظهرت فيه شخصيتُه التأليفية الفَنِّيَّة واضحةً جليَّةً ، وبَرْهَنَ على أنه سَدَّ عوزاً في هذه المكتبة الزاخرة التي كانت قد تكوَّنت في هذا العصر الباكر ، وعلى أنه زاد في هذه الثروة ، وجاء بشيءٍ جديدٍ ، فقد جمع بين طريقتي شيخيه البخاري ومسلمٍ في الجمع بين الفقه وبين وضعِ الحديث في موضعه ، وجمع بين محاسنهمـا واختصاصاتهما ، فجمع الروايات المتعدِّدة في مكانٍ واحدٍ ، كما فعل مسلمٌ ، وأتى بالفوائد الإسنادية كما هو دأبُ البخاريِّ في مواضع من كتابه ، وتكلَّم على أحاديث كتابه حديثاً حديثـاً ، وتفرَّد بمصطلحـات ومسائل علمية خاصَّةً به ، لا توجـد في غيـر كتابه .

وكان مِن أوَّلِ مَن طَرَق موضوعَ ما يسمِّيه الناسُ اليوم بـ « الفقه المقارَن » ، وكان له فضلٌ كبيرٌ يجب أن تعترف الأمَّةُ به في حفظه لفقه المدارس الاجتهادية في

عصره ، ولولاه لضاع منه الشيءُ الكثيرُ ، وعفا عليه الزَّمانُ ، وتلك خصيصةٌ لجامعه تفرَّد بها من بين مصنَّفات الحديث والسنَّة ، فهو من أوثق المراجع وأقدمها في الخلاف ، سيَّما في معرفة المذاهب المهجورة ، كمذاهب الأوْزَاعي[1] والثَّوْري[2] ، وإسحاق بن رَاهُوْيَه[3] ، وكان من حسناته : أنه حَفِظَ للمتأخِّرين مذهبَ الشافعيِّ[4] القديم .

ويكاد يكون كتابُه « الجامع » المرجعَ الأساسيَّ في الأحاديث الحَسَنة ، وهي ثروةٌ حديثيَّةٌ لا يُسْتَهان بقيمتها ، ولا يُسْتَغْنى عنها ، ولا نعرف أحداً من المحدِّثين

---

(١) الإمام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوْزَاعي الفقيه الزاهد (٨٨ ـ ١٥٧هـ)، وُلِد في (بَعْلَبَكَ) وسكن (بيروت) وتوفي بها ، عُرض عليه القضاءُ فامتنع ، كان رأساً في العلم والعمل والفتيا تدور بالألسن على رأيه إلى زمن الحكم بن هشام ، قال عبد الرحمن بن مهدي : « الأئمَّة في الحديث أربعة منهم الأوزاعي » . (« **وفيات الأعيان** » : ١/ ٢٧٥)، و« **شذرات الذهب** » : ١/ ٢٤١)، و« **الأعلام** » : ٣/ ٣٢٠)[ب] .

(٢) الإمام أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثَّوْري (٩٧ ـ ١٦١هـ) ، كان سيِّدَ أهل زمانه في العلم والورع والحفظ ، وُلد ونشأ في (الكُوْفَة) وراوَدَه المنصورُ للحكم فأبى وهاجر إلى الحرمَين الشريفَين ، ثم طلبه المهديُّ فتوارى وانتقل إلى (البَصْرَة) وتوفِّي ، قال أحمد : لا يتقدَّم على سفيان في قلبي أحدٌ ، وقال يحيى بن معين وغيره: « أميرُ المؤمنين في الحديث » . (« **تهذيب التهذيب** » : ٤/ ١١١ ، « **طبقات ابن سعد** » ٦/ ٢٥٧ ، « **وفيات الأعيان** » : ١/ ٢١٠ ، « **شذرات** » : ١/ ٢٥٠) . [ب] .

(٣) الإمام إسحاق بن إبراهيم أبو يعقوب ابن رَاهُوَيْه التَّمِيْمي المَرْوَزِيّ (١٦١ ـ ٢٣٨هـ) ، أخذ عن الدَّرَاوَرْديِّ وَبقيَّة وآخرين ، وأخذ عنه أحمدُ ، والبخاريُّ ، ومسلمٌ ، والترمذيُّ ، والنَّسائي وغيرهم ، قال الدَّارِمِيُّ : ساد إسحاقُ بصدقِه أهلَ المشرق والمغرب . (« **تهذيب التهذيب** » : ١/ ٢١٦ ، و« **ميزان الاعتدال** » ١/ ٨٥ ، و« **وفيات الأعيان** » : ١/ ٦٤ ، و« **شذرات الذهب** » : ٢/ ٨٩)[ب] .

(٤) هو الإمامَ الحَبْر أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ) أحدُ الأئمة الأربعة ذوي المذاهب المتَّبعة ، أخذ عن مسلم بن خالد الزِّنْجي ، وسفيان بن عُيَيْنَة ، ومالك بن رَاهُوْيَه وآخرين . (« **تاريخ بغداد** » : ٢/ ٥٦ ، و« **وفيات الأعيان** » : ٤/ ١٦٣ ، و « **تذكرة الحفاظ** » : ١/ ٣٦١ ، و « **البداية والنهاية** » : ١٠/ ٢٥١ ، و « **تهذيب التهذيب** » : ٩/ ٢٥)، (**شذرات**: ٢/ ٩)، (**صفة الصفوة**: ٢/ ٩٥)[ب].

الكبار الذين عليهم العُمْدَةُ في هذه الصناعة اعتنى بهذا الجانب مثلَ اعتنائه ، حتى قال الإمام أبو عمرو عثمان بن الصَلاح[١] في كتابه « علوم الحديث »[٢] :

« كتاب أبي عيسى التِّرمذي ـ رحمه الله تعالى ـ أصلٌ في معرفة الحديث الحسن ، وهو الذي نوَّه باسمه وأكثر من ذكره في جامعه » .

ثم إنَّه اعتنى اعتناءً خاصّاً بعلوم الرِّجال ، وعلم الجرح والتعديل ، وتفرَّد ببعض المسالك في صناعة الأسانيد ، لا يتفطَّن لها ، ولا يعرف قَدْرَها إلا من رَسَخَتْ قَدَمُه ، وعَلا كَعْبُه في علوم الحديث وصناعته ، هذا عدا فنونٍ كثيرةٍ اشتمل عليها هذا الكتابُ ، ولذلك قال الحافظ ابنُ الأثير[٣] في جامع الأصول :

« هو أحسَنُ الكتب وأكثَرُها فائدة ، وأحسَنُها ترتيباً ، وأقَلُّها تكراراً ، وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب ، ووجوه الاستدلال ، وتبيين أحوال الحديث من الصحيح والسقيم ، والغريب ، وفيه جرحٌ وتعديلٌ » .

وقال الإمام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري[٤] :

---

(١) الإمام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن صلاح الدين بن عثمان بن موسى الكُرْدي الشَّهْرَزُوْري الشافعي (٥٧٧ ـ ٦٤٣هـ) ، تفقَّه على والده ، وسمع من عبيد الله بن السَّمين ، وفخر الدين بن عساكر ، وموفَّق الدين بن قُدَامَة وغيرِهم ، وحدَّث عنه شمسُ الدين بن نوح المَقْدسيُّ وكمال الدين سلار ، وتاج الدين عبد الرحمن وآخرون ، كان قويَّ المادة من اللغة العربية ، متفنِّناً في الحديث ، عديمَ النظير في زمانه . (« **وفيات الأعيان** » : ٢/ ٢٤٣ ، و « **شذرات الذهب** » : ٥/ ٢٢١ ، و « **سير أعلام النبلاء** » : ٢٣/ ١٤٠)[ب] .

(٢) ص/ ١٤ ـ ١٥ .

(٣) هو العلامة الإمام أبو السَّعادات المبارك بن محمد بن محمد الشَّيْباني الجَزَرِي ثم المَوْصِلي الكاتب ابن الأثير، صاحب « جامع الأصول » و« النهاية في غريب الحديث » (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ)، سمع من يحيى بن سَعْدُون القُرْطُبي وخطيب الموصل وطائفةٍ، وروى عنه ولدُه والشهاب القَوْسِي، والشيخ فخر الدين بن البخاري وآخرون . (« **شذرات الذهب** » : ٥/ ١٥ ، و « **سير أعلام النبلاء** » : ٢١/ ٤٨٨) [ب].

(٤) الإمام الحافظ أبو إسماعيل عبد الله بن محمَّد بن علي الأنصاري الهَرَوي (٣٩٦ ـ ٤٨١هـ)، سمع من عبد الجبَّار بن محمد الجَرَّاحي، وعلي بن محمَّد بن محمد الطِّرَازي، وأحمد بن=

« وكتابه عندي أنفع من كتاب البخاري ومسلم . . ؛ لأنَّ كتابه يصل إلى فائدة كلِّ أحدٍ من الناس » .

وكان كلامُ شيخ مشايخنا شيخ الإسلام وَلِيِّ الله الدِّهْلَوي أشمل لمحاسن هذا الكتاب وخصائصه ، وأدَقُّ وأعمَقُ في بيان فضله من بين الصِّحاح السِّتَّة ، قال ـ رحمه الله تعالى ـ في « حُجَّة الله البالغة » : « . . . ورابعهم : أبو عيسى الترمذي ، وكان استحسن طريقةَ الشيخين حيث بيَّنا وما أبهما ، وطريقة أبي داود حيث جمع كلَّ ما ذهب إليه ذاهبٌ فجمع كِلْتا الطريقتَين وزاد عليهما بيانَ مذاهب الصحابة والتابعين ، وفقهاء الأمصار ، فجمع كتاباً جامعاً ، واختصر طُرُقَ الحديث اختصاراً لطيفاً ، فذكر واحداً وأومأ إلى ما عداه ، وبيَّن أمر كلِّ حديثٍ من أنه صحيحٌ ، أو حَسَنٌ ، أو ضعيفٌ ، أو مُنْكَرٌ ، وبيَّن وجهَ الضَّعْفِ ليكون الطالبُ على بصيرةٍ فيعرف ما يصح للاعتبار عمَّا دُونه ، وذكر : أنه مستفيضٌ أو غريبٌ ، وذكر مذاهبَ الصحابة وفقهاء الأمصار وسَمَّى من يحتاج إلى التسمية ، وكَنَى من يحتاج إلى الكُنْية ، ولم يدع خفاءً لمن هو من رجال العلم ، ولذلك يقال : « إنَّه كافٍ للمجتهد ، مغنٍ للمقلِّد »[(١)(٢)] .

= علي بن مَنْجُويَهْ الأصْفَهاني وغيرهم، وحدَّث عنه المُؤْتَمِن السَّاجي، ومحمد بن طاهر وآخرون، قال السِّلَفيُّ: سألتُ السَّاجي عنه، فقال: « كان أمّةً في لسان التذكير والتصوُّف (« تذكرة الحفاظ » : ٣/ ١١٨٣ ، و « البداية والنهاية » : ١٢/ ١٣٥ ، و « شذرات الذهب » : ٣/ ٣٦٥ ، و « سير أعلام النبلاء » : ١٨/ ٥٠٣) [ب].

(١) حجَّة الله البالغة : ص (١٧٦ ـ ١٧٧).

(٢) للاطلاع على منهج الإمام الترمذي في جامعه يرجع إلى كتاب « الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه والصحيحَين » للأستاذ الدكتور نور الدين عِتْر ـ مدَّ الله في عمره وألبسه لباس الصحة والعافية ـ وصف فيه وصفاً جيداً لمنهج الإمام، وتكلَّم على النواحي الفقهية عنده، وعلى طريقته في تخريج الأحاديث، وعلى الموازنة بين جامع الترمذي والصحيحَين (وذكر الفوائد الإسنادية)، وتكلَّم كذلك على أنواع الحديث في الجامع، وعلى الاصطلاحات المركَّبة فيه (مع نقل أقوال العلماء في تفسيرها)، وتكلَّم على الرواة في الجامع، وعلى المكانة العلمية لعمل الترمذي في الصناعة الحديثية. هذا الكتابُ مفيدٌ للغاية لجميع المشتغلين بالحديث=

عناية العلماء بسُنَن الترمذي :

وقد عُنِي بشرحه والتعليق عليه كبارُ المحدِّثين في عصورٍ مختلفةٍ ، ذكر أسماءَهم الحاجُّ خليفة جَلَبي صاحب « كشف الظُّنون » ، والعلامة المحدِّث عبد الرحمن المُبَارَكْفُوري[1] صاحب « تحفة الأحوذي » وجاءت هذه الأسماءُ في مقدِّمة « الكوكب الدُّرِّي » للعلامة محمد زكريا الكَانْدَهْلَوي[2] ، وكان منهم علماءُ

= دراسةً وتدريساً .

(١) هو العلامة المحدِّث عبد الرحمن بن عبد الرحيم المُبَارَكْفُوري (١٢٨٣ ـ ١٣٥٣هـ)، قرأ في بلدته على أبيه ثم اشتغل على الشيخ عبد الله الغازيبوري، أخذ الحديثَ عن المحدِّث الشيخ نذير حسين الدِّهْلَوي، ووِلِّي التدريس ببلدة « آرا » ثم انتقل إلى (كَلْكَتَّه) ودرَّس زماناً حتى انقطع للتأليف، وأقام عند الشيخ شمس الحق الدَّيَانَوِي ثلاث سنين وأعانه في التصنيف والتأليف، ثم عاد إلى وطنه ولزم بيته عاكفاً على التأليف والتصنيف والدرس والإفادة، له كتبٌ أشهرها « تحفة الأحوذي » في شرح جامع الترمذي في مجلَّدات كبار. (**انظر ترجمته في كتابنا « أعلام المحدِّثين في الهند » ص(١٠١ ـ ١١١) طبع دار ابن كثير بدمشق**).

(٢) وقد ذكر العلامة الندوي ـ رحمه الله تعالى ـ في مقدِّماته السابقة لكتب الحديث الستة أهمَّ شروح كلٍّ منها أثناء مقدِّمته، وقد فاته في هذه المقدِّمة ـ أو لم يَرَ حاجةً إلى ذلك ـ أن يذكر شروح « جامع الترمذي » ، فأذكر هنا بعض أهمِّ شروحه المطبوعة والمخطوطة منها إكمالاً لفائدة القُرَّاء المهتمّين بهذا الشأن ، فمنها :

١ ـ **عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي** : للإمام الفقيه أبي بكر محمّد ابن العربي المُعَافِريّ (ت٥٤٣هـ)، وقد طُبع في (كَانْفُور) بالهند عام ١٢٩٩هـ.

وشرحُ ابن العربيِّ هذا وجيزٌ جدّاً، يهتمُّ مصنِّفُه بشرح أقوالِ الترمذيِّ الفقهية أو التعليقِ عليها، أكثر من عنايته بتلك الجوانب النَّقْديةِ الفريدةِ التي صدَّر بها شرحه كتابَ الترمذي.

٢ ـ **شرح جامع الترمذي** : للإمام الحسين بن مسعود بن مَوْدُود البَغَويّ (ت٥١٠هـ) تُوجَد قطعةٌ منه في الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنوَّرة، قسم مخطوطات المكتبة المحمودية، رقم (٣٥) .

٣ ـ **النفح الشَّذيّ شرح جامع الترمذي** : للإمام الحافظ أبي الفتح، محمَّد بن محمّد بن محمّد اليَعْمُريّ، المعروف بابن سَيِّد النّاس الأندلسيّ الأصل المصريّ (ت٧٣٤هـ) ، شَرَحَ من الكتاب قطعةً من أوّله إلى: « ما جاء إذا دخل أحدكم المسجد، فليركع ركعتين. . »، =

الهند في عصورٍ وبلادٍ مختلفةٍ ، استقصى أسماءَهم وأسماء كتبِهم وتعليقاتِهم صاحب كتاب : « الثقافة الإسلامية في الهند »[1] ، وكان ذلك هو المتوقَّع واللائق

= وهي في جملتها (٣١٦) ستة عشر حديثاً وثلاثمئة حديث فقط وقد صدر منه ثلاث مجلَّدات، من مكتبة دار العاصمة في الرياض.

قال الحافظُ ابن حجر: « لو اقتصر على فَنِّ الحديث من الكلام على الأسانيد لَكَمُل؛ لكنّ قصده أن يتبع شيخه ابنَ دقيق ـ يعني : في كتابه : « الإمام في أدلّة الأحكام » فوقف دون ما يريد » (ذيل تذكرة الحفاظ؛ ص: ١٧).

٤ ـ **قُوْتُ المغتذي شرحُ جامع الترمذي** : للحافظ جلال الدِّين عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمّد السُّيوطي المصريّ (ت٩١١هـ).

ذكر الأستاذ فؤاد سِزْكِيْن : أنَّ مخطوطاته في مكتبة مُرَادْ مُلاًّ وغيرها، وذكر : أنّه طُبع عام ١٢٩٩هـ في (كَانْغُور) . (تاريخ التراث العربي: ٣٩٦).

٥ ـ **شرحُ جامع الترمذي** : تأليف عبد القادر بن إسماعيل الحسني القادري، ومنه نسخةٌ في دار الكتب .

٦ ـ **شرحُ الشَّيخ أحمد محمَّد شاكر على جامع الترمذي** : وقد شَرَح في مجلَّدين ستمئة وستة عشر حديثاً فقط، وشرحُه مفيدٌ يدلُّ على باعٍ طويلةٍ في علم التّخريج والنَّقْد، وعليه فيه ملاحظاتٌ ، ومؤاخذاتٌ.

٧ ـ **تحفة الأحوذي** : للمحدِّث الشيخ عبد الرحمن المُبَارَكْفُوري .

٨ ـ **معارف السُّنَن** : للمحدِّث الشيخ محمد يوسف البِنُّوْري .

وكان لجامع الترمذي شروحٌ عظيمة لبعض أئمّة الحديث، ولكنها ضاعت واحترقت في حوادث ألمَّت بهذه الأمة في عصور مختلفة، ومنها :

١ ـ **شرح جامع الترمذي** : للحافظ الواعظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، ذكر الأستاذ فؤاد سزكين : أن قطعةً منه في مكتبة أحمد الثالث، وأخرى في دار الكتب المصرية (انظر « تاريخ التراث » : ص٣٩٦) .

٢ ـ **شرح جامع الترمذي** : لسراج الدين عمر بن رسلان بن نصير المصري الكِنَاني العسقلاني، أبي الحفص البُلْقِيني (ت٨٠٥هـ).

٣ ـ **شرح زوائد الترمذي على الثلاثة** : للحافظ سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الأندلسي الأصل، المصري، المعروف بابن المُلَقِّن (ت٨٠٤هـ).

(١) هو العلامة السيد عبد الحي الحسني صاحب « نزهة الخواطر » المتوفى ١٣٤١هـ. انظر ترجمته في صفحة (١٩٩) .

بعُلُوِّ درجة هذا الكتاب وأهميته وتعرُّضِه للمذاهب الفقهية ، والأحاديث المؤيِّدة لها ، الدَّالَّة عليها ، أو الناقضة لها ، وحُلُوله المكان الأول في المناهج الدراسية ، وحلقات التدريس للحديث الشريف .

وكان علماءُ المذهب الحنفي من أحوج علماء المذاهب ، والمشتغلين بعلم الحديث بالاعتناء بهذا الكتاب الجليل ، لاشتماله على مجموعةٍ كبيرةٍ من أحاديث الأحكام ، وما يَستدلُّ به أهلُ المذاهب في إثبات مذاهبهم ، وما ذهبوا إليه من قديم الزمان ، ولاعتماد كثير من مخالفيهم على ما أخرجه الترمذيُّ ، وما نقله من مذاهب الفقهاء فكان هذا الكتابُ جديراً كلَّ الجدارة باعتنائهم به ، وعكوفهم على شرحه ، والاستدلال على صحة مذهبهم ، وقوَّته في ضوء الحديث الصحيح ، وبيان أدلة مذهبهم ، ووجوه استنباطها على أساس ما صَحَّ من الأحاديث ، واحتوت عليه دواوينُ السنَّة ، وذلك شيءٌ طبيعيٌّ ، فإنَّ « جامع الترمذي » هو أقوى الكتب الستَّةِ اتصالاً بالمذاهب الفقهيَّة وأدلَّتها ، وترجيح بعضها على بعضٍ ، فما يمكن التغاضي عنه لمحدِّثٍ أو مدرِّسٍ للحديث الشريف يعمل بالمذهب الحنفي .

ولكن من الغريب : أنَّ علماء المذهب الحنفي ، والمشتغلين منهم بعلم الحديث لم يخلفوا آثاراً كثيرةً في هذا الموضوع ، وكلُّ ما عثرنا عليه ممَّا كُتب بالعربية ، شرحٌ عليه للشيخ طَيِّب بن أبي الطَّيِّب السِّنْدِي[1] من رجال آخر القرن العاشر الهجري ، وشرحٌ لأبي الحسن بن عبد الهادي السِّنْدِي المَدَني (م١١٣٩هـ) ، وجُلُّ ما أُثِر عن علماء الهند ـ وهم حَمَلَةُ راية الدفاع عن المذهب الحنفي ، والجامعين بين الحديث والفقه ـ إمَّا بالفارسية ، لغةُ المسلمين العلمية والتأليفية التي تلي اللغةَ العربيةَ في هذه البلاد ، كشرح الشيخ سراج أحمد السَّرْهِنْدي وإمَّا بالأرْدِيَّة ـ اللغة التي حَلَّتْ مَحَلَّ الفارسية في العهد الأخير ـ كـ « جائزة

(١) هو الشيخ العالم المحدِّث طَيِّب بن أبي الطَّيِّب التَّتْوِي السِّنْدي، أحدُ فحول العلماء، وُلد ونشأ بأرض (السِّند) وقرأ على مولانا يونس المفتي ولازمه مدَّةً، درس وأفاد وتخرج به العلماء، له بعضُ المصنَّفات، منها: تعليقاته على « مشكاة المصابيح »، توفي في بضع وتسعين وتسعمئة . (الإعلام : ٤/١٤٧)[ب].

الشَّعْوذي » ، للشيخ بديعُ الزَّمان بن مسيح الزَّمَان اللَّكْنَوِي[1] ، وشرح للشيخ فضل أحمد الأنصاري[2] .

وإمّا مجموع إفادات أفاد بها بعضُ كبار شيوخ الحديث في درسهم لـ« جامع الترمذي » ، قيّدها بالكتابة بعضُ نجباء تلاميذهم غالباً في أثناء الدرس ، ونادراً على إثر إنصرافهم عنه إلى مكانهم ويسمَّى « تقرير » ، وعبَّر عنه صاحب « الثقافة الإسلامية في الهند » بقوله : « شرح عليه بالقول » ، ومن هذه المذكِّرات أو الإفادات شرحٌ للمفتي صبغة الله بن محمَّد غوث الشافعي المَدْرَاسيّ[3] (م١٢٨٠هـ) ، ومنها « المِسْكُ الزَّكِي » للإمام المحدِّث الشيخ رشيد أحمد الكَنْكُوهي ـ رحمه الله ـ (م١٣٢٣هـ) ، وتعليقاتٌ للعلامة محمود حسن الدِّيُوْبَنْدِي المعروف بـ« شيخ الهند » (م١٣٣٩هـ) ، ومنها « العرف الشَّذِي على جامع الترمذي » للعلامة محمد أنور شاه الكَشْميري (م١٣٥٢هـ) وجمعها تلميذه الفاضل الشيخ محمد جِرَاغ البَنْجَابي[4] .

واستثنى من هذه الكلية كتاب « معارف السُّنَن » للعلامة المحدِّث الشيخ محمد

---

(١) هو الشيخ العالم المحدِّث بديع الزمان بن مسيح الزمان اللَّكْنَوِي (١٢٥٠ ـ ١٣٠٤هـ) ، قرأ على العلامة عبد الحي اللَّكْنَوي وغيره ، ثم سافر إلى الحجاز فحَجَّ ، وأخذ الحديثَ عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن السَّهَارَنْبُوري ورجع وأسند الحديثَ عن الشيخ نذير حسين الدِّهْلَوي ، ثم رحل إلى (بُوْفَال) واستخدمه العلامة صديق حسن خان القِنُّوْجي فأقام بها مُدَّةً ثم سافر إلى (حَيْدَرْ آباد) ، كان من العلماء المشهورين برفض التقليد ، له مصنَّفاتٌ منها : ترجمة « جامع الترمذي » إلى الأردية (**الإعلام** : ٨/ ٩٩) [ب] .

(٢) ذكره صاحبُ « الثقافة » ، ولم نعثر على سنة وفاته ، ولا اسم كتابه [ب] .

(٣) هو الشيخ العالم المحدِّث صِبْغَة الله بن محمد غَوْث المَدْرَاسِي الشافعي (١٢١١ـ١٢٨٠هـ) ، قرأ على الشيخ علاء الدين اللَّكْنَوي ، ولِّي الصدارة بـ (نَاكُوْر) ، ثم ولِّي الإفتاء بها ثم ولِّي القضاء ، سافر إلى الحرمَين الشريفين فحَجَّ وزار ، له مصنَّفاتٌ أشهرها : « هداية السالك إلى موطأ مالك » . (**الإعلام** : ٧/ ٢٤٤) [ب] .

(٤) لم نعثر على ترجمته .

يوسف البِنُّوْرِي[1] (شيخ الحديث بالمدرسة العربية الإسلامية في « كَرَاتشي » ومديرها) ، وهذا الشرح ـ كما يقول مؤلِّفُه ـ أَلَّفه في ضوء ما أفاده أستاذُه العلامة الجليل الشيخ محمد أنور شاه الكَشْمِيْري[2] .

---

(١) هو العلامةُ الكبير، الفقيه، المحدِّث، العالم الموسوعي، الأديب الشاعر: الشيخ محمد يوسف بن محمد زكريا البَـنُّوري (١٣٢٦ ـ ١٣٩٧هـ). درس في دار العلوم دِيُوْبَنْد على كبار أساتذتها، أمثال المحدِّث الشيخ شبِّير أحمد العثماني ، وإمام العصر المحدِّث الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري. هاجر إلى باكستان بعد انفصالها عن الهند، وأنشأ مدرسةً تحوَّلت اليوم إلى جامعةٍ كبيرةٍ، اختير عضواً لمجمع اللغة العربية بدمشق. كان إلى جانب علمه الغزير شاعراً فصيحاً بالعربية . توفي عام ١٣٩٧هـ عقب نوبةٍ قلبيةٍ، وله مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ بالعربية ، ومن أشهرها : « معارف السنن » شرح جامع الترمذي ، و« يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن » ، و« بغية الأديب في مسائل القبلة والمحاريب » ، و« كتاب الوتر » وغيرها .

(٢) ومن شروح علماء الهند على الترمذي أيضاً : « الطيِّبُ الشَّذي في شرح الترمذي » للشيخ إشفاق الرحمن الكانْدَهْلَوِي ، طُبع في (دِلْهي) عام ١٩٣٤م (انظر « تاريخ التراث العربي » لفؤاد سزكين ، ص : ٣٩٦) .

وهناك أعمالٌ قيمةٌ في خدمة هذا الكتاب، لبعض علماء باكستان، ومنها :

١ ـ **رشّ السحاب لإكمال ما يقول فيه الترمذي : « وفي الباب »** : للشيخ أبي الفضل فيض الرحمٰن الثَّوْري الباكستاني .

تتَّبع فيه الأحاديث التي لم يتمكَّن العلامة المباركفوري من تخريجها من شواهد أبواب الترمذي، وقد طُبِعَ هذا الكتاب، على هامش الطبعة الباكستانية من تحفة الأحوذي .

وقد بقيَ عليه أعدادٌ غيرُ قليلةٍ من الأحاديث التي لم يتمكَّن من معرفةِ مواضع تخريجها، وقد عمل في آخر طبعة باكستان ثَبَتاً بأسماء الصحابةِ الذين ذكرهم الترمذيُّ تحت قوله : « وفي الباب » فبلغ عددهم (٤٤٨) أربعمئة وثمانية وأربعين صحابيّاً وصحابيّة وفيه نظر ، فقد قمتُ بهذه الإحصائية ، فبلغ عدد الصحابة (٤٣٨) صحابياً ، وقمت بإحصاء أحاديثهم فبلغت (٣٨٨١) حديثاً ، خرَّج الترمذي عدداً غير كبير منها .

٢ ـ **كشفُ النقابِ عما قال فيه الترمذيُّ : « وفي الباب »** : للشيخ محمّد حبيب الله مختار الشهيد .

ذكر في مقدِّمة المجلَّد الأول منه أنّه استفاد من عمل الشَّيخ المباركفوري وعمل الثَّوري، لكنّ=

وهذا الكتاب القَيِّم « الكَوْكَب الدُّرِّي » مجموعُ إفاداتٍ وتحقيقاتٍ للإمام المحدِّث الفقيه ، المربِّي الجليل ، المصلح الكبير ، الداعي إلى عقيدة التوحيد الخالص ، والسنَّة السَّنِيَّة البيضاء ، وإصلاح النفس ، والإنابة إلى الله : الإمام رشيد أحمد الكَنْكُوهي (م١٣٢٣هـ) ، وقد جاء في ترجمته في « نزهة الخواطر » :

« وكان قبل سفره إلى الحجاز في المرَّة الثالثة يقرىء في علوم عديدة من الفقه والأصول، والكلام، والحديث والتفسير، وبعد العودة من الحجاز في المرَّة الآخرة، أفرغ أوقاتَه لدرس الصِّحاح الستة والتزم بدرسها في سَنَةٍ واحدةٍ ، وكان يقرأ « جامع الترمذي » أولاً ، ويبذل جهده فيه في تحقيق المتن والإسناد، ودفع التعارض، وترجيح أحد الجانبَين ، وتشييد المذهب الحنفي ، ثم يقرأ الكتب الأخرى : « سنن أبي داود » فصحيحي البخاري ومسلم ، فالنَّسائي[(١)] ، فابن ماجَهْ[(٢)]

= عمله توثيقيٌّ تفصيليٌّ نَقْديٌّ، لا يقتصر على مجرَّد العزو كما يفعل الشَّيخان المذكوران « حديث عمر رضي الله عنه أخرجه أحمد وأبو داود وحديث زيد رضي الله عنه أخرجه الطّبراني في الصّغير . . » ونحو ذلك، وإنما يقومُ بتخريجِ الحديث تخريجاً علمياً استقرائياً، ثم يحكمُ على الحديث الذي لم يخرِّجه الشَّيخان أو أحدهما، وهو تخريجٌ مطوّلٌ، لا حاجةَ إلى أكثره والله أعلم .

وقد صدر من الكتاب حتى عام ١٤١١هـ ثلاث مجلَّدات عن مجلس الدعوة الإسلامية بكراتشي، لكن المؤلِّف لم يُكمله لانشغاله بعملٍ إداريٍّ (انظر « الإمام الترمذي ومنهجه في كتابه الجامع . . » للدكتور عَدَاب محمود الحَمْش، (١/ ٤١ ـ ٤٤)، طبع دار الفتح، عمان ـ الأردن) .

(١) هو الإمامُ الحافظ الثَّبْت أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سِنَان بن بحر الخُرَاسَاني النَّسَائي صاحب السُّنن (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ)، سمع من إسحاق بن رَاهُوْيَهْ ، وبشر بن هلال ، وهشام بن عمار وطبقتهم، وكان من بحور العلم مع الفهم والإتقان والبصر ونقد الرجال وحسن التأليف، أخذ عنه أبو بشر الدَّوْلابي، وأبو جعفر الطَّحَاوي، وأبو علي النيسابوري وآخرون . (**تهذيب الكمال**: ١/ ٢٣)، (**تذكرة الحفاظ**: ٢/ ٦٩٨) ، (**شذرات الذهب**: ٢/ ٢٣٩)، (**سير أعلام النبلاء**: ١٤/ ١٢٥) [ب] .

(٢) هو الإمامُ الحافظ الحُجَّة أبو عبد الله محمد بن يزيد، ابن ماجه القَزْويني صاحب السنن (٢٠٩ ـ ٢٧٣هـ)، سمع من علي بن محمد الطَّنَافِسي، وجبارة بن المُغَلِّس، وعثمان بن=

سرداً مع بحثٍ قليلٍ يتعلّق بالكتاب »[1] .

فكان الشيخُ كما فهم ممّا نقلناه ، وتواتر عن تلاميذه ، يقدِّم تدريسَ « جامع الترمذي » على سائر كتب الحديث ، ويفيض في الشرح والإيضاح ، ويذكر ما فتح الله به عليه ، وأدّت إليه دراسته وممارسته للفَنِّ ، وتعمُّقه فيه ، ويتوسَّع ما لا يتوسَّع في غيره ، وممّا أكرمه الله به ، القول المتين الفصل بعبارةٍ وجيزةٍ ، قليلةِ المباني ، كثيرةِ المعاني ، مؤسَّساً على دراسة عميقة للفقه وأصول الفقه ، ومناسبةٍ فطريةٍ بصناعة الحديث ، والتمسُّك بلُبَاب المقصود ، بعيداً عن الإفراط والتفريط ، والتوسُّع في نقل أقوال السَّلَف وحُجَجهم ، مستعيناً في ذلك بما امتاز به من بين أقرانه من سَلامة ذوقٍ ، وصفاء حِسٍّ ، واقتصادٍ في النقد والمحاكمة ، وحُسْن ظنٍّ بالسَّلَف ، والتماس عُذْرٍ لهم ، وتواضعٍ ظاهرٍ .

وقد قيَّد هذه الإفاداتِ والتحقيقات تلميذُه النجيب النابغ الوفي الشيخ محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكَانْدَهْلوي (م١٣٣٤هـ) حين حضر هذا الدرسَ الحافل سنة ١٣١١هـ ، وكانت له ملكةٌ عمليةٌ راسخةٌ ، يتوقَّد ذكاءً وفِطْنةً ، وكان شيخُه عظيمَ الحُبِّ ، كثيرَ الإيثار له ، قد اتخذه بطانةً لنفسه ، وراويةَ علمِه ، وكاتبَ رسائله ، فقيَّد دروسَ الشيخ ، ودَوَّن أماليَه ، ونقَّحها وحرَّرها .

ومن ضمن هذه الإفادات والتحقيقات ، بل في مقدِّمتها هذه المجموعة المُسَمَّاة بـ « الكوكب الدُّرِّي » ، وكان يقيِّد ما يسمعه من شيخه في درس « جامع الترمذي » نفس اليوم بالعربية ، وكان ينتهز أول فرصة لتقييدها حتى لا تفوته فائدةٌ ، ولم يُقَدَّرْ له أن يستأنف النظرَ في هذه المذكِّرات ، والفوائد المقيَّدة ، وأن يحرِّرها تحريرَ المؤلَّفات التي تؤلَّف على هدوءٍ تامٍّ ، وطمأنينةِ نفسٍ ، واجتماعِ فكرٍ ، وفراغِ خاطرٍ ، واتساع وقتٍ إلا أنه ـ جزاه الله عن المشتغلين بتدريس الجامع ، وعن جميع

= أبي شَيْبة وآخرين، كان حافظاً ناقداً، صادقاً، واسعَ العلم، أخذ عنه محمد عيسى الأبْهَري وسليمان بن يزيد الفامِي وآخرون . (تهذيب التهذيب: ٩/ ٥٣٠)، (تذكرة الحفاظ: ١/ ٦٣٦)، (شذرات الذهب: ٢/ ١٦٤)، (سير أعلام النبلاء: ١٣/ ٢٧٧) [ب].

(١) (٨/ ١٤٩ ـ ١٥٠) .

من يعرف قيمةَ هذه الإفادات التي هي عُصَارةِ دراسةٍ طويلة ، وتأمُّلٍ كبيرٍ ـ قد صان هذه الدُّرَر العلميَّة من الضَّياع والتَّلف ، وترك أساساً يبنى عليه ويشيد البناء ، فجاء نجلُه العلامة الشيخ محمد زكريا الكَانْدَهْلَوي ، الذي قدَّر الله له حِفْظَ هذا التراث العلمي ونشره ، والتوسيعَ فيه ، وإكمالَ ما بدأ به والده العظيم ، وأفاد به شيخُه الجليل ، فتناول هذه المجموعةَ التي كادت تضيع وتطير بها العَنْقَاءُ ، بالتحرير والتنقيح ، والمقابلة والتصحيح .

وكتابُ « الكوكب الدُّرِّي » ـ وهو بالمذكِّرات أشبَهُ منه بشرحٍ ضافٍ وافٍ ، لـ « جامع الترمذي » ـ على وَجَازته وقِلَّة حجمه ، وعَدَم استيفائه لشرح الكتاب من أوله إلى آخره ، يشتمل على فوائدَ كثيرةٍ لا يعرف قيمتَها إلا من اشتغل بتدريس « الجامع » طويلاً ، وعرف مواضع الدِّقَّة والغُمُوض التي لا يرتاح فيها المدرِّسُ الحاذقُ ، أو الطالبُ الذَّكيُّ إلى ما جاء في عامة الشروح والتعليقات ، ويتوق فيها ويتطَّلع إلى ما يَحِلُّ العُقْدَةَ ، ويروي الغِلَّةَ بكلامٍ فصلٍ لا فضولَ فيه ولا تقصيرَ ، هذا إضافةً إلى فوائد في اللغة وغريب الحديث وعلم الرجال والأصول ، ومقاصد الشريعة ، وفيه بعض النُّكَت واللطائف التي يُعين عليها صفاءُ النفس وإشراق القلب والحُبِّ ، والقول السديد في ترجيح بعض الوجوه على بعضٍ ، وتعيين معنى من المعاني بالذوق والممارسة ، وجواب للإيراد على المذهب الحنفي .

وقد تجلَّى الذوقُ الأدبيُّ في بعض المواضع من الشرح ، وظهرت طَلاوةُ العبارة وحَلاوة التعبير ؛ لأنَّ الشارح كانت له قدمٌ في الأدب ، وقد تأتي العباراتُ مقفاةً مسجوعةً على عادة الكتَّاب في ذلك العصر من غير تكلُّفٍ ورَكَاكةٍ .

وأضاف العلامةُ المحدِّث الشيخ محمد زكريا جامع هذه المذكِّرات إلى صلب الكتاب ما جاء من فوائد في شروحٍ للكتب الأخرى مستقاةً من نبعٍ علميٍّ واحدٍ ، كـ « بذل المجهود » و« لامع الدَّرَاري » وغيره ، وعلَّق على الكتاب تعليقاً مفيداً منيراً يكشف عن الغامض ، ويفصِّل المُجْمَلَ ، ويوضِّح المُبْهَمَ ، وضَمَّه إلى تحقيقاتٍ استخرجها من كتب أخرى ، وعني بتنقيح الأقوال ، وتحرير المذاهب ، معتمداً في ذلك على ما توصَّل إليه من كتب المذاهب الأربعة التي لا يتفق نشرُها في

حياة الشارح ، ولم يتسَنَّ الاطلاع عليها فزاد في قيمة الكتاب العلمية ، وساعد على الانتفاع به ، وزاد فوائدَ استفادها في حياته التعليمية الطويلة ، وطول ممارسته لصناعة الحديث ، وكثرة مراجعته لما أُلِّف في علوم الحديث ونُشِر أخيراً ، والعلم بحرٌ لا ساحلَ له .

وأضاف إليه كذلك ما استفاده في درس والده العلامة ، وقد تكون أموراً ذوقيَّةً ، أو علوماً وِجْدَانيَّةً ، هداه إليها ذوقُه السليمُ ، ونظرُه العميق ، وطولُ اشتغاله بصناعة الحديث وإخلاصه وصفاء ذهنه ، وقد تكون أقربَ إلى الصواب ، وأكثر كشفاً لمعاني الحديث من كثير ممَّا تناقلته الشُّرَّاح ، نفع الله بهذا الكتاب ، والحمد لله أوَّلًا وآخراً وظاهراً وباطناً ، وصلَّى الله على سيدنا ونبيِّنا ومولانا محمَّد وآله وصحبه أجمعين .

أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي

مقدِّماته

لكتب المختصرات والمنتخبات في الحديث

١ ـ تهذيب الأخلاق : للعلاَّمة عبد الحي الحسني .

٢ ـ الأبواب المنتخبة من مشكاة المصابيح : للشيخ محمد إلياس الكانْدَهْلَوِي .

٣ ـ الأحاديث المنتخبة في الصفات للدعوة إلى الله : للمحدِّث الداعية الشيخ محمد يوسف الكانْدَهْلَوِي .

تهذيب الأخلاق

للعلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني

(١٢٨٢ ـ ١٣٤١هـ)

قدَّم له

العلامة أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي

(نجل المؤلِّف)

دار الفارابي

دمشق

تقديم الكتاب

بقلم : العلامة أبي الحسن علي الحسني النَّدْوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المُرسَلين وخاتم النبيِّين ، محمَّد الطاهر الطيب الصادق الأمين ، وآله وأصحابه الغُرّ الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمّا بعد ! فقد ذَكَر اللهُ تعالى مقاصدَ البعثة المحمَّدية الرئيسة الأولى ، وفوائدها الأساسية الكبرى ، في نسقٍ واحدٍ في أربع آيات من القرآن الحكيم ، فذكر دعاءَ خليلِه إبراهيم ـ وهو جَدُّ النبيِّ ﷺ ومؤسِّس المِلَّة الحنيفية ، وعلى يده تَمَّ بناء البيت .

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

وذكرها في نسقٍ واحدٍ في معرض المَنِّ والتذكير بالنِّعَم ، فقال : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥١ ـ ١٥٢] .

وذكرها بهذا الأسلوب ، وهو يذكر عظيم نعمته على الأمة التي بَعَث فيها الرسولَ ، وكبير مِنَّته عليها ، فقال :

﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وذكرها مقرونةً مجموعةً كذلك في سورة الجمعة ، وذكر العربَ الذين سَعِدُوا

بهذه البعثة أولاً ، وظهرت فيهم آثارُها الطيِّبة المباركة ، ثم لحق بهم العجمُ ، وسعد بها العالمُ ، وستبقى على العصور .

﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم : ٢٤ ـ ٢٥] .

وقد جاءت في هذه الآية الكريمة بدايةُ هذه النعمة وامتدادها ، واتساعها ، وانتقالها من بلدٍ إلى آخر ، ومن جيلٍ إلى جيلٍ ، ومن عصرٍ إلى عصرٍ ، وذكر خلودَ هذه النِّعْمَة وبقاءَها ؛ لأنَّ فضل الله لا نهايةَ له ولا تحديدَ فيه ، فلكلِّ عصرٍ نصيبٌ ، ولكلِّ جيلٍ فيه حظٌّ[1] (عطاءً غير منقوصٍ) وبهذه الزيادة والتفضيل أصبحت هذه الآيةُ متمِّمةً للآيات السابقة ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة : ٣ ـ ٤] .

فكانت التلاوةُ ، وتعليم الكتاب ، وتعليم الحكمة ، وتزكية النفوس من المقاصد الأولى التي كانت لها البعثةُ ، وهي أركانُ هذه الدعوة الأربعة ، والمظاهر الكبرى التي تجلَّت فيها معجزةُ هذه النبوّة الإصلاحية والتربوية ، وكلُّ ما عداها من تقنينٍ وتشريعٍ ، وأحكامٍ ، وفروعٍ ، وحكمٍ وجهادٍ ، فهو من توابع هذه المقاصد وذيولها ، ولوازمها ومُتَمِّمَاتها .

ومُهِمَّةُ تهذيب الأخلاق ، وتزكية النفوس تشغل مكاناً كبيراً في دائرة هذه الدعوة النبويَّة ، ومقاصد البعثة المحمدية ، وفي القرآن ما يَدُلُّ على أنَّ الأخلاق الفاضلة

---

(١) روَى ابن أبي حاتم بسنده عن سهل بن سَعْد السَّاعدي، قال: قال رسول الله ﷺ: « إنَّ في أصْلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالاً ونساءً يدخلون الجنةَ بغير حساب » ، ثم قرأ : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجمعة : ٣] . إلى آخره. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢٠١) برقم (٦٠٥٥)، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٤٠٨): رواه الطبراني وإسناده جيِّدٌ. كذا في « الدر المنثور » الجزء السادس ، صفحة ٢١٥ .

ونقل ابن جرير عن مجاهد وزيد قالا : « إنما عَنَى بذلك جميع من دخل في الإسلام من بعد النبي ﷺ كائناً من كان إلى يوم القيامة » .

والآداب الإسلامية هي من أهمِّ مظاهر الحكمة ، فإنَّ القرآن قد أطلق لفظَ الحكمةِ على هذه الأخلاق والآداب في عِدَّةِ مواضع ، وقد ذكر في سورة الإسراء التعاليمَ الخُلُقيَّة الأساسية في موضعٍ واحدٍ ، اقرأْ قوله تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء : ٢٣ ـ ٣٨] .

وهي ستَّ عشرةَ آية ، فيها النَّهيُ عن الشِّرك ، والأمرُ بالإحسان إلى الوالدين، وخفضُ الجناح لهما ، وإيتاء ذي القُربى ، والمسكين ، وابن السَّبيل ، والنهيُ عن التبذير ، والأمرُ بالتلطُّف لهم بالقول ، والنهيُ عن الإفراط والتفريط ، والنهيُ عن قتل الأولاد ، وعن الزِّنى ، وعن قتل النفس إلَّا بحقها ، وعن الإسراف في القِصاص ، والنهيُ عن أكل مال اليتيم إلَّا بالحق ، والأمرُ بالإيفاء بالعهد ، وإيفاءُ الكيل والميزان ، والنهيُ عن التبختر والمرح الزائد . وبعدما انتهى من ذكر هذه التعاليم الخُلُقيَّة ؛ التي تلتقي عليها الأديانُ والأممُ ، والفِطَرُ المستقيمةُ ، والعقولُ السليمةُ من أوَّل العصر إلى آخره ختمها بقوله :

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ ﴾ [الإسراء : ٣٩] .

وكذلك شأنُ القرآن في سورة لقمان ، إلَّا أنَّها كانت نهاية في سورة الإسراء ، وكانت بداية في سورة لقمان ، فقال قبل أن يذكر تعاليمَ لقمان الخُلُقية من نهيٍ عن الشرك ، ومعرفةِ الفضل للوالدين ، وطاعتِهما في المعروف ، واتباعِ سبيل مَن أناب ، ومراقبةِ الله في صغيرٍ وكبير ، والصبر على المصائب ، وعدم احتقار الناس ، والخُيلاءِ والكبرياءِ ، والأمرِ بالاقتصاد في كل شيء ، والقصد في المشي ، والغَضِّ من الصَّوت ، اقرأ قوله تعالى :

﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان : ١٣ـ١٩] .

افتتح كلَّ ذلك بقوله :

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾ [لقمان : ١٢] .

فدَلَّ على أنَّ كل ما نطق به لقمانُ ، وصدر عنه من التعاليم الخُلُقية ، والوصايا الحكيمة ، إنما نَبَعَتْ هذه الحكمةُ التي أكرم اللهُ بها لقمان ، وخَصَّه بها بين الأقران ، ويرجع الفضلُ فيها إلى هذه الموهبة الربَّانية ، والأخلاق الفاضلة التي فطر عليها ، وتخلَّق بها ، ووفِّق لها ، لذلك قال في صلب هذه الآية بعدما ذكر إيتاء هذه الحكمة :

﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ .

وكذلك جاءت كلمةُ الحكمة في سياق الأخلاق الفاضلة والصفات الكريمة الطيبة ؛ من إنفاقِ الأموال في سبيل الله ، ثم عدم إتباعه بالمَنِّ والأذى ، والحَثِّ على القول بالمعروف والمغفرة ، والتحرُّزِ من الرِّياء والكفر بالله ، والإشفاق من بطلان الصَّدقات وحبطِ الحسنات ، والحرصِ على ابتغاء رضوان الله ، وإصلاحِ النفس واستقامتها ، والإنفاقِ من طيِّبات الأموال ، وعدمِ تيمم الخبيث ، والنهي عن الخوف الشديد من الفقر والاسترسال إلى الشيطان ، اقرأ قوله تعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

إلى قوله تعالى : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٨] .

ختم كلَّ ذلك بقوله : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

فدَلَّ كلُّ ذلك على أنَّ الحكمة في اصطلاح القرآن وتعبيره ، لها صلةٌ عميقةٌ وثيقةٌ بالأخلاق[١] ، فإذا لم تكن أخلاقٌ لم تكن حكمةٌ ، وإذا لم تكن حكمةٌ لم تكن أخلاقٌ ، وإذا تقرَّر ذلك ؛ فتعليم الأخلاق الفاضلة ، وتهذيب النفوس وتزكية الأرواحِ ـ ولا يَتِمُّ ذلك إلا بتصحيح العقائد والتطهر من دنس الشِّرك والجاهلية ، والتحلِّي بالعلم الصحيح ـ يَحْتَلُّ مكاناً كبيراً في مُهِمَّةِ النبوَّةِ المقدَّسة ، ويشكِّل مقصداً كبيراً من مقاصد البعثة الرئيسية ، وقد دخل ذلك في تعليم الحكمة وفي التزكية .

وقد ذَكَر النبيُّ ﷺ هذا الغرضَ العظيمَ الذي كانت له البعثةُ بكلمة الحصر ،

---

(١) انتبهنا لهذه النكتة بحديث لأستاذنا العلامة السيد سليمان الندوي، كان يتكلَّم فيه عن معنى الحكمة في القرآن رحمه الله تعالى وأثابه . (العلامة الندوي) .

فقال : « إنَّما بُعِثْتُ لأتَمم مكارمَ الأخلاق »(١) ، وقد كان خيرَ مثالٍ له ، وأفضلَ أُسْوَةٍ فيه ، فقد قال القرآن : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

وسُئِلَتْ عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ عن خُلُقِه ـ ﷺ ـ فقالت : « كان خُلُقُهُ القرآنُ »(٢) ولذلك دعا اللهُ إلى اتِّباعِه ، واتِّخاذِه أسوةً دائمةً كاملةً ، فقال : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

وكانت هذه « الحكمةُ » و« التزكيةُ » من أعظم ثمرات الصحبة النبويَّة ومجالسته ﷺ وعِشْرَته ، فنشأ في أحضانه جيلٌ تحلَّى بأفضل الأخلاقِ ، وأكرمِ الصِّفات ، وتجرَّد عن رذائل الأخلاق ، ومُهْلِكات العادات ، وذمائم الصفات ، وغوائل النفوس ، وبقايا الجاهلية ، ومغالطات الشيطان ، وقد شهد القرآن باستقامة

---

(١) رواه الإمام مالك في « الموطأ » بلاغاً عن النبي ﷺ، وقال ابن عبد البرّ (في التمهيد ٢/ ٢٢٣ برقم : ٢٢٨) : « هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره »، ورواه الإمام أحمد في « المسند » (٢/ ٣٨١) برقم (٨٩٣٩) بسند صحيح عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ « إنّما بُعِثْتُ لأتَمِّمَ صالحَ الأخلاق » .

(٢) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (١/ ١١٥) برقم (٣٠٨) وأحمد في المسند (٦/ ٩١) برقم (٢٤٦٤٥)، و(٦/ ١٦٣) برقم (٢٥٣٤١)، و(٦/ ٢١٦) برقم (٢٥٨٥٥) والطبراني في الأوسط (١/ ٣٠) برقم (٧٢)، عن عائشة ، ردَّتْ ـ رضي الله عنها ـ بذلك على ما قيل: إنّ ما فيه من المكارم كلُّه كان فيه ﷺ وما فيه من الزَّجْر عن سفساف الأخلاق كان منتهياً عنه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه المقصود بالخطاب بالقصد الأول: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [الفرقان : ٣٢] ، قال العارف بالله تعالى المرصفي : أرادت بقولها: « كان خُلُقه القرآن » تخلُّقه بأخلاق الله تعالى ؛ لكنَّها لم تصرِّح به تأدّباً منها. وفي الكشف : أنه أدمج في هذه الجملة أنه ﷺ متخلِّقٌ بأخلاق الله عز وجل بقوله سبحانه : ﴿ عَظِيمٍ ﴾ (روح المعاني (١٠/ ٢٩ ـ ٣٠) وفي المجمع : قيل : إنَّ خُلُقه مذكور فيه، أي : في القرآن، نحو : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . هو بعض الحديث ، رواه البخاري في صحيحه (٢٦٥٢) .

قلوبهم ، وصلاح نفوسهم ، ووصولهم إلى ذُرْوَةِ تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس ، فقال : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [الحجرات : ٧ ـ ٨] .

وشَهِدَ لهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ بقوله : « خَيْرُ النَّاس قَرْنِي[١] » ، وفي رواية « خَيْرُ أمَّتي قَرْني » ،

وشهد لهم أحدُ رفاقهم[٢] بقوله البليغ الوجيز : « أبَرُّ الناسِ قُلُوْباً ، وأعْمَقُهم عِلْماً ، وأقلُّهم تكلُّفاً » .

وشهد لهم أحدُ أعدائهم ، فقال : « هُمْ فُرْسان بالنَّهارِ ، رُهْبانٌ باللَّيْلِ ، لا يَأْكُلُونَ في ذِمَّتِهم إلا بثَمَنٍ ، ولا يَدْخُلُوْنَ إلا بسَلامٍ ، يَقِفُوْنَ على مَن حَارَبُوا حتى يَأْتُوا عَلَيْه »[٣] .

وقال الآخر :

« إنَّهُم يَقُومون الليلَ ويَصُوْمُونَ النهارَ ، ويُوْفُوْنَ بالعهد ، ويَأْمُرُوْنَ بالمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عن المنكر ، ويَتَناصَفُوْنَ بينهم »[٤] .

وزَخَر تاريخُ الإسلام وتاريخ الإنسانية بأخبار مكارم أخلاقهم ، وفضائلِ أعمالهم ، وحكاياتِهم الجميلة في حسن السِّيرة ، وكرمِ الأخلاق ، وشِدَّةِ الخوف من الله ، والزُّهْدِ في الدنيا ، وإيثارِ الآخرة على العاجلة ، وإيثارِ مَن سواهم على

---

(١) القرن : مئة سنةٍ، سمِّي بذلك لأنَّ الأقران يموتون فيه فلا يبقى منهم أحداً غالباً .

(٢) هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (من كان مُسْتَنّاً فلْيَسْتَنَّ بمن قد مات فإنَّ الحيَّ لا تُؤمن عليه الفتنةُ، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفْضَلَ هذه الأمة، أبرَّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلَّها تكلُّفاً، اختارهم الله لصحبة نبيِّه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلَهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسَّكوا بما استَطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهُدَى المستقيم) . رواه رَزِين (انظر : « مشكاة المصابيح » : ١/ ٣٢) .

(٣) قولُ أسيرٍ روميٍّ في وصف المسلمين أمام هِرَقْل . انظر (البداية والنهاية) (٧/ ٥٢) .

(٤) المصدر السابق : (٧/ ٥٢) .

أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصة ، وأداءِ الأمانات إلى أهلها ، والشهادةِ بالحقِّ ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين ، والإنصافِ من النفس ، والانتصارِ للحقِّ ، والغضبِ لله والرسول ، والحُبِّ في الله ، والبُغْضِ في الله ، والرَّحْمَةِ على الخَلْق والضعفاء ، وحسنِ المواساة وشِدَّة المساواة ، والتزامِ الحقِّ والعدل في كلّ أمرٍ ، والتوسُّطِ والاقتصاد في كل شيءٍ ، إلى غير ذلك من الأخلاق النبيلة ، والصفات الجميلة ، التي يَنْدُرُ اجتماعُها في فردٍ واحدٍ ، وقد أصبح كلُّ ذلك خبراً متواتراً أذْعَنَ له المسلمون وغيرُ المسلمين .

والفضلُ في كلِّ ذلك يرجع إلى التعليم النبويِّ ، و« التزكية » التي نوَّه بها القرآنُ ، والتزم ذكرَها في مقاصد البعثة وفوائدها ، فلم يكن الصحابةُ ـ رضي الله عنهم ـ إلا زَرْعَ الإسلام ، وغَرْسَ النبوَّة ، وصنائعَ التربية النبوية ، والتزكية المحمَّدية ، ولسان حالهم ينشد :

صنائِعُ[1] فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَتْ وَغَـرْسٌ طَـابَ غَـارِسُـهُ فَطَـابَـا
وكُنَّـا كـالسِّهـام إذا أصَـابَـتْ مَـرَامِيَهـا فَـرَامِيْهَـا أصَـابـا

ولمَّا انقطعت هذه الصحبةُ الكريمة ، ولَحِقَ الرسولُ بالرفيق الأعلى ـ سُنَّة الله في خَلْقِه ـ كان الحديثُ النبويُّ يقوم مقامَ هذه الصحبةِ ، إنْ كان شيءٌ يقوم مقامَها ، ويملأ هذا الفراغَ الذي وقع في حياة المسلمين ، وفي مُهمَّة الإصلاح والتربية ، إنْ كان شيءٌ يملأ هذا الفراغ ، فكان ذلك أهَمَّ موضوعِ هذا العلم الشريف ، وأكبرَ غاياتِه ورسالاته ، يجدِّد المشتغلون به إيمانهم ، ويُحْيُون به قلوبَهم ، ويُزَكُّون به نفوسهم ، ويُقِيْمُوْنَ به عِوَجها ، ويُصلِحون به فاسدَها ، ويَشْفُون به عليلَها ، فكان هو العلمُ الدينيُّ ، والطِّبُ النبويُّ ، وكان هو « الفقه » و« الحكمةُ » ، وكان هو الأستاذ والمعلِّمُ ، والمربِّي والمؤدِّبُ في آنٍ واحدٍ ، لا يحتاجون معه إلى علمٍ آخر لتثقيف عقولهم ، ولتهذيب أخلاقهم ، وللتفقُّه في الدين ، والوصول إلى درجات « الإحسان » واليقين .

---

(١) صنائعُ (جَمْعُ الصَّنِيْع) هو كلُّ ما صُنِعَ من خَيرٍ ونحوه ، والفعل الحسن ، ويقال : فلان صنيع فلان ؛ أي : ثمرة تربيته وربيب نعمته .

ثم بدأ علمُ الحديث يقتصرُ على علم الأحكام على مَرِّ الزمان وبتأثير العوامل الطبيعية ، والاجتماعية والتشريعية ؛ ولأنه من أصلٍ من أصول الفقه ، ومصدرٍ من مصادر التشريع الإسلامي ، ولانصراف المجتمع الإسلاميّ إلى التفريعات الفقهية ، والاستنباطات القضائية ، بحكم الضرورة ولظهور الخلاف في آراء الفقهاء ، وحدوثِ المذاهب الفقهية ، وكان كلُّ ذلك طبعياً ومعقولاً ، فعلا الجانبُ الفقهيُّ والجدليُّ على الجانب الخُلُقي والتربويّ في تدوين الحديث وفي تدريسه وفي شرحه ، وجميع مجالات الاعتناء به ، وأصبح شُغْلَ المحدِّثين الشاغل ، وموضوعَه الحبيب الأثير ، وشعارَ المعلِّمين والمؤلِّفين ، يدورون حولَه ، ويتفاخرون به ، ويتنافسون فيه ، ويُجاهِدون في سبيله ، كان ذلك طبيعياً ومعقولاً أيضاً واقتضته طبيعةُ الأشياء ، واختلافُ الزمان ، ومنطقُ الضرورة ، وهنالك لجأ كثيرٌ ممَّن يطلب درجةَ الإحسان واليقين ، ويعتني بتهذيب الأخلاق وتزكية النفس إلى علمٍ آخر[(١)] وإلى رجالٍ آخرين[(٢)] ليشفوا غليلَهم ، وليملؤوا قلوبَهم ، ويقضوا حاجةً في نفوسهم .

إلَّا أنَّ كثيراً من المحدِّثين الكبار قد شعروا بحاجةِ المسلمين وطَلَبَةِ علوم الدين ، والباحثين عن الحقيقة إلى مجموعٍ في الحديث النبوي ، يعتمد عليه ، ويقتصر به في تهذيب الأخلاق ، وتزكية النفوس ، واكتساب الفضائل ومعالجة الرذائل ، والوصول إلى درجة الإحسان واليقين ، والانخراط في سِلْك الصادقين المخلصين ، فألَّفوا كتباً لهذا المقصود بين صغيرٍ وكبيرٍ ، ومشهورٍ ومستورٍ ، اشتهر من بينها ثلاثةُ كتب نالت قبولاً عظيماً ، واعتنى بها علماءُ هذا الشَّأن قديماً وحديثاً .

أحدها : كتاب « الأدب المفرد » لأمير المؤمنين في الحديث الإمام محمد بن إسماعيل البُخَاري (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ) ، صاحبُ « الجامع الصحيح » المشهور باسمه .

---

(١) كالتصوُّف .

(٢) ككثيرٍ من العلماء الربانيين من غير المحدِّثين .

والثاني : كتاب « الترغيب والترهيب » للحافظ الكبير زكيِّ الدين عبد العظيم ابن عبد القوي أبي محمد المُنْذِريّ الدِّمَشْقي (٥٨١ ـ ٦٥٦هـ) .

والثالث : « رياض الصالحين من كلام سيِّد المرسلين » للإمام الحافظ الفقيه أبي زكريا محيي الدين يحيى النَّوَوي (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ) شارح « صحيح مسلم » ، ومؤلِّف الكتب الجليلة في الحديث والرِّجال .

أمَّا كتابُ « الأدب المفرد » فهو كما يَدُلُّ عليه اسمُه يدور حول الأدب والأخلاق ، ولم ينل حَظَّه من العناية والإقبال على جلالة شأن مؤلِّفه ، ولم يقرَّر للتدريس ، ولم يخدم[1] خدمةً لائقةً وتأخَّر طبعه إلى زمانٍ متأخّرٍ[2] .

أمَّا كتابُ « الترغيب والترهيب » للمُنْذِري فهو سفرٌ ضخمٌ وكبيرُ الحجم ، لا يصلح ـ على جلالة شأنه ـ للتدريس خصوصاً في أوَّل مراحل تدريس الحديث الشريف ، وفيه كلُّ نوعٍ من أنواع الحديث ، فلم يلتزم مؤلِّفُه ـ جزاه الله أفضلَ الجزاء ـ أن لا يُوْرِدَ في كتابه إلا الحديث الصحيح المتلقَّى بالقبول ، أو يقتصر على ذكر أحاديث الكتب الستة .

وأمَّا كتابُ « رياض الصالحين » فمع أنَّه يلوح عليه أثرُ القبول ـ كمعظم مؤلَّفات الإمام النَّوَوي ـ فقد كان الاعتناءُ بهذا الكتاب أخيراً ، فأعيد طبعُه مِرَاراً ، وقرِّر تدريسُه في كثير من المدارس الدينية[3] ، وعُنِيَ به العاملون في حَقْل الدعوة

---

(١) لا نَعْلَم له شرحاً إلا لصديقنا الفاضل الشيخ فضل الله الرَّحْمَاني بن أحمد علي بن محمد علي المُوْنكِيْري ـ أستاذ الجامعة العثمانية سابقاً في حيدر آباد ـ في « فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد » . (العلامة الندوي) . طُبع هذا الشرح أولاً من قِبَل دائرة المعارف في حيدر آباد (دكن)، ثم تكرَّرت طبعاته في السعودية .

(٢) ظهرَتْ أولُ طبعةٍ لهذا الكتاب في بلدة « آرَا » بالهند سنة ١٣٠٦هـ، وتلتها طبعةُ القُسْطَنْطِينيَّة سنة ١٣٠٩هـ طُبِعَتْ في القاهرة سنة ١٣٤٩هـ. ثم تكرَّرت له طبعاتٌ محقَّقة من مكتبات البلدان العربية المختلفة . (العلامة الندوي) .

(٣) وكانت « دارُ العلوم التابعة لندوة العلماء » في طليعة المدارس التي قرَّرت تدريسَه (العلامة الندوي) .

والإصلاح والتربية ، وانتشر انتشاراً كبيراً إلا أنَّه كبيرُ الحجم ، عالي المستوى بالنسبة إلى صغار المتعلِّمين في المدارس .

وكان رجالُ التعليم والتربية والمَعْنِيُّوْنَ بإصلاح الشَّباب وأبناء المدارس الدينية يشعرون بالحاجة إلى كتابٍ صغيرِ الحجم ، خفيفِ الحمل ، سَهْلِ الأسلوب ، اقتصر فيه مؤلِّفُه على المواضيع الهامَّة العلمية ، واستخرج من كنوز الكتاب والسنَّة ، ودواوين الحديث ما تشتدُّ إليه الحاجةُ ويسهل العملُ به ، ويعمُّ نفعُه ، ويكون أساساً ونبراساً للطالب الشابِّ ، ومُرشِداً له في الحياة ، وحاثّاً له على الطاعات والخيرات ، مُحْذِّراً عن رذائل الأخلاق وذَمَائم الصفات ، مُهِّيئاً لنفسه وثقافته لُورود هذا المشرع الصافي ، والنهل من العُبَاب الزَّاخر ، ومقدِّمةً للكتب التي سيَدْرُسها بَعْدُ في هذا الموضوع .

وقد كنتُ أَعْرِفُ بحكم صلتي النسبية ، وكثرة اشتغالي بآثار والدي العلمية أنَّ السيد الوالد مولانا عبد الحي الحسني قد ألَّف كتاباً صغيراً في الموضوع ، أسْمَاه « تلخيص الأخبار » ، وشَرَحه في عِدَّة كراريسٍ أسْمَاه « منتهى الأفكار في شرح تلخيص الأخبار » ، وكنتُ أعْرِفُ شَغَفه بالحديث النبوي ، واجتهادَه في تحصيله من أئمَّة هذا الفَنِّ ، وتميُّزَه في هذا العلم بين أقرانه ، وعُلُوَّ كعبه فيه ، ولكن اشتغالي بنشر كتبه في التاريخ والتراجم كـ « نُزْهَة الخواطر » ، و« الثقافة الإسلامية في الهند » و« الهند في العهد الإسلامي » صَرَفني عن الاعتناء بهذا الكتاب . وإبرازه للناس ، ولما رأيتُ اهتمامَ بعضِ رجال التعليم وأولياء المدارس بكتابٍ متوسِّطٍ يسهل تدريسُه ؛ عُنِيْتُ بهذا الكتاب ، واستخرجتُه من بين مؤلَّفاته ومخطوطاته ، وقرأتُه قراءةَ تأمُّلٍ وإمعانٍ ، فوجدتُه كتاباً قيِّماً على صغرِ حَجْمِه ، قد اقتصر فيه المؤلِّفُ على الأحاديث الصِّحَاح من الكتب السِّتَّة ، وكان أكثر إيراده لأحاديث « الصحيحين » ، وقد تجلَّى فيه حُسْنُ اختيار المؤلِّف كسائر كتبه ، وسلامةُ ذوقه ، ورحابةُ صدره في الترجيح والاختيار ، وبُعْدُه عن التعصُّب ، ومعرفتُه لروح عصره ومدارك الطالبين في المعاهد الدينية ؛ لأنه اشتغل بالتدريس زمناً في « دار العلوم لندوة العلماء » في عهدها الأول ، وقضى مُدَّةً مديراً لندوة العلماء ، ومُشرِفاً على

التعليم في دار العلوم التابعة لها ، وقد علَّق حواشيَ بقلمه على هذا الكتاب ، واعتنى بحَلِّ الغريب وإيضاح معنى الحديث وبيان مقاصده في المواضيع التي اقْتَضَتْه ، فجاء الكتابُ قائماً بنفسه ، وافياً بالغرض ، مطابقاً لرُوح العصر والمستوى العلمي في مراحل التعليم الأولى[١] .

لذلك صَحَّتْ عَزِيْمتنا على نشر هذا الأثرِ الدينيِّ العلميِّ ، ففيه إسعافٌ بحاجة المدارس ، وإسهامٌ في نشر الحديث ، وبِرٌّ بالوالد ، وأداءٌ لبعض حقوقه ، ولعلَّنا بذلك وبإضافة للكتب التي أُلِّفت في هذا الموضوع ، وعلى هذا النهج نُسْهِم في توجيه تعليم الحديث النبوي إلى الغاية التي كانت من أهمِّ مقاصد البعثة ، وهي تزكيةُ النفوس ، وتهذيبُ الأخلاق ، والاجتهادُ للوصول إلى درجة الإحسان ، وإعطاؤها قسطاً من العناية والاهتمام .

نسأل اللهَ أن ينفع به طَلَبَة الدين ، وعامَّة المسلمين ، ويجعله ذُخْراً للمؤلِّف ، وعملاً صالحاً لمن سعى فيه ، واعتنى به !

وصلَّى الله تعالى على خير خَلْقِه سيِّدنا ومولانا محمَّد وآله وصحبه أجمعين .

يوم الجمعة ١٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٩٢هـ

أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي

دار العلوم ندوة العلماء

لكهنؤ ـ الهند

---

(١) وقد صدر للكتاب طبعةٌ (الطبعة الثانية) من دار الفارابي بدمشق ، بتحقيقنا بمزيدٍ من الاعتناء بحلِّ الغريب وإيضاح معنى الحديث ، مع تخريج الأحاديث .

الأبواب المنتخبة
من
مشكاة المصابيح

انتخبها

الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلوي

جمعها

الشيخ محمد إنعام الحسن الكاندهلوي

ضبطها وعلَّق عليها

محمد إلياس البَارَهْ بَنْكَوِي

دار ابن كثير

دمشق ـ بيروت

نبذة من تراجم
العاملين في الكتاب انتخاباً وجمعاً وتحقيقاً

ترجمة مُنْتَخِبُ أبواب هذا الكتاب :

هو العالمُ الصالح ، والعابدُ الجليل ، والداعيةُ المُخلِص ، والتقيُّ المتواضع النبيل ، والشيخُ الكريم المِفْضال ، والواعظُ المُرشِد الأمين ، نادرُ المثال ، العلامة المحدِّث محمد إلياس الكَانْدَهْلَوي ، مجدِّد جماعة التبليغ وأميرُها ، ومخطِّطُ سَيْرِها ومُدِيرها(١) .

وُلد في الهند سنة (١٣٠٣هـ) ، في أسرةٍ عريقةٍ في الدين والعلم ، والدعوة إلى الله ، والتمسُّك بعقيدة التوحيد الخالصة .

وكان لسَلَف الشيخ محمد إلياس دورٌ في تاريخ الإصلاح الديني ، ومساهمة فَعَّالة في حركة الجهاد ، والدعوة إلى الدين الخالص ، التي قادها الإمامان : السيد أحمد الشهيد ، والشيخ محمد إسماعيل الشهيد ، وتَتَلْمَذَ رجالُ هذه الأسرة على مُسْنِد الهند وإمام الحديث فيها العلامة الشيخ عبد العزيز ابن الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدِّهْلَوي ، صاحب « حجَّة الله البالغة » ، ومسند الهند العلامة الشيخ محمد إسحاق بن محمد أفضل العُمَري . حفظ القرآن في صباه ، وكان تحفيظ القرآن عرفاً مُتَّبعاً في الأسرة .

جُبِلَ على الحميَّة الدينية ، وقرأ على أخيه الشيخ محمد يحيى ، ثم درس في مدرسة « مَظَاهِر العلوم » بسَهارَنْفُور ، وارتحل في سنة ١٣٢٦هـ إلى (دِيُوْبَنْدَ) ، وحضر دروسَ الشيخ محمود حسن المعروف بشيخ الهند ، في « جامع الترمذي » ، و« صحيح البخاري » ، وأتمَّ دراسةَ الحديث ، وقرأ بقية الكتب الستة على أخيه الشيخ محمد يحيى .

وكان كثيرَ العبادة ، مشغولاً بخاصة نفسه ، وكان موضعَ احترام بين المشايخ والعلماء يَعْتَدُّون بتقواه وورعه، والإنابة إلى الله، واشتغل مدرساً مدَّة في مدرسة «مظاهر العلوم» بمدينة (سَهَارَنْفُور).

---

(١) كما وصفه به المحدِّث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، في مقدمته لـ «شرح حياة الصحابة » ص(١٧)، طبع دار ابن كثير بدمشق.

وقد لاحَظَ الشيخُ محمد إلياس بفراسته الإيمانية ، وإخلاصه للدعوة وتجاربه العملية : أنَّ الدعوة إلى الله ، والقيام بحركة إصلاحية ينتقل سريعاً إلى أمورٍ سلبيةٍ ، ونقدٍ لاذعٍ ، ويتحوَّلُ ذلك سريعاً إلى إثارة الخلافات ، وإيجاد المشكلات ، وإهانة كثير من المسلمين الذين لا يكونون على مستوى هذا الداعي ـ المتخيَّل عنده ـ فيثير ذلك فِتَناً كثيرة ، وقد تنتقل هذه الدعوة الإيجابيةُ البنَّاءةُ ، السليمة الهادئة ، المجرَّدة عن الأغراض الدنيوية ، ومطامع الملك والسلطان إلى معسكراتٍ خلافيةٍ ، أو منظَّماتٍ سياسيةٍ ، أو مخطَّطاتٍ إرهابيةٍ ، فأضاف إلى أُسُسِ هذه الدعوة حمايتَين حكيمتَين دقيقتَين لهذه الدعوة البريئة ، الخالصة المخلصة لله ، وهما : إكرامُ المسلم ـ على عِلاته ومواضع ضعفه ، ومواضع نقده ـ نظراً إلى الركيزة الإيمانية المودعة في قلبه ، وإيمانِه بالله ورسوله ، وعدم تمرده عليها .

والثاني : عدمُ الاشتغال بما ليس بسبيل الداعي ، وما هو في عداد الأمور الجانبية أو الهامشية في حياة المسلم ، وترك ما لا يعنيه .

وقد كانا حِصْناً حصيناً وسياجاً متيناً لهذه الدعوة التي قد تقوم عمليتُها في بيئاتٍ موبوءةٍ يستغلُّها المغرضون لتحقيق أغراضهم ، ويتخذونها قَنْطَرةً للوصول إلى كرسيِّ الحكم ، وقد كان لهاتين الدعامتين فضلٌ كبير في صيانة هذه الدعوة في جوٍّ مُكَهْربٍ بالسياسة والانتخابات ، وبالخصومات السياسية والحزبية في شبه القارة الهندية ، وفي بعض البلاد الإسلامية .

وقد اهتدى أخيراً إلى أنَّ هذه الدعوة لا تقوم على قدميها ، ولا تنتشر في العالم ، ولا تحقِّق المطلوبَ إلا إذا كان رجال متطوِّعون محتسبون ، لا يريدون عليها جزاءً ولا شكوراً ، ولا يعتمدون فيها على الإعانات والاكتتابات ، ومساعدة الحكومات ، والصندوق والميزانية ، وتجنيد الناس ، وتسجيل أسمائهم في دفاتر وسجلات ، وبثِّ الفروع المنظمة التابعة للمركز على غرار الجمعيات والمنظمات ، وأن تعيش بعيداً عن المجال السياسي ، والشعارات الاستفزازية ، واللافتات الجذَّابة ، وتعتمد على الإخلاص ، وابتغاء رضوان الله ، والامتثال لأوامر الله ، والتقرُّب بكل ذلك إلى الله ، كما كان الشأنُ في العصر الإسلامي الأول .

وفي ضوء ما شرح اللهُ له صدرَه ، وما اهتدى إليه عن طريق دراسته العميقة للكتاب والسنَّة والسيرة النبوية ، وأخبار الصحابة رضي الله عنهم ، وعن طريق تجربته العلمية وممارسته للدعوة ـ غير معتمدٍ في ذلك على الخطابة والكتابة ، والذكاء المحض ـ فتح الله له الطريقَ إلى دعوة الناس إلى الخروج في سبيل هذه الدعوة ، والاكتتاب بالمال ، وبدأ دعوتَه بمنطقة هي أَحَطُّ المناطق الهندية خُلُقاً وثقافةً وحَظّاً ، وأبْعَدُها عن الدين ، وأعْظَمُها جهالةً وضلالةً ، وهي منطقة « مَيْوَاتْ » في جنوب (دِلْهي) ، عاصمة الهند .

وقد أثَّرت هذه الدعوةُ التي أذاب فيها مُهْجَتَه ، ووضع فيها مواهبَه ، رغم ما كان فيها من

مصاعبَ ، فقد قبل دعوته مئاتٌ وألوفٌ من هذه المنطقة ، وخرجوا شهوراً وقطعوا مسافاتٍ بعيدة مما بين شرق الهند وغربها ، وشمالها وجنوبها ، رُكْباناً ومشاة ، فتغيَّرت أخلاقُهم ، وتحسَّنت أحوالُهم ، واشتعلت فيهم العواطفُ الدينية ، وانتشرت الدعوةُ في الهند وباكستان من غير نفقاتٍ باهظةٍ ، ولا مساعداتٍ ماليةٍ ، أو نُظُمٍ إداريةٍ ، بل بطريقةٍ بسيطةٍ تُشْبهُ طريقةَ الدعوة في صدر الإسلام ، وتذكِّر بالدعاةِ المخلصين المجاهدين المؤمنين الذين كانوا يحملون في سبيل الدعوة والجهاد متاعَهم وزادَهم ، وينفقون على أنفسهم ، ويتحملون المشقة محتسبين متطوعين .

هذا مع استغناءٍ تام عن مساعداتٍ أو تيسيراتٍ تقدَّم عادةً من الجِهات الرسمية لجماعاتٍ نشيطةٍ ، ذات نفوذٍ شعبيٍّ ، أو دعواتٍ وحركاتٍ تتمتَّع بثقة الجماهير واحترامها . وقد توفِّي إلى رحمة الله تعالى في رجب عام ١٣٦٣هـ[١] .

وإذا درسنا حياتَه وفكرتَه ؛ وجدنا : أنه لم يكن مجاهداً في سبيل الله وداعياً إليه فحسب ، بل إنَّه كان فارساً في ميدان التصنيف والتأليف أيضاً ، وحياتُه الدعوية غنيةٌ عن التعريف وكافية بما ذكرتُه ، أمَّا ناحيةُ التأليف فكثيرٌ لا يعرفها من العوامِّ والخواصِّ ، فيستلزم إلفاتَ النظر إليها ، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ بسبب كثرة الزائرين له ، ورحلاته الشَّاقة في جولاته الدعوية والتعليمية لم يجدِ الفرصةَ أن يقومَ بعملِ التأليف مستقلاً بنفسه الشريفة ، وبناءً على هذا أمَر المحدِّث الكبير الشيخ محمد زكريا ـ رحمه الله تعالى ـ ابن أخيه الأوسط بتأليف رسائل في فضائل الأعمال ، والإصلاح ، والدعوة إلى الله لتشتعلَ بها جمرة الإيمان في قلوب القارئين والسَّامعين ، ولتزداد الرغبةُ في الأعمال الأخروية فيهم ، وتكون زاداً لهم ، فقام لها على أحسن وجهٍ ، وفي أسلوبٍ سهلٍ ينزلُ فيه إلى مستوى العامة ، وقد تُلُقِّيَتْ هذه الرسائلُ بقبول عام ، وانتفعَ بها خَلْقٌ لا يُحْصَون ، وظهرت لها طبعاتٌ لم تتيسَّر إلا لكتب معدودة في عصرنا .

وكذا أمر نَجْلَه النابغة فضيلة الشيخ الداعية محمَّد يوسف الكَانْدَهْلَوِي ـ رحمه الله تعالى ـ بتأليف (أماني الأحبار في شرح معاني الآثار) للإمام الطَّحاوي ، و(حياة الصحابة) في السيرة ، وقد جاء هذان الكتابان فريدان في بابهما ، لا مثيلَ لهما ولا نظيرَ .

ترجمة جامع الأبواب المنتخبة :

هو العالم الزاهد ، والداعية الموهوب ، والمحدِّث الكبير ، المرشد الموجِّه : الشيخ محمد إنعام الحسن بن محمد إكرام الحسن بن رضي الحسن الكَانْدَهْلَوي .

وُلِد في قرية (كَانْدَهْلَة) ، حفظ القرآن الكريم ، ودرس الكتب الابتدائية الدراسية على جدِّه ،

---

(١) من أعلام المسلمين ومشاهيرهم : للعلامة الندوي، ص(٢٣٣ ـ ٢٣٨)، طبع دار ابن كثير بدمشق .

وكتب النحو والصرف وكتب الفقه ، وغيرها من الكتب الدراسية على الإمام الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي .

ثم دَرَس بالجامعة « مَظَاهِر العلوم » ببلدة (سَهَارَنْفُور) بعضَ كتب الفقه والأصول عام (١٣٥٢هـ) ، ثم رجع إلى دهلي ، وأتمَّ دراسة بقية الكتب الدراسية فيها ، ثم ذهب مرَّةً أخرى مع الشيخ محمد يوسف الكَانْدَهْلَوي إلى جامعة (مظاهر العلوم) لتكميل دراسة الحديث الشريف ، فدرس معه « صحيح البخاري » و« صحيح مسلم » و« جامع الترمذي » .

ولم يستطع إكمالَ الصحاح الستة بالجامعة بسبب مرض الشيخ محمد يوسف ـ رحمه الله تعالى ـ فاضْطُرَّ للرحيل معه إلى دهلي ، وأتمَّ دراسة كتب الحديث المذكورة على الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ـ رحمه الله تعالى ـ من « سنن ابن ماجَهْ » ، و« النَّسائي » و« شرح معاني الآثار » للطحاوي ، و« المُسْتَدْرَك » للحاكم ، ثم قام بعد ذلك بتدريس الحديث الشريف في مدرسة كاشف العلوم الواقعة في حيٍّ « حضرة نظام الدين بدهلي » إلى آخر حياته .

ورافق الشيخَ محمد يوسف الكاندهلوي في عمل الدعوة والتبليغ ، وكان ساعدَه الأيمن طول حياته ، وبعد وفاته عام (١٣٨٤هـ) اختير أميراً للدعوة والتبليغ ، وكان يتهيَّب من قبول الإمارة ، ويعتذر عنها بحجَّة : أنه لا يتمتَّع بقوَّة الخطابة التي هي جزءٌ أكيدٌ لهذا المنصب ، لكن الله سبحانه وتعالى أيَّده ، ورزقه من قوَّةِ الخطاب والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ما وهبه التأثير التلقائي في الجماهير المسلمة ، وخاصةً بمناسبة الاجتماعات الكبيرة التي كانت تعقد في بلدان العالم المختلفة ، وأضيف إلى ذلك روحُ العلم والورع والإخلاص ، وروح التفاني في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ، التي كان يتمتَّع بها وأصْبَحَتْ له غذاءً لا يعيش بدونه ، وأصبحت له شِعَاراً ودِثَاراً لا قرارَ له بغيرهما ، ولم يكن له هَمٌّ إلا أن يتحدَّث فيما يتعلق بشؤون الدعوة ، وتبليغها إلى الناس كافة ، كان يشرف على النشاط الدعوي بوجهٍ مستمّرٍ ، ويهتم بتوجيه الدعاة إلى جميع أنحاء العالم ، فقد كانت الجماعاتُ تخرج في سبيل الله ليلاً ونهاراً من أقصى بلدان العالم إلى أقصاه حتى اتسع نطاقُ الدعوة في عهده اتساعاً كبيراً ، وتميزت بصفة (العالمية) فكانت الجماعات تعمل في الولايات المتَّحدة ، والصِّين ، واليابان ، وروسيا ، والأقطار الأوربية ، وبلدان ما وراء النهر ، ودول جنوب شرق آسية ، وجميع البلدان الأفريقية والأوسترالية ، فضلاً عن دول غرب آسية والدول الإسلامية العربية ، ولا أدري أن هناك دولةً من دول العالم لا تكون قد وطئتها أقدامُ دعاة هذه الجماعة في عهده ـ رحمه الله تعالى ـ .

ولقد شهد الناسُ في عهده : أنَّ عدداً كبيراً من رجال العلم والدين وأفراد العائلات الممتازة ، والأُسَرِ الحاكمة في الدول الإسلامية خرجوا في سبيل الدعوة وتجوَّلوا في العالم من أجلها ، هم لا يريدون من وراء ذلك إلا أن يقتفوا آثار الصحابة ، والتابعين ، وأعلام الأمَّة من أهل العلم والدين ، فيُؤَدُّوا بذلك بعضَ الواجب الديني الذي يعود إليهم .

وكان من توفيق الله تعالى له أن ينشىء جماعةً مخلصةً تتبنَّى عَمَلَ الدعوة والتبليغ على غِرار من سبق من العاملين المخلصين في هذا السبيل ، وأن ينشىء جيلاً من الدعاة ممن يتحمَّلون هذه المسؤولية ، ويعرِّفونها إلى المسلمين ، ويؤكِّدون لهم أن ما تعيشه الأمةُ اليوم من أوضاع سيئة ، وتعاني من متاعب ومشكلات ، إنما مردُّ ذلك كله هو ضَعْفُ روحِ الدعوة والهداية في نفوس أفراد الأمة ، وعدم الاحتفاء بأداء هذه المسؤولية التي تعمُّ جميع من ينتمي إلى هذه الأمة بالنصِّ القرآني ، حيث قال عزَّ من قائل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وإلى آخر حياته ـ رحمه الله تعالى ـ استمرَّ مع الدعوة بتدريس الحديث الشريف لاسيّما « صحيح البخاري » بمدرسة (كاشف العلوم) في حضرة نظام الدين بدهلي الجديدة ، وتوفّي في محرم الحرام يوم عاشوراء سنة ١٤١٦هـ[١] .

ترجمة صاحب التعليقات :

هو العالم النابه ، والضابط المتقن ، الداعية المخلص : الشيخ محمد إلياس البَارَهْ بَنْكَوِي ، أحد أبرز رجال الدعوة في بلاد الهند ، ومعه كبار علماء الحديث فيها . درس في دار العلوم ديوبند الإسلامية ، وانقطع إلى الدعوة بعد التخرج . وهو الآن يقوم بتدريس الحديث الشريف في مدرسة كاشف العلوم التابعة لمركز الدعوة والتبليغ في نيودلهي . وله تحقيقات جيدة لكتب الحديث .

---

(١) الترجمةُ مأخوذةٌ من هذا الكتاب، ومعروضةٌ هنا بتصرُّف واختصارٍ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدِّمة

بقلم سماحة الشيخ العلامة
السيد أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي رحمه الله

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّد المُرْسَلين محمَّد ، وآله وصحبه أجمعين .

وبعد : فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله ؛ وخيرَ الهَدْيِ هديُ محمد ﷺ ؛ فهما البُنْيَانُ المرصوصُ ، والحِصْنُ الحصينُ لكلِّ علمٍ نافعٍ ، والمصدرانِ الرئيسانِ للشريعة الإسلامية الغَرَّاء ، وعليهما العُمْدَةُ في كلِّ بابٍ ، وفيهما القدوةُ لكلِّ الناس ، ولقد تركهما رسولُ الله ﷺ لأمَّته يرجعون إليهما ، ويتمسَّكون بهما ، ويَعَضُّون عليهما بالنَّوَاجذ ، ولن يَضِلُّوا إذا تَمَسَّكُوا بهما ، قال رسولُ الله ﷺ : « تَرَكْتُ فِيْكُم أمْرَيْنِ ، لَنْ تَضِلُّوا ما مَسَكْتُمْ بهما : كتابَ اللهِ ، وسُنَّةَ نبيِّه » . رواه مالك في الموطأ(١) .

ومِن هُنا كان العلماء المُخلِصون الأجِلَّاء ، والدعاة المُصلِحون ، والمجدِّدون ، والمبلِّغون لرسالات الله تعالى ، الذين هم منارات الهدى ، ومصابيح الدُّجَى يَتَواصَون ، ويُوْصُوْن المسلمين جميعاً بالعودة الصَّادقة إلى هذين المصدرَين والينبوعَين الجاريَين الصافيَين ، ويدعونهم إلى التمسُّك بهما ، والعكوف عليهما ، لينقذوا الأمَّةَ من كلِّ زيغٍ ، وضلالٍ ، وتحريفٍ ، وانحرافٍ .

---

(١) انفرد به مالك في الموطأ، وأخرجه في كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، برقم (١٧٠٨).

ولقد كان الإمامُ الداعيةُ الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلَويُّ ـ رحمه الله تعالى ـ الذي قام بتجديد الدعوة الإسلامية مع آدابها ومنهجها وروحها ، وبذل جهودَه البنَّاءة في سبيل نشر كلمة الحقِّ ، يعتني عنايةً كبيرةً بالتدبُّر في كتاب الله تعالى ، والتفقُّه في سُنَّة رسوله ﷺ قولاً وفعلاً وتقريراً ، وكان مُوفَّقاً كلَّ التوفيق في الاقتداء بهدي النبيِّ ﷺ وكان يرى : أنَّ المسلمين قد ضَعُفَ فيهم الإيمانُ ، وضَعُفَتْ عواطفُهم للعمل ، وقلَّت رغبتُهم في أمور الدين والاهتمام بالآخرة ، وأنَّهم بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى إثارةِ الهِمَمِ ، وبَعْثِ العَزَائم ، وتقويةِ الإيمان والتشويق إلى الجنَّة ، وإلى استحضار معنى الاحتساب ، وكذلك التخويف من العذاب .

وقد أوْصَىٰ ابنَ أخيه الأوسط المحدِّث الجليل الشيخ محمد زكريَّا الكَانْدَهْلَويّ ـ رحمه الله تعالى ـ بإعدادِ رسائلَ في الفضائل ، والترغيب والترهيب ، يقرؤها القائمون بعملِ الدعوة لأنفسهم ولعامَّة المسلمين ؛ ليرغِّبوهم في العمل بالكتاب والسنَّة ، ويحثُّوهم على الخير ، كما كان كتابُ « حياة الصحابة » من تأليف ابنِه النابغة والداعية المُلْهَم الشيخ محمد يوسف الكَانْدَهْلَوي(١) ـ رحمه الله تعالى ـ مَعْلَمَ طريقٍ ، ومنبعَ نورٍ ، وإشعاعٍ للدعاة إلى الله تعالى ؛ لأنه يُوثِّق صِلَتَهُم بسيرة النبيِّ ﷺ وأصحابه ، وأسلوب الدعوة الأمثل ؛ الذي كانوا يسيرون عليه ، وكذلك تَحَمُّلهم للأذى من أجل نشر هذا الدين العظيم ؛ ليسهل عليهم الاقتداءُ بهم ، وتحمُّلهم المشاقّ لأجل هذه الدعوة ، والمثابرة عليها .

وهو قد انتقى من « مشكاة المصابيح » للإمام وليِّ الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التِّبْريزي ـ رحمه الله تعالى ـ (م٧٤١هـ)(٢) بعضَ الكتب مع الأبواب في فضائل الأعمال للتعليم العُمومي ، وكان يأمُرُ بقراءتها في حلقات التَّعليم ، وهي ما يلي :

---

(١) ستأتي ترجمته بعد قليل في صفحة (٣٠١).

(٢) هو محمد بن عبد الله الخطيب العُمَري، أبو عبد الله، ولي الدين التِّبْريزي، أحد كبار علماء الحديث، توفي سنة ٧٤١هـ. له « مشكاة المصابيح » أكمل به كتاب « مصابيح السنَّة » للبَغَوي، و« الإكمال في أسماء الرجال » .

١ ـ كتاب الإيمان .

٢ ـ كتاب العلم .

٣ ـ كتاب فضائل القرآن .

٤ ـ كتاب الدعوات .

٥ ـ كتاب الجهاد .

٦ ـ كتاب الآداب .

٧ ـ كتاب الرقاق .

٨ ـ كتاب الفتن ؛

لتكونَ زاداً للدعاة ، وتُحْفَةً للمبلِّغين ، وكانت تُقْرَأ هذه الأحاديث على العلماء وغيرهم من القاصي والدَّاني .

ولمَّا كانت الحاجةُ ماسَّةً إلى إفراد هذه الكتب والأبواب ، مع الحاجة إلى تشكيل ألفاظها ، والتعليق عليها ، والشرح الموجَز لها ، والتمييز بين المقبول والمردود منها ، قام الشيخُ محمد إنعام الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ أميرُ جماعة الدَّعوة والتبليغ الثالث[1] بهذا العمل بتعليقاتٍ موجزةٍ نافعةٍ ، إلا أنَّه لم يستطع إكمالَها لكثرة أشغاله ، ومواصلة أسفاره ، وأعباء المسؤولية العالمية للدعوة على كَوَاهله ؛ فأذن للشيخ الداعية العالم النابغة المجدِّ محمد إلياس البَارَهْ بَنْكَوِي ، والذي آتاه اللهُ تبارك وتعالى ملكةً جيِّدةً ، واستعداداً تامّاً لمثل هذه الأعمال التحقيقية ، وقد سَبَق أنه حَقَّق كتابَ « حياة الصحابة »[2] ، وأخرجه بشكلٍ علميٍّ صحيحٍ ، وجاء هذا العملُ المباركُ رديفاً له ، وستكون له ـ إنْ شاء الله تعالى ـ آثارٌ طيبةٌ على المشتغلين في مجال الدعوة إلى الله تعالى ، يتزوَّدون بها ، ويستفيدون

---

(١) سبقت ترجمتُه قبل هذه المقدمة .

(٢) صدر من دار ابن كثير باسم « شرح حياة الصحابة » فيه تعليقاتٌ قيمةٌ لكبار علماء الحديث في الهند .

منها في تجديد إيمانهم ، وتقوية صلتهم بالسِّيرة النبويَّة الشريفة ، وتشحيذ عزائمهم للمجاهدة بالنفس والمال ، وتأديبهم على آداب الشرع والأخلاق الإسلامية النبيلة ، وترقيق قلوبهم بالعِظَات والعِبَر ، واتقاء الفِتَن ما ظَهَر منها وما بَطَن ، فإنَّ العملَ بالأحكام الشرعية كلِّها من عباداتٍ ، ومعاملاتٍ مدنيةٍ ، واجتماعٍ ، وغير ذلك من شُعَب الحياة تابعٌ للإيمان والعلم ، وإجمالاً نقول : إنَّها لا يستغني عنها طالبُ الآخرة .

العمل في هذا الكتاب :

وقد كان الكتابُ يحتوي على أعدادٍ كبيرةٍ جدّاً من الألفاظ والكلمات الغريبة ، والجُمَل المُشْكِلة ، فمَسَّتْ الحاجةُ إلى خدمةٍ مزيدةٍ بشرح معاني الأحاديث ، وتبيانها حتى يتضح ما أراد صاحبها ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ فقام الشيخُ محمد إلياس البَارَهْ البَنْكَوِي بخدمته ، وقد بذل في ذلك جهداً كبيراً ، والتزم في عمله بما يلي :

١ ـ اهتَمَّ بالأمانة العلمية في نقل النصوص ، ومراجعة المصادر الأساسية ، والاعتماد عليها .

٢ ـ إذا وَجَدَ لفظاً في الحديث الشريف يحتملُ معانيَ متعدِّدةً ؛ اختار أرجحَ الأقوال عند المحقِّقين فيه .

٣ ـ قام بحذف بعض الأحاديث التي حكم عليها أكثرُ المحدِّثين الثقات بالوضع ، وقد أشار عليه بذلك فضيلةُ الشيخ إنعام الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ .

٤ ـ اعتنى بضبط الكلمات في الأحاديث ، وشكَّل الألفاظ منها ، وخاصة في الأسماء المشكلة المشتبهة ، وترقيم الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وفق ترتيب مشكاة المصابيح .

٥ ـ اعتنى بشرح المفردات الغريبة ، وأوضح معاني الجُمَل المُشْكِلة الغامضة بالنسبة لأهل زماننا .

٦ ـ ذَكَر فوائدَ الحديث ، وما يُستفاد من معانيه عند الحاجة إليها .

٧ ـ قام بتخريج بعض الأحاديث المتكلَّم فيها مع المتابعات والشواهد ؛ ليعتضد بتأييدها : أنه حَسَنٌ .

٨ ـ راعى في التعليق أن يَفْهَمَه مَن هم على المستوى المتوسِّط من المراجعين والمستفيدين .

٩ ـ إحالة الحديثِ الوارد فيها إلى الكتب والأبواب ، مع رقم الصفحة وِفْق الطَّبعة الهندية .

١٠ ـ قام بمقابلته بأصل كلِّ كتابٍ لضبط نَصِّه واستدراك ما قد يقع فيه من تصحيف النُّسَّاخ ، فصحَّح بعضَ الكلمات ، واستدرك بعضَ النقص ، وزاد بعض الألفاظ والعبارات بين القوسين عند مقابلة جميع الأحاديث على أصولها .

وقد استفاد المحقِّقُ في تحقيق الأبواب المنتخبة من كبار العلماء والمحدِّثين ومن كتبهم ومخطوطاتهم القيمة ، كما استفاد سابقاً في تحقيق كتاب « حياة الصحابة » ، وكثير ما هم ، فمنهم سماحة العلامة المحدِّث الكبير حبيب الرحمن الأعْظَمِيّ(١) ،

---

(١) هو المحدِّثُ الجليل، والمحقِّقُ الضليع، والعلامةُ البحَّاثة النقَّادة ، والحافظ الحُجَّةُ : الشيخ حبيب الرحمن بن محمد صابر عناية الله الأعظمي (١٣١٩ ـ ١٤١٢هـ)، من أكبر المحدِّثين في عصره على الإطلاق، درس العلومَ الإسلامية والعربية على أساتذة أجلاء في دار العلوم دِيُوبَنْد وغيرها، وقضى شَطْرَ عمره في التدريس والتأليف، اشتهر في العالم الإسلامي بتمكُّنه من جمع فنون الحديث. وقف على نفائس مخطوطات فحقَّقها، منها: « مسند الحُمَيْدي » و« المصنَّف » لعبد الرَّزَّاق، و« السُّنَن » للحافظ سعيد بن منصور، و« الزهد والرقائق » لعبد الله بن المبارك، و« مجمع بحار الأنوار » للشيخ محمد طاهر الفَتَّني، و« المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » لابن حجر العسقلاني، و« المصنَّف لأبي بكر بن أبي شيبة » وغيرها. ومن تأليفاته: « الحاوي على رجال الطحاوي » والذي حقَّقه لفِيفٌ من طَلَبة الدراسات العليا (قسم الحديث) في فرع جامعة أمِّ درمان (الواقع في مجمع أبي النور الإسلامي بدمشق) بإشراف الأستاذ الدكتور نور الدين عِتْر .
وكانت له استدراكاتٌ نفيسةٌ وتصحيحاتٌ دقيقةٌ على عددٍ من الكتب المحقَّقة، فلقي الشكرَ والامتنان من أصحابها، ومن تلك الاستدراكات والتصحيحات ما كانت على بعض الأجزاء=

والعلامة الشيخ الداعية محمد إنعام الحسن ، والشيخ الداعية محمد إظهار الحسن[1] ، والشيخ الداعية عبيد الله البَلْيَاوي[2] ، ـ رحمهم الله تعالى ـ ومن تعليقات الشيخ المفتي محمود حسن الكَنْكُوْهي[3] ـ رحمه الله تعالى ـ رئيس دار الإفتاء والإرشاد سابقاً بالجامعة الإسلامية المعروفة بدار العلوم ، ديوبند ـ الهند ؛ التي كتبها في حواشي « مشكاة المصابيح » أثناء تدريسه ، فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء ، ونَفَع بهم أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ ، وكذلك نسألُ الله تعالى أن يجزيَ خيراً كلَّ مَنْ

= من « مسند الإمام أحمد » الذي حقَّقه العلامةُ المحدِّث الشيخ أحمد محمد شاكر المصري، وقُوبل عليها منه بالشكر والعرفان، مع ما كان للشيخ أحمد محمد شاكر من مكانةٍ علميةٍ رفيعةٍ في أقطار العالم الإسلامي.

توفي رحمه الله تعالى بمسقط رأسه « مَئُوْ » (انظر ترجمته في كتابنا « أعلام المحدِّثين في الهند » ص: ١٣٤ ـ ١٥١).

(١) أحدُ كبار الدعاة إلى الله، ومن علماء الحديث الأجلاء، كان من أنْشَطِ رجال جماعة الدعوة والتبليغ، وكان لأحاديثه تأثيرٌ سريعٌ، درَّس الحديثَ النبويَّ الشريف مدَّةً في « مدرسة كاشف العلوم » بمركز نظام الدين « دهلي »، توفي رحمه الله تعالى، لم أعثر على سنة وفاته لعلَّه في سنة ١٩٩٧م أو ١٩٩٨م.

(٢) هو الداعية الكبير: الشيخ عُبيد الله البَلْيَاوي من رجال جماعة الدعوة والتبليغ الفضلاء المشهورين، تخرَّج من مدرسة مَظَاهر العلوم بسَهَارَنْفُور، وانتسب إلى جماعة الدعوة والتبليغ في حياة مؤسِّسها الشيخ محمد إلياس الكَانْدَهْلَويّ، فأصبح من أهمِّ أركان الجماعة، وأبرز رجالها، وكان جامعاً بين العلم العميق، والفهم الدقيق، والوعي الدعويِّ، ملتزماً بالمقولة الحكيمة: « كلِّموا الناسَ على قدر عقولهم »، رافق العلامةَ الندوي في رحلته الدعوية، والعلمية إلى مصر، والسودان، وفلسطين، وسورية . توفي ـ رحمه الله ـ عام ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م) .

(٣) هو العالم الجليل الشيخ محمود الحسن بن حامد حسن الكَنْكُوهي الدِّيُوْبَنْدي ، (١٣٢٥ ـ ١٤١٧هـ) وُلد في (كَنْكُوْه) وإليها نسبته، درس في « جامعة مظاهر العلوم » بـ (سَهَارَنْفُور) ثم في دار العلوم ديوبند درَّس ؛ وأفتى مدَّةً طويلةً، له « الفتاوي المحمودية » في تسع مجلَّداتٍ ، و« مجموعة مواعظ » في أربعة أجزاء . كان غيوراً على الإسلام، يدافع عن الدين متمسّكاً بالسُّنَّة .

ساعَدَ ، وأسدى يداً إلى هذا العمل الجليل ، وقام بخدمة الكتاب بأيِّ وجهٍ من الوجوه ، وبارك في حياتهم ، ونفع بعلومهم الإسلام والمسلمين .

وأسألُ الله العظيم أن يتقبَّل منا ومنهم هذا العملَ المبارك تقبُّلاً حسناً ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون ، وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين !

أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي

الأحاديث المنتخبة
في الصفات الستة للدعوة إلى الله تعالى

للداعية المحدِّث الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي

إعداد وترتيب

الشيخ محمد سَعد الكاندهلوي

دار ابن كثير

دمشق ـ بيروت

نبذة من ترجمة المؤلف ومرتِّب الكتاب

ترجمة مؤلّف الكتاب :

هو العالم الكبير ، والمحدِّث الجليل ، والداعية الموهوب المُلْهَم العلامة الفهّامة الشيخ محمد يوسف بن محمد إلياس الكَانْدَهْلَوي (١٣٣٥ ـ ١٣٨٤هـ) .

وُلد في « كَانْدَهْلَة » من أعمال مديرية « مُظَفَّرْ نَكَرْ » . ورَضع بلبان العلم والدين ، ونَشَأ في تصونٍ تامٍّ وتربيةٍ دقيقةٍ حكيمةٍ ، أدرك كبارَ الشيوخ والعلماء ، وقدْ شَاهَدَ منذ نعومة أظفاره أُسْرَةً نجيبةً عامرةً بالعلم والورع والصَّلاح ، فترَعْرَعَ في هذا المحيط العلمي الديني ، وفي أحضان الأمّهات الصالحات اللَّواتي أكْرَمَهن الله إلى جانب رِجال هذه الأسرة بالصَّلاح والورع والدِّين .

حَفِظَ القرآنَ الكريمَ وهو ابن عشر سنين ، وكان تحفيظ القرآن الكريم عُرْفاً متبعاً في هذه الأسرة ، وجبل على الحميَّة الدينيةِ ، ثم تَلَقَّى الدراسةَ الابتدائيةَ والحديث الشريفَ من الصحاح الستة وغيرها من والده الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، ثم دَرَسَها على كبار شُيوخ الحديث في المدرسة الشهيرة « مَظَاهِر العلوم » بمدينة « سَهَارَنْفُور » ، وقد اسْتَفَاد كثيراً خلال دراسته في هذه المدرسة من ابن عمِّه الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، وتخرّج منها سنة ١٣٥٤هـ ، كان يقضي أكثرَ أوقاته في دراسة الكتب ومطالعتها ، وتاقت نفسه خلال هذه الأيام إلى التأليف في الحديث الشريف، فبَدَأ بتأليف شرح مستفيض على « شرح معاني الآثار » للإمام الطحاوي وسَمَّاه: « أماني الأحبار في شرح معاني الآثار » ولم يزل عاكفاً على هذا العمل إلى آخر أيام عمره .

سلَّم إليه والدُه الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي قبل وفاته حملَ أمانةِ الدعوة إلى الله ، وأوْصاه برعايتها وحِفْظها إثر مشاورةِ كبار العلماء والمشائخ ورجال الدعوة ، وكلُّهم أشاروا بذلك لِمَا رأوا فيه من التقوى والصلاحية والمواهب لحمل هذه الأمانة ، فانقطع الشيخُ بكلِّ وجهه ـ رغم اشتغاله بالتدريس والتأليف ـ إلى هذا العمل المبارك ، وتَحَوَّلَتْ حياته إلى شُغْلٍ شاغلٍ بالدعوة واهتمام بالغ بأمرها حتى أخذت عليه كل لحظات حياته وأصْبَحت الدعوة شِعَارَهَ ودِثَارَه .

قام الشيخُ برحلات كثيرة داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومشاركاً في الاجتماعات الدينية والدعوية مشاركات لا تحصى ، عقد اجتماعاتٍ كثيرة في مختلف مُدُن الهند الكبرى خلال حياته الدعوية الّتي تمتدّ زهاء عشرين سنة ، وقام في هذا السبيل برحلات واسعة ، وألقى فيها

محاضراتٍ هامَّةً مستفيضةً في حفلاتٍ مزدحمةٍ ومناسباتٍ عديدةٍ ، وأخرج منها الدعاةَ في سبيل الله في عدد الآلاف إلى أنحاء بعيدة وأقطار نائية .

كان غزيرَ العلم ، واسع المعرفة ، خاصة فيما يتعلّق بالعهد النبوي وعهد الصحابة والتابعين ، ومن رآه عن كثبٍ وصحبه عرف : أنه كان آيةً من آيات الله في العصر الحاضر ، لقد أكرمه الله تعالى بخصائص كثيرة قلَّما يجتمع مثلُها في غيره ، كان واسعَ الاطلاع على حياة الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، واتصاله الزائد بأحوالهم ، واهتمامه البالغ باتباع السنَّة ، وفهمه للقرآن الكريم ، واستخراجه لنتائج عظيمة من حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقوَّة جمعه بين الأعمال المتباينة من التأليف والدعوة ، وقَلَقه واضطرابه ، وإيمانه وثقته بالله ، وتوكُّله عليه ، ودعوته العامة ، وصبره وعزيمته ، وتواضعه وجهده المتواصل .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بباكستان كان يزورها بعمل الدعوة ودُفِن بدِهْلي (الهند) .

ومن مصنَّفاته القيمة : « أماني الأحبار في شرح معاني الآثار » ، و« حياة الصحابة » و« الأحاديث المنتخبة في الصفات الست للدعوة إلى الله »[١] .

ترجمة مرتِّب أحاديث الكتاب :

هو العالم الجليل ، الداعية الموهوب والخطيب المؤثِّر : الشيخ محمد سعَد الكانْدَهْلَوي (نجل الشيخ محمد هارون الكانْدَهْلَوي ، وحفيد المحدِّث الداعية الشيخ محمد يوسف الكانْدَهْلَوي) أحد أكابر علماء الهند والدعاة إلى الله ، درس في دار العلوم دِيُوْبَنْد الإسلامية ، ثم انخرط في سلك التدريس في مدرسة كاشف العلوم (الواقعة في مركز نظام الدين في دلهي) مع القيام بالعمل الإسلامي والدعوة الإسلامية ، وقد سافر إلى بلادٍ عديدةٍ من بلاد العرب ، وأوربة وأمريكة داعياً إلى الله . وله مشاركةٌ جيِّدةٌ في الحديث وعلومه كما هو المعهودُ به في أسرته .

---

(١) انظر ترجمته الموسَّعة في : « أعلام المحدِّثين في الهند » لسيد عبد الماجد الغوري صفحة : (١١٢ ـ ١١٩) .

مقدِّمة(١)

لفَضيْلَةِ العلامَةِ أبي الحَسَن عَلِيٍّ الحَسَنيِّ النَّدْويِّ رحمه الله !

الحَمْد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاةُ والسَّلام على سيِّد المرسلين ، وخاتم النَّبِيِّين محمَّدٍ ، وآله ، وصحبه أجمعين ، ومَن تبعهم بإحسانٍ ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدِّين ، أمَّا بَعْدُ :

فإنَّ جماعة الدَّعوة والتَّبليغ التي مركزُها الرَّئيسي في نظام الدِّين بدِهْلي قد أصبَحَ عملُها ـ بناءً على ما يَدُلُّ عليه الواقعُ ـ أوسعَ عملٍ دعويٍّ وأقواه تأثيراً ، ونفعاً في العالم الإسلاميِّ اليوم ، وأقولُ ذلك بصراحةٍ بدون توريةٍ ولا مُحاباةٍ(٢) ولم يَعُدْ هذا العمل قاصراً على نطاق شبه القارَّة الهنديَّة ، ولا بالقارَّة الآسيويَّة فحسب ، بل اتَّسَع نطاقُه إلى القارَّات الأخرى ، والبلدان الإسلاميَّة ، وغير الإسلاميَّة كذلك ، ونحن عندما نُلقي نظرةً على الدَّعوات ، والحركات ، والجهود التي بذلت في التَّاريخ للإصلاح ، وتغيير الأحوال في هذا العالم يظهر لنا : أنَّ أيَّ دعوةٍ أو حركةٍ عندما يَمُرُّ عليها زمنٌ طويلٌ ، أو مدَّةٌ مديدةٌ ، أو يتَّسع نطاقُ عملها اتساعاً كبيراً ، وبصورةٍ خاصةٍ إذا ما أتت بمنافع ظاهرةٍ ، وبالعظمة ، والجاه من الزَّعامة بها ظهر في أكثرها خللٌ ، ودخلت فيها أهدافٌ غير كريمةٍ ، ووقع عدولٌ عن غايتها ، وهدفها

---

(١) كتبها رحمه الله تعالى بالأردية ، وعرَّبها أحد تلاميذه .

(٢) وليس قصدي من هذا الإظهار والتعريف الاستهانة بحركات الدعوة الأخرى الكثيرة والجهود المختلفة الأخرى التي خدمت الدعوة وعمل الخير بتعريف الناس بالأخطار والفِتَن المحدقة بالإسلام، وبالسعي لإنشاء قوَّةٍ لمقاومة هذه الأخطار في نفوس الدعاة، بل إنما كتبتُ ذلك لمجرَّد إظهار قيمةِ هذه الدعوة بصورةٍ إيجابيةٍ، وذلك لاتساع عمل الدعوة هذه وانتشارها في الناس، ولقد كتبتُ ذلك اعترافاً بواقع عمل هذه الجماعة .

الأصيل ، وساق ذلك إلى نقصٍ في فائدتها ، وتأثيرها ، أو قضى عليها بتاتاً .

ولكنِّي رأيتُ عملَ الدعوة والتَّبليغ هذا (بقدر ما جاء في حدود علم هذا الكاتب ، ومشاهدته الشَّخصيّة) بقي إلى يومنا هذا محفوظاً من هذا النَّقص والخَلَل ، فلقد وَجَدْتُ أصحابها يحملون عاطفةَ الإيثار ، والتَّضحية ، وطلب رضا ربِّهم ، والمثوبة على عملهم منه ، ويحملون الاحترامَ الشَّديد للإسلام ، والمسلمين ، والاعتراف بفضلهم ، والتَّواضُع لله ، والرِّقَّة ، والعطف ، والعناية الكبيرة بأداء فرائض العبادات ، والرَّغبة في تحسين ذلك ، وترقيته ، والاشتغال بالذِّكر ، وأعمال التقرُّب إلى الله ، والاجتناب ، والاحتراز ممَّا لا يعني ، ولا يفيد من الأعمال إلى الحدِّ المُستطاع ، والقيام بالرِّحلة إلى الأماكن النَّائية في طلب الهدف ، وابتغاء رضا الله سُبْحَانه وتعالى ، واحتمال المشقَّة ، والتَّعب في ذلك ، فقد أصبح ذلك كلُّه من العادات المَرْعِيَّة للعاملين لهذه الدَّعوة .

فَلَقَدْ وَرِثَ العاملونَ في هذه الدَّعوةِ الخصائصَ المذكورةَ ، والميِّزةَ فيها من سيرة مؤسِّس هذا المنهج الدَّعوي الأوَّل الشَّيخ محمَّد إلياس الكَانْدَهْلَوي ، رَحِمَهُ الله ! وهي : الإخلاصُ في العمل ، والإنابةُ إلى الله ، ودعواتٍ ، وابتهالاتٍ بَيْنَ يدي الله ، واجتهادٍ مخلص ، وتضحياتٍ للدَّعوة ، وأكثر من ذلك طلبهم لرضا الله ، والتَّقرُّب إليه ، ولقد حافظت الجماعةُ على الأُسُس ، والمبادىء الَّتي قرَّرها الدَّاعية الأوَّل لهذه الدَّعوة سماحة الشَّيخ محمَّد إلياس الكانْدَهْلَوي ، رحمه الله ! فإنَّه أَلْزَمَ العاملين للدَّعوة بالمحافظة عليها ، والتزم قادةُ الجماعة بالتَّأكيد عليها ، والدَّعوة إليها ، وهذه الأُسُس ، والمبادىءُ هي : التَّذكيرُ بكلمة التَّوحيدِ الطَّيبة ، ومعانيها ، ومقتضياتها ، والعلمُ ، والمعرفةُ بفرائض العبادة ، وفضائلها ، والتَّذكيرُ بفضيلة العلم ، والذِّكر ، والاشتغالُ بذكر الله ، والإكرام لكلِّ مسلمٍ ، ومعرفة حقِّه على أخيه المسلم ، وأداء حقوقه ، وتصحيح النِّيَّة ، والإخلاص في كلِّ عملٍ ، وترك ما لا يعني من الأعمال ، والتَّذكير بفضيلة الخروج في سبيل الدَّعوة ، والرِّحلة لها ، والشَّوق لها .

هذه هي الخصائصُ ، وعناصرُ هذه الدَّعوة التي حفِظَتِ الجَمَاعة من الاستحالة

إلى حركةٍ سياسيَّةٍ مُغْرِضةٍ لِطَلب المنافع الشَّخصيَّة من جاهٍ ، ومنصبٍ ، فبقيت جماعةً مخلصةً لدعوةٍ دينيَّةٍ خالصةٍ ، وذريعةٍ لطلب رضا الله سبحانه ، وتعالى !

إنَّ المبادىء ، والعناصر الَّتي قرَّرها مؤسِّسُ هذه الدَّعوة إنَّما هي مقتبسةٌ من الكتاب والسُّنَّة النَّبويَّة الشَّرِيفة ، وهي تقوم مقامَ حارسٍ أمينٍ لروح الطَّلب لرضا الله ، وحفظ حمى الدِّين الإسلاميِّ ، وهي مأخوذةٌ من السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة ، وأحاديث الرَّسول ﷺ .

ولقد كانت الحاجةُ ماسَّةً إلى تأليف كتابٍ يشتمل على الآيات ، والأحاديثِ التي يعتمد عليها مَنْهَجُ هذه الدَّعوة ، فأتاح الله تعالى بفضله ، وكرمه رجلاً كُفْئاً لهذا العمل وهو العلامة الشَّيخ محمَّد يوسف الكَانْدَهْلوي ، رحمه الله ! نجلُ المؤسِّس لهذا المنهج والدَّاعية الأوَّل الشَّيخ محمَّد إلياس ، رحمه الله ! فإنَّه قام بتأليف كتابٍ مشتملٍ على ذلك ، وهو عالمٌ جليلٌ وله معرفةٌ دقيقةٌ وواسعةٌ بالحديث الشَّريف ، فقام بهذا العمل باستيعابٍ ، واستقصاءٍ ، فجاء الكتابُ لا كمجموعةٍ للمبادىء ، والأُسُسِ والتَّوجيهات الرَّشيدة لعمل الدَّعوة ، بل كموسوعةٍ كاملةٍ في هذا المجال ، فقد ذكر فيها بدون انتخابٍ ، أو اختصارٍ كلَّ ما وجده في الموضوع على اختلاف درجاته ، ثمَّ أتاح الله حفيدَ الدَّاعية المؤلِّف ، وهو الشَّيخ سعد بن هارون الكانْدَهْلَوي أطَالَ الله بقاءَه ، ووَفَّقه لمزيدٍ من الخير ! فإنَّه بذل سعيَه لإصدار هذا الكتاب لِيَعُمَّ نَفْعُهُ في النَّاس ، تقبَّل اللهُ عَمَلَهُ ، وجعل نفعه عظيماً ، وما ذلك على الله بعزيزٍ .

أبو الحَسَنِ عليٌّ الحسني النَّدْويُّ

دائرة شاه علم الله

٢٠/ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ

مقدِّماته

لكتب الأجزاء في الحديث

١ ـ حجَّة الوداع وجزء عمرات النبي ﷺ : للمحدِّث الشيخ محمد زكريا الكانْدَهْلَوي .

٢ ـ نبوءات الرسول ما تحقَّق منها وما يتحقَّق : للدكتور محمد ولي الله عبد الرحمن النَّدْوي .

حجة الوَداع
وجزء عمرات النبي ﷺ

للمحدِّث العلامة محمد زكريا الكَانْدَهْلَوِي

المكتب الإسلامي
بيروت

تقديم

الأستاذ السيِّد أبي الحسن علي الحسني النّدوي

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أمَّا بعد : ممَّا أكرم الله به الأمَّةَ الإسلاميةَ من بين أُمَمِ العالم وخصَّ به دينَ الإسلام من بين الأديان هذا الحَجَّ الذي لم يُعْرَفْ في تاريخ الديانات والنُّظُم والشعوب والأمم نُسْكٌ يضاهيه في التأثير والإصلاح ، وربطِ القلوب بالله ، وإثارةِ الحنان والأشواق ، وتسليتها وتحقيقها بالطُّرُق الأمثل ، وتجديد الصِّلة بأصل المِلَّة ومؤسِّسها ، وشحنِ النفوس بالقُوَّة الجديدة والإيمان الجديد ، وإشعال مجامر القلوب بالحُبِّ والحنان ، والتَّمَرُّدِ على الأوضاع والعادات ، والتَّحَرُّرِ من رِبْقَة الأعراف ، والدَّعوةِ إلى التوحيد والدين الخالص ، والتجرُّدِ من كلِّ مظاهر الشِّرك والوثنية ، والسُّمُوِّ على الحواجز المكانية ، والفوارق الإنسانية ، وفي تحقيقِ مقاصد التعليم والتربية ، والتبليغِ والدعوة ، وفي عصمة هذا الدين من التحريف ، وفي وقاية هذه الأمة من الانحراف العام ، ومن وقوعها فريسةً لتحريفِ الغالين ، وانتحالِ المبطلين ، وتأويلِ الجاهلين ، وفي المحافظة على أصلٍ واحدٍ ونَبْعٍ واحدٍ ، وفي توطين النفوس على المشاقِّ والمكاره ، وأن تبقى هذه الأمة طوعَ إشارةٍ ، ورهينةَ أمرٍ ، لا تتشبَّث بعادةٍ ، ولا تعبد مألوفاً[1] ، ولا أبلغ مِن قوله تعالى :

﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾ [الحج : ٢٨] .

وقد كانت حِجَّة رسول الله ﷺ وهو خاتم النبيِّين ، من الآيات البيِّنات

---

(١) ليرجع في معرفة مقاصد الحج وأسراره إلى كتاب « حجَّة الله البالغة » لحكيم الإسلام الشيخ وَلِيّ الله الدِّهْلَوي .

والمعجزات الخالدات ، فقد كانت فريدةً من بين سِيَر الأنبياء وعباداتهم ومناسكهم ـ فضلا عن سائر الناس ـ وقد كانت فريدةً من نواحٍ كثيرةٍ ، كانت فريدةً من الناحية التعليمية والبلاغية ، فريدةً من الناحية الإصلاحية والتربوية ، فريدةً من الناحية الباطنية والروحية ، فريدةً في مَدَى اهتمام الناس الذين أكرمهم الله بالسَّيْر في رِكَابه ، وحضور الموسم معه بتتبع آثاره وحفظ أخباره ، ومراقبة حركاته وسكناته ، وتسجيل غُدْوَاتِه ورَوْحَاتِه ، وفي مدى اعتناء طبقات الأمة من السَّلَفِ إلى الخَلَفِ بكل ما صَدَر عنه ﷺ في هذا السَّفَر من قولٍ أو عملٍ ، أو عادةٍ أو عبادةٍ ، أو نفيٍ أو إثباتٍ أو إنكارٍ فقهاً واستنباطاً للأحكام ، واستخراجاً للجزئيات ، وتفريعاً للفروع ، وعَلَتْ في ذلك هِمَمُهم ، ودَقَّتْ فيه أفهامُهم ، ورَقَّ فيه شعورُهم ، حتى عصروا في ذلك أذهانَهم وعقولَهم ، وبلغوا في الدِّقَّةِ والتفصيلِ غايةً ما وراءها غايةٌ .

ولم يكن الفضلُ في ذلك للعِلْم وَحْدَه ، وقد جرَّبنا نشاطَ العلم والعقل ، ومدى وفائهما لموضوعهما في تدوين رحلات العظماء ، وتاريخ الزعماء ، فقد فاتهم الشيءُ الكثيرُ الذي له قيمةٌ علميةٌ ، أو أهميّة تاريخيةٌ ، بل كان في ذلك نصيبٌ كبيرٌ للحُبِّ الذي لا يَغْفَلُ ولا يَلْهُوْ ، ولا يَمَلُّ ولا يَنِيْ ، ولا يتخلّى عن شَعْرَةٍ من الشَّعرات ، ولا يتنازل عن ذَرَّةٍ من الذَّرَّات ، بل يتمسَّك بها كأنها أفضلُ بضاعةٍ ، ورأسُ مالٍ ، بل كأنَّها حُشَاشة نفسٍ وحَبَّةُ قلبٍ .

وقد رافَقَ الحبُّ العقلَ في هذه الرحلة الطويلة المباركة منذ أعلن رسولُ الله ﷺ الحَجَّ ، وأقبل إليه المسلمون من كلِّ صَوْبٍ ، وتهافتوا عليه تهافُتَ الفراش على سراجٍ منيرٍ ، فلم يفترقا ، حتى عاد رسولُ الله ﷺ إلى المدينة ، وقد راقبا سَيْرَه ووقوفَه ، وأقوالَه وأفعالَه ، فحفظت للأمةِ والأجيالِ القادمة سِجِلاًّ دقيقاً ، وكتاباً ناطقاً ، بل صورةً مشرقة لهذه الرحلة الكريمة ، يرى فيها المسلمُ مسيرَ رسولِ الله ﷺ ، من المدينة المنوَّرة إلى مكَّة المكَّرمة ، فمِنى ، فعرفات ، ورجوعه ﷺ إلى مكَّة ثم قفوله[1] للمدينة ، يراه يطوف ويسعى ، ويسمعه يفتي ويعلِّم ، ويخطب ويتكلَّم ، ويشهد معه المشاهد كلَّها كأنَّه

(١) القُفول : الرجوع من السَّفر .

رأيُ عينٍ وحديثُ أمسٍ ، فيعوِّض ذلك عن تخلُّفه عن هذا الركب الميمون ، وعن إدراكه لهذه السعادة العُظْمى ، ويمثِّل له الغائب ، يُعيد إليه الماضيَ فيتعزَّى بذلك ويحمد الله ، ويعترف لأولئك العُشَّاق المتيَّمين ، والرُّوَاة الأمناء المدقِّقين بالفضل والإحسان ، ويدين لهم بالشكر والامتنان ، فما صنعت أمَّةٌ بنبيِّها مثلَ صنيعِ هذه الأمَّةِ ، ولا حَرِصَتْ على تخليدِ آثاره ، ورواية أخباره ، ونقل دقائقه وجلائله ، مثل ما حَرِصَتْ هذه الأمَّةُ ، ولا اعتنى علماءُ دينٍ بدراسةِ عبادةٍ من عبادات أنبيائهم ، مثل ما اعتنى علماءُ هذه الأمَّةِ بهذه الحِجَّة ، ولا تعمَّقوا مثل تعمُّقهم في ذلك .

وقد دلَّت كلُّ القرائن على أنَّ هذه الحِجَّة كانت مقصودةً من الله بهذا التفصيل ، لم تكن فَلْتَةً من الفلتات ، بل جاءت في وقتها المناسب : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد : ٨] .

وكان في تأخيرها إلى هذا الوقت حكمةٌ بالغةٌ ومصلحةٌ راجحةٌ ، فقد انتشر الإسلامُ في جزيرة العرب ، وكَثُرَ المسلمون ، وقَوِيَ الإيمان ، وشَبَّ الحُبُّ ، واسْتَعَدَّت النفوسُ للتعلُّم والاستفادةِ ، وهَفَتِ القلوبُ ، ورَنَتِ العيونُ إلى المشاهدة والمراقبة ، ودَنَتْ ساعةُ الفِرَاق ، فألْجَأتِ الضرورةُ إلى وداع الأمَّة ، فخرج رسولُ الله ﷺ من المدينة ليَحُجَّ البيت ، ويلقى المسلمين ، ويعلِّمهم دينهم ومناسكهم ، ويؤدِّي الشهادة ، ويبلِّغ الأمانة ، ويُوصي الوصايا الأخيرة ، ويأخذ من المسلمين العهدَ والميثاقَ ، ويمحو آثارَ الجاهلية ويطمسها ويضعها تحت قَدَمَيْه .

فكانت هذه الحِجَّةُ تقوم مقامَ ألفِ خطبةٍ وألفِ درسٍ ، وكانت مدرسةً متنقلةً ، ومسجداً سيّاراً ، وثُكْنَةً جوالةً ، يتعلَّم فيها الجاهلُ ، وينتبه الغافلُ ، وينشط فيها الكسلان ، ويقوى فيها الضعيفُ ، وكانت سحابةٌ واحدةٌ تغشاهم في الحِلِّ والتَّرْحَال هي سحابةُ صحبةِ النبيِّ ﷺ وحُبُّه وعَطْفُه ، وتربيته وإشرافه .

وقد كان من آثار نُضْجِ المسلمين العقليِّ ، وقُوَّةِ حُبِّهم ، وشِدَّةِ تعلُّقهم بكلِّ ما يصدر عن هذه الشخصية الحبيبة المُفَدَّاة ، أن سجَّلوا كلَّ دقيقةٍ من دقائق هذه الرحلة ، وكلَّ حادثٍ من حوادثها الصغيرة ، لا يحتفل بأمثالها في رحلات العظماء والرؤساء ، والملوك والأمراء ، والعلماء والنبغاء ، وذلك شأنُ المُحِبِّ الوامقِ ،

والعاشقِ الصادقِ الذي يرى كلَّ شيءٍ لمحبوبه حسناً ، فيتلذَّذ بذكره ، ويَسْتَرْسِلُ في حديثه ، لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا يُحصيها ، ولا دقيقةً نادرةً إلا يَسْتَقْصيها .

يتطيَّب رسولُ الله عند إحرامه فيذكرون من باشَرَ هذا التطييب ، ويذكرون نوعَ هذا الطِّيْبِ ، فيقولون : (ثم طيَّبَتْه عائشةُ ، رضي الله عنها)[1] بذَرِيْرَة ـ وهو طِيْبٌ فيه مِسْكٌ ـ حتى رُؤي وَبِيْصُ المِسْك (أي : لمعانه) في مفارقه ولحيته ﷺ . ويُشعِرُ رسول الله ﷺ هديَه ، فيذكرون تفصيلَه وتحديدَه ، هل كان في الجانب الأيمن أو الأيسر ، وكيف سال منها الدَّمُ ؟ ويذكرون احتجامَه ، والاحتجام فعلٌ طِبِّيٌّ طبعيٌ لا صلةَ له بمناسك الحَجِّ ، فيحدِّدون مكانَه من الجسم ، وموضعه من الطريق ، فيقولون : (واحتجم بمَلَلٍ) ، ومَلَلٌ موضع بين مكة والمدينة على سبعة عشر ميلاً من المدينة ، ويقولون : (واحتجم على رأسه بلَحْي جَمَلٍ) ، وهو موضع في طريق مكة . وتهدى له قطعة لحم وهي حادثةٌ عادية تتكرَّر ، ولا تسترعي الاهتمام في عامة الأحوال ، فيذكرونها بالتحديد والتفصيل ، فيقول الراوي : (حتى إذا كانوا بـ (الأبْوَاء) أهدى له (الصَّعْبُ بن جثَّامَة)[2] عجز حمارٍ وحشيٍّ .

ويحدِّدون المنازل بين المدينة ومكَّة ، ويعدُّون أيامه في السفر ، وذلك في زمانٍ لم يعرف الناسُ فيه كتابةَ اليوميّات وتدوين المذكِّرات ، ولكن الحُبَّ يُلْهِم ويخترع ، فيقول الراوي : « ثم نَهَضَ إلى أن نَزَلَ بـ (ذي طُوَى) فباتَ بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذي الحِجَّة وصلَّى بها الصبح ، ثم اغتسل من يومه ونهض إلى مكة » . ولم تفتْهم شاردةٌ ولا نادرةٌ في هذه الرحلة التي كثرت فيها الشواغلُ ، وتعدَّدت فيها المنازل ، واشتدَّ فيها الزحامُ ، فلم يفتهم أن يقيِّدوا خروج حية في هذا المشهد

---

(١) وقد أفاض الشرَّاحُ في وصف الذَّرِيْرَة وأنواعها، راجع الكتابَ . (العلامة الندوي) .
قلتُ : قال ابن الأثير : هو نوعٌ من الطِّيب مجموعٌ من أخلاطٍ (٢/ ١٥٧) .

(٢) هو الصَّعْبُ بن جَثَّامة بن قَيْس اللَّيْثي، أحد شجعان الصحابة، شهد الوقائع في عصر النبوَّة، وحضر فتح (اصطخر) و(فارس)، وفي الحديث يوم حنين « لولا الصعبُ بن جثامة لفضحت الخيل » مات في خلافة عثمان، عام ٢٥هـ، وله أحاديث في الصحيح (الإصابة : رقم الترجمة : ٤٠٦٥).

الحافل ، وإفلاتها من القتل ، فيقول الراوي وهو يذكر ليلة مِنَى : (وخَرَجَتْ حَيَّةٌ وأرادوا قتلَها فدخلت في جُحْرِها) . ويذكرون كلَّ من كان رديفَ[1] رسولِ الله ﷺ في هذه الرحلة ، ويذكرون اسمَ الحلاق وكيف قَسَم شعرَه ، ومن خصَّهم بالشِّقِّ الأيمن ، ومن خصَّهم بالشِّقِّ الأيسر ، وهذه كلُّها تفاصيلُ ودقائقُ لم يكن مصدرها إلا الحُبُّ العميقُ .

ومن العَبَثِ وإضاعة الوقت أن يبحث عن نظائرها في رحلات القادة ، وتاريخ المشاهير ، وقد أخلَّت أممٌ كثيرة بحياة أنبيائها وسِيَرهم وأخبارهم ومراحل حياتهم ، وضيَّعوا منها الشيءَ الكثيرَ الذي لا تكمل حياتُهم ولا يتمّ تاريخهم إلا به ، ولم يحافظوا إلا على النَّزْرِ اليسيرِ من أخبارهم وأحوالهم ، فجُلُّ ما نعرف عن سيِّدنا المسيح ـ عليه وعلى نبيِّنا الصَّلاة والسَّلام ـ هو أخبار خمسين (٥٠) يوماً من سِيرته وأخباره[2] ، وهنالك أصحاب رسالاتٍ ودياناتٍ في بلاد متمدِّنةٍ عريقةٍ في العلم لم تبق إلا أسماؤُهم ونتف من أخبارهم لا تشفي العليلَ ولا تروي الغليلَ ، ولا تقود الأجيالَ ولا تنير السَّبيلَ .

وقد كان الحَجُّ بطبيعته ووضعِه الخاصِّ الذي يمتاز به عن سائر الأركان ، وانتقاله من طَوْرٍ إلى طَوْرٍ ، ومن فعلٍ إلى فعلٍ ، ومن نُسُكٍ إلى نُسُكٍ ، ومن مكانٍ إلى مكانٍ ، وما يتعلَّق به من الأحكام ، والآداب والجُزْئيات ، وتنوُّع أحوال الناس فيه مِن أوْسَعِ أبواب الفقه ، وأكثرها أحكاماً ومسائل ، وأدقِّها ، ولذلك عُنِيَ به العلماءُ قديماً وحديثاً ، وانفرد بعلمه والإفتاء فيه علماءُ مختصُّون من التابعين وأتباع التابعين ، ومن جاء بعدهم ، وكان يُشار إليهم بالبَنان ، وقد يعيِّنهم الخلفاء ، ومن بيدهم الحَلُّ والعقدُ ، فيعلن : « لا يُفْتِ في الموسم إلا فلانٌ وفلانٌ » ، وجَرَتْ سنَّةُ الخلفاء الراشدين ، وخلفاء بني أمية ، وبني العباس بتعيين أمير الحَجِّ وإرساله للحَجِّ[3] .

---

(١) وقد استوعب صاحبُ « نسيم الرياض » أسماء كلِّ من أردفهم رسولَ الله ﷺ في حياته ، فذكر نحو ثمانية وثلاثين رديفاً ، وزاد ابن مَنْدَه على هذا العدد . راجع الكتاب.

(٢) مقالٌ جاء في دائرة معارف بريطانيا : (١٣/ ١٧١).

(٣) رَاجِعْ « البداية والنهاية » : لابن كثير ، وغيره من كتب التاريخ .

وأكثَرَ علماءُ الإسلام وفقهاء الأمصار والمؤلِّفون الكبار البحث فيه ، وتوسَّعوا فيه توسُّعاً لم يُعْرف لغيره من أبواب الفقه ، ومنهم من أفرد له تأليفاً ، وألَّف كتاباً خاصاً في المناسك ، وإذا أفْرِدَتْ هذه الكتبُ التي أُلِّفت في المناسك وأحكام الحجِّ في عصورٍ مختلفةٍ ، وفي بلادٍ مختلفة ، وفي لغاتٍ مختلفةٍ ؛ كوَّنت مكتبةً كبيرةً ، ومن المؤلِّفين من اختصَّ بمذهبه ، ومنهم من ذكر المذاهبَ الأخرى واستعرض دلائلَها ، وبحث بحثاً مقارناً ، ومنهم من أفرد كتاباً بحِجَّة الوداع .

وكلُّ ذلك يَدُلُّ على مكانة الحَـجِّ في الإسلام ، ومدى عناية الأمة به ، وقد كانت هذه الفريضةُ التي تُفْرض مرَّةً في العمر وما ورد فيها من الفضائل ، وما وَعَدَ الله عليه وأخبر به رسوله من الأجر العظيم والثواب الجزيل والمغفرة من الذنوب « مَنْ حَجَّ فلَمْ يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »[1] وما يستتبع هذا السفر عادةً من الاهتمام الزائد وتحمُّل المشاق ، وركوب البحار حيناً ، وقطع البَرَاري والقِفَار حيناً آخر ، وتجشُّمِ الأخطار والتعرُّضِ للمخاوف ، وفراقِ الأهل والوطن ، وقبولِ التزامات الإحرام ومحظوراته ، والابتعادِ عن الرَّفَثِ والفُسوق والجِدَال ، كان كلُّ ذلك كافلاً بأن تتوافرَ الدواعي ، وتشحذَ العزائمُ وتتوجَّه الهِمَمُ إلى معرفة فقههِ وآدابِه وسُنَنِه ، وبذل أقصى الطاقة في إحسانه وإكماله ، وأن تُقْتَفى فيه آثارُ النبيِّ ﷺ وتُتَّبَعُ سُنَّتُه ، ويقتدى بهديه بقدر الإمكان ، وإلى ما يبلغه جهد الإنسان ، فكان كلُّ ذلك باعثاً على العناية بحجَّة النبيِّ ﷺ ، التي كانت ولا تزال الحِجَّة المثالية لكلِّ مسلمٍ في كلِّ عصرٍ ومصرٍ ، إلى أن يرث الله هذه الأرضَ ومن عليها .

ولَمَّا كان شيخنا العلامة محمَّد زكريا بن محمَّد يحيى الكَانْدَهْلَويّ من أحْرصِ علماء عصره على خدمة الحديث الشريف ، والاشتغال به تعليماً وتأليفاً ، وشرحاً وتعليقاً ونشراً وإفاضة ، وكانت لذَّتُه وطِيبُ عيشِه وقُرَّةُ عينِه ـ كما ذكرنا في تقديمنا

---

(١) اخرجه ابن حبان في صحيحه (٩/ ٧) برقم (٣٦٩٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ١٣١) برقم (٢٥٤١)، والترمذي في أبواب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة، برقم (٨١١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٢٩) برقم (٧١٣٦) وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لمقدِّمة « أوجز المسالك »[1] ـ ، في أن يقضيَ فيه نهارَه ويسهر فيه ليلَه ، وكانت أمنيته أن يكون له في كلِّ موضوعٍ يتعلَّق بالحديث النبويِّ وبالسِّيرة النبويَّة نصيبٌ ، وكان يعرف ـ بحكم اشتغاله بالحديث وممارسته لهذه الصناعة الشريفة ـ مدى عناية السَّلَف بحجَّة الوداع ، وما يتعرَّض لطالب علم الحديث ومن يُطالِع الشُّرُوحَ ، والكتب المؤلَّفة في شرحها وبيانها ، وكيف اختلفت المذاهبُ وتباينت الآراءُ في نوع حِجَّة النبيِّ ﷺ وأفعاله وهديه في هذه الحِجَّة ، لكلِّ ذلك سَمَتْ هِمَّتُه في عام (١٣٤٢هـ) ، وهو في السابعة والعشرين من عمره[2] ، إلى أن يُفْرِدَ جزءاً في حِجَّة الوداع ، وكان إذ ذاك شاباً موفور الصِّحَّة ، قويَّ الهِمَّة ، يهون عليه سهرُ الليالي وعناءُ النهار ، فانصرف إلى تأليفه ، وهو مستحضرٌ لما كُتب في هذا الموضوع ولأحسن ما قيل فيه ، وقد بارك الله في وقته وهِمَّته ، ففرغ من تأليفه في يوم وليلة ـ غير الحواشي التي أضافها في أوقاتٍ مختلفةٍ ـ كما بيَّن ذلك في خاتمة هذه الرسالة ، فجدَّد ذكرى مآثر السَّلَف في الانقطاع التامِّ إلى العلم والتأليف ، والعكوف عليه ليلاً ونهاراً ، وبركة الأوقات وإتمام عملٍ كبيرٍ في وقتٍ قصيرٍ ، ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٠] .

وتشاغَل المؤلِّفُ عن هذا التأليف الصغير في قامته ، الكبير في قيمته زمناً طويلاً ، وصدر من قلمه في هذه الفترة مجلَّداتٌ كبارٌ في شرح الحديث ، كـ « أوجز المسالك في شرح موطأ الإمام مالك » في ستة أجزاء ، وصدر « الكوكب الدُّرِّي » ، وثلاثة أجزاء من « لامع الدَّرَاري » ، هذا غير الكتب الكثيرة المقبولة في فضائل الأعمال ، وأخبار الصحابة ، وشرح الشمائل النبويَّة ، وفي مقاصد دينية اجتماعية في « أرْدُوْ » لغة مسلمي الهند العامة ، وبقي الكتاب مطموراً بين مُسَوَّداته ومؤلَّفاته القديمة حتى الآن .

ولمَّا أراد الله نشرَ هذا الخير ونفعَ المسلمين والمشتغلين بالحديث والسنّة وطَلَبَة العلم به ، وكان قد منعه ضَعْفُ البصر الذي اعتراه من سنينٍ ، ثم العملية الجِرَاحيَّة

---

(١) انظر صفحة (٨٥).

(٢) وُلد لعشر خلون من رمضان سنة ١٣١٥هـ.

في العين سنة (١٣٩٠هـ) ، عن تأليف كتبٍ جديدةٍ تستلزم مراجعةً كثيرة ومباشرة الكتابة والتصحيح ، تذكَّر هذا الكتابَ القديمَ الذي تناساه ، وشُغِلَ عن إبرازه وإكماله وإعداده للطبع ، فاستخرجه من بين الكتب والمسوَّدات ، وتناوله بتفصيل المُجْمَل ، وشرح المُبْهم ، وإيضاح المُشْكِل ، ونقل العبارات التي أُحِيْلَ إليها ، والكشف عن الإشارات التي جاءت فيه ، وزيادة الدراسات التي تجدَّدت عنده ، والاستعانة ببعض المعلومات الجديدة التي حصلت له بحكم أسفاره العديدة ، وإقاماته الطويلة بالحرمَين الشريفَين ، والاطلاع على مصادر جديدة ، لا يبخل فيه بمعلومٍ ولا يتحاشى فيه عن ذكر مصدرٍ ، أو مساعدٍ ، وإنْ كان من طبقة تلاميذه ومن الصغار ، فهو لا يرى فيه غَضَاضةً لنفسه ولا عيباً فادحاً لكتابه ، وقد ذكر وشكر كلَّ من أعانه في هذا العمل بقليلٍ أو كثيرٍ شأن علماء السَّلف المخلصين والعلماء الربَّانيِّين .

ثم بَدَا له أن يُكمِل هذا الجزءَ ببحث في عمراته ﷺ وعددها وتحديدها وتفاصيلها ، وما اشْتَمَلَتْ عليه من أحكامٍ فقهيةٍ وبحوثٍ تاريخيةٍ وفوائد علميةٍ وتحقيقاتٍ حديثيَّةٍ ، فكان نَهْجُه في هذا البحث نَهْجَه في جزء « حِجَّة الوداع » ، استيعابٌ شاملٌ واستقصاءٌ كاملٌ ، وتحرٍّ للصواب ، وبحثٌ عن الحقيقة العلمية وتقريرٌ للحَقِّ ، وأمانةٌ في النقل ، وقد أيَّد هذا العملَ المبارك بعض المبشِّرات والرؤى الصالحة والإشارات الغيبية التي تَدُلُّ على إخلاص المؤلف وابتغائه لوجـه الله ، وشغفه بالسنَّة والحديث النبوي ، وعلى أنَّ هذا العمل قد حظي بالقبول .

ويمتاز هذا الكتابُ ـ كما يلاحظه القارىء المُطَّلِعُ ـ :

أولاً : باستيعابه الشامل لكل ما يتصل بهذه الرِّحْلة المباركة ، والركن العظيم ، من قريبٍ أو بعيدٍ ، من بيان المناسك ، ونقلِ المذاهب ، واختلافاتِ الأئمَّة ، وآراءِ الشُّرَّاح ، ومباحثِ المحدِّثين والفقهاء ، وتحديدِ المنازل وتعيين أسمائها ومواضعها في ضوء العلم الحديث ، والتغيُّرات التي طَرَأَتْ عليها ، واقتباسِ أحسن ما كُتِبَ في هذا الموضوع في القديم والحديث ، واستعراضِ النُّقُول المفيدة عن كتب

المتقدِّمين ، حتى يحار القارىءُ ويَمْلِكَه العَجَبُ من هذا الاستقصاء ، ولا نكون مبالغين إذا قلنا : إنَّه موسوعةٌ صغيرةٌ فيما يتصل بحجَّة النبي ﷺ التي قد تُسمَّى « حجَّة الوداع » وقد تسمى « حِجَّة البَلاغ » .

ويمتاز ثانياً : بالاطلاع الواسع الدقيق على مذاهب الأئمَّة : وآراء فقهائها وعلمائها واختلافاتهم ، وصحة النقل ودِقَّته وأمانته ، وكان ذلك شعارُ المؤلِّف في جميع مؤلَّفاته ، لا سيّما في « أوجز المسالك » ، فقد سمعتُ بعض[1] كبار علماء المالكية في الحجاز يَتَعَجَّبُون من سَعَة اطلاع المؤلِّف على المذهب المالكي وفروعه ودقته في نقلها .

ويمتاز ثالثاً : بمعرفته لفضل المتقدِّمين والأدب معهم ، وإيتاء كل ذي حقٍّ حقَّه ، والتصريحِ بأسمائهم ، وبالمصادرِ التي ينقل عنها ، والرَّدِّ عليهم ، وتبيين بعض أوهامهم في أدبٍ جَمٍّ وتواضعٍ ظاهرٍ ، وأسلوبٍ علميٍّ نزيهٍ ، وذلك شعار العلماء المتَّقين في كلّ عصرٍ وطبقةٍ .

وفي الأخير أرى لزاماً عليَّ أن أشكر الزميل العزيز الأستاذ سعيد الأعظمي النَّدْوِي أستاذ دار العلوم ندوة العلماء[2] ، ومُنشىء مجلة « البعث الإسلامي » على عنايته الفائقة ، وجهده البليغ في نشر مآثر الشيخ العلمية وإخراجها في أحسن مظهرٍ ومخبرٍ ، كمقدِّمة « أوجز المسالك » ومقدمة « لامع الدراري » .

---

(١) وهو العلامة السيِّد علوي عباس المالكي، من كبار أساتذة مدرسة الفلاح، ومدرِّسي الحرم المَكّي الشريف، كان موسوعةً ناطقةً في العلوم الدينية، عالماً ضليعاً متفنِّناً في الفضائل العلمية، يُفتي في المذاهب الأربعة، ويدرِّس في علوم شتى، كان لطيفَ العشرة، فكه الحديث، خفيف الروح، مُحَبَّباً إلى أهل الحجاز والقاصدين للبيت الحرام، وكانت حلْقته في الحرم الشريف أوسع الحلقات، عليها أكبر إقبال من المستفيدين، والمستمعين، توفي عام ١٣٩١هـ.

(٢) انظر ترجمته في أول مقدمة « شعراء الرسول ﷺ. . » في الجزء الثاني .

وأخيراً ، لا آخراً ، هذا الكتابُ المفيد الذي أتشرَّف بتقديمه وتتشرَّف مطبعة « ندوة العلماء » بنشره وإخراجه ، ولكلٍّ من سعى في هذا العمل الطيب وأعان عليه شكر المؤلِّف ، وثناء القرَّاء ودعواتهم الصالحة ، وصلَّى الله على سيِّدنا ومولانا محمَّد ، وآله وصحبه وبارك وسلم .

١٤ رمضان ١٣٩٠هـ

أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي

نبوءات الرسول ﷺ
ما تحقّق منها وما يتحقّق

تأليف
محمد وليّ الله عبد الرحمن النَّدْوِي

دار السلام
القاهرة

نبذة من ترجمة المؤلف

وهو الشيخ الدكتور محمد ولي الله بن عبد الرحمن الندوي . وُلد في بومباي بالهند عام ١٩٥٩م .

حفظ القرآن الكريم ؛ وهو صغيرٌ ، ثم توجه لدار العلوم لندوة العلماء للدراسة فيها ، وتتلمذ على يد العلامة أبي الحسن علي الندوي ، وغيره من العلماء ، حتى حصل على شهادة العالمية في العلوم الإسلامية من دار العلوم سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م وقد حصل على الدرجة الأولى .

ثم حَصَل على شهادة الفضيلة في علوم الشريعة الإسلامية من دار العلوم نفسها سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، وقد حصل على الدرجة الأولى .

ثم سافر بعد ذلك للدراسة في مدينة النبيِّ ﷺ في الجامعة الإسلامية حتى تخرج منها ، وقد حصل على الإجازة العالمية (الليسانس) سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، بتقدير ممتاز .

ثم سافر لإكمال دراساته العليا في جامعة الأزهر ، فحصل على شهادة العالمية (الماجستير) في الحديث وعلومه من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م بتقدير ممتاز .

ثم حصل على شهادة العالمية في الحديث وعلومه (الدكتوراه) مع مرتبة الشرف الأولى من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر بالقاهرة سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

تَمَّ تعيينُه أستاذاً لمادة الحديث وعلومه في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

ومن مؤلَّفاته :

١ ـ نبوءات الرسول ﷺ ما تحقَّق منها وما لم يتحقَّق .

٢ ـ علماء الحديث في بلاد الهند وجهودهم في مجال الحديث في القرنين الثالث عشر ، والرابع عشر الهجريين .

٣ ـ الدفاع عن السنة النبوية (شبهات وردود) .

٤ ـ أسباب ذل المسلمين وهوانهم ، وعلاجها .

٥ ـ الموجز في مصطلح الحديث الشريف .

٦ ـ فتح العلام في شرح بلوغ المرام .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بقلم : سماحة الشيخ أبي الحسن النَّدْوِي

رئيس جامعة ندوة العلماء

لكهنو ـ الهند

الحمد لله وحده ، والصَّلاة والسَّلام على من لا نَبيَّ بعده .

وبعد ، فيعلم الدارسُ لكتب الحديث والسنَّة ، والممارس لصناعة الحديث ، والمعنيُّ بالبحث العلميِّ والتاريخي والدراسات المقارنة : أنَّ موضوع النُّبوءات النبويَّة في كتب الحديث ودواوين السنَّة من أدقِّ الموضوعات التي يعالجها الباحثُ ، وأوسعها مجالاً ، وأحوجها إلى توسُّعٍ وتعمُّقٍ في فَنِّ الحديث ، واطّلاعٍ واسعٍ على التاريخ والحوادث التي وقعت في عصورٍ مختلفةٍ في أمكنةٍ مختلفةٍ ، وتطوُّراتٍ حدثتْ في المجتمع البشري بصفةٍ عامةٍ ، وفي المجتمع الإسلامي بصفةٍ خاصةٍ ، هذا مع الاحتياج إلى الاطلاع الواسع على مكتبة الحديث الزاخرة ، بما فيها من شروحِ الحديث ، وكتب الرِّجال ، والجرح والتعديل ، من مطبوعٍ ومخطوطٍ ، متداولٍ ونادرٍ ، ولذلك قلّت المؤلَّفاتُ في هذا الموضوع على عُلُوِّ هِمَّة المشتغلين بعلم الحديث واستيعابهم لما يتصل بهذا الموضوع بنسب قريبٍ أو بعيدٍ ، أو بنسبة جَليَّةٍ أو خَفِيَّةٍ ، مع أن تحقُّقَ هذه النبوءاتِ ـ على كثرتها ودِقَّتها ـ من أعظم دلائل النبوَّة ، وصدق الرسالة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام .

وقد كانت لي مفاجأةٌ سارَّةٌ حين اطَّلعتُ على رسالة التخصُّص للمحفوظ ـ محمد ولي الله عبد الرحمن النَّدْوي الذي أعرفه من حين كان طالباً في جامعة ندوة

العلماء ، ولم أكن أعرف ـ ولا كثير من أساتذته ومثقَّفيه ـ أنَّ هِمَّتَه تسمو إلى تناول هذا الموضوع الدقيق الضخم المسؤوليةَ ، وإعداد البحث فيه لنيل شهادة ماجستير في جامعة الأزهر الشريف ، وقد راعني الشمولُ والاحتواءُ في هذا التأليف . فقد بلغ عددُ النبوءات التي شملها هذا البحثُ إلى مئة وثمان وثمانين (١٨٨) ، منها : نبوءاتٌ تتعلَّق بالصحابة ، رضي الله عنهم ، ومنها : ما يتعلَّق بالتابعين ومن بعدهم وبما بعد عصر الصحابة ، ومن هذه النبوءات ما تُوجَد لها مادَّةٌ وإشاراتٌ في كتب المحدِّثين والشرَّاح القُدَماء ، إلا أنها تحتاج إلى تخريجٍ ونقدٍ للحديث إسناداً ومتناً ، ومقارنةً بين ألفاظ طُرُق الحديث ، ومِن هذه النبوءاتِ نبوءاتٌ معنويةٌ تتصل بالعصور والأجيال ، والمجتمع المسلم ، وتغيُّرٍ في الأخلاق والسِّيرة ، وتطوُّرِ الزمان ، ويحتاج الباحث في إثبات تحقُّقها إلى اطِّلاعٍ واسعٍ على تاريخ العصور والأجيال الإسلامية .

وتليها نبوءاتٌ لم تتحقَّق بعد ، وهي أَدَقُّ من الأولى ، ففيها ما يجعل للباحثين في هذا العصر ، والعصور التي تليه مجالاً للبحث والتحقيق ، ويفتقر الباحث فيها إلى اطِّلاعٍ واسعٍ على ظهور العادات الجديدة ، والتقاليد الطريفة ، ووقوع التحريف والانحراف في الدين ، والخضوع للمبادىء والمُثُل غير الإسلامية ، ومعرفة المؤشِّرات وما يمهِّد لوقوعها .

وقد كانت الحاجةُ ماسَّةً إلى التأليف في هذا الموضوع لظهور شواهدَ علميةٍ تطبيقيةٍ في هذا العصر ، وتيسُّرِ مصادرها التاريخية ، وعمليات الاكتشاف ، لذلك جاء هذا البحث في أوانه ومكانه .

ولا أرى حاجةً إلى الكفِّ عن إبداء حقيقةٍ ، وهي أنه كان عملاً مجمعيّاً ، « أكاديميّاً » قام به فردٌ على حداثة سنِّه ، وعلى كونه من أبناء العجم ، وينتمي إلى أسرةٍ تجاريةٍ دينيةٍ سليمةِ العقيدة والسلوك ، متديِّنةٍ ذات اتصال بالعلماء والمربِّين الصالحين ، والكاتب بدوره يهنِّىء المؤلِّفَ العزيز والدُّورِ التي منها تخرَّج ، والبلاد التي ينتمي إليها ، وأخيراً لا آخراً يشكر جامعةَ الأزهر وكليةَ أصول الدين ،

والمُشرِفَ الفاضل الأستاذ الدكتور محمد مبارك السيد ، على تيسير الأسباب ، واختيار الموضوع الكبير القيِّم ، والإشراف الدقيق ، وتشجيع المؤلِّف الطالب ، وقبول الرسالة ، وتقديرها .

أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي[١]

---

(١) لم أجد التأريخَ مع التوقيع .

مقدِّماتُه

لكتب في علوم الحديث

١ ـ **ظفر الأماني في مختصر الجُرْجاني** : للإمام أبي الحسنات محمد عبد الحي اللَّكْنَوي .

٢ ـ **علم رجال الحديث** : للدكتور تقي الدين النَّدْوي .

ظفر الأماني
في
مختصر الجُرْجاني

للإمام أبي الحسنات محمد عبد الحي اللَّكْنَوي
١٢٦٤ ـ ١٣٠٤هـ

تحقيق وتعليق
الدكتور تقي الدين النَّدْوي

دار القلم
الإمارات العربية (دبي)

نبذةٌ من ترجَمة المؤلِّف ، والشارح ، والمحقِّق

ترجمة المؤلِّف :

هو السيد علي بن محمد بن علي الزين أبو الحسن الحُسيني الجُرْجاني الحنفي عالم الشرق ، المعروف بالسيد الشريف .

وُلِدَ في (جُرْجَان)[١] لثمانٍ بقين من شعبان سنة ٧٤٠هـ وقيل : وُلِد بقرية (طَاغُو) من ولاية (اسْتَرْآباذ)[٢] بجرجان .

واشتغل بطلب العلم في بلاده وأخذ « المفتاح » عن شارح عن النور الطَّاووسي ، وأخذ « شرح المفتاح » للقطب عن ولد مؤلِّفه مخلص الدين بن أبي الخير علي .

وقدم القاهرة وأقام بسعيد السعداء أربع سنين ، وأخذ بها عن أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي صاحب « العناية » ، وقرأ عليه « حاشية الهداية » ، وارتحل إلى بلاد القزمان بناءً على توصية من مبارك شاه ليقرأ على جمال الدين محمد بن محمد الأقسرائي شارح الموجز في الطب .

تنقَّل في مراكز عديدة طلباً للعلم ، فرحل إلى بلاد الروم ، ومصر ، وهُرَات ، وبلاد القزمان وغيرها ، وكان له شيوخٌ في هذه البلاد إضافةً إلى بلده ، قرأ عليهم المتونَ والشروح ، وقد اشتغل بالتدريس والتصنيف والإفتاء في (شِيْراز) حتى سنة ٧٨٩هـ ، وهي السنة التي افتتح فيها تَيْمُورلنكَ مدينة شيراز ، طلب منه أن يرحل إلى ما وراء النهر ، فأقام السيد في (سَمَرْقَنْد) مشتغلاً بالدرس والتأليف إلى أن مات تيمور ، فعاد إلى شيراز ، وتلاميذُه كثيرون ، عُرِف منهم فخرُ الدين العجم ، وسيد علي العجمي ، وفتح الله الشرواني .

توفي الجرجاني يوم الأربعاء في السادس من ربيع الثاني سنة ست عشرة وثمانمئة عن ستة وسبعين عاماً في شيراز ، وكثر التأسّف على فقده ، وحزن الناس عليه . وقد أثنى عليه أجلَّةُ العلماء ، وقال الحافظ السَّخاوي : « وقد تصدَّى للإقراء والفُتيا وتخرَّج على يديه أئمة نحارير ، وكثُر أتباعه وطلبته ، واشتهر ذكره وبَعُد صيتُه » .

---

(١) مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان : « مراصد الاطلاع » (١/ ٣٢٣).

(٢) بلدة مشهورة من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان : « مراصد الاطلاع » (١/ ٧٠).

وقال فيه العلامة العَيْني : « كان عالمَ الشرق ، علامة دهره ، وكانت بينه وبين التَّفْتازاني مباحثاتٌ ومحاوراتٌ في مجلس تيمورلنك تكرَّر استظهارُ السيد فيها عليه » .

وقال الشَّوْكانيُّ : « وطار صيتُه وانتفع الناس بمصنفاته في جميع البلاد ، وهي مشهورةٌ في كل فنٍّ ، يحتج بها أكابرُ العلماء وينقلون منها » .

له تصانيف كثيرة ، يقال : إنها تزيد على الخمسين في فنون مختلفة : التفسير ، والحديث وأصول الفقه ، وعلوم الحديث ، والعربية وعلومها ، والمنطق والفلسفة والفقه والفرائض .

وقال الشَّوكانيُّ : « ومصنَّفاته نافعة كثيرة المعاني ، واضحة الألفاظ قليلة التكلف والتعقيد »[1] .

ومن تلك المصنَّفات هذا المختصر ، اختصره من كتاب « الخلاصة في أصول الحديث » للطِّيبيِّ الحُسَين بن محمد بن عبد الله الطِّيبي العراقي ، المتوفى سنة ٧٤٣هـ رحمه الله تعالى ، ومن مقدمة حاشيته على « المشكاة » المسمَّاة : بالكاشف عن حقائق السُّنَن .

ترجمة الشارح :

هو علامة الهند ، وإمام المحدِّثين والفقهاء في العصر الأخير : الشيخ عبد الحي بن عبد الحليم بن أمين الله الأنصاري السِّهالَوي اللَّكْنَوي ، قد سبقت ترجمتُه في أول مقدمة « موطأ مالك . . » ، انظر صفحة (١٣٧) .

ترجمة المحقِّق :

هو العالم المحقِّق : الدكتور تقي الدين النَّدْوي المَظَاهِرِي ، قد سبقت ترجمتُه في أول مقدمة « أوجز المسالك . . » ، انظر صفحة (١٣١) .

---

(١) الترجمة مأخوذة من الكتاب المحقَّق ، ومعروض هنا بشيء من التصرُّف والزيادة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بقلم : سماحة الشيخ أبي الحسَن علي الحسني النَّدْوِي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرْسَلين ، وخاتم النبيِّين ، محمَّد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أمَّا بعد : فيسعدني أن أكتب سطوراً على تشتُّتِ بالٍ ، وتزاحُم أشغالٍ ، وعدم اعتدالٍ في الأحوال تحقيقاً لرغبة الأخ الفاضل الدكتور تقي الدين النَّدْوي وحشراً لنفسي في مُؤخر هذا الرَّكْبِ الذي يتشرَّف ويتَّسم بالاتجاه إلى غايةٍ تُنتسب وتفتخر بالبحث والتحقيق في ناحيةٍ من نواحي فَنِّ الحديث .

يعلم المُلِمُّ بتاريخ العلوم والبحث فضلاً عن صاحب الاختصاص والتضلُّع من استعراضها ودراسة مقارنة لها : أنَّ بقاء الحديث النبوي وصيانته ، وتداول العلماء والباحثين له علماً وحفظاً ، وبحثاً وتحقيقاً من خصائص خاتم النبيِّين صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنه من مصادر هذا الدين الأخير ، والشريعة الكاملة الوافية بحاجة كلِّ جيلٍ وعصرٍ ، ولا يُوجد له نظيرٌ في تاريخ النبوءات والشرائع ، فضلاً عن تاريخ التشريعات والقوانين ، لذلك تكوَّنت حوله أوْسَعُ مكتبةٍ وأضْخَمها ، وأدَقُّها ، حفظاً للكلام النبويِّ وتسجيلاً له روايةً ودرايةً ، وشرحاً وإيضاحاً ، ورجالاً ورواةً[1] ، وأصولاً وقواعدَ ، واستنباطاً للأحكام .

---

(١) يقول الباحث الألمانيُّ (Sprenger) : « إنه من الممكن الاطلاعُ على أحوال نصف مليون من الرجال بفضل (علم الرجال) » .

وكان مِن أهَمِّ هذه الموادِّ والمجالات فَنّ أصول الحديث ، وقد كان موضعَ عناية كبار أئمَّة فنِّ الحديث والعلماء المتضلِّعين ، كالعلامة الحافظ ابن حجر العَسْقلانيّ ، وغيره ممَّن لا يأتي عليهم الحصرُ في هذا المقال الوجيز .

ومن هذه الكتب التي تَسْتحقُّ أن تُوضَع في مقدِّمة الكتب التي أُلِّفت في فَنِّ أصول الحديث ، ويُعتنَى بها لخصائص تأليفيةٍ وفنيّةٍ وتسهيليةٍ « ظفر الأماني في مختصر الجُرْجَاني »[1] ، وقد قيَّض الله لشرحه العلامة عبد الحي بن عبد الحليم الفِرَنْجي مَحِلِّي[2] اللَّكْنَوي (م١٣٠٤هـ) وكفى بما قال عنه سَمِيُّه الفاضل السيد

---

(١) يقول المحقِّق الآخر لهذا الكتاب وهو المحدِّثُ الأصوليُّ اللُّغَوي النظَّار : الشيخ عبد الفتَّاح أبو غُدَّة ـ رحمه الله تعالى ـ في صحة تسمية هذا الكتاب :
« . . هذا ، وقد جاء اسمُ الكتاب في وجهه وفي مقدّمة المؤلِّف : (ظَفَر الأماني في مختصر الجرجاني) ، وهو عنوان مضغوط جدّاً ، لا يُفيد أن هذا الكتاب شرحٌ لمختصر الجرجاني ، وإنما يفيد مَدْح « المختصر » والإشادة به ، وجاء اسمُه في « الأجوبة الفاضلة » للمؤلِّف ص(٥٩) وفي مقدمة « عمدة الرعاية » له أيضاً ص(٣١) : (ظفر الأماني بشرح المختصر المنسوب إلى الجرجاني) ، وإنما قال : (المنسوب) فإن المؤلِّف كان في أول الأمر متردّداً في أن هذا « المختصر » من تأليف السيد الشريف الجرجاني أم لا ، وهذا ما يظهر من كلامه في « التعليقات السنية على الفوائد البهية » ص(١٣١) عند ترجمة السيد الشريف ، ثم تعيَّنَ عنده أن « المختصر » للسيد الشريف الجرجاني جزماً ، كما حقّق ذلك بإسهاب في آخر هذا الكتاب « ظَفَر الأماني » ص(٥٥٩) .
ولذلك اخترتُ العنوانَ الذي أثبتُّه على وجه الكتاب: (ظَفَر الأماني بشرح مختصر السيد الشريف الجُرْجاني)، ليظهر لناظر الكتاب وقارئِه من أوَّل نظرةٍ موضوعَه ومحتواه، وليَدُلَّ على أن « المختصر » المشروحَ بهذا الكتاب للسيد الشريف الجرجاني جزماً، لا لغيره كالكمال ابن أبي شريف، ولا للسيد جمال الدين المحدّث، كما قال بهذا وذاك بعضُهم » .
(انظر تحقيق الشيخ للكتاب ، ص(١٧ ـ ١٨) ، طبع مكتب المطبوعات الإسلامية ، بحلب) .

(٢) فِرَنْجي مَحِلِّي : نسبةٌ إلى (فِرَنْجي مَحِلْ)، وهو حيٌّ معروفٌ في مدينة لَكْنو، وهو كحيِّ (المَيْدَان) في دمشق، و(الأعظمية) في بغداد، نبغ فيها علماءٌ كثيرون .

عبد الحي بن فخر الدين الحسني في كتابه « نزهة الخواطر » وقد أدركه وحضر مجالسَه « ولا ينبّئك مثلُ خبير » :

« كان متبحِّراً في العلوم معقولاً ومنقولاً ، مُطَّلعاً على دقائق الشرع وغوامضه ، تبحَّر في العلوم وتحرَّى في نقل الأحكام ، وحرَّر المسائل ، وله في الأصول والفروع قُوَّةٌ كاملةٌ وقدرةٌ شاملةٌ ، وفضيلةٌ تامَّةٌ ، وإحاطةٌ عامَّةٌ ، . . والحاصلُ : أنه كان من عجائب الزمن ومن مَحَاسن الهند ، وكان الثناء عليه كلمةُ إجماعٍ والاعتراف بفضله ليس فيه نزاعٌ »(١) .

وقد قال في مقدِّمة كتابه « ظفر الأماني في مختصر الجُرْجاني » :

« رأيتُ الناس في هذا الزمان قد اشتغلوا بدرسه وتدريسه ، ولم أرَ له شرحاً يكفي لحلِّ جَليِّه وخَفِيِّه » .

فتناول مَتْنَ الكتابِ شرحاً لفظياً ومعنوياً .

ويمتاز هذا الشرحُ بسِعَةِ الاطلاع ، وسلامةِ الفكر ، وعدمِ التعصُّبِ ، والجمعِ بين الفقه والحديث ، وعلم الرجال والتاريخ ، وتطبيقِ أصول الحديث ومحاكمتها ونَقْدها ، وعرضِ أمثلتها في تفصيل وإحكام ، وذكر فوائد تنشرح بالاطلاع عليها الصدور ، إلى غير ذلك من مَزَايا هذا الشرح وخصائصه(٢) .

---

(١) (٨/ ٢٣٥) .

(٢) لما كان قصدنا من جمع هذه المقدِّمات إطلاعَ القارىء على كتبٍ مفيدةٍ أيضاً، وهو يعرف قيمتَها وأهميَّتها ـ من بين الكتبِ المؤلَّفة في موضوع واحدٍ من خلال هذه المقدمات ، وقد قدَّم العلامة ـ رحمه الله تعالى ـ لهذا الكتاب القيِّم وهو على تشتُّتِ بالٍ، وتزاحُم أشغالٍ، ـ كما ذكر ذلك هو نفسُه في مستهلِّ مقدّمته ـ ولذا لم يتيسَّر له التقديمُ لهذا الكتاب كعهده بالتقديمات الأخرى، يبيِّن فيها مزايا الكتب وخصائصها، لذا يجدرُ بي أن أنقل أهمَّ ميزات وخصائص هنا، كتبها المحدِّثُ الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة في تحقيقه لهذا الكتاب نفسِه، يقول رحمه الله تعالى :
« . . هذا كتابٌ حَفِيلُ العلم، جليلُ القَدْر، وعِلْقٌ نفيسٌ جَمُّ الفوائد، رفيعُ الذكر، من أواخر ما أَلَّفه الإمام النابغة محمد عبد الحي اللكنوي رحمه الله تعالى إن لم يكن آخِرَه، فقد فَرَغ منه=

وكان من توفيق الله تعالى ومِنّته أن اختار لإبراز هذا الكنز ، وتسهيل الإفادة منه

= تأليفاً قبلَ وفاته بنحو شهرٍ ونصف، فَرَغ منه في الثاني عشر من صَفَر، وتوفي لليلةٍ بقيَتْ من ربيع الأول سنة ١٣٠٤هـ .

شرح به « مختصر السيد الشريف الجُرْجاني » في مصطلح الحديث، شرحاً وافياً، أسهَب فيه وأوعَب، وأطال المباحثَ المحرَّرةَ وأطنَب، وأرخى العِنان في البيان حتى أَرْبَى على الغاية. وتعرَّض فيه لمباحث شائكةٍ، ومسائلَ مُعضِلةٍ، اجتهد في حلِّها وتنقيحها، وتقييدها وتوضيحها، بالأدلة الناطقة، والنَّصفَةِ الفائقة، فأحسن وأجاد كما هي عادتُه في اقتحام الأبحاث الصعبةِ المُسْتَعصية وتذليلها وتجليتها، فجزاه الله خيراً.

لقد تميّز هذا الشرحُ بكثيرٍ من الخصائصِ والمحاسنِ التي تفرَّد بها عن الكتب المؤلَّفة في موضوعِهِ على تأخُّر زمن مؤلِّفِهِ، فقد عُرِف مؤلِّفُه رحمه الله تعالى بعمقِ التحقيق والتدقيق، وطولِ النَفَسِ في الأبحاث، والنَّصَفَة في الأحكام وتقريرِ المسائل، فهو حنفيُّ المذهب ولكنه كثيراً ما يميلُ إلى غير مذهبه ويرجِّحه تبعاً للنصوص القائمة بين يديه حسب رأيه واجتهاده، مع الأدب والتوقير للمخالِف، وهذه خصيصةٌ عاليةٌ يَنْدُرُ وجودُها في العلماء المحققين المتأخرين.

كما تميّز هذا الشرحُ بتحرير المسائل المستعصيةِ الشائكةِ التي اضطربتْ فيها الآراءُ، واختَلَف فيها العلماءُ، وبقيت متردِّدة بين القبول والردّ، فيقومُ هو بتمحيصها وتخليصها وتحريرِها وتقريرِها على الوجه الصحيح الأمين، وإخراجِها من تبلبل الرأي إلى طمأنينته، فيستفيدُ القارىءُ من حِدَّةِ ذكائه وسعةِ اطلاعه، وطولِ باعه في المناقشة والترجيح بما يطمئنُ إلى أنه الراجحُ الصوابُ في المسألة.

وانظر نموذجاً من هذا النوع كلامَه الواسعَ الماتعَ في جواز العملِ بالحديث الضعيف في غير العقائدِ، والأسماءِ والصفاتِ، والحلالِ والحرام، فقد أطال فيه إطالةً بالغةً حتى نَضِج واحترق.

ومن مزاياه أيضاً : أنه يعتني في جُلِّ المسائل المختلَفِ فيها بذكر آراء الفقهاء والأصوليين مع أقوالِ المحدّثين، وبذلك تكملُ بحوثُه وترتقي فقهاً وحديثاً، وتتضح المسائلُ من جميع النواحي بما لها وعليها.

ومن خصائص هذا الشرح : أن مؤلِّفه رحمه الله لسعةِ علمِه بعلل الأحاديث أكثرَ من إيراد الأمثلةِ والشواهدِ وإيضاحها عند الكلام على أنواع الحديث من الحسن، والضعيف، والموضوع، والمضطرب، والمدرج، وغيرها، بحيث قد أربى على الغاية، وفي ذلك من الفوائد التدريبُ العملي لطالب الحديث في معرفة الأصولِ والقواعد وكيفية استعمالها في محالِّها. =

أخانا في الله الأستاذ الفاضل الدكتور الشيخ تقي الدين النَّدْوِي ، وكان بذلك جديراً وعليه قديراً لاشتغاله بهذا الموضوع ، واعتنائه بمصادره شرحاً ، وعرضاً ، وبحثاً ، وقد قارن بين النسخة المخطوطة والمطبوعة ، وإذا كان هنالك اختلافٌ ذو بالٍ نبَّه عليه ، وجعل المخطوطةَ أصلاً ، كذلك عزا نصوصَ الكتاب لمصادرها ومظانّها ، بقدر الإمكان ، وتَرْجَمَ لبعض الأعلام التي رأى الحاجة داعيةً إليها ، إلى غير ذلك ، ممَّا يُعتبر خدمةً لهذا الكتاب وتسهيلاً للمطالع المستفيد ، وباعثاً للاعتماد على هذه الطبعة الجديدة والاستفادة منها ، فله أجرُ الخادمين لهذا الفَنِّ الشريف ، وشكرُ القرَّاء والمستفيدين ، وأمَلي : أنَّه إذا اطَّلع على هذا المجهود العلمي والعناية بالكتاب مؤلِّفُه وشارحُه ـ رفع الله درجاتهما وأجزل ثوابهما ـ شَكَرَا صاحبَ هذا العمل المفيد والمأثرة العلمية ، فضلاً عن شكر القُرَّاء والمستفيدين ، من هذا الكتاب في حُلَّةٍ طباعيةٍ جميلةٍ ، صحيحةٍ منقَّحةٍ .

١٩ جمادى الثانية ١٤١٤هـ

أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي

دار العلوم ندوة العلماء ، لكهنؤ ، الهند

= وفي هذا الشرح أيضاً نُقُولٌ كثيرة من كتبٍ نادرةٍ مخطوطةٍ، لم تكن ميسورةَ الحصول أو الوصول إليها، مما يَستغربُ الواقفُ على الكتاب كيف بلغَتْها همةُ المؤلِّفِ تحصيلاً، ونَقَل منها ما يريدُ جملةً وتفصيلاً . . ، فرحمةُ الله على المؤلِّف الإمام اللكنوي، ما كان أوعَبَ ذهنَه للعلم ولنوادر نصوصه وكتبه، وبهذا تتحقق الإمامةُ لمثله من النبغاء والأفذاذ. جزاهم الله عن العلم والدين خيراً. (ظفر الأماني . . . : ص٧ـ٨) .

علم رجال الحديث

تأليف

الدكتور تقي الدين النَّدْوي

دار القلم

دبي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

بقلم : الداعية الإسلامي الكبير سماحة الشيخ
أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أمَّا بعد ! فمن عجائب صنائع الحكمة الإلهية : أنَّ نبياً أمياً يحظى بأمَّةٍ لم تكتف بنشر العلوم وخدمتها وتطويرها وإكمالها ، بل كذلك أنشأتْ علوماً جديدةً ، ودوَّنتها بحيث لا يُوجد لها نظيرٌ في التاريخ القديم ولدى الأمم الغابرة . لقد سبقت هذه الأمَّةُ كلَّ الأمم والشعوب السابقة في مجال التصنيف والتأليف ، أنشأتْ بجهودها وتعبها وعرقها مكتبةً ضخمةً لا يمكننا بسهولة مجرَّد إلقاء نظرةٍ عابرةٍ على ما تضمَّنته من ثروةٍ هائلةٍ . إنَّ النبي الذي لَقَّبه القرآن الكريم بالأمِّي ، وكَرَّر هذا اللقب مراراً ، وصَرَّح بوضوحٍ : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨] . ولكنَّه حظي بأمَّةٍ لم يكن لها مثيلٌ في حُبِّ العلم والغرام به والتفاني فيه ، والانشغال به ، وفي هِمَّتها العالية ، وخدماتها الجليلة في هذا المجال ، وتضحيتها وإيثارها ، وليس هذا الأمرُ مجرَّد مصادفةٍ بل كان معجزةً إلهيةً كبرى ، وعبرةً عظيمةً للمادِّيين ، ولكل من يرى الأمورَ رؤيا ظاهريةً ، كما كان علامةَ استفهامٍ لامعةً على صفحات التاريخ الإسلامي ، وهي : لماذا حَدَث هذا ؟ وكيف حَدَث ؟ ولقد اكتفى الشاعرُ الفارسي العارف الشِّيرازي بقوله عند وصفه لهذه الظاهرة : « يتيمٌ لم يتعلَّم قراءةَ الحروف إطلاقاً استطاع إلغاءَ مكتباتِ جميع الأمم » .

ولكن هذه المعجزةَ لم تكن مجرَّدَ عملٍ سلبيّ ، ولم تهدف مجرَّد إلغاء ذلك التراث القديم ، بل كانت كذلك معجزةً عظيمةً بَنَّاءةً إيجابيةً مجدِّدة ؛ إذ الواقع أنها بعثتْ روحاً جديدةً في ذلك التراث الذي فقد فاعليَّته وحيويَّته واستمرارَه ، وجعلته مفيداً وباقياً خالداً ، وإذا كانت هذه المعجزةُ قد محت بعضَ المكتبات التي أنشأتها بعضُ الأمم وهي التي فقدت قيمتها وغَنَاءها ، وصارت مبعثَ ضلالٍ وسوءَ فهمٍ ، فإنها في الوقت ذاته منحتِ العالم تلك المكتبات التي تتضمَّن الحقائقَ الأبديةَ وتشتمل على الهداية الربَّانية ، والتي لا يمكن أن تندثر أو تتجمَّد .

إنَّ قائمة هذه العلوم الإسلامية طويلةٌ جداً ، ويرجع فضلُ تأسيسها وتدوينها إلى تلك الأمة التي ظهرت على بساط الأرض كعاملٍ أساسيٍّ لنشر فهم القرآن وصيانة التعاليم النبوية .

ولقد ألَّف علماء الإسلام عبر القرون والعصور ، وفي شتى البلاد مؤلَّفاتٍ ضخمةً مفصَّلةً ، ووضَّحوا من خلالها نشأة تلك العلوم والمعارف وتاريخها وتطوُّرها وازدهارها . ففي الحقبة الأولى اشتهر كتاب « الفهرست » لابن النديم ، وفي المتوسِّط ظهر كتاب « كشف الظُّنون » لحاجي خليفة ، أمَّا فيما يتعلَّق ببلادنا الهند ، فقد ألَّف فيها العلامة السيد عبد الحي الحسني كتابه العظيم الذي أسماه « معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف » والذي نشرته مؤسَّسةٌ حكوميةٌ في دمشق ، ألا وهي « المجمع العلمي العربي »[1] باسم « الثقافة الإسلامية في الهند » .

إنَّ نظرةً عابرةً على هذا الكتاب تكفينا للوقوف على تلك الثروة الهائلة التي خَلَّدها علماءُ الإسلام في بلدٍ إسلاميٍّ واحدٍ ، وفي شَتّى مجال العلوم الإسلامية ، وفيما يتعلَّق بالمصطلحات العلمية والفنية ، فقد أسدت فيها الهندُ خدماتٍ عظيمةً ، ويكفينا في هذا الصدد أن نذكر « دستور العلماء » للشيخ عبد النبي الأحمد نكري ،

---

(١) المعروف الآن بـ « مجمع اللغة العربية » .

و« كَشَّاف اصطلاحات الفنون » للقاضي محمد أعلى التهانوي ، فهما يعتبران مرجعاً هامّاً ومصدراً كبيراً حتى في البلاد العربية في هذا المجال .

وممّا لا شكَّ فيه : أنَّ جميع العلوم تشهد بالهمة العالية لعلماء الإسلام ورغبتهم الصادقة في الفحص والتحقيق ، إلا أنه يمكننا القول بكل قوَّةٍ : إنَّ علم الحديث صار مرتعاً خصباً لجهودهم الذهنية وإظهار مواهبهم العلمية ، قال أحدُ العلماء الكبار الذين رَزَقهم اللهُ نظراً فاحصاً : إنَّ العلوم الإسلامية تنقسم إلى ثلاثة أقسام : قسم غيرُ ناضجٍ ، وقسمُ ناضجٌ بلغ الكمالَ ، وقسمٌ نَضِجَ واحترقَ ، كأنه اشتدَّ عودُه ، وأدرجوا الحديثَ في هذا القسم الثالث . وهذا يَدُلُّ على أنه بلغ المرحلةَ النهائية في تطوُّره نحو العلوِّ والكمال ، بل تجاوز هدفه المنشود . ومن هنا لا يمكن لأحدٍ الآن أن يأتي بشيءٍ جديدٍ فيه ، أو بتعبيرٍ شعبيٍّ : ليس بمقدور أحدٍ أن يحضر ولو بدرهمٍ زائفٍ . إنَّ العلماء لم يتفنَّنوا ويدقِّقوا في سند الحديث ومَتْنه فحسب ، بل كذلك فعلوا نفسَ الشيء في جميع فروعِ علم الحديث ، مثل أسماء الرجال ، والجَرح والتعديل ، ومصطلحات الحديث ، وعِلَله . وكلُّ هذا يَدُلُّ على جهودهم المتفانية وذكائهم الخارق ، ويشهد لهذا الأمر مجرَّد وقوع نظرةٍ عابرةٍ على مؤلَّفاتهم الضخمة .

وإنَّ هذا الكتابَ الذي بين أيدينا الآن يُلقي ضوءاً كاشفاً على نشأة هذا العلم وما أُلِّف فيه من الكتب المشهورة ، كما يتضمَّن مقتبسات وتحقيقات منها[١] .

وقد سبق أنْ صدرتْ بقلم عزيزي الفاضل الدكتور الشيخ تقي الدين النَّدْوِي المظاهري ـ سلَّمه الله ـ كتبٌ عن المحدِّثين العظام[٢] وعرض فيها حياةَ المحدِّثين الكرام وأوجز جهودهم العلمية ، وفي هذا الكتاب تناول بالبحث فنَّ أسماء الرجال

---

(١) وفي هذا الموضوع كتابٌ قيِّمٌ ، جيِّد الترتيب والتبويب على منهجٍ علميٍّ ، وتصنيف مبتكر لفضيلة أستاذنا الدكتور نور الدين عِتْر ـ حفظه الله ومدَّ في عمره ـ باسم « أصول الجرح والتعديل وعلم الرجال » راعى المؤلِّف فيه الاختصارَ ، وعُني بتحقيق البحث في بعض القضايا الشائكة في الموضوع .

(٢) ألَّفها بالأردية ، وهو مطبوعٌ في الهند.

وتاريخ رواة الحديث وعلم الجرح والتعديل ، وتطرَّق إلى البحث في تعريف السند والمَتن واختصاص الإسناد بالمسلمين ، وتاريخ رجال الحديث ، وأشهر المؤلَّفات في تاريخ الرجال وطبقات الرواة ، وتناول شرح المصطلحات والتعبيرات التي يكثر ورودُها في درس الحديث وشروح كتب الحديث وأصوله ، وأشبع الكلامَ في تعريف الصحابي ، وطبقات الصحابة ، وعددهم ، والمصنفات فيهم وكذلك التابعين ، وتوسَّع في البحث عن المؤلَّفات في رجال الحديث العامة والخاصة ، وفائدة علم الجَرْح والتعديل والحاجة إليه واختصاص هذه الأمة به ، وبحث عن أحكام هذا العلم الجليل ومراتب ألفاظه ومصطلحات أئمته وعلمائه ، وتراجم أشهر أئمة الجَرْح والتعديل ، إلى غير ذلك من البحوث المفيدة والعلوم والمواد المبعثرة في المكتبة الحديثية الغنية الواسعة التي لا يستفيد منها إلا أهلُ الاختصاص وأصحاب الهمَّة العالية والنظرة الواسعة ، وبكل ذلك أصبح هذا الكتابُ موسوعةً صغيرةً في تاريخ علم الحديث والرجال ، ودليلاً كافياً لمن يوفِّقه الله للانخراط في سلك طلبة الحديث وخدمة هذا العلم الشريف .

وقد أفاد المؤلِّفُ عند إعداد هذا الكتاب من الكتب الموثوق بها في هذا المجال إفادة تستحق التقديرَ والثناء ، ثم لخَّصها وعرض نتائجَ تحقيقاته عرضاً حسناً .

إنَّ المؤلف العزيز ـ بارك الله في حياته ـ قد دَرَس علم الحديث بشغفٍ ورغبةٍ وجهودٍ في كلٍّ من جامعتي « دار العلوم لندوة العلماء » ، و« مَظَاهِر العلوم » بسَهَارَنْفُور بالهند ، كما أفاد من الذخائر العلمية والتحقيقات الشخصية لفضيلة الشيخ المحدِّث الكبير العلامة محمد زكريا عليه رحمة الله ، وقد انتهت إليه رئاسةُ تدريس الحديث الشريف في شبه القارة الهندية وكان البقيةَ الباقيةَ من السَّلف الصالح ، وبركةَ هذا العصر ، كما حصر محاضراتِهِ في الحديث ، بالإضافة إلى كفاءته وتذوُّقه في فنِّ التدريس ، فقد أعطاه الله ملكةَ التصنيف والتذوُّق فيه ، والواقع أنَّ مدرساً ظَلَّ يدرِّس مادته سنوات طويلة يستطيع فهمَ المشكلات التي يتعرَّض لها الطُلابُ ، ومتطلباتهم الحقيقية ، كما يستطيع معرفةَ مستوى ذكائهم وكفاءتهم ، ومن هنا يقدر على تقديم تحقيقاته في صورةٍ جيدةٍ نقيةٍ ، وبناءً على هذه الخصائص كلِّها ، أرجو أن يصبح هذا

الكتاب النفيس دليلاً ومُرشداً في التعريف بهذا العلم في أوساط طلاب اللغة العربية للاطلاع عليه اطلاعاً ميسّراً وهادياً لهم ومرافقاً رفيقاً وخبيراً ناصحاً .

نفع الله تعالى بهذا الكتاب القرَّاءَ وطلابَ المدارس الدينية ، وغرس في نفوسهم الحُبَّ والتقديرَ للخدمات التي أسداها السَّلفُ الصالح ، وأثار فيهم الشوقَ والرغبةَ القويةَ المخلصةَ للرجوع إلى المصادر القديمة ومراجعها بهمةٍ عاليةٍ ، وصبرٍ ومثابرةٍ في دراستها والاطلاع عليها والإفادة منها . والله ولي التوفيق .

١٥/ ١٠/ ١٤٠٥هـ
٤/ ٧/ ١٩٨٥م

أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي

مقدِّماته

للأثبــات

١ ـ **إمداد الفتَّاح بأسانيد ومَرْوِيَّات الشيخ عبد الفتَّاح : تأليف** الأستاذ محمد بن عبد الله آل رشيد .

٢ ـ **نَفَحات الهند واليَمَن بأسانيد الشيخ أبي الحَسَن : تأليف** الأستاذ محمد أكرم النَّدْوي .

إمداد الفتاح
بأسانيد ومرويات الشيخ عبد الفتاح

تخريج تلميذه

محمد بن عبد الله آل رشيد

مكتبة الإمام الشافعي
(الرياض)

نبذة من ترجمة المؤلِّف

هو الباحث الحصيف ، الشيخ محمد بن عبد الله آل الرشيد ، وُلد في مدينة الرياض عام ١٣٨٠هـ ، نشأ وتعلَّم فيها . رحل في طلب العلم واقتناء الكتب والاطلاع على المكتبات العامة والخاصة ، ولقاءات الشيوخ والأعلام إلى عدة بلدان من بلدان العالم .

ومن مؤلَّفاته :

١ ـ إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبد الفتاح .

٢ ـ محدِّث الشام العلامة السيد بدر الدين الحسيني .

٣ ـ فتح العلام بأسانيد ومرويات مسند الشام : (وهو ثبت العلامة أحمد نصيب المحاميد) .

٤ ـ الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام : (للزركلي) .

٥ ـ قراءة نقدية لذيل الأعلام للعلاونة .

٦ ـ الإيضاح والتبيين للأوهام الواردة في طبقات النَّسَّابين .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

العلاَّمة الربَّاني المفكِّر الإسلامي الكبير الداعية المربِّي
سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الأمين العام لندوة العلماء في مدينة لكنو بالهند

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرسَلين محمَّد وآله وصَحْبه أجميعن .

أمَّا بعد : فقد طَلَب مني العزيزُ الشَّابُ النبيلُ النابِهُ الصالحُ محمَّد بن عبد الله آل الرَّشيد ـ حفظه الله تعالى ـ ومَتَّع به طلبةَ العلم والمسلمين جميعاً ـ أن أكتب مقدِّمةً للثَبَت الجامع المانع الحاوي النافع لبقية السَّلَف الصالح ، وعُمْدَة المحدِّثين في هذا العصر ، العلاَّمة المحدِّث الفقيه الأصولي المحقِّق والداعية التقيّ الصالح : فضيلة الشيخ عبد الفتَّاح أبي غُدَّة ـ حفظه المولى عَزَّ وجَلَّ ونفع به الأمَّةَ الإسلاميةَ كلَّها ، وقد رأيتُ في ما قُدِّم إليّ من مجلَّدٍ بعنوان « إمداد الفتَّاح بأسانيد ومَرْوِيَّات الشيخ عبد الفتَّاح » جُهْداً صالحاً مشكوراً ، في استقصاء أسانيد الشيخ المحدِّث الرَّحَّال الجَوَّال الذي ذكَّرنا برحلاته ولقائه العلماءَ والمشايخَ في الأمصار والبلدان بعلمائنا المحدِّثين الأوائل الذين كان الواحدُ منهم يرحل من خُراسان إلى المغرب الأقصى ، ومنه إلى المشرق الأقصى(١) .

---

(١) إقرأ في ذلك إن شئتَ « الرحلة في طلب الحديث » للخطيب البغدادي ، وكذلك « صفحات من صبر العلماء » ، للشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة .

وقد دعوتُ فضيلةَ الشيخ المحقِّق إلى دار العلوم لندوة العلماء مرَّتين لإلقاءِ محاضراتٍ في الحديث النبويِّ وعلومه ، فتلقَّى دعوتَنا بحُبٍّ وإكرامٍ ، وشرَّف أساتذةَ الدار وطلابَها بمحاضراتٍ قيّمةٍ نافعةٍ لا يزال يذكرها المتشرِّفون بسماعها ويجدون لَذَّاتها ، وتأثيرَها ، وحلاوتَها ، ويُحِبُّون تكرارها واستمرارها ، وإنني لما أعاني هذه الأيام من ضَعْفٍ ، وأمراضٍ مع زحمة أعمال ، إذ أعتذرُ إلى الأخ العزيز من كتابة مقدِّمةٍ على هذا العمل الحديثي الجليل الذي هو في غِنىً عن كل تعريفٍ وتقديمٍ .

أهنِّئه على هذه الخدمة المباركة السعيدة ، وأدعو له بالتوفيق والقبول ، والمزيد من خدمة هذا العلم الشريف المنيف ، باركَ الله فيه ، وتقبَّل منه هذا العمل ، وجزاه ممَّا عنده خير الجزاء ، والله وليُّ التوفيق .

٤/ شوال/ ١٤١٧هـ

أبو الحسن علي الحسني الندوي

نفحات الهند واليمن

بأسانيد الشيخ أبي الحسن

تأليف
الدكتور محمَّد أكرم الندوي

مكتبة الإمام الشافعي
(الرياض)

نبذة من ترجَمة المؤلّف

هو الباحث المفيد ، المؤلِّف المحقِّق ، الأصولي البارع ، صاحبُ الإجازات العالية في الحديث : الأستاذ الدكتور محمد أكرم بن الحافظ تجمُّل حسين الجُونفوري النَّدْوي .

وُلد في ١٣٨٢هـ ، في قرية جَمدَهَان من أعمال جُونفُور في الهند ، ونشأ في بيئةٍ صالحةٍ ، وتعلَّم قراءة القرآن الكريم والدراسة الابتدائية في كتّاب القرية ، ثم ألحقه جدُّه وهو ابن تسع سنين في مدرسة ضاء العلوم بماني كلان من جونفور حيث تعلَّم اللغة الفارسية سنتين ، ثم تعلَّم اللغة العربية والمقرَّرات الدراسية الأخرى في معهد مولانا آزاد التعليمي بأسرهتة من جونفور .

ثم التحق بدار العلوم لندوة العلماء في الدراسات العالية ، وحصل على شهادة العالمية وشهادة الفضيلة (الاختصاص في الحديث النبوي الشريف) ثم قَضى سنة في المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي ، وحصل على شهادة البكالوريوس من جامعة لكنؤ في الاقتصاد السياسي ، واللغة العربية ، واللغة الأردية ، واللغة الإنكليزية ، ثم حصل من جامعة لكنؤ نفسها على شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، وحصل على شهادة الدكتوراه من قسم اللغة العربية وآدابها سنة ثلاث وعشرين وأربعمئة وألف ، وحضر دورةَ تدريب المعلمين في جامعة الملك سعود في الرياض ، سنة ١٤٠٦هـ .

تَمَّ تعيينُه كمدرِّسٍ في دار العلوم لندوة العلماء بعد تخرّجه منها ، وظلَّ مشتغلاً بالتدريس بها إلى سنة ١٤١١هـ ، ودرَّس بها خلال هذه السنوات اللغة العربية ، والتعبير ، والنحو ، والحديث ، والفقه ، والتفسير .

وأرسله شيخُه الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي مدير دار العلوم لندوة العلماء بإشارة من العلامة الندوي إلى أوكسفورد باحثاً بها ، ولا يزال إلى هذا اليوم يعمل في هذا المركز كباحث .

مؤلَّفاته :

١ ـ أصول الشَّاشي (تحقيق ودراسة) .

٢ ـ بستان المحدِّثين : (قام بترجمته من الفارسية إلى العربية ، وتحقيق نصوصه ، والتعليق عليه ، وتخريج أحاديثه ورجاله) .

٣ ـ شبلي النعماني علامة الهند الأديب والمؤرخ الناقد .

٤ ـ العلامة السيد سليمان الندوي أمير علماء الهند في عصره وشيخ الندوي .

٥ ـ نفحات الهند واليمن بأسانيد الشيخ أبي الحسن .

٦ ـ كفاية الراوي عن العلامة الشيخ يوسف القرضاوي .

٧ ـ بغية المتابع لأسانيد العلامة الشريف محمد الرابع .

٨ ـ العقد اللّجيني في أسانيد العلامة الشريف سلمان الحسيني .

٩ ـ أرض القرآن : للعلامة السيد سلمان الندوي ونقله إلى العربية) .

١٠ ـ سلسلة المختصرات العلمية : والتي تحتوي على خمس رسائل في : النحو ، والصرف ، وأصول التفسير ، وأصول الحديث والإسناد ، وأصول الفقه .

١١ ـ الوفاء بأسماء النّساء : اقتصر في هذا الكتاب على مساهمات النساء في الحديث النبوي الشريف اللاتي عُرفن بالسماع والإجازة والتحديث والرواية ، وترجم لجميع النسوة الراويات من عصر الصحابيات إلى القرن الرابع عشر الهجري ، وقام بتقديم ترجمة كل مُحَدّثة : اسمها ونسبها ومولدها وشيوخها ورحلاتها وحياتها العائلية وتلاميذها وتفاصيل مروياتها ووفاتها مع الإحالة على مصادرها مفصلة ، وبلغ الكتابُ إلى أربعين مجلداً ، كل مجلدة في نحو خمسمئة صفحة ، وهو مشتغل الآن بإعادة النظر فيها والإضافة إليها من المصادر التي لم تتوفر له إلا أخيراً ، ولعلَّ الكتاب في صورته النهائية سيقدم ـ إن شاء الله ـ تراجم ستة آلاف امرأة أو أكثر .

١٢ ـ أرمغان فرنك : كتابٌ في اللغة الأردية ، يحتوي على ترجمة مختصرة للعلامة الشريف أبي الحسن علي الندوي رحمه الله ، وتفاصيل رحلاته إلى بريطانيا ، ومجالسه العلمية والدعوية ، ومحاضراته فيها ، ورسائله إلى علمائها .

١٣ ـ الإمام أبو حنيفة : كتاب يتحدَّث عن حياة الإمام أبي حنيفة وفقهه ، وهو باللغة الإنكليزية ، ألَّفه لمركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية في سلسلته لأعلام المسلمين .

١٤ ـ حياة الشيخ عبد الحق المحدِّث الدِّهْلوي ، للأستاذ خليق أحمد نِظامي ، نقله من الأردية إلى العربية .

١٥ ـ المجتمع والتربية ، كتاب للأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي باللغة الأردية ، نقله إلى العربية .

١٦ ـ رحلة طالب حديث للحجاز : قام في رحلته الأخيرة للحجِّ بلقاء الشيوخ والقراءة عليهم ، والاستجازة منهم ، فَقَيَّد تفاصيل الرحلة ، والحج ، ولقاءاته مع الشيوخ ، واستفاداته منهم ، ثم رتَّبه . صَدَر الكتابُ باللغة الأردية في كجرانواله من باكستان .

١٧ ـ أيام في بلاد الشام : تحدَّث فيه عن رحلته إلى الشام ، التي قام بها عام ٢٠٠٦م .

وغير ذلك له مقالاتٌ علميةٌ كثيرةٌ باللغات العربية والأردية والإنكليزية ، نُشرت في المجلاَّت والصحف والجرائد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بقلم سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحنسي النَّدْوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرسَلين ، وخاتَمِ النبيِّين محمَّد وآله وصَحْبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمَّا بعد : فإنَّه لما وقع نظري على كتاب « نفحات الهند واليمن بأسانيد الشيخ أبي الحسن » للأخ العزيز الفاضل محمد أكرم الندوي ساورني شعوران متناقضان :

أوَّلهما : الشعورُ بطول الفجوة بين جلالة الموضوع وضخامة المجهود وبين ما أعرفه وأدين به من صِغَر النفس وضآلة المواهب وقِصَر المجهود في الموضوع الذي يختص به هذا الكتابُ ويتّسم به ، فكأنَّ الكتاب كساني ثوباً فَضْفاضاً سابغاً أتضاءَلُ فيه أمام الناظرين .

ورافق هذا الشعورَ شعورٌ آخر ، خَفَّف من وطأة الشعور الأول ، وهو أنَّ هذا الكتاب يتّسم ويختص بالتعريف بشيوخ الحديث الكبار ، والنابغين فيه ، والذين أفردوا أعمارَهم ومواهبَهم لتدريسه ونشره وشرحه ، وإخراج النابغين فيه والمنفردين له من نوابغ التلاميذ ، وشيوخ الحديث الكبار ، والشارحين والناشرين له في اليمن الميمون ، والأقطار العربية ، وشبه القارة الهندية طيلةَ قرونٍ وأحقابٍ ، ورغم مسافاتٍ بعيدةٍ ، وفتراتٍ زمنيةٍ طويلةٍ ، واختلاف بيئاتٍ وأجواءَ مما يَدُلُّ على توفيق الله تعالى وعنايته الخاصَّة بحفظ هذه الثروة الثمينة ، وأسوة نبيِّه الحبيبة ، وتعليماته وأحاديثه الكريمة ، والذي يدخل في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ، وقوله : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا

ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، وكان هذا المجهودُ نوعاً من الشكر ، وضرباً من الوفاء ، وقياماً بالواجب ، وإسهاماً في نشر هذا الطِّيْبِ والأَريج ، وعملاً بقول الشاعر :

أَعِـدْ ذِكْـرَ نعمـان لنـا إنَّ ذكـره   هـو المِسْكُ ما كَـرَّرْتَـه يتضـوَّع

ومما يجب الاعترافُ به وتقديرُه : أنَّ الكتاب يَدُلُّ على تتبُّع المؤلِّف الواسع لكتب التراجم والسِّيَر ، ومجهوده العلمي ، وجمعه للموادِّ والمعلومات التي تُثير في المطالعين لهذا الكتاب ، والدارسين للحديث الشريف حتى المدرِّسين له الهِمَّةَ والشوقَ للتوسُّع والدراسة العميقة ، والحرص الزائد على الاستيعاب والإتقان والتعمُّق مع سَعَةِ النظر ، وسعة النظر مع التعمُّق ، وإفراد العُمُرِ والمواهب لخدمة هذا الفَنِّ الشريف ونشره وتدريسه وشرحه ، وتلك مأثرةٌ يستطيع أن يرجو عليها المؤلِّفُ الأجرَ من الله ، والشكرَ من طالبي هذا الفن ، والمشتغلين بتدريسه ، ونشره ، والمتعطفين إليه .

وقد أصبح هذا الكتابُ ـ لما يحتوي عليه من معلوماتٍ مضيئةٍ ، ومادّةٍ تاريخيةٍ ثَرَّةٍ خصوصاً بما جاء فيه عن أساتذة الحديث وأئمَّته في بلادٍ إسلاميةٍ عربيةٍ (خاصة اليمن) وشبه القارة الهندية ـ موسوعةً صغيرة تُوجَد فيها مادّةٌ تاريخيةٌ غزيرةٌ ، ومعلوماتٌ ثمينةٌ كثيرةٌ منتشرةٌ في كتب التاريخ والتراجم ، ومقدِّمات كتب الحديث والتعريف فيها لشرَّاح ونوابغ في علم الحديث .

وأخيراً لا آخراً : إنَّ هذا البحثَ القيِّمَ ، وهذه الموسوعةَ الصغيرةَ ـ كما قلنا ـ كانت جديرةً بأن يقدِّم لها أحدُ كبار علماء الحديث في الشرق العربي والمشتغلين بتدريسه في إحدى الجامعات والمدارس الكبيرة في البلاد العربية أو شبه القارّة الهندية ـ وهم بحمد الله كثيرٌ ، بارك الله في حياتهم ونفع بهم ـ ولكن قدَّر الله أن تكون الكلمةُ المتواضعةُ ـ ولكن المأجورة ـ لكاتبِ هذا السطور الذي تبتدىء هذه السلسلةُ المباركةُ ، والقائمةُ الثمينةُ المشرَّفةُ منه ، وتنتهي إلى أصحاب الصِّحَاح المباركة المقبولة ، وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً .

٨ من ربيع الثاني ١٤١٨هـ   **أبو الحسن علي الحسني الندوي**

مقدِّماته

لكتب الفقه وأصوله

١ ـ الفقه الميسَّر : للشيخ شفيق الرحمن النَّدْوي .

٢ ـ الغناء في الإسلام : للعلاَّمة عبد الحي الحسني .

٣ ـ التقليد الشرعي في الأمور الفقهية وأهميتها في الإسلام : للعلاَّمة الفقيه المفتي عبد الرحيم اللاجْفُوري .

٤ ـ مكانة الصلاة في الإسلام وأهميتها في حياة المسلم : للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي .

٥ ـ الإمامة في الصلاة مسائلها وأحكامها : للأستاذ مسعود العزيزي الندوي .

٦ ـ التدخين بين الشرع والطب : للأستاذ مسعود العزيزي الندوي .

٧ ـ الموجز في أصول الفقه : للشيخ محمد عبيد الله الأسعدي .

الفقه الميسَّر
على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان
(العبادات)

للشيخ شفيق الرحمن النَّدْوِي

تقديم

العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي

اعتنى به

سيد عبد الماجد الغوري

دار ابن كثير

دمشق ـ بيروت

نبذةٌ من ترجَمة المؤلّف

هو العالم الفقيه ، الأستاذ الكبير : الشيخ شفيق الرحمن النَّدْوِي ، أحدُ فقهاء دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ الأجلاء المعدودين ، وأساتذتها الكبار البارعين ، وقد تخرَّجَ منها في العلوم الإسلامية والفنون الأدبية في عام ١٩٦٠م ، وانتدبته بعضُ المدارس الإسلامية في الهند كأستاذٍ حيث قضى وقتاً لا بأسَ به في الأعمال التدريسية والكتابية وتربية الطلاب على منهج دار العلوم ، ثم رجع إلى دار العلوم عام ١٩٧٢م ، كأستاذٍ للشعر والأدب ، كان وطيد الصلة بالعلامة أبي الحسن النَّدْوِي ، الذي كان يحبُّه ، ويشجِّعه دائماً ، ويتناوله بالعطف والكرم .

توفِّي ـ رحمه الله ـ عام ١٤٢٣هـ (٢٠٠٢م) .

وقد كتب الله له طيبَ الإقامة في دار العلوم ، والاشتغال بالتدريس والدراسة ، والإقبال على مطالعة أهمِّ مصادر الفقه الإسلامي ؛ حتى طلب منه العلامةُ أبو الحسن النَّدْوِي أن يؤلِّف كتاباً سهلاً في مسائل وأحكام الفقه لطلاب المعاهد المتوسِّطة والثانوية ؛ فألَّفَ كتاب « الفقه الميسَّر » الذي جُعِل ضِمن المقرَّرات الدراسية في دار العلوم وفي جميع فروعها المنتشرة في الهند وخارجها ، وإنَّه ليُعَدُّ اليوم من أهمِّ كتب الفقه الحنفي للطلاب المبتدئين ، ونال قبولاً عظيماً ، ورواجاً عاماً منذ أوَّل يوم لصدوره .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم الكتاب

سماحة العلاَّمة الكبير الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني النَّدْوي
رئيس دار العلوم لندوة العلماء لَكْنَؤ (الهند)

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرسَلين وخاتم النبيِّين ، محمَّد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمَّا بعد ، فإنَّ المناهج التعليمية ، والمقرَّرات الدراسية في كلِّ عصرٍ ومصرٍ خاضعةٌ لعوامل كثيرةٍ ، وقد تكون تجريبيةً وقائمةً على التصوُّر التعليميِّ الخاصِّ وأهدافه المعيَّنة ، وقد تكون خاضعةً لظروفٍ دينيَّةٍ وإداريةٍ واقتصاديةٍ ، وقد تشكل لتَوافُق أعمال الطَّلَبة وسِنِّهم ونفسيتهم ومداركهم وحاجاتهم ، وأفْضَلُ المناهج وأجْدَرُها بالبقاء ، والاستمرار مُدَّةً أطْوَلُ ما تكون جامعةً لهذه النواحي كلِّها ، وافيةً بهذه الأغراض جميعِها .

وقد تَجَلَّتْ هذه الحقيقةُ في منهج شبه القارَّة الهندية القديم ، الذي ظَلَّ يُسَمَّى « بالدرس النِّظَامي »[1] بعد منتصفِ القرن الثاني عشر ، عَزْواً إلى الإمام نظام الدين بن قطب الدين السَّهَالْوِي اللَّكْنَوي المتوفَّى سنة (١١٦١هـ)[2] ، وهو الطَّوْر

---

(١) هو منهجٌ ينتمي إلى العلامة نظام الدين اللَّكْنَوِي . يلتزم تدريسَ الفلسفة، والمنطق، وأصول الفقه، وعلم الكلام، ويُعنى به عنايةً خاصةً، هذا مع عنايةٍ زائدةٍ في « دار العلوم دِيُوْبند الإسلامية » بتدريس الحديث الشريف وعلومه مع أدبٍ واحترامٍ، ودراسةٍ مقارنةٍ، ومحاكمةٍ استدلاليةٍ، وإثبات المذهب الحنفي وترجيحه.

(٢) هو العلامة الشهير، العالم الكبير صاحب العلوم والفنون: الشيخ نظام الدين بن قطب=

النهائي المختمر للمنهج التعليمي القديم الذي بقي مطبقاً في هذا القطر بعد الفتح الإسلامي ، يُزَاد فيه ويُنْقص ، ويطوَّر ويكيَّف ، مع حاجات البلاد والحكومات والمجتمع الإسلامي الهندي ، وبتأثير اتجاهات الأقطار الإسلامية المجاورة خصوصاً (إيران) التي كانت قدوةً وإماماً لهذا القطر ، و« ريفاً » علمياً وفكرياً للهند ، يغذِّيها ويموِّنها بالمواد الدراسيّة والكتب المؤلَّفة (خصوصاً في علوم الحكمة) وبأساتذةٍ فاقوا في الذَّكاء والبحث العلمي ، ويَؤُمُّون الهندَ بدوافع اقتصاديةٍ وعلميةٍ ، فيؤثِّرون في المنهج التعليمي ، ومعيارِ الفضيلة ، ومحكِّ الفطنة والذكاء تأثيراً عميقاً .

ولم يَقِفْ هذا المَدُّ والجَزْرُ ، وعمليةُ النقصِ والزيادةِ إلَّا بَعْدَ أن تشكَّلَ الدرسُ النظاميُّ ، ووقف عند حدٍّ خاصٍّ ، وذلك في زمنٍ كان أحْوَجَ إلى التطوير والتكييف من زمنٍ سابقٍ ، لتغيُّر نظامِ الحكم ، والقانون ، واللغة الرسميَّة ، واحتلال الحضارة الغربية والثقافة الغربية لهذه البلاد .

وكان هذا المنهجُ يبتدىء من دراسةِ اللغة الفارسية وشعرها وأدبها دراسة مطوَّلة ، تستغرق عدَّةَ من السِّنين ، ثم ينتقل الطالب ـ وقد دخل في سنِّ المراهقة ـ إلى دراسة قواعد اللغة العربية ومبادئها من صرفٍ ونحوٍ ، وبلاغةٍ ، وكتبٍ أوليةٍ في المنطق ، ويبلغُ عددُ الكتب المقرَّرة في الصرف وحده إلى سبعة كتبٍ ، وفي النحو خمسة ، أمَّا في المنطق فأقلُّ ما كان يكلَّف به الطالبُ من قراءته أربعة ، أو خمسة

= الدين بن عبد الحليم الأنصاري السَّهَالْوي ثم اللَّكْنَوي. درس العلوم العقلية والنقلية على كبار علماء ومشائخ مدينته ، كان مع تبحُّره في العلوم، وسَعَة نظره على أقاويل القدماء عارفاً كبيراً، زاهداً مجاهداً، شديدَ التعبُّد، عميمَ الأخلاق، حسنَ التواضع، كثير المؤاساة بالناس. توفي سنة ١١٦١هـ. من مصنَّفاته: « شرحان على مسلَّم الثبوت » للقاضي محب الله، وشرحٌ له على « منار الأصول » وشرحٌ على « تحرير الأصول » لابن الهُمَام، وشرحٌ على « المبارزية »، وحاشيةٌ على شرح « هداية الحكمة » للشيرازي، وحاشية على « الشمس البازغة » للجُونْفُوري، وغيرها. (**الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**: ٦/ ٨٥١ ـ ٨٥٢) .

كتبٍ ، وبعد ذلك يدخل في مرحلة دراسة الكتب الفقهيَّة ، فيكون قد بلغ سنَّ البلوغ ، أو تجاوزها بقليلٍ ، ومن بدأ بالدراسة متأخِّراً بسببٍ من الأسباب ، يكون قد بلغ سنَّ الشباب ، فكان لا يجد صعوبةً في فهمِ التفاصيلِ الفقهية ، والمسائل الدقيقة ، والفروض النادرة ، التي كانت تحتوي عليها كتبُ الفقه المقرَّرة في هذا المنهج ، « كالقُدُوْري »[1] و« شرح الوِقَاية »[2] ، ولا يفاجأ بقضايا تَقْصُرُ عن فهمها مداركه ، أو تثير فيه الغريزةَ والشعورَ قبل أوانه ، ويَشُقُّ على المعلِّم وقد يمنعه الحياءُ ، ومراعاة سنِّ الطالب ، وعقلِه ، عن شرحها وإيضاحها ، ولا تُوْجَدُ في هذا المنهج غالباً وفي أكثر الأحوال بين سنِّ الطالب ومداركه فجوةٌ واسعةٌ تحتاج إلى قنطرةٍ ، أو إلى العدول عنها ، ثم إنَّ المراحل الأولى من التعليم من دراسة الأدب الفارسي ، وكتب الصرف والنحو الدقيقة ، وكتب المنطق المعتصرة للذهن ، كانت تنشىء استعداداً لفهم هذه المسائل الفقهية الدقيقة ، وإساغتها وهضمها .

أمَّا حين حُذِفت موادُّ دراسيةٌ كانت تشغلُ حيزاً كبيراً من السِّنِّ والدراسة ، كدراسة اللغة الفارسية وآدابها ، وقلِّل من عدد الكتب المقرَّرة في الصرف والنحو ، والمنطق ، وأكثر من كلِّ ذلك حين سيْطَرتْ على عقول الناس ـ بتأثير الضغط

---

(١) هو كتابٌ نفيسٌ، بل هو مِن أحسن المتون وأنفعها في فروع الحنفية، لذا تصدَّى له كبارُ العلماء ما بين شارحٍ له وموضِّحٍ، ومبيِّنٍ لما جاء فيه من مسائل، يُنسب إلى أحمد بن محمد ابن أحمد، أبو الحسن، القُدُوْري ـ قيل : إنه نسبة إلى قريةٍ من قُرى بغداد يقال لها « قُدُورة » وقيل نسبة إلى بيع القدور ـ كان إماماً بارعاً عالماً، وثبْتاً مناظراً، انتهت إليه رياسةُ الحنفية بالعراق، وكان حسن العبارة في النظر وسمع الحديثَ، وروى عنه أبو بكر الخطيبُ البغدادي (صاحب « تاريخ بغداد ») توفي ببغداد سنة ٤٢٨هـ. (**وفيات الأعيان : ترجمة ٢٩**) و(**الفوائد البهية في تراجم الحنفية : ص : ٣٠**).

(٢) « الوقاية » هو لبرهان الشريعة محمود بن عبيد الله المجنوبي، المتوفى سنة ٣٧٦هـ. وأمَّا « شرح الوقاية » المذكور في المتن فهو لصدر الشريعة عبيد الله بن مسعود بن محمود بن أحمد المجنوبي ، المتوفى سنة ٧٤٧هـ .
وشرحه الإمام المحدِّث الفقيه عبد الحي اللَّكْنَوي باسم « السِّعاية في كشف ما في شرح الوقاية ».

الاقتصادي ، ونظام التعليم الغربي ، وتحقيق مطالب الحياة والمسابقة في ميدان الاقتصاد والوظائف ـ فكرةُ توفير الوقت ، والمجهود على الطالب ، وانتهاز الفرصة للدخول في معترك الحياة ، اضْطُرَّ الطالبُ الدينيُّ إلى أن يدرس كتب الدين والفقه في سنٍّ مبكِّرةٍ ، وعلى الأكثر في سنِّ المراهقة ، هي أخطر مرحلةٍ وأدقِّها من مراحل العمر في علم النفس والأخلاق والطِّبِّ ، فيواجه مسائلَ وتفريعاتٍ وتشقيقاتٍ من أول أبواب الطهارة إلى أبواب النكاح ، يصعب عليه فهمُها ، وإذا فهمها فإنه يحرِّك فيه الشعورَ والغريزةَ قبل أوانه ، وقد يُحْدث ذلك فيه اضطراباً نفسياً أو فكرياً يورِّطه فيما لا تُحْمَدُ عاقبتُه ، ولا تُؤْمَنُ غائلتُه .

قد كان يَنْتابُني هذا الشعورُ وأنا مشغولٌ بتعليم الأطفال والشباب المراهقين في دار العلوم التابعة لندوة العلماء حيناً بعد حينٍ ، وتُراوِدُني فكرةُ وضع كتابٍ في الفقه يُلائم سنَّ الطَّلَبة ومداركهم ، والبيئة التي يعيشون فيها ، والزمن الذي وُلِدُوا فيه ، وأن أُدْخِل فيه تعديلاتٍ إنْ لم أستطعْ أن أسْبكَه سَبْكاً جديداً ، وعزمتُ على هذا على كثرة أشغالي وأسفاري وتنوُّع مسؤولياتي ، فتناولتُ كتابَ « نور الإيضاح » للعلامة حسن بن عَمَّار الشُّرُنْبُلالي الحنفي المِصْري[1] ، وهو كتابٌ ميسَّرٌ في الفقه الحنفي ، نال قبولًا وانتشاراً في الزمن الأخير في مدارسنا الدينية ، التي تسمَّى « المدارس العربية » ، وبدأتُ عملي التأليفي محدِّداً نفسي وجهدي في إطار هذا الكتاب ، واستعنتُ بأستاذٍ من أساتذة دار العلوم ، وهو الأخ نذر الحفيظ النَّدْوِي[2] ، ولكنَّ

---

(١) أحد العلماء الأحناف الكبار، المُكثِرين من التصنيف، نسبتُه إلى (شبري بلولة) بـ (المَنُوفية) في مصر، نشأ في القاهرة، درس في الأزهر، وأصبح المعول عليه في الفتوى، توفي بالقاهرة عام ١٠٦٩هـ (١٦٥٩م)، وله كتبٌ كثيرة، منها: « نور الإيضاح »، و« مراقي الفلاح » في الفقه، و« العقد الفريد » في التقليد، و« مراقي السعادات » وغيرها : (الأعلام للزركلي : ٢/٢٠٨).

(٢) أحدُ أنبغ تلامذة العلامة الندوي ـ رحمه الله تعالى ـ وأحَبّهم إليه، وهو أوَّلُ من كتب عنه وعن مؤلَّفاته باسم « الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي كاتباً ومفكراً. . » طبع في دار القلم بالكويت. تخرَّج الأستاذُ الندوي من « ندوة العلماء » ثم التحق بجامعة الأزهر، ورجع إلى الهند بعد التخرُّج منها، وتفرَّغ للتدريس والإفادة في « ندوة العلماء »، وهو الآن أستاذُ الأدب=

أشغالي التأليفيّة الأخرى وتنقُّلاتي عاقَتْني عن إتمام هذا العمل مع شِدَّةِ الحاجة إليه والشعور بأهميته ، ولكنَّني لم تُفارِقني هذه الفكرةُ زمناً من الأزمان ، فلما رأيتُ أنَّ لا محيصَ منه عزمتُ على أن أسنِده إلى أستاذٍ من أساتذة النَّدْوة ، يجمع بين الدراسة الفقهية ، والاطلاع على علم الحديث ، والقدرة على الكتابة والتأليف للصِّغار ، في لغةٍ سهلةٍ ، وأسلوبٍ مبسَّطٍ .

ووقع اختياري على الأخ العزيز الشيخ شفيق الرحمن النَّدْوِي[١] ، وكان التوفيقُ حليفَه في إتمام هذا العمل حسب ما كنتُ أرُوْمُه ، وخَطَّطْتُ له ، فقام بهذا العمل خيرَ قيام ، وفي مدَّةٍ قصيرةٍ ، ووضع هذا الكتابَ الذي سميتُه بـ « الفقه الميسَّر » .

وكان أكثر اعتماده على كتاب « نور الإيضاح » لمزاياه الكثيرة ، وقد التزم البدءَ بآيةٍ قرآنيةٍ ، وحديثٍ شريفٍ في مدخل كلِّ بابٍ ، ليعرف الطالبُ مكانةَ هذا الباب من أبواب الفقه في الشريعة الإسلامية ودرجته عند الله ورسوله ، وينشأ عنده الشعور بالإيمان والاحتساب ، ثُمَّ عُنِيَ بتعريف المصطلحات الفقهية وشرحها لغوياً وشرعياً[٢] ، واحترز عن ذكر المسائل التي لا تُلائم سِنَّ الطَلَبة ومداركهم ؛ لأن هذا هو الغرض الرئيسي لتأليف كتابٍ جديدٍ للصغار ، وعن الاختلافات الفقهية والتزم القول المفتى به ، واحترز عن كلِّ ما يُوهِم ويُحْدِث الالتباسَ ، فذكر اسمَ الظاهر مكان الضمائر ، وقسَّم المواد تقسيماً على منهج الكتب الدراسية العصرية ، وآثر اللغةَ السهلةَ الواضحةَ ، وأضاف بعضَ المسائل التي وقع الاحتياج إليها في هذا العصر ، ولم تكن قد حَدَثَتْ في عصر المؤلِّفين القُدَماء ، كالصلاة في القطار والطائرة ، وطبَّق بين الأوزان والمقاييس القديمة كالدِّرْهم ، والمِثْقال ، والصَّاع ، بالأوزان الحديثة .

وبذلك أصبح كتابه « الفقه الميسَّر » الذي بين يدي القُرَّاء ، كتاباً ميسوراً

= العربي في دار العلوم .

(١) سبقت ترجمتُه في أوَّل المقدِّمة .

(٢) وقد صدرت للكتاب طبعةٌ جديدةٌ بعنايتنا، من دار ابن كثير بدمشق، فيها مزيدٌ من تعريف المصطلحات الفقهية وشرحها لغوياً وشرعياً مع فوائد أخرى .

للأحداث في التعرف بالفقه ، وتلقِّي مبادئه ، وملأ فراغاً في مكتبة الصغار الدينية والدراسية ، وقضى حاجةً من حاجات مدارسنا الدينية ، كان يشعر بها القائمون على المدارس والعاملون بنظام التربية وعلم النفس الحريصون على تثقيف الطلبة الصغار ، تثقيفاً دينياً ، تربوياً ، يلائم سِنَّهم ومداركهم ، ويتفق مع طبيعة العصر وتطوُّره الطبيعي الجائز .

وأخيراً أشكر المؤلِّف العزيز على مجهوده ، وأقدِّم هذا الكتاب بحكم اتصالي (بنَدْوة العلماء) الوثيق ، وارتباطي بالمدارس الدينية عامة ، تحفةً مضافةً إلى مجهودات معلِّمي دار العلوم القائمين عليها في مجال اللغة العربية والأدب العربي والقواعد والإنشاء ، أرجو أن تتقبَّلها المدارسُ الدينية تقبُّلاً حسناً ، وتفسح له المجالَ في مناهجها التعليمية ليحلَّ محلَّه في كتب الفقه والتعليم الديني ، فالحكمة ضالَّة المؤمن حيث وجدها ؛ فهو أحق بها[1] .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على نبيه وصفيه وسلم .

٦/ من جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ **أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي**

تكية كلان راي‌ء بريلي

---

(١) وقد نال الكتابُ رواجاً كبيراً في بلاد شبه القارة الهندية ، وقرِّر في كثيرٍ من المدارس الشرعية والمعاهد الدينية ، وصدرت له عدَّة طبعات .

الغناء في الإسلام

للمؤرِّخ ، المحدِّث ، الفقيه

العلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسني

تحقيق وتعليق

بلال عبد الحي الحسني النَّدْوِي

دار عرفات

(الهند)

نبذةٌ من ترجَمة المؤلِّف والمحقِّق

ترجمة مؤلِّف الكتاب :

قد سبقت ترجمتُه في أول مقدمة « تهذيب الأخلاق » في صفحة (١٩٩) .

ترجمة المحقِّق :

هو العالمُ النبيل ، الباحث المحقِّق : الشيخ بلال بن محمد الحسني بن عبد العلي الحسني النَّدْوِي ، النجل الأصغر للكاتب الإسلامي القدير الأستاذ محمد الحسني ، وحفيد أخي فقيد الدعوة الإسلامية صاحب هذه المقدِّمات العلامة أبي الحسن النَّدْوِي (من أخيه الأكبر) .

درس في دار العلوم ـ ندوة العلماء على كبار أساتذتها ، شُغِف بالحديث في مقتبل عمره ، فقرأه على المحدِّث الفقيه ، العلامة الناقد الضليع ، الشيخ محمد عبد الرشيد النعماني ـ رحمه الله تعالى ـ أيامَ إقامته في (ندوة العلماء) أستاذاً للحديث الشريف . تعيَّن مدرِّساً لمادتي الحديث والنحو في « مدرسة ضياء العلوم » (الواقعة في مسقط رأس العلامة النَّدْوِي ، وهي أحد أكبر فروع « ندوة العلماء ») .

ومن أعماله العلمية :

١ ـ مبادئ وأصول في علم الحديث النبوي .

٢ ـ نظرات في الحديث : للعلاَّمة أبي الحسن النَّدْوي (إعداد وتعليق) .

٣ ـ منتهى الأفكار في شرح تلخيص الأخبار : للعلاَّمة عبد الحي الحسني (تحقيق وتعليق) .

٤ ـ الغناء في الإسلام : للمؤلِّف المذكور آنفاً (تحقيق وتعليق) .

٥ ـ سيرة الشيخ أبي الحسن الندْوي : (تأليف له بالأردية) وغير ذلك له كتب ورسائل بالأردية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

لسماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي
(نجل المؤلِّف الأصغر)
والأمين العام لندوة العلماء

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرسَلين ، خاتم النبيِّين ، الرسول الصادق الأمين ، الناهي عن المعازف والمُنْكَرات ، والظَّنِّ والتخمين ، محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أمَّا بعد ! فإنَّ الغناء من أدوات التسلية ، وتنفيس الكرب والإرهاق ، ووسائل التنشيط والتحميس في الكرب والأزمات ، درجت عليه الأجيال والسُّلالات البشرية بحكم الطبيعة ، وحُبِّ السَّلْوى والفرح ، وله تأثيراتٌ في الفرد والمجتمع ، وعلى الاتجاهات والميول الخُلُقيَّة ، والصِّلة بالتعاليم الدينية ، والآداب الشرعية ، بحكم الفطرة البشرية التي تتأثَّر بما يحرِّك القلبَ والعاطفة ، ويهزُّ الميولَ والرغبات ، ويلذِّذ المسامعَ والمشاعر .

وقد تنوَّعت وتفنَّنت الأجيالُ البشرية ـ وخاصةً أهلُ الاختصاص والوُلُوْع بهذا الفَنِّ والهِوَاية ـ في تنويع هذه الأداة للتسلية ، والتنفيس والتشجيع ، وإدخالِ السُّرور على الملوك والأمراء ، وأهل الذوق من الزُّهَّاد والعُبَّاد ، فاستعانوا في ذلك بالمعازف والآلات والمزامير والأدوات ، وتقدَّمت هذه الصناعةُ ـ إنْ صَحَّ هذا التعبيرُ ـ تقدُّماً كبيراً ، حتى بلغت أوْجَها في القرون المتأخِّرة ، وفي مجتمعاتٍ راقيةٍ

حَسَّاسةٍ ، إنْ لم نُسَمِّها أبِيْقُوريَّةً[1] ، فهي مجتمعاتٌ مدنيةٌ حَسَّاسةٌ ، رقيقةُ الشعور ، طالبةٌ للذَّة مهما كان مَصْدرُها ومَوْرِدُها .

وقد دخلتْ عادةُ إنشاد القصائد المثيرة للحُبِّ والغَرَام ، والمُنْسية للأحزان والآلام في بعض زوايا الصوفية الزاهدين ، والعُبَّاد المنزوين المتبتِّلين ، واستعانوا بذلك على إثارة الحُبِّ الكامن في النفوس ، والحماس الراقد في الطبائع ، والحمل على حُبِّ الله ، وعلى الخشية والبكاء ، والرِّقَّة والدعاء ـ كما زعموا ـ واشتهر ذلك « بالسَّماع » في المصطلحات الصوفية الأخيرة ولغة الزوايا ، وقد كان ذلك في كثيرٍ من الأحيان على حساب التفرُّغ للعبادات الشرعية ، والعمل بالسُّنَن النبويَّة ، وكان في ذلك في بعضُ الأحيان نقض لبعض التعاليم النبويَّة الخُلُقيَّة ، واستفحلَ هذا التقليدُ حتى أصبح شعارَ الزوايا الصوفية وعُرْفاً من أعراف التصوُّف ، مع أنَّ عدداً كبيراً من الراسخين في العلم والدين ، والدارسين للكتاب والسنَّة ، والمتمسِّكين بالأحكام الشرعية والسُّنَن النبويَّة أعرضوا عن هذا الاتجاه ، وأنكروا عليه أشدَّ الإنكارِ ، وكانت زواياهم ومراكز تربيتهم ، بعيدةً كلَّ البُعْد عن الغناء والموسيقى ، وما كان يسمى بالسَّماع[2] .

كانت هناك حاجةٌ ماسَّةٌ إلى اختصاصٍ وتوسُّعٍ في بيان حكم الشريعة على الغناء وآلات الغناء ، وموقفِ الرَّسول ﷺ في ذلك وأُسْوَتِه وعمله ، وما وَرد في ذلك من أحاديث صحيحةٍ ، ومواقف الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسانٍ ، وأئمَّةِ المذاهب الفقهية والمجتهدين الأعلام في هذا المجال ، وكذلك كانت الحاجةُ ماسَّةً إلى تفسير آلات الغناء المستخدمة في السَّماع ـ على مصطلح الصوفية ـ وحكمها في الشرع ، ثم بيان حكم الشرع في ذلك في تحرٍّ للصواب وفي تعمُّقٍ واعتدالٍ ، واستعراضٍ دقيقٍ عميقٍ واسعٍ لما وَرد في ذلك في كتب الحديث والفقه ،

---

(١) الأبيقوري : الطالب للذة والحاكم على الأشياء والميول بقياسٍ ما يحصل منه من اللذَّة والفرح، وهي مدرسةٌ خُلُقيَّةٌ يونانيةٌ.

(٢) ليرجع في ذلك إلى سلسلة كتاب « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » ١ ـ ٤ وخاصة الجزء الرابع، طبع دار ابن كثير بدمشق.

والآثار واللغة ، وكان ذلك يحتاجُ إلى عنايةِ عالمٍ راسخٍ في العلم ، متضلِّعٍ من دراسة فنِّ الحديث والفقه والأحكام ، واللغة والآداب ، ومعرفة المجتمع الإسلامي القديم ، وطبقات المدارس الفكرية ، والاتجاهات الدينية المنتشرة في العالم الإسلامي ، وضليعٍ في اللغة والأدب كذلك ، والآداب والأعراض .

وقد وَفَّق اللهُ لذلك وقَيَّض العلامةَ السيد عبد الحي الحسني رحمه الله ، مدير « ندوة العلماء » الأسبق ، وتلميذ رأس المحدِّثين وإمامهم : الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليَمَاني ، تلميذ الإمام محمد بن علي الشَّوْكاني صاحب « نيل الأوطار » بواسطةٍ واحدةٍ ، وتلميذ العلامة الفقيه والأستاذ الكبير الشيخ محمد نعيم الفِرَنْجي مَحَلِّي ، فإنَّه حين مَرَّ بحكم الغناء وما ورد فيه من حكم الشرع ووصل إلى شرح حديث الرُّبَيِّعِ بنت مُعَوِّذ ابن عَفْرَاءَ في كتابه « منتهى الأفكار شرح تلخيص الأخبار »[1] شعر بحاجةٍ إلى تأليف كتابٍ في موضوع الغناء في الإسلام ، فوضع كتاباً هو جديرٌ بأن يعتبر موسوعةً صغيرةً في هذا الموضوع ، فإنَّه تناوَلَ تفسيرَ الآلات والغناء بتحقيقاتٍ لُغَويةٍ وعُرْفيَّةٍ ، ونقل المذاهبَ في التحريم والترخيص ، شحنه بمعلوماتٍ فقهيةٍ وحديثيةٍ ، وعرض مذاهبَ الأئمة الأربعة في الغناء ، مع تفاسير دقيقةٍ وأمينةٍ ، وتناول الحديثَ عن المذاهب في ترخيص الآلات وتحريمها ، وأدلَّةَ المجوِّزين والمانعين في توسُّعٍ وتحقيقٍ ، وشرح لآلات الغناء وتعريفٍ بها .

وجاء بالقول الفَصْل في هذا الباب ، والتزم نقطةَ الاعتدال في ضوء الأحاديث والروايات الصحيحة ، وما تقتضيه سلامةُ الفِطْرة والطبيعة البشرية ، وجاء بالكلمة الجريئة المؤسَّسة إلى دراسة السنَّة العميقة وروح الشريعة الغَرَّاء ومقاصدها العلياء ، ونقد ما اعتاده المتصوِّفةُ من التوسُّع في استماع الغناء بالمزامير والأوتار ، وما تَظهر منهم من حركاتٍ متطابقةٍ ، وتقطيعات متلاحقةٍ ، وتواجُدٍ ورقصٍ ، ودافع عن السنَّة والعاملين بها والملتزمين لها في كلِّ زمانٍ ومكانٍ .

---

(١) وهو شرح هذا الكتاب الذي طُبع ونُشر باسم « تهذيب الأخلاق » وقرِّر تدريسه في كثيرٍ من المدارس .

وقد كان هذا الكتابُ الذي يكاد يكون فريداً في موضوعه ، وما يمتاز به من تحرٍّ للصَّواب ودفاعٍ عن الشريعة الخالدة ، والحكم على المُنْكرين أو المقتصدين في باب الغناء ، والمُفْرطين الغالين في إباحته ، بل استحبابه والتزامه بقولٍ فصلٍ ، لا إفراطَ فيه ولا تفريطَ ، كان هذا الكتابُ مغموراً مطموراً في مؤلَّفاته وأوراقه ، طُبع منها بعضٌ ، وبقي منها بعضٌ ، وقد قَيَّض اللهُ لإخراج هذا الكتابِ من المكتبة الخطية ابنَ حفيده العزيز بلال عبد الحي ، ابنُ الكاتب العربي الكبير والداعية محمد الحسني رحمه الله ، ابن الدكتور الفاضل السيد عبد العلي الحسني ابن العلامة السيد عبد الحي الحسني صاحب هذه الرسالة ، وكتاب « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر »[1] وكتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » (طبع المجمع العلمي العربي بدمشق) وكتاب « الهند في العهد الإسلامي » وكانت سعادةً موروثةً وبِرّاً بالجَدِّ العلامة الأمجد رحمه الله ، فتناول الكتابَ في جهدٍ وإخلاصٍ ، ودراساتٍ ومراجعاتٍ ، وعَلَّق تعليقاتٍ ذاتَ قيمةٍ مع مراجعة الأصول ، والمراجع التي اعتمد عليها المؤلِّفُ واستفاد منها ، والإحالة إلى هذه المراجع مع التنويه بأسماء مؤلِّفيها ، والإحالة إلى صفحاتها ، وشرح اللغات التي جاءت في الكتاب ، وعُني بتعريف الأئمَّة والأعلام الذين اعتمد عليهم المؤلِّفُ واستعان بآرائهم وحكمهم ، فجاء تعليقاً مفيداً دسماً ، بالمعلومات والفوائد ، مُعيناً على الاستفادة من هذا الكتاب ، والاعتماد عليه والإحالة إليه .

تقبَّل اللهُ عملَه ، وجعله بَرّاً لوالده وجَدِّه ، فإذا جاء في الحديث : « إنَّ منْ أبَرِّ البِرِّ صلةُ الوَلَدِ بأهْلَ وُدِّ أبيْهِ »[2] فكيف بالبرِّ بمخلفات الجَدِّ العزيزة الحبيبة إليه ، وكتابه الذي بقي مطموراً مغموراً أكثر من نصف قرنٍ ، وكاد يأتي عليه تغيُّرُ الزَّمان والمكان ، وبُعْد العهد بالمؤلِّف ، وتشاغل أخلافه بأعمال دينية وتأليفية ، ودعوية أخرى .

---

(١) وهو الذي صدر حديثاً باسم « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » في ثلاث مجلَّدات كبار .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البرِّ والصلة، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، برقم (٢٥٥٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

فجزى اللهُ العزيزَ المحروسَ على هذا الجهد الذي بذله في تحقيق هذا الكتاب ، والبِرّ الذي أبْدَاه في إثاره هذا الكنز وإشاعته ، والله لا يضيع أجرَ المحسنين .

١٥/ ٣/ ١٤١٦هـ — **أبو الحسن علي الحسن النَّدْوِي**

١٣/ ٨/ ١٩٩٥م

التقليد الشرعي في الأمور الفقهية
وأهميتُه في الإسلام

تأليف

العلامة المحقِّق الفقيه الجليل المفتي عبد الرحيم اللاَّجْفُوري

مؤسسة الخليل الإسلامية
(باكستان)

نبذةٌ من ترجَمة المؤلِّف

هو العالمُ الجليل ، والفقيه الكبير : الشيخ المفتي عبد الرحيم اللاَّجْفُوْري ، أحدُ كبار علماء بلاد شبه القارة الهندية وفقهائها في العصر الأخير ، كان ينتمي إلى بلدة (لاجْفُوْر) الواقعة في ولاية (غُجْرات) بالهند ، وقد وفَّقه الله للاشتغال بالعلم والدراسة والبحث والتحقيق في القضايا ، والمسائل العامة والخاصة ، وإفادة الناس بغزارة علمه ، وخصوبة فكره ، مع التمسُّك بذيل التقوى والورع والتواضع ، والحمية الدينية ، أضف إلى ذلك اتباعه للسنَّة في جميع شؤون الحياة والتعامل مع الناس بلطفٍ وأدبٍ .

كذلك وفَّقه الله تعالى للقيام بتدوين الفتاوى ، حول قضايا مهمّة ، في مجلَّداتٍ ضخمةٍ تُعْتَبَرُ مرجعاً هامّاً لأصحاب الفتاوى ، هذا ؛ وإنَّ لهذه الفتاوى ميزةً كبيرةً بالدراية والتحقيق ، والبحث في المسائل في ضوء الكتاب والسنَّة ، وقد نالت قبولاً واسعاً بين أوساط العلماء وأصحاب الفقه .

له عدا هذه الفتاوى (التي سمَّاها : « الفتاوى الرحيمية ») عدَّةُ كتبٍ ورسائل دينيةٍ مفيدةٍ في التعليم والتربية والدعوة .

توفي رحمه الله تعالى عام ١٤٢٢هـ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التقديم[1]

لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرسَلين وخاتم النبيِّين ، محمَّد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمَّا بعد ! فإن الرجوع إلى أصحاب الاختصاص والبَرَاعة ، والتفوُّق والاجتهاد في كلِّ فَنٍّ من الفنون ، وفي كلِّ مجالٍ من مجالات الدراسة والتحقيق ممَّا جرت به العادةُ من القديم ، وأصبح عُرْفاً من الأعراف المسلَّمة والمنتشرة في تاريخ العلم والدراسة والبحث والتحقيق قديماً وحديثاً ، وذلك للتوقِّي من الخطأ والزَّلَل ، والتورُّط في ضَلالٍ أو خَطَلٍ[2] ، وقد احتَفَل به تاريخُ العلوم والفنون ، والدراسات والتحقيقات ، وأصبح ذلك عُرْفاً شائعاً وسُنَّةً مُتَّبعةً .

وأكثرُ من ذلك وضوحاً وجلاءً وبداهةً الرجوع إلى أصحاب الاختصاص ، والبَرَاعة والإتقان ، والتوسُّع مع التعمُّق ، والتعمُّق مع التوسُّع ، والتحرِّي للثواب والإيمان والاحتساب ، والشعور الزائد بالمسؤولية عند الله ، والحساب والكتاب في أحكام الشريعة والقضايا الاجتهادية ، وما يتجدَّد ويفاجىء من طوارىء وأحداثٍ لها اتصالٌ مباشرٌ بالأحكام الدينية ، إيجابيةً أو سلبيةً في العمل بالشريعة ، واتباع السنَّة السَّنِيَّة ، لذلك كان من العُرْفِ الشائعِ والسنَّة المُتَّبَعة ، والتقاليد الجارية في العصر

(١) كتب العلامةُ الندوي هذه المقدِّمة بالأردية، نقلها إلى العربية مُترجِمُ هذا الكتاب : الأستاذُ محمد مَعْصوم ظفر الندوي، جزاه الله عن هذه الخدمةِ خيرَ الجزاء.

(٢) الخَطَلُ : المنطق الفاسد.

الأول في عهد الخلفاء الراشدين ، ثم في عصر الصحابة والتابعين : الرجوعُ إلى أحد العلماء الراسخين المتضلِّعين ، والمؤمنين بالحِسْبَةِ والأمانةِ والمسؤوليةِ أمام ربِّ العالمين فيما يحدث من قضايا ونوازلَ فرديةٍ واجتماعيةٍ ، يحتاج في مواجهتها والعمل فيها إلى الحكم الشرعيِّ ، وما ثبت في ذلك من الكتاب والسنَّة .

وكان ذلك في العصر الأول من غير تعيينٍ والتزامٍ لمدرسةٍ فقهيةٍ خاصةٍ ، أو فردٌ يلتزم مذهباً خاصّاً ويمثِّله ، وذلك لما تقتضيه طبيعةُ العصر ، وانتشار الإيمان والاحتساب ، والتحرِّي للحقِّ والصواب في المحيط العلميِّ وحلقات الدراسة والتحقيق ، ثم آلَ ذلك بحكم الزمان وما يقتضيه الحرصُ على التحرِّي للصواب ، وتوفير الجهد والوقت إلى مكتبٍ خاصٍّ من مكاتب الفقه ، ومن يمثِّله خير تمثيلٍ ويوثق بعلمه وأمانته وتَقْواه ، فأصبح هذا الرجوعُ إلى مكتبٍ فقهيٍّ خاصٍّ سنَّةً مُتبعةً وعملاً شائعاً محموداً وميسوراً في وقتٍ واحدٍ ، ولم يُثِرْ ذلك استنكاراً أو اتهاماً ببدعةٍ أو خرقِ إجماعٍ ، وكان نتيجةُ ذلك ما شاع في العالم الإسلامي من تقليد مذهبٍ خاصٍّ من المذاهب الأربعة ، ولم يُثِرْ ذلك استنكاراً أو رمياً ببدعةٍ أو ضَلالٍ ؛ إذ كان ذلك مشروطاً أو مقترناً باتباع الكتاب والسنَّة والعودة إلى ما ثَبَت وتحقَّق من مصادرهما[1] .

والحاجة إلى ذلك الاعتماد ـ على مذهبٍ خاصٍّ واجتهاداتِ أئمَته معتمدين على الكتاب والسنَّة ، مُقتبسين ومُستنبطين منهما ـ أعظَمُ وأشَدُّ في هذا العصر الذي فَشَتْ فيه الفوضى الفكريةُ والإغراءاتُ الماديةُ والتَحَدِّياتُ العصريةُ ، والرغبةُ الجامحةُ في التحرُّر ، وإرضاء النفس ، ومسايرة المجتمع والزمان ، كما يُشاهد ذلك بكلِّ وضوحٍ وجلاءٍ في البيئات التي عَمَّتْ فيها الحضارةُ الغربيةُ ، وطَغَتْ فيها القِيَمُ الماديَّةُ ، فأصبحت الحياةُ فيها حياةً متحرِّرةً من القيود الشرعية ، والأحكام الدينية .

مع الأسفِ : أنَّه قد بدا في هذا العصر ـ وخاصَّةً في شبه القارة الهندية التي تُعاني

---

(١) وقد أشار إلى هذه النكتة : الإمامُ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدِّهْلَوِي ، المتوفى سنة ١١٧٦هـ في بعض كتاباته .

محنة التحدِّيات المُعَادية للإسلام ـ هجومٌ عنيفٌ على المذاهب الأربعة التي تعمل بأحدِها طائفةٌ من طوائف المسلمين ـ خصوصاً المذهب الحنفي الذي تعمل فيه أكبر طائفة من طوائف المسلمين ـ وكان ذلك في غيرِ مكانِه وفي غير أوانه ، فلا يحدث ذلك إلا الخلافَ والنزاعَ ، في وقتٍ المسلمون فيه أشدُّ حاجةً إلى الوحدة والتَّماسُكِ ، ومقاومة التحدِّيات الوثنية واللادينية والغربية .

وكانت الحاجةُ شديدةً إلى أن تُرَكَّز العنايةُ والجهود على محاربة العقائد والأعمال الشِّركية ـ التي كانت ولا تزال الهندُ (مولد الديانات الوثنية البعيدة عن المركز الإسلامي ، مسافةً وثقافةً ولغةً) أكبرَ مجالها ـ وعلى البِدَع والخُرَافات ، وتقليد الجيران وأبناء البلاد من غير المسلمين في الأفراح والأحزان والأحوال الشخصية ، وأن يركَّز الجهد على تثقيف الجيل الجديد تثقيفاً إسلامياً دينياً لبقاء المسلمين في هذه البلاد محافظين على عقيدتهم وثقافتهم وغيرتهم الدينية وميزتهم الإسلامية ، فقد ظهرت طلائعُ الرِّدَّة الحضاريةِ والثقافيةِ ، إذا تجنَّبنا إطلاقَ كلمة الرِّدَّة الدينية لفظاعة هذا التعبير وثقله على القلوب والآذان .

وخيرُ مثالٍ لذلك ما تحقَّق وثَبَتَ تاريخياً ، ولا تزال تأثيراتُه وبقاياه في شبه القارة الهندية مشاهدةً ملموسةً منهج الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ وَليّ الله الدِّهْلويّ ، وأنجاله العلماء الراسخين ، والمحدِّثين والفقهاء البارعين ، وتلميذ هذا البيتِ والمقتبس منه الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦هـ) الداعية والمجاهد الفريد الذي بَايَعه وتابَ على يدِه من جميع أنواع الشِّرك والبِدَع والضَّلالات ثلاثةُ ملايين (٣٠٠٠٠٠٠) من الناس ؛ وصلحت حياتُهم ، ونشأت فيهم الكراهةُ الشديدةُ لجميع أنواع الشِّرك والبِدَع والضَّلالات ، والعادات الجاهلية ، ونشأت فيهم الحَمِيَّةُ الدينيةُ إلى أقصى حَدٍّ ، وأسلَمَ على يده ثلاثون ألفاً (٣٠٠٠٠) من الوثنيِّين ، وغير المسلمين .

وكذلك خليفتُه ، وعضده الأيمن العلامة الشيخ المجاهد إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدِّهْلَوي الشهيد (١٢٤٦هـ) صاحب كتاب « تقوية الإيمان » الذي هو من أقوى الكتب والرسائل في بيان التوحيد الخالص ، والإنكار على الشِّرك

والبِدَع ، وقد سمّاه أحد علماء السعودية « منجنيق التوحيد » حينما اطّلَع على تعريبه المسمَّى « برسالة التوحيد » .

فكانت الحاجةُ شديدةً إلى العناية بهذا الموضوع عنايةً علميةً دراسيةً ، تطبيقيةً وتحقيقيةً ، علميةً وواقعيةً ، وقد وفَّق الله لذلك صاحبَ اختصاصٍ في موضوع الفقه والاجتهاد وبيان الحكم الشرعي ، وصاحبَ دراسةٍ واسعةٍ عميقةٍ للكتاب والسنَّة والمذاهب الفقهية ، وما يتجدَّد من قضايا ونوازل ، وبيان الحكم الشرعي فيها : العلامة الشيخ عبد الرحيم اللاَّجْفُوْريّ ، فألَّف هذا الكتابَ الغَنيَّ بمادَّته ودلائله ، المبني على الإنصاف والواقعية ، والإخلاص والنصح للمسلمين ، جزاه الله تعالى خيرَ الجزاء ، ونفع به القرَّاء والطالبين للحقِّ والخاضعين له ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي
مدير ندوة العلماء ، الهند

مكانة الصلاة في الإسلام

و

أهميتها في حياة المسلم

تأليف

العَلاَّمَة المُحدّث الشيخ محمّد زكريا الكانْدَهْلَوِيّ

تقديم

الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي

نقله إلى العربية

الأستاذ محمد الحسني

رئيس تحرير مجلة « البعث الإسلامي » الشهرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم الكتاب

بقلم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدْوِي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المُرْسَلِين ، وخاتم النبيِّين ، وإمام المُتَّقِين : محمَّد ، وآله وصَحْبِه الغرِّ المَيَامِين ، ومن تَبِعَهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمَّا بعد ـ « فقد كانت الصَّلاةُ المشروعةُ في الإسلام استجابةً لغريزة البَشَرِ النوعيةِ ، غريزةَ الافتقار والضَّعْفِ والطَّلَبِ ، وغريزةَ الالتجاءِ والاعتصام ، والدعاءِ والمناجاةِ ، والاطراحِ على عَتَبةِ القَوِيِّ الغَنِيِّ ، الجَوَّاد الكريم ، الرَّؤوف الرحِيم ، الحافظِ المانعِ ، المُعطي الباذلِ ، العليمِ الخبيرِ ، السميعِ المجيبِ ، واستجابةً لغريزة الشُّكرِ والوفاءِ ، وغريزةَ الحُبِّ والحَنَانِ ، وغريزةَ الخضوعِ والتواضعِ ، والعُبوديةِ والتذلُّلِ ، فهو في ذلك كالسَّمَكِ لا يعيش إلَّا في الماء ، وإذا أُخْرِجَ من الماء لم يَزَلْ في حاجةٍ إلى الماء ، وفي حنينٍ وفي قَرَارٍ والتجاءٍ إليه ، وذلك معنى قولِ رسول الله ﷺ : « وجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنَيَّ في الصَّلاَة » ، وقوله لمؤذِّنه بلال : « يا بِلاَل ، أَقِمِ الصَّلاَةَ ، أَرِحْنَا بها » .

وكانت الصَّلاةُ أَقْرَبَ إلى المؤمن وأكثرَ إيواءً ، وأسرعَ نجدةً وإسعافاً ، وأَسخى وأَحنى وأَعْطَفَ عليه من حِجْرِ الأُمِّ الرَّؤُوْم الحنونِ ، على الطفلِ الشَّريدِ الفريدِ ، اليتيم الضائعِ ، الضعيفِ العاجزِ ، كلَّما عُوكس أو هدِّد ، وكلَّما أصابه الرَّوْعُ أو الفَزْعُ ، أو مَسَّه الجوعُ أو العَطَشُ ؛ أَوى إلى أمِّه فرمى نفسَه في أحضانها ، أو تشبَّث بأذيالها .

كذلك الصَّلاةُ مَعْقِلُ المسلم وملجؤه الذي يأوي إليه ، والعُرْوَة الوثقى التي يعتصم بها ، والحَبْلُ الممدودُ ـ بينه وبين ربِّه ـ الذي يتعلَّق به ، وهو غذاءُ الرُّوح ، وبَلْسَمُ الجُروح ، ودواءُ النفوس ، وإغاثةُ الملهوف ، وأمانُ الخائف ، وقوَّةُ الضعيف ، وسِلاَحُ الأعزل ، ولذلك يقول اللهُ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣] ، ولذلك كان رسولُ الله ﷺ إذا حَزَبه أمرٌ ؛ فَزِعَ إلى الصَّلاة ، فعن حُذَيْفَةَ ـ رضي الله عنه ـ قال : « كان رسولُ الله ﷺ إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى » ، وروى أبو الدَّرْدَاء ـ رضي الله عنه ـ كان النبيُّ ﷺ إذا كان لَيْلَةُ رِيحٍ شديدةٍ كان مَفْزَعُه إلى المسجد حتى تَسْكُنَ الرِّيْحُ ، وإذا حَدَث في السَّماء حَدَثٌ من خسوف شمسٍ ، أو قمرٍ كان مَفْزَعُهُ إلى الصَّلاة ؛ حتى ينجلي .

و« ليست الصَّلاةُ قالباً حديدياً ، وشيئاً جامداً محدوداً ، يتساوى فيه الناسُ ، ويتوقَّف المُصَلِّي فيها على مستوى واحدٍ لا يتجاوزه ، إنما هي ساحةٌ واسعةٌ يتدرَّج فيها المُصَلِّي من حالٍ إلى حالٍ ، ومن بَدْءٍ إلى كمالٍ ، ومن كمالٍ إلى مالا يَخْطُرُ على البال ، ويتفاضَلُ فيها الناسُ تفاضُلاً كبيراً ، فليست الصّلاةُ مع الغفلة والجهل مثلَ الصَّلاةِ مع الاستحضار والتفقُّه ، وليست صلاةُ عامةِ المسلمين مثل صلاةِ العارفين ، وأهل اليقين ، ولا يجب أن تكون صلاةُ كُلِّ أحدٍ في اليوم مثل صلاته بالأمس ، وقبل شهورٍ وسنينٍ » .

« ومِن واجبات هذه الأمَّةِ وعلمائها ومربِّيها ، بالأَخصِّ ألا ينقطع هذا الإرْثُ ، وألا تضيعَ هذه الثروةُ المباركةُ ، وألا ينطفىء هذا النُّورُ مهما تغيَّرت الأوضاعُ ، وغَزَتِ المادةُ القلوبَ والنفوسَ ، فإنها خسارةٌ لا تُعَوَّضُ بشيءٍ ، وفراغٌ لا يملأ بأكبر قسطٍ من الأحكام الفقهية ، وأسرارِ التشريع ، وذلاقةِ اللِّسان ، وسَيْلانِ القلم ، ولا أَمَلَ في حركةٍ إصلاحيةٍ أو محاولةٍ لبعثٍ إسلاميٍّ ، إلا إذا أُلْهِبَتْ جَذْوَةُ الإيمانِ ، والحُبِّ والحَنَانِ في نفوس أصحابها ، ودعاتها ، وأعادت إلى الأمَّة ـ عن طريق دعوتها وتربيتها وجهادها ـ ظلالَ تلك الصَّلاةِ الخاشعةِ الرقيقةِ ، التي امتازت بها القرونُ المشهودُ لها بالخير ، وَعَرَفَتْ كيف تقوم أمامَ ربِّها في الصلاة قبل أن تَعرِفَ كيف تقف أمام عدوِّها ، وفي المشكلات والأَزْمَات . وصَدَق إمامُ دار الهجرة

مالكُ بن أنسٍ ؛ إذْ قال : « لن يُصْلِحَ آخرَ هذه الأمَّةِ إلا ما أَصْلَحَ أَوَّلَها » وصَدَقَ اللهُ العظيم : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ـ٢] »[1] .

ولم يَنْقَطِعْ هذا الإرْثُ ، ولم ينطفيء هذا النورُ رغماً عن الغارات المتصلة التي شُنَّتْ على جسم هذه الأمَّةِ ورُوْحِها ، وتراثِها وذخائرِها ، ورغماً عن العواطف الهَوْجاء التي هَبَّتْ لإطفاء هذا النور ، وذلك بفضل جهاد العلماء الربَّانيين ، والدعاة والمُصلِحين ، والفقهاء والمحدِّثين ، وأهلِ القلوب وأصحاب اليقين ، والعباد الخاشعين ، الذين تذوَّقوا الصلاةَ ، ووجدوا فيها لَذَّةً لا تُوْصَف بألفاظٍ ، ولا يفي بها تعبيرٌ ، وهَبَّتْ عليهم فيها نفحاتُ الجنَّة وروائحها ، وذلك تارةً بالعمل والتمثيل ، وطَوْراً بالتعليم والتقلين ، وأخرى بالتصنيف والتأليف .

وقد ألَّف كبارُ الأئمة وجِهَابِذة هذه الأمَّةِ في موضوع الصَّلاةِ ، وفِقْهِها وأحكامِها ، وسُنَنِها وآدابِها ، ورُوْحِها وخُشوعِها ، وحُكْمِها وأسرارِها ، وفي وصف صلاة النبيِّ ﷺ وفيما وَرَد فيها من الفضائل كُتُباً ، ورسائلَ في القديم ، والحديث لا يمكن الإحاطةُ بها لكثرتها . اشتهر من بينها في القديم رسالةٌ « الخشوع في الصَّلاة » للإمام أحمد بن حنبل ، وكتاب « قيام الليل » لتلميذه الكبير محمد بن نصر المَرْوَزِي ، هذا عدا كتب السِّيَرِ والتراجم والطَّبَقات التي احتوتْ على أخبارٍ وحكاياتٍ لصلاة الخاشعين من هذه الأمة وعبادها ، مثل كتاب « حِلْيَة الأولياء » لأبي نُعَيْم ، و« صفة الصفوة » لابن الجوزي ، و« إحياء علوم الدين » للغزالي ، و« مدارج السَّالِكين بين منازل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ » لابن الجوزي ، وكثيرٍ من كتب المشايخ التي اشتملت على مادةٍ غزيرةٍ وثروةٍ كبيرةٍ من القَصَص والحكاياتِ ، التي تؤثِّر في القلوب ما لا تؤثِّر البحوثُ العلميةُ ، والتفريعاتُ الفقهيةُ ، وتَشْحَذُ العزمَ ، وترفع الهِمَمَ .

وقد كان لجميع هذه الكتبِ ومؤلِّفيها في فضل التعريف بحقيقة الصَّلاة ولُبَابِها ،

---

(١) العبارات التي هي بين هلالين مقتطفة من كتابنا : « الأركان الأربعة » صفحة ٢٩/ ٣٠/ ٨٥/ ٨٦/ ٩١ [العلامة الندوي] .

والوقوفِ على سُنَنِها وآدابِها ، والاهتمام بالخُشوع والقُنوت فيها ، وشِدَّةُ المحافظة عليها ، والتهالُكُ في سبيلها ، وتقليد الربَّانيين والقانتين ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢ ـ ٣] والذين ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة : ١٦] جزاهم الله خيرَ الجزاء وكافأهم على صنيعهم أَحْسَنَ مكافأةً .

ومِن هذه السِّلسلة المباركة ـ التي لم تنقطع ولا تنقطع ـ هذه الرسالةُ المباركةُ لشيخنا العلاَّمةِ المحدِّثِ الجليلِ ، والمربِّي الكبيرِ ، الشيخ محمَّد زكريا بن يحيى الكَانْدَهْلَوِيّ ، نفع اللهُ بعلومه ، أَلَّفها سنة ١٣٥٨هـ[1] بإرشاد عَمِّه المصلح الكبير والداعية الشهير ، مولانا محمَّد إلياس الكَانْدَهْلَوِي رحمة الله عليه ، لتتداولها جماعةُ التبليغ والدعوة قراءةً ودرساً ، وتلقيناً ، وتعليماً ، وتأمُّلاً ومراجعةً ، فكان الاعتماد عليها ، والاشتغالُ بها في جولات هذه الجماعة وتنقُّلاتِها ، وفي دروسها ومواعظها ، وأصبحت من الكتب الأساسية ، والمقرَّرات الدراسية لهذه الجماعة ، بصفةٍ خاصَّةٍ ، وللمشتغلين بالدعوة ، والمَعْنِيِّيْنَ بأمر الصَّلاة ، والراغبين في الدين بصفةٍ عامةٍ ، وكُتِبَ لها من القبول والانتشار ، والشهرة والذُّيوع ، وتداولِ الأيدي ، وإقبال الناس ما لم يُكْتَبْ لأيِّ رسالةٍ دينيةٍ في « أردو » ـ لغة المسلمين في شبه القارة الهندية ـ وظهرت لها طبعاتٌ تفوق العَدَّ والإحصاء ، وانتفع بها خَلْقٌ كثير ، لا يُحْصَون بحَدٍّ ولا عَدٍّ .

وقد نَهَج فيها نَهْجَ المؤلِّفين في فضائل الأعمال والأخلاق ، والترغيب والترهيب ، وتوسَّع فيا بعضَ التَّوسُّع شأنَ المؤلِّفين في هذا الموضوع ، واعتنى

(١) وفي آخر هذه الرسالة إشعارٌ بتمامها في ٧ محرم سنة ١٣٥٨هـ ، وقد أهدى إمامُ دعوةِ التبليغ الشيخ الجليل مولانا محمد إلياس الكَانْدَهَلِوي إليَّ هذه الرسالةَ في أول زيارتي له في ذي القعدة ١٣٥٨هـ ، وكانت حديثةَ الظهور ، وكتب بقلمه ـ وقد هجر الكتابةَ منذ زمانٍ ـ إهداء هذا الكتاب إليَّ عملاً بالوصية النبوية « تهادوا وتحابوا » وكان شرفاً عظيماً لي ، ولم أكن أعرف في ذلك الوقت : أنه يكون لي شرف التقديم لترجمته العربية ، ولله الحمد أولاً وآخراً . [العلامة الندوي] .

بحكايات الصالحين ، والعبَّاد الخاشعين ، المرقِّقة للقلوب ، المؤثِّرة في النفوس ، وضَمَّ إليها فوائد علميةً ، وحديثيةً ، وأضاف إليها حكاياتِ مشايخ العصر الأخير ، وصلحاء هذا الجيل ؛ لأنها أكثر إثارةً للهِمَم الخامدة ، وأكثر بعثاً للعزائم الفاترة ، وحيث أَوْرَدَ حديثاً فيه ضَعْفٌ ، أو لِيْنٌ ، أو كَلامٌ للمحدِّثين ؛ بيَّن ضَعْفَه ، وذكر نقد أهل الصِّناعة له ، فجاء هذا الكتاب الصغير جامعاً بين أمانة المحدِّث ، ونزاهة العالم ، وتأثير الواعظ ، وصحبة المربّي ، لذلك كان نفعُه عاماً لطبقات المسلمين .

وقد نَقَله إلى العربية ابنُ أخي الأستاذ محمد الحسني (رئيس تحرير مجلَّة « البعث الإسلامي ») وهو كاتبٌ إسلاميٌّ مرموقٌ عرفه القرَّاءُ في العالم العربي بمقالاته الإسلامية وافتتاحياته القويَّة ؛ لينتفع به أوَّلاً ، وينتفع به القرَّاءُ ثانياً ، فقد انتشرت هذه الدعوةُ في الأقطار العربية ، وجماعاتُ التبليغ فيها في غدوٍ ورواحٍ ، فاشْتَدَّ الطلبُ لنقل الكتب التي عليها الاعتمادُ في دروس هذه الجماعة وتعليمها ، وقد تناولنا الترجمةَ بشيءٍ من التعديل والتلخيص ، لم يفقد الكتاب تأثيرَه ووقعه في القلوب ، نظراً إلى اختلاف البيئات والعقليات ، ندعو اللهَ مُخلِصين أن ينفع بهذه التَّرْجَمَة كما نفع بأصلها ، وجعلها ذُخْراً للمُتَرْجِم ، ولمن سعى فيها وأعان عليها ، و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دار عرفات ، رائي بريلي

(الهند)

لليلتين خلتا من ذي الحِجَّة الحرام ١٣٩٢هـ

الإمامة في الصلاة

مسائلها وأحكامها

تقديم

سماحة العلامة الشيخ الإمام

السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

تأليف

محمد مسعود العزيزي الندوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

سماحة العلامة الشيخ الإمام السيّد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيد المُرسَلين محمَّد وآله وصَحْبه أجمعين ، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمَّا بعد ! فقد اطَّلعتُ على كتاب « الإمامة في الصلاة مسائلها وأحكامها » تأليف الأخ العزيز محمد مسعود العزيزي الندوي ، وفَّقه الله للمزيد الجديد في الدراسة الشرعية والتأليف والبحث في القضايا الدينية .

ولمَّا كان الموضوعُ جَذْرِياً وشرعياً وعملياً وما يحتاج إليه المسلمون والعلماء بصفةٍ خاصةٍ ؛ كان البحثُ في هذا الموضوع وعرض قضاياه وأحكامه في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، والفقه حاجةً رئيسيةً ، وموضوعاً عملياً ، وكان البحثُ في ذلك واستعراض ما جاء مِن الأحكام وما صَحَّ فيه على أساس الكتاب والسُّنَّة ، والفقه والاجتهاد بحثاً دينياً ، وعملاً جذرياً . يرجو في ذلك مؤلِّفُه الأجرَ من الله ، والاعترافَ والتقديرَ من القرَّاء والباحثين .

والله لا يضيع أجرَ العاملين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

مدير ندوة العلماء

لكهنؤ

٩/ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ

٢/ سبتمبر ١٩٩٩م

التدخين بين الشرع والطِّبّ

تأليف

محمد مسعود العزيزي الندوي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

سماحة العلامة الشيخ السيّد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله والصلاة والسَّلام على رسول الله ﷺ .

أما بعد ! فيعلم الجميع : أن التدخين من أكثر العادات انتشاراً ورواجاً في المجتمع المعاصر ـ الغربي والشرقي ـ على اختلاف المستويات والطبقات ، والحضارات والمجتمعات ، والديانات والبيئات ، حتى أصبح من لوازم الحياة ومن الأمور الطبعية التي لا تقبل ولا تحتمل بحثاً دينياً ولا حضارياً ، ولا خُلقياً ولا طبيّاً . وأصبح من لوازم الحياة ومن شعارات المدنيات ، ومن الأمور الطبيعية التي لا تقبل بحثاً ولا نقداً ولا استعراضاً في ضوء الديانات والأخلاق والطب والاقتصاد والمدنيات ، ويعتبر من يتناوله بالنقد والبحث والحكم رجلاً رجعياً وجدلياً متطرّفاً ، مضيِّعاً لوقته ومجهوده .

ولكن العزيز محمد مسعود العزيزي الندوي قد تشجّع ـ ولا أقول تطرّف ـ لاستعراض هذه العادة شرعياً وطبياً ومدنياً وخُلقياً والحكم عليها كرجلٍ محائدٍ وباحثٍ حرٍّ واقعيٍّ ، لا يخاف في ذلك أن يُرمىٰ بالرجعية والتطرُّف وضيق الفكر والنظر ، وبذل الوقت والمجهود في ما لا يفيد ولا يلزم ولا ينتج نتيجة ، فقد أصبح التدخين من الأمو الطبيعية والعادية والحضارية والطبّيّة ، كالغذاء واللباس ، والنوم واليقظة ، والموانسة والمجالسة ، فهو في جراءته البحثية والنقاشية ، وشجاعته النقدية والاستعراضية ، يستحق الاعتراف بالجراءة وتنوُّر الفكر والبحث

من الحق ، تقبّل الله سعيه ونفع به ، وأفاد القراء والناظرين ، وما ذلك على الله بعزيز .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

الأمين العام لندوة العلماء

لكهنؤ

٢٨/ رجب/ ١٤٢٠هـ

٧/ نوفمبر/ ١٩٩٩م

الموجز
في
أصول الفقه

تأليف

محمد عبد الله الأسعدي

دار السلام

القاهرة

نبذة من ترجمة المؤلِّف

وهو الفقيه الأصولي الشيخ محمد عبيد الله الأسعدي . من مواليد عام ١٣٧١هـ ، تلقَّى الدراسة الابتدائية في البيت على والده الشيخ مرتضى ، ثم في كُتَّاب دار العلوم لندوة العلماء ، ثم التحق بدار العلوم وتخرَّج منها يحمل الليسانس في الشريعة واللغة .

قام بالتدريس في الجامعة الإسلامية في هتورا ببلدة بانْدَهْ . وله رحلاتٌ علميةٌ في بلاد مختلفة .

ومن مؤلَّفاته بالعربية :

١ ـ الموجز في أصول الفقه .

٢ ـ بين الضعيف والموضوع من الحديث .

٣ ـ دار العلوم ديوبند : مدرسة فكرية توجيهية .

مقدّمة

لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي

الحمد لله وحده ، والصَّلاة والسَّلام على من لا نبيَّ بعده .

أمَّا بعد : فلا يخفى على المُطَّلِع الدارس لتاريخ العلوم والفنون في مختلف العصور والأمم : أنَّ « علم أصول الفقه » يكاد يكون من خصائص الأمة الإسلامية ومزاياها لمكانة الدين عندها ، والاعتماد على التشريع الإلٰهي السَّماوي ، ومصدريه الأولين : الكتاب ، والسُّنَّة ، وحاجتها ـ في رحلتها الطويلة المتنوّعة ، العباديّة والسلوكيّة ، والإداريّة والسياسيّة ، والجنائيّة والتنظيميّة ، التي احتوتْ على مختلف الأصقاع والأقاليم ، وعلى مختلف العصور والأحقاب ، والبيئات والمجتمعات ـ إلى استنباط الأحكام ، واستخراج المسائل من الأصول ، وتفريع الجزئيات من الكليّات ، فأصبح علم أصول الفقه مِن أغنى العلوم ـ ليس في تاريخ الأمة الثقافي والتأليفي بل في تاريخ العلم العام ، وأوسعها مادةً ، وأعظمها دِقَّـةً ، تجلَّى فيه ذكاءُ علماء الإسلام ، ومجهودُ الفقهاء في أروع مظاهره ، وتكوَّنت في هذا الموضوع مكتبةٌ زاخرةٌ فاخرةٌ من الصعب استعراضها ـ فضلاً عن استيعابها ـ والنظرة العَجْلىٰ في كتاب « كشف الظُّنون لأسامي العلوم والفنون » للجَلَبي ، و« مفتاح السعادة » ، لطاش كُبرى زَادَهْ ، و« كتاب الفهرست » ، لابن النديم فيما يتصل بمؤلَّفات علماء الإسلام في هذا الموضوع ، وكتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » للعلاَّمة السيد عبد الحيّ الحسني[1] في ما يتصل بمؤلَّفات علماء الهند في

(١) طُبع في مجمع اللغة العربية بدمشق .

أصول الفقه كفيلةٌ بالاقتنـاع بأهميّة هذا الموضوع ، واتساعُ المكتبة المكوّنة فيه ، وقد عدَّ منها المؤلِّفُ العلاَّمةُ (٥٢) كتاباً أُلِّف في هذا الموضـوع في الهند ، وناهيك بكتاب « مسلَّم الثبوت » للعلامة محب الله بن عبد الشكور البِهَاري (م ١١١٩هـ) الذي أصبح الشُّغْلَ الشاغل للعلماء والأذكياء في شبه القارة الهندية تدريساً وتفهيماً ، وشرحاً وتحشيةً في أكثر من قرنٍ ، عَدَّ منها مؤلِّفُ « الثقافة الإسلامية في الهند » ثمانيةَ شروحٍ لكبار العلماء ، وكان من المقرَّرات الدراسيّة فترةً من الزمان في الأزهر بمصر ، وموضعَ عناية وإكبار من علماء الفقه والأصول في البلاد العربية .

ولا تزال الحاجةُ باقيةً إلى التأليف في هذا الموضوع تلخيصاً وتسهيلاً ، واختياراً وتطويراً لاختلاف الزمان واختلاف هِمَم الطالبين ، وأساليب التفهيم والتعليم الذي أصبح أمراً طبيعياً ، وقد حسب له العلماءُ والمؤلِّفون في كل عصر حساباً ، فاختلفت مؤلَّفاتُهم في هذا الموضوع طولاً وقصراً ، وصعوبةً وسهولةً ، واستقصاءً واحتواءً ، واختياراً ، وانتقاءً .

وهذا الذي حَمَل الفاضلَ العزيزَ الشيخَ عُبيد الله بن الشيخ السيد مرتضى التَّقَوِي الأسعدي على التأليف في هذا الموضوع ، يعتني فيه بتسهيلٍ ، وترتيبٍ خاصٍّ ، يسهِّلان تدريسَه والانتفاع به في مجال المدارس الدينية في الهند وغيرها التي تعنى بتدريس الفقه ، وأصول الفقه بصفةٍ خاصّةٍ .

وكَفَتْ لنجاح المؤلِّف الناهض في قصده المبارك شهادةُ أستاذ العلماء بقية السَّلَف وعمدة الخلف العلاَّمة الشيخ عبد الفتَّاح أبو غُدَّة ، حيث قال في تقريظه لهذا الكتاب :

« وجدتُه مختصراً نافعاً ، وميسَّراً جامعاً ، قد استخلص من كتب أصول الحنفية لبابها ، وقرَّبه إلى المستفيدين بأوجز عبارةٍ وأوضحها ، مع التوثيق لكل نَصٍّ ، والتحقيق لكل بحثٍ ومسألةٍ بما يفي بالمَرَام ، ويتّسع له المقام . . . » .

والفقيرُ بدوره يهنِّىء المؤلِّفَ العزيز على نجاحه في هذا التأليف ، ويهنِّىء الجامعةَ العربية في بانْدَهْ (الهند) ، والمُشرف الموقَّر عليها ، وصاحب الفضل

فيها ، سماحة الشيخ مولانا السيد صديق أحمد البَانْدَوِيْ ـ حفظه الله[1] ـ على هذا الإنتاج العلمي ، والنشاط التدريسي ، والتأليفي ، أطال الله بقاءه ونفع به القاصي ، والداني !

أبو الحسن علي الحسني الندوي

الأمين العام لندوة العلماء

لكهنؤ ـ الهند

٢٩ من ذي الحجة ١٤٠٩

---

(١) أحد كبار العلماء المربِّين في الهند ، أَسَّس مدرسةً لتعليم العلوم الشرعية في قرية « بانْدَهْ » الواقعة في ولاية أترابرديش ، والتي تحوَّلت اليوم إلى جامعةٍ كبيرةٍ . وكانت له رحلات وجولات دعوية وإصلاحية في أنحاء الهند وخارجها . توفي ـ رحمه الله تعالى ـ عام ١٩٩٧م .

فهرس مقدِّمات الإمام الندوي

(الجزء الأول)

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٥
ترجمة العلامة أبي الحسن الندوي	٧
كلمة قيمة للعلامة الندوي في أدب التقديمات	١٩
مقدماته لدراسات حول القرآن الكريم	٢١
« كتاب التبصرة في القراءات السبع » : لأبي محمد مكي	٢٣
نبذة من ترجمة المؤلف والمحقق	٢٥
تقديم	٢٧
« الفوز الكبير في أصول التفسير » : للدهلوي	٣١
نبذة من ترجمة المؤلف	٣٣
تقريظ	٣٩
« الإمعان في أقسام القرآن » : للفراهي	٤٣
نبذة من ترجمة المؤلف	٤٥
تقديم	٤٩
« فضائل القرآن » : للكاندهلوي	٥٥
نبذة من ترجمة المؤلف	٥٧
تقديم الكتاب	٥٩
« صفوة التفاسير » : للصابوني	٦٧
نبذة من ترجمة المؤلف	٦٩
كلمة سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي	٧١

الموضوع الصفحة

« رياض البيان في تجويد القرآن » : لمحمد مسعود الندوي ٧٣
نبذة من ترجمة المؤلف ٧٥
تقديم ٧٧
مقدماته لشروح كتب الحديث ٨١
« أوجز المسالك إلى موطأ مالك » : للكاندهلوي ٨٣
تقديم الكتاب ٨٥
مختصر تراجم علماء الحديث في الهند ١٠٩
« أوجز المسالك إلى موطأ مالك » ١٢٩
نبذة من ترجمة المؤلف والمحقق ١٣١
مقدمة الطبعة الجديدة ١٣٣
« التعليق الممجد على موطأ محمد » : للكنوي ١٣٥
نبذة من ترجمة المؤلف ١٣٧
تقديم ١٤١
« فتح الملهم بشرح صحيح مسلم » : للشّيخين : شبير أحمد العثماني
والشيخ محمد تقي العثماني ١٤٧
نبذة من ترجمة المؤلِّفَيْن ١٤٩
تقريظ ١٥١
« بذل المجهود في شرح سنن أبي داود » : للسهارنفوري ١٦١
نبذة من ترجمة المؤلف ١٦٣
مقدمة الكتاب ١٦٥
« روائع الأعلاق » : لأبي سحبان الندوي ١٩٧
نبذة من ترجمة المؤلف والشارح ١٩٩
تقديم ٢٠٣
مقدماته لكتب الأمالي والتراجم في الحديث ٢٠٩
« لامع الدراري على جامع البخاري » : للكنكوهي ٢١١
نبذة من ترجمة المؤلف والشارح ٢١٣

الموضوع | الصفحة

مقدمة الكتاب ٢١٥
« الأبواب والتراجم » : للكاندهلوي ٢٢٩
مقدمة الكتاب ٢٣١
« الكوكب الدري » : للكنكوهي ٢٤٩
مقدمة الكتاب ٢٥١
مقدماته لكتب المختصرات والمنتخبات في الحديث ٢٦٧
« تهذيب الأخلاق » : لعبد الحي الحسني ٢٦٩
تقديم الكتاب ٢٧١
« الأبواب المنتخبة من مشكاة المصابيح » : للكاندهلوي ٢٨٣
نبذة من تراجم العاملين في الكتاب ٢٨٥
مقدمة ٢٩١
« الأحاديث المنتخبة في الصفات الستة للدعوة إلى الله » : لمحمد يوسف الكاندهلوي ٢٩٩
نبذة من ترجمة المؤلف ومرتِّب الكتاب ٣٠١
مقدمة ٣٠٣
مقدماته لكتب الأجزاء في الحديث ٣٠٧
« حجة الوداع وجزء عمرات النبي ﷺ » : للكاندهلوي ٣٠٩
تقديم ٣١١
« نبوءات الرسول ﷺ ما تحقق منها وما يتحقق » : لمحمد ولي الله الندوي .. ٣٢١
نبذة من ترجمة المؤلف ٣٢٣
تقديم ٣٢٥
مقدماته لكتب في علوم الحديث ٣٢٩
« ظفر الأماني في مختصر الجرجاني » : للَّكنوي ٣٣١
نبذة من ترجمة المؤلف والشارح والمحقق ٣٣٣
تقديم ٣٣٥
« علم رجال الحديث » : لتقي الدين الندوي ٣٤١

الموضوع	الصفحة

تقديم ٣٤٣
مقدماته للأثبات ٣٤٩
« إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبد الفتاح » : لمحمد بن عبد الله آل رشيد ٣٥١
نبذة من ترجمة المؤلف ٣٥٣
تقريظ ٣٥٥
« نفحات الهند واليمن بأسانيد الشيخ أبي الحسن » : لمحمد أكرم الندوي ٣٥٧
نبذة من ترجمة المؤلف ٣٥٩
تقديم ٣٦٣
مقدماته لكتب الفقه وأصوله ٣٦٥
« الفقه الميسر » : لشفيق الرحمن الندوي ٣٦٧
نبذة من ترجمة المؤلف ٣٦٩
تقديم الكتاب ٣٧١
« الغناء في الإسلام » : لعبد الحي الحسني ٣٧٧
نبذة من ترجمة المؤلف والمحقق ٣٧٩
تقديم ٣٨١
« التقليد الشرعي في الأمور الفقهية . . . » : لِلاَّجفوري ٣٨٧
نبذة من ترجمة المؤلف ٣٨٩
التقديم ٣٩١
« مكانة الصلاة في الإسلام وأهميتها في حياة المسلم » : للكاندهلوي ٣٩٥
تقديم الكتاب ٣٩٧
« الإمامة في الصلاة » : لمحمد مسعود الندوي ٤٠٣
تقديم ٤٠٥
« التدخين بين الشرع والطب » : لمسعود الندوي ٤٠٧
تقديم ٤٠٩

الموضوع | الصفحة

« الموجز في أصول الفقه » : للأسعدي ٤١١
نبذة من ترجمة المؤلف ٤١٣
مقدمة ٤١٥
فهرس مقدمات الإمام النَّدوي ٤١٩

* * *

التنضيد الضوئي والإخراج الفني

محمد إبراهيم شونو

هاتف : ٢٤٥٨٦٣٧ _ ٦٦١٥٦٨٤ _ ٦٦٢١٣٣٠

جوال : ٤٨٠٣٥١-٩٥٥-٩٦٣+

بريد إلكتروني : www.shono.me / info@shono.me

دمشق ـ سورية